سلسلة مفردات التربية الإسلامية

(٤)

التـربيـة الدينـيـة
«الغـائبـة»

تأليف

الدكتور على عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

أمل
شركة الأمل للتجهيزات الفنية
عامر شماخ وشركاه
ت: ٥٧٦١٩٦٢

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب: ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت ٣٩١١٩٦١ ص ب ١٦٣٦
مكتبة الإعلام: ١٢ ش ابن هانئ الأندلس ت ٢٦٠٠٧٣١
مكتبة نصر الدين: ٤٤٦ ش الهرم - أعلى النفق ت ٥٧٣٠٧٥٢



إهداء هذه السلسلة

إلى الذين يعملون فى صَمْت، ويحتسبون عند الله أجْر ما يقومون به من عمل وجهد فى تربية المسلمين، متخذين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مصدرًا ورافدًا يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة.

وإلى الذين يرغبون فى أن يعرفوا عن التربية الإسلامية ما لا يسع المربِّى جهله،

وإلى القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية:

البيت، والمسجد، والمدرسة، والنادى، ووسائل الإعلام وأجهزته، والمجتمع وما ينبض به من قيم تربوية... لعلهم يجدون فى هذه السلسلة ما يعينهم على تربية المسلمين.

إلى هؤلاء أهدى هذه السلسلة فى حلقاتها العشر[1]، داعيًا الله تعالى لى ولهم بالعفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

---

(١) تلك هى الحلقة الرابعة من هذه السلسلة: التربية الدينية «الغائبة» وقد سبقها فى الظهور: التربية الروحية والتربية الخلقية والتربية العقلية أصدرتها دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يَدَيْ هذه السلسلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الانبياء والمرسلين المبعوث هدى ورحمة للعالمين،

وبــعــد :

فقد قدَّمتُ لهذه السلسلة « مفردات التربية الإسلامية » عندما صدرتْ الحلقة الاولى من حلقاتها العشر : « التربية الروحية »[1] واستحسن الآن عند صدور الحلقة الرابعة : « التربية الدينية »[2] أن أذكر بما قلته هناك محاولاً أن أوجز وأُجْمل، والله ولى التوفيق وهو المستعان .

- مفردات التربية الإسلامية هي مكوّناتها ومادتها الأساسية. وهي مفرداتٌ تُسهم في بناء شخصية الإنسان بناءً صحيحًا ليكون إيجابيًا فاعلاً في الحياة الدنيا، مَرْضيًّا عنه من الله فى الحياة الآخرة، إذ هو بتوافر هذه المفردات وما تَبُثُّه فى نفسه من قيم قادر على أن يسهم فى بناء الحضارة الإنسانية الراشدة .

- وهذه المفردات أو الأسس التى تقوم عليها التربية الإسلامية هى التى تمكن منْ يدينُ بدين الإسلام أن يحقق الأهداف التى أراد الله تعالى منه أن يحققها، وهى - كما هو معروف للمسلمين- :

– توحيد الله تعالى وإفراده بالألوهية والربوبية .

– وعبادته سبحانه باتباع المنهج الذى جاء به محمد ﷺ وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

– وإعمار هذه الأرض التى سخرها الله تعالى له .

- وهذه الأهداف تشتمل على كثير من الأهداف التفصيلية، وهى جميعًا مُجمَلها ومُفَصَّلها تتحقق إذا اتُّبِعَتْ الوسائل التى جاء بها الإسلام لتحقيقها، وأبرزها :

– التَّعَلُّم؛ بالتَّلَقّى والتدبر والبحث والدراسة،

---

(١) صدرت فى عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م عن دار التوزيع والنشر الإسلامية .

(٢) هى هذه الحلقة المسبوقة بثلاث حلقات هى التربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية العقلية .

- والعِلْم؛ أى تحصيل ما يُعلَّمَ والتمكُّن منه للانطلاق إلى ما هو أبعد منه وأرقى وأعمق.

- والتَّعَليم؛ أى نقل هذا العلم الذى حَصَّله لغيره من الناس واعتبار هذا النقل واجبًا شرعيًا، مَنْ سُئِل عنه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.

- وبذلك تُتَناقَل الخبراتُ وتتوارث، ويبدأ الثانى من حيث انتهى الأول، ليُضيف جديدًا؛ لا ليكرر من سبقه، وهذا هو خُلُق الإسلام ومنهجه فى وجوب التَّعلُّم والعلم والتَّعليم.

- ولقد رأيتُ بعد تفكير ومعاناة للتربية نظريًا وعمليًا أن هذه المفردات للتربية الإسلامية عشر هى:

  - التربية الروحية.
  - والتربية الخلقية.
  - والتربية العقلية.
  - والتربية الدينية.
  - والتربية الجسدية.
  - والتربية الاجتماعية.
  - والتربية السياسية.
  - والتربية الاقتصادية.
  - والتربية الجهادية.
  - والتربية الجمالية.

وعَقَدْتُ العزم على أن أؤلف فى كل منها كتابًا قائمًا بذاته، وهذا عمل أرجو الله تعالى أن يعينني عليه، وقد أنجزت منه حتى الآن أربعة كتب[1]، بفضل من الله وتوفيق.

- ومما أحب أن أنبه إليه أن مفردات التربية الإسلامية العشر، متكاملة لا يغنى بعضها عن بعض، وإنما تسهم مجتمعةً فى البناء الصحيح لشخصية الإنسان.

---

(١) هى: كتاب: التربية الروحية، وكتاب التربية الخلقية، وكتاب التربية العقلية، وكتاب التربية الدينية وهو هذا الكتاب.

• وهذه السلسلة تستطيع أن تتعرف أسباب معاناة المسلمين اليوم، وتشرذمهم وتراجعهم الحضارى النسبى، وأبرز هذه الأسباب هى : «فقد المنهج الإسلامى فى التربية» بأنواعها:

- التربية للفرد صغيراً وكبيراً.
- والتربية للأسرة. أو فى داخلها.
- والتربية فى المدرسة وأماكن التعليم.
- والتربية فى المجتمع بمختلف قطاعاته وتعدد مرافقه وأنديته ومؤسساته.
- التربية المرحلية والتربية المستمرة.

• على أنَّ فَقْدَ المنهج الإسلامى فى التربية فى العالم الإسلامى ليس بسبب ضياعه بعد أن كان؛ لأنه بكل تأكيد قائم بل قادر على أن يملأ الروح والعقل ويثرى الحياة الإنسانية كلها إذا أتيح له أن يُطَبَّق، هو منهج قائم ومستمر ومن المحال أن يضيع لأن الله تعالى تكفل بحفظه دون سائر المناهج الدينية التى سبقته.

• وإنما فقد المسلمون منهج الإسلام فى التربية بابتعادهم عنه أو إبعادهم، ليجدوا أنفسهم مع مناهج أخرى لا يزيدهم الأخذ بها إلا ضلالاً، وبُعداً عن منهج الله، ووقوعاً فى متاهات عديدة من الحيرة والتخبط، والفرقة والتشرذم والضعف.

• وما يُعَالَجُ هذا كله إلا اتباع منهج الله، إذ على العالم الإسلامى اليوم أن يدرك واقعه وأبعاد هذا الواقع ونتائجه الوخيمة؛ إن واقع العالم الإسلامى اليوم أنه يعيش مفرقًا فى أكثر من خمسين دولة!!! وهذا التفرق يحدث فى عصر تسيطر على أهله من كل جنس ولون دواعى الاتحاد والوحدة، على نحو ما نرى فى الاتحاد الأوربى الذى لا تجمع بين دوله لغة واحدة ولا تاريخ واحد، ولا عقيدة واحدة، ومع ذلك التباين فهم قد حققوا اتحاداً فى مجالات عديدة أبرزها المجال الاقتصادى، حتى أصبحت أوربا اليوم هى القوة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانكشاف زيف منهجه، وخداع شعاراته الجوفاء.

• إن أوربا من أجل هذا الاتحاد نسيت أو تناست ما كان بين كثير من دولها من عداوات تقليدية - كالعداوة بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا، ومجموعة الدول «السكندنافية»، وهذا هو الاتحاد الذى جعل من أوربا القوة الثانية فى العالم المعاصر.

● يحدث هذا فى أوربا بينما يعيش العالم الإسلامى تفرقًا وتمزقًا على الرغم من دواعى الوحدة بين دوله، لا مجرد الاتحاد، وبحسب العالم الإسلامى وحدة العقيدة: «لا إله إلا الله».

وحسبه وحدة المنهج: «محمد رسول الله».

ووحدة العبادة، ووحدة القِبْلة ووحدة التوجه إلى الله بطاعته واتباع منهجه الذى أكمله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينًا.

● إن العالم الإسلامى اليوم يضم أكثر من ألف مليون إنسان.

– ويملك من المقدرات الاقتصادية ما لو تركه الأعداء دون كيد لكان من أقوى أسباب الاكتفاء بل والغنى.

– ويملك المنهج الذى لا يوازيه منهج «الكتاب والسنة» الذى اشتمل على الثوابت التى تحقق للناس سعادة الدارين، وتبسط فى ربوعه الحق والعدل والسلام، تلك الثوابت هى: العقيدة والعبادة والقيم الخلقية.

– ويملك الجانب المتغير من المنهج وهو كل ما يُستحدثُ فى حياة الناس، مما هو من غير الثوابت، وقد فتح أمامه باب الاجتهاد على مصراعيه من القياس والمصالح المرسلة ودفع الاضرار وجلب المصالح، وهذا الاجتهاد باب مفتوح إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

● ولقد أفادت الحضارة الإنسانيةُ كلها من اجتهاد علماء المسلمين على مَرّ العصور فى كل شعب الحياة، وتلك حقيقة لا ينكرها إلا مكابر.

● وسوف يظل هذا المنهج قادراً على العطاء، فى كل زمان ومكان ما وجد من المؤمنين المخلصين من يعملون على تطبيقه والالتزام به، وعلى قدر مستوى المجتهدين من المسلمين فى العلم والإخلاص والجهاد والتضحية يكون عطاء المنهج وقدرته على حل أعْتى مشكلات الإنسانية.

● وكما أفادت الحضارات الأخرى من الحضارة الإسلامية، فإنه لا حرج على المسلمين أن يفيدوا اليوم من أى حضارة معاصرة بشرط واحد هو ألا يخالف ما أخذوا من الحضارات الأخرى شيئًا مما جاءت به شريعة الإسلام.

● ومخطئ من يقول : لا ينبغي أن يأخذ المسلمون من حضارات الآخرين، لأن الحضارة تراث إنساني تَفتَّقت عنه عقول خلقها الله تعالى رَبُّ الناس جميعًا.

● وغافل من لا يفرق بين الثوابت والمتغيرات من منهج الإسلام، بل ممعن في الغفلة والاسترخاء العقلي.

وبعـد :

فإن التحدي الحقيقي للمسلمين اليوم هو أن تكون لديهم نظرية تربوية علمية عملية نابعة من منهج الإسلام في الحياة، حتى يستطيعوا من خلال تطبيقاتها أن يكوّنوا الشخصية التي تدين بالإسلام وتتخذ من ثوابته أُسسًا راسخة، وتتعامل مع متغيراته وفق ما أتاح الإسلام لها من اجتهاد.

وهذه السلسلة مفردات التربية الإسلامية في مجموعها محاولة مني على قدر ما أعلم في علوم الدين وعلوم التربية للإسهام في توضيح أبعاد هذا النظرية، والله تعالى أسأل، أن يلهمني السداد ويمدّ بأسباب التوفيق.

إهداء هذه الحلقة

التربية الدينية

- أهدى هذه الحلقة إلى الذين يؤمنون بأن الدين الذى جاء من عند الله تعالى ضرورة حياة راشدة للإنسانية كلها فى كل زمان ومكان.

- إلى الذين يوقنون بأن دينهم أحب إليهم من دنياهم، وبأنه ليس لأحد من الناس فضل على غيره إلا بالدين أى تقوى الله.

- وإلى الذين يفقهون الدين فى هدى القرآن الكريم الذى يهدى للتى هى أقوم، وأن الدين عند الله الإسلام، ويفقهون التعامل بالدين كما أوضحه المعصوم ﷺ فى كلماته المعلمة، وذلك:

– فيما رواه البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «... وكان أَحَبَّ الدين إليه ما دام عليه صاحبه».

– وما رواه أيضًا بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الدين يُسْر، ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلجة».

وما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «... وإياكم والغُلُوّ فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين».

– وما رواه أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: «... لتعلم يهود أنَّ فى ديننا فسحة، إنى أرسلت بحنيفية سمَحْة».

- وإلى الذين يعملون على تجديد الدين فى نفوس الناس، ويدعون الناس إلى الدخول فيه والعمل بمنهجه، إذ هو الحل لمشكلات الحياة الإنسانية كلها.

- وإلى جميع الذين يؤمنون بالأديان التى جاءت من عند الله تعالى ويرون فيها علاجًا لأدواء الناس وأمراضهم، وتربية لنفوسهم وعقولهم وسلوكهم، ليتعايشوا آمنين مطمئنين، يدفعون عن أنفسهم وعن مجتمعاتهم أخطار الانحراف عن منهج الله، ويعملون متعاونين على أن يكون للتربية الدينية فى حياتهم وجود وتأثير.

● وإلى الذين غُيِّبَتْ عنهم التربية الدينية فى بيوتهم ومدارسهم ومجتمعاتهم لتحل محلها تربية لا تنتمى إلى دين من عند الله، فكان من نتائج ذلك أن جرفتهم تيارات الضلال، وغاصوا فى لجج الصراع والحروب فدفعوا لذلك أبهظ الاثمان.

● إلى هؤلاء جميعًا أهدى هذا الكتاب «التربية الدينية» «الغائبة» لعلهم يستعيدون هذا الغائب، فإذا استعادوه حافظوا عليه محافظتهم على الدين نفسه، وذلك أن فى غياب التربية الدينية ضياعا للفرد والأسرة والمجتمع بل لحاضر الناس ومستقبلهم، بل لأمنهم وسلامهم وتعايشهم الإنسانى.

إن هذا الكتاب سيوضح كيف غابت التربية الدينية؟ ومَن الذى غيَّبها؟ وكيف تستعاد؟ وما هى التربية الإسلامية: نظريتها وفلسفتها وتطبيقها نظريًا وعمليًا على عهد الرسول ﷺ؟

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

علي عبد الحليم محمود
غرة المحرم من عام ١٤٢١ هـ
٦/٤/٢٠٠٠م

المدخلَ إلى هذا الكتاب

يتناول المدخل إلى هذا الكتاب حديثًا مختصرًا عن محتواه .

ومحتوى هذا الكتاب يتمثل فى أبواب ثلاثة : أولها عن : غياب التربية الدينية أو تغييبها، وفيه تناول : خصائص الأديان السماوية وأهدافها .

وبيان معالم التربية الدينية فى الكتب السماوية .

والحديث عن أعداء الأديان السماوية وكشف نواياهم، وعن الميادين التى غُيِّبتْ التربية الدينية عنها، ومتى غُيبت هذه التربية الدينية، وما آثار هذا الغياب أو التغييب للتربية الدينية ؟ .

وفى ثانى أبواب هذا الكتاب؛ تحدثنا عن المفاهيم الأساسية للتربية الدينية الإسلامية، ومفهوم التربية الإسلامية، ثم تحدثت عن فلسفة التربية الإسلامية ونظريتها، ثم أوضحت دعائم التربية الإسلامية وأصَّلْتُ هذه الدعائم بالاستشهاد عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وفى ثالث أبواب هذا الكتاب، تحدثتُ عن التربية الإسلامية كما مارسها الرسول ﷺ دعمًا لتأصيل هذه التربية وأوضحت الجانبين النظرى والعملى من تربية الرسول ﷺ للمسلمين .

- والحقيقة التى لمستها من الشباب المسلم، ومن مثقفى المسلمين كبارًا وصغارًا أنهم جميعًا بحاجة إلى تأصيل كل الحقائق التى جاء بها الإسلام ليخرج بها الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم بمنهجه إلى الصراط المستقيم، فكان من هدفى فى كثير من كتبى أن أؤصل لهم هذه الحقائق المعبرة عن المنهج الإسلامى وربما كان هذا التأصيل فى نظرى أهم ما يجب أن يعرفه المسلمون فى هذا العصر الذى يُتَعَمَّد فيه تغييب الإسلام عن حياة الناس وعزله عنهم بحجة أن هذا الدين لم يعد ملائمًا لهذا العصر .
- ومن خلال لقائى بعدد من المشغولين بالتربية الإسلامية وتعرفى حاجتهم إلى تأصيل هذه التربية وربطها بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، كان هذا الكتاب ليؤصل التربية الدينية عمومًا، والتربية الإسلامية على وجه الخصوص .

والله تعالى أسأل أن يسدّد ويعين، ويلهم التوفيق، إنه على ما يشاء قدير .

الباب الأول

التربية الدينية «الغائية»

تمهيد لهذا الباب :

التربية الدينية - فى إيجاز وبساطة - هى تعليم الناس وتدريبهم بل حثهم وتشجيعهم على الالتزام بالمنهج الذى جاء من عند الله على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام سواء نزل عليهم فيه كتاب، أو بلغ به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه دون أن يكون معه كتاب، إذ الكتب السماوية محدودة العدد بينما الأنبياء والمرسلون كثيرون.

- ومن خلال التربية الدينية وقيمها يعرف الإنسان كيف يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، يعرف ذلك، ويتعلم من هذه القيم التربوية الدينية كيف يتعامل مع نفسه فلا يطغيها ولا يقهرها، وإنما يلزمها بمنهج الله فيما أحل وما حرم، وكيف يتعامل مع غيره دون أن يظلم أو يُظلم ودون أن يخل بواجب أو يقعد عن عمل صالح.

- وخلال هذه القيم التربوية الدينية يعرف مكانه ومكانته فى المجتمع الذى يعيش دون مبالغة تؤدى إلى الغرور ودون مبالغة فى التواضع تؤدى إلى استضعافه، فليس الفرد فى خدمة المجتمع على الإطلاق وليس المجتمع فى خدمة الفرد على الإطلاق أيضا، وإنما هناك قيود على ذلك تجعلهما - الفرد والمجتمع - يتبادلان المواقع فى كثير من المواقف حتى يحدث التواؤم والتلاؤم فيكون كل منهما فى خدمة الآخر دون تهويل أو تهوين لشأن اى منهما.

- ومن خلال هذه القيم التربوية يتعلم الإنسان كيف يتعامل مع سائر مخلوقات الله جميعا من حيوان ونبات وجماد، إذ أوجبت التربية الدينية قيما فى التعامل مع هذه المخلوقات ما ينبغى أن تتجاهل فليس لمؤمن يدين بدين ان يعذب حيوانا أو يسىء إلى نبات او جماد، لان الله تعالى سخر لنا هذه المخلوقات لننتفع بها على نحو شرعه هو سبحانه ودعا إلى الالتزام به.

- إن التربية الدينية تعمل على صياغة الإنسان صياغة تجعله متوائما مع التكاليف التى كلفه الله بها، والتى تتلخص فى القيام بهذه التكاليف على النحو الذى أوجبه الله وتعبد به الإنسان.

● ومن البيِّن في كل دين أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يطلب منها إلا مما آتاها، فليس شرعه في أى دين يشتمل على مشقة أو حرج، وليس منهجه إلا محققا لمصالح الناس في دينهم ودنياهم.

كل الأديان جاءت بذلك وأكدته، وكل رسول أو نبى إنما جاء بالحق ودعا إليه وأمر بالخير وأمر الناس بفعله، وحارب الباطل ونهى عنه، ونهى عن المنكر، وأمر بالانتهاء عنه والنهى عنه.

● وكل أنبياء الله ورسله أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له وأمروا بفعل الخيرات وممارسة العمل الصالح ابتداء من قول لا إله إلا الله وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق.

– التربية الدينية في كل دين تقوم على غرس القيم والأخلاق الفاضلة في نفوس الناس وسلوكهم وممارساتهم لحياتهم، وعلى نبذ القيم والأخلاق الرذيلة، وتعليم الناس كيف يتخلصون منها ويتباعدون عنها.

● والأديان كلها من عند الله تبارك وتعالى، والله تعالى أمر بفعل الخير وأمر بالقسط وأمر بكل فضيلة وأمر بالإحسان والرحمة والعمل الصالح، ونهى عن الشر والفواحش والإثم والبغى بغير الحق، والظلم والحقد والحسد وسائر أنواع الشر.

● وأوامر الله تعالى ونواهيه تشمل الناس جميعا لأن الله تعالى هو خالقهم وكل ادعاء بأن لله تشريعا يحابى به ناسا دون غيرهم إنما هو باطل وبهتان ولا يقول به إلا الكافرون الجاحدون.

– والتربية الدينية حينما تمارَس وتلتزم يصبح الناس في حماية من الخلل والاضطراب والحيرة والضلال والكفر والفقر وعذاب القبر.

● وهى تربية تقوم على احترام إرادة الإنسان ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] والحكمة بالغة اختار بعض الناس الإيمان واختار بعضهم الكفر، ولو شاء الله لآمنوا جميعا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

● لو أتيح للناس أن يلتزموا قيم التربية الدينية لكانوا من سعداء الدنيا والآخرة ولكن أعداء الله وأعداء الأديان وأعداء الإسلام يعملون جاهدين على أن يغيبوا التربية الدينية عن حياة الناس وأن يحولوا بينهم وبينها بكل سبيل.

وهذا ما سنوضحه بعون الله في هذا الباب الأول من هذا الكتاب.

١ - خصائص الأديان السماوية وأهدافها

الأديان السماوية التى جاءت من عند الله تبارك وتعالى وأنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام، هى فى جوهرها دين واحد، لأنها جميعا تقوم على أصل كبير ورئيس هو عبادة الله وحده، وإقامة الشريعة التى جاء بها كل دين، ونادى بها كل رسول، ويؤكد ذلك قول الله تعالى يخاطب عباده: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣].

فكل الأنبياء عليهم السلام طولبوا فى هذه الآية بأمرين:

أن يقيموا الدين أى أن يلتزموا به وبما جاء فيه من توحيد وعبادة لله تعالى.

وأن لا يتفرقوا فيه، أى لا يجوز لهم أن يختلفوا فى شأن الدين وأصوله وكلياته. لأن الاختلاف فى ذلك أو التنازع فيه يؤدى إلى الفساد والإفساد فى الأرض وهو ما لا يرضاه الله من عباده، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

● وإذا كانت أصول الأديان واحدة وكلياتها لا اختلاف بينها، فإن فروع هذه الأديان السماوية وجزئياتها فيها اختلاف أراده الله ليلائم بهذه الفروع ظروف الناس الذين نزلت عليهم هذه الأديان، بدليل قوله تعالى: ﴿ .. **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** .. ﴾ [المائدة: ٤٨].

● وأما خصائص الأديان السماوية جميعا، فنشير إلى أهمها فى أمور:

١ - الإيمان بالله وحده لا شريك له وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتأصيل ذلك فى قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١٣٦].

فهذا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله خصيصة كل دين من الأديان التى جاءت من عند الله تعالى.

٢ - وعبادة الله تعالى وحده إلها وربا خالقا رازقا، كل دين جاء بذلك وقال الله تعالى: ﴿ **وما**

﴿ خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦ – ٥٨].

هذا ما أمر به كل نبي ليبلغه لقومه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له. حتى إن كل نبي قال لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود : ٥٠، ٦١، ٨٤].

٣ – والالتزام بمنهج الله وشريعته التي جاء بها رسولهم لأن عبادة الله وحده تقتضي أن يكون التلقي عنه وحده، وذلك معناه الالتزام بمنهجه وشريعته فقد قال الله تعالى مخاطبا رسله عليهم الصلاة والسلام : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨].

وما أنزل الله الشرائع إلا ليؤخذ بها وتُلتزم، وكل الأديان جاءت تطالب الناس بذلك.

٤ – والمحافظة على الحياة الإنسانية، باحترام الإنسان الذي كرمه ربه وفضله على كثير من خلقه، إنما تكون هذه المحافظة بتحريم العدوان على الإنسان وتشريع القصاص على مَنْ اعتدى. يؤكد ذلك تقرير الله تعالى للقصاص في كل الكتب السماوية : فيقول تبارك وتعالى عن التوراة : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة : ٤٥]. وعن الإنجيل يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة : ٤٧].

وعن القرآن الكريم يقول عز وجل : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٨] ولا يحفظ الحياة الإنسانية ولا يحافظ على حقوق الإنسان وكرامته مثل شرع الله ونظامه ومنهجه.

٥ – ومن خصائص الكتب السماوية أنها جاءت للناس هدى ونورا، فالهدى أو الهداية هي ما دعا الناس إليه على ألسنة أنبيائه ومرسليه وبما أنزل من كتب، وكل الكتب السماوية حملت إلى الناس الهدى.

والنور هو ما منَّ الله تعالى به على خلقه كنور العقل ونور الكتب السماوية، وقد أثبت القرآن الكريم الهدى والنور لكل الكتب السماوية الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٤].

ووصف الإنجيل بقوله جل وعلا : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦].

وقال عز وجل عن القرآن الكريم: ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

٦ – ومن خصائص الأديان السماوية أنها جميعا أمرت الناس بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠].. وجاء: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠].

فالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى يتناول كل فضيلة، والفحشاء والمنكر والبغي تتناول كل رذيلة، وقد أمر الله تعالى بالتحلي بما أمر به، والتخلي عما نهى عنه.

٧ – ومن خصائص الأديان كلها أنها أحلت للناس الطيبات وحرمت عليهم الخبائث وأزالت عن كاهلهم الأثقال والمشقات. فكل رسول أخبر قومه بأن الله أحل لهم الطيبات في المأكل والمشرب والملبس والمسكن.. وأخبرهم بأن الله تعالى حرم عليهم الخبائث كما في المأكل والمشرب والملبس والمسكن.

أخبر بذلك خاتم الرسل ﷺ في قول الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣١ – ٣٣].

وبعد فهذا مجمل خصائص الأديان السماوية جميعا، التي أراد الله أن يتدين بها الناس حتى يظهر الدين الخاتم فيتبعوه ويتدينوا به.

وأما الأهداف التي اشتركت فيها الأديان السماوية الثلاثة فكثيرة، نذكر منها ما يلي:

١ – أن لا يعبد غير الله في الأرض، يعبد الله وحده عبادة خالصة له من أي شرك.. وذلك بأن تبطل عبادة غير الله من الأصنام والأوثان، والشمس والقمر والكواكب، والنور والنار، والشيطان والمال والجاه والسلطان، والشهوات والأهواء.

هذا هدف رئيسي لكل دين جاء من عند الله.

٢ – وأن يعبد الله تعالى وفق المناهج التي جاءت بها الأديان، وهي مناهج تنزه الله عن كل نقص، وتصفه بكل كمال يليق به سبحانه وتعالى بألوهيته وربوبيته وخلقه وأمره ونهيه،

ومن أجل ذلك أوضحت الأديان السماوية أسماء الله وصفاته وأمرت بالا يُدعى الله إلا بها.

إن هذا هو التعرف الحق لذات الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره، وهو هدف جوهرى للأديان السماوية التى جاءت من عنده سبحانه وتعالى.

٣ - ومن أهداف الأديان السماوية أن تسود شريعة الله تعالى لأن فى سيادتها وحدها أمانا للناس فى معاشهم ومعادهم. ومعنى سيادة شريعته سبحانه ألا يشاركها فضلا عن أن يحل محلها قانون وضعى أو تشريع بشرى، وبخاصة فيما يتصل بالثوابت من أمور الدين وهى العقائد والعبادات والأخلاق الفاضلة. أما ما وراء ذلك فهو من المتغيرات التى تقبل الاجتهاد والتغيير فيها.

٤ - ومن أهداف الأديان السماوية العمل على المحافظة على حقوق الإنسان؛ حقوقه المادية والمعنوية والطبيعية، فذلك هو التكريم الذى كرمه الله تعالى للإنسان بأن سخر له ما فى الأرض فحمله فى البر والبحر، ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من خلقه.

والأديان جميعا تحرم وتجرم إهدار أى حق من حقوق الإنسان وتضع العقوبات لمن يهدرها أو ينتقص منها، إذ كل عدوان على دم الإنسان أو عرضه أو ماله أو حق من حقوقه له عقوبة مقدرة فى الأديان كلها.

٥ - ومن هذه الأهداف للأديان السماوية ترسيخ اعتقاد الناس بأن الأديان التى جاءت من عند الله تعالى فيها ما يصلح معاش الناس ومعادهم إلى الله، لما تشتمل عليه من الهدى والنور، الهدى إلى الطريق القويم، والنور الذى يضىء هذا الطريق، كل الكتب السماوية أنزلها الله لتهدى للتى هى أقوم.

ومعنى ذلك أن الطريق أو الصراط المستقيم هو صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض، واتباع أى صراط غير صراط الله تعالى ضلال وضياع وكفر وفسوق.. ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].. ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

كل دين سماوى يهدى إلى الصراط المستقيم؛ صراط الله ولا سعادة للناس إلا باتباع هذا الصراط وحده والمضى فيه إلى ما يرضى الله تعالى.

وما دامت كتب الله تعالى فيها الهدى والنور فإنها وحدها القادرة على الارتقاء بإنسانية الإنسان بالمحافظة عليها وعليه، وتعظيم حرماته التى جعلها الله تعالى أعظم عنده من الكعبة أى أول بيت وضع للناس ليعبد فيه الله.

٦ - ومن أهداف الأديان السماوية دعوة الناس إلى التحلى بكل فضيلة بل التمسك بها والتزامها، لما فى هذا التمسك من مقاومة الشر والفساد ووسوسة الشيطان، مما يجعل المجتمع الإنسانى آمنا لا يضيع فيه حق لصاحب حق.

ودعوة الأديان للناس إلى أن يتخلوا عن كل رذيلة قبحها شرع الله أو رفضتها العقول السليمة والفطر النقية، لأن فى الابتعاد عن الرذائل ما يسد ثغرات الشر والفساد، وما يجعل المجتمع الإنسانى آمنا مطمئنا.

وكل الكتب السماوية اشتملت على ذلك ودعت إليه وحببت فيه وأثابت على الالتزام به، وعاقبت على مخالفته، وحفلت بالنصوص الدالة على ذلك.

٧ - ومن أهداف الأديان السماوية أن تبيح للناس التمتع بطيبات الحياة فى غير سرف أو مخيلة، أى من غير إسراف ولا تعال على من لا يملك هذه الطيبات، وإنما يعطيه منها ويشركه فيها كما أمره الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

ويجب أن يتبع التمتع بالطيبات شكر الله على هذا الرزق، قال جل شانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وليس لأحد أن يحرم عباد الله من حلال طيب أباحه لهم، بأى حجة من الحجج، فضلا عن أن يُحَرِّم ذلك عليهم لأن هذا الحلال الطيب من متع الحياة الدنيا لا تستقيم حياة الناس إلا به، فمن منعه عن الناس فقد منعهم من أسباب الحياة وليس ذلك لأى أحد من الناس مهما كانت مكانته.

فإن زهد بعض الناس فى بعض ما أحل الله له، فهذا شأنه وهو تربية للنفس ومقاومة للشهوات، لكن لا يجوز أن يصل الزهد بأحد إلى حد الإضرار، ولا أن يلزم به أحدٌ أحداً.

وبعد: فهذه بعض أهداف الأديان السماوية، وبعض القيم التربوية الدينية التى لا يعرف الناس سعادة إلا بها، وهى قيم غائبة عن دنيا الناس اليوم، ولذلك كثر عدد من يشقون فى هذه الحياة.

لكن ما هى هذه القيم التربوية فى الأديان وكتبها التى جاءت من عند الله؟

ذلك ما نوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

٢ - التربية الدينية في الكتب السماوية

نحاول في هذه الصفحات أن ندل على التربية الدينية وما اشتملت عليه من قيم، في الكتب السماوية المشتهرة بين الناس وهي ثلاثة:

- التوراة أو العهد القديم.
- والإنجيل أو العهد الجديد.
- والقرآن الكريم خاتم الكتب السماوية.

● وقد دل القرآن الكريم على أن في التوراة والإنجيل قيما تربوية عالية، سماها القرآن الكريم هدى وهي تسمية لهذه القيم بأهدافها فلاشك أن أهدافها هدى الناس.

- ومما جاء في القرآن عما تضمنته التوراة من قيم تربوية أي هدى قوله جل وعلا: ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ﴾ [الإسراء: ٢].

وقوله عز وجل: ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (٥٣) هدى وذكرى لأولي الألباب ﴾ [غافر: ٥٣ - ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وغير ذلك من آيات القرآن الكريم الدالة على أن التوراة حافلة بالقيم التربوية التي تهدى الناس إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

- ومما جاء في القرآن الكريم عما تضمنه الإنجيل من قيم تربويه أي هدى،

قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل (٣) من قبل هدى للناس ﴾ [آل عمران: ٤].

وقوله عز شانه: ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾

[المائدة: ٤٦].

● أما ما جاء في القرآن الكريم مما يدل على ما فيه من قيم تربوية أي هدى ونور، فكثير نقتصر منه على الآيات الكريمة الآتية:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦].

وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وغير هذه الآيات الكريمة كثير، في الدلالة على ما في القرآن الكريم من قيم تربوية أي هدى، وسنفصل ذلك فيما بعد من هذا الكتاب إذا أذن الله.

أ – التربية الدينية فى التوراة

جاءت القيم التربوية فى التوراة مرتبطة بالقيم الاخلاقية فى مجالى الأمر بالتحلى بالفضائل والأمر بالتخلى عن الرذائل، وقد جاء ذلك فى سفرين هما:

– سفر الخروج فى الإصحاحات من العشرين إلى الثالث والعشرين.

– وسفر التثنية فى الإصحاحات ذوات الأرقام: ٦، ١٠، ١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٤.

● ففى سفر الخروج:

«أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية.

– لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تضع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما، مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الارض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور، افتقد ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىَّ وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبىَّ وحافظى وصاياى».

– لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا، لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا.

– اذكر يوم السبت لتقدمه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

– أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك.

– لا تقتل.

– لا تزن.

– لا تسرق.

– لا تشهد على قريبك شهادة زور.

– لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك».

● وهذه القيم التربوية هي مما اصطلح على تسميتها «الوصايا العشر» ولكن غير هذه القيم العشر كثير، ومن ذلك :

- «إذا اشتريت عبد عبرانيا فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حرا مجانا، إن دخل وحده فوحده يخرج. وإن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه، وإن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده[1]، ولكن إن قال العبد : أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حرا، يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد .

- وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد، إن قبحت في عين سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تفك، وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها، وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها، إن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرته. وإن لم يفعل لها هذه الثلاثة تخرج مجانا بلا ثمن.

من قتل إنسانا فمات. يقتل قتلا.

- ومن ضرب أباه أو أمه. يقتل قتلا.

- ومن سرق إنسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا.

- ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا.

- وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها، ولم تحصل أذية يُغرّم كما يضع عليه زوج المرأة، ويدفع عن يد القضاة، وإن حصلت أذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضًا برضّ.

- لا تضطهد الغريب ولا تضايقه، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر.

- لا تسيء إلى أرملة ما، ولا يتيم، إن أسأت إليه فإني إن صرخ إليّ أسمع صراخه، فيحمى غضبي وأقتلكم بالسيف فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى.

- إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا.

- لا تقبل خبرا كاذبا.

---

(١) أي يخرج إلى الحرية.

– ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمى المبصرين، وتعوج كلام الأبرار.

وفي سفر التثنية:

جاء ما نصه:

– «الربَّ إلهك تتقى، وإياه تعبد وباسمه تحلف».

– «لا تجربوا الرب إلهكم كما جربتموه في مسة».

– «اعمل الصالح والحسن في عينى الرب لكى يكون لك خير...»(١).

– «لا تخمشوا أجسامكم ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت».

– «لا تأكل رجسا ما...».

– «والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم».

– «كل طير طاهر تأكلون، وهذا ما لا تأكلون منه: النسر، والأنوق والعقاب والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه، وكل غراب على أجناسه...».

– تعشيرا تُعَشِّر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة...»(٢).

– «إن كان فيك فقير أحد من إخوتك في أحد أبوابك في أرضك التى يعطيك الرب إلهك، فلا تُقَسِّ قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير، بل افتح يدك له وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه».

– «كل بكر ذكر يولد من بقرك ومن غنمك تقدسه للرب إلهك، لا تشتغل على بكر بقرك ولا تَجُزَّ بكر غنمك، أمام الرب إلهك تأكله سنة بسنة في المكان الذى يختاره الرب أنت وبيتك...»(٣).

– «لا تنظر ثور أخيك أو شاته شاردا وتتغاضى عنه، بل ترده إلى أخيك لا محالة، وإن لم يكن أخوك قريبا منك أو لم تعرفه فضمه إلى داخل بيتك ويكون عندك حتى يطلبه أخوك، حينئذ ترده إليه».

---

(١) من الإصحاح السادس.

(٢) من الإصحاح الرابع عشر. – أى تزكى عنه عشره.

(٣) من الإصحاح الخامس عشر.

وهكذا تفعل بحماره وهكذا تفعل بثيابه . . .

– لا يكن متاع رجل على امرأة، ولا يلبس رجل ثوب امرأة، لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك .

– إذا بنيت بيتا جديدا فاعمل حائطا لسطحك لئلا تجلب دما على بيتك إذا سقط عنه ساقط .

– إذ وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة لبعل، يقتل الاثنان . .

– إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فامسكها واضطجع معها فوُجدا يعطى الرجل الذى اضطجع معها لأبى الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هى زوجة له . . »[1] .

– « لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا، للأجنبى تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يبارك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض . .

– إذا دخلت كرْم صاحبك فكل عنبا حسب شهوة نفسك، شبعتك ولكن فى وعائك لا تجعل، إذا دخلت زرع صاحبك فاقطف سنابل بيدك، ولكن منجلا لا ترفع على زرع صاحبك »[2] .

– « لا تظلم أجيرا مسكينا وفقيرا من إخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك فى أبوابك، فى يومه تعطيه أجرته، ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير، وإليها حامل نفسه، لئلا يصرخ عليك إلى الرب فتكون عليك خطية .

– لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل .

– إذا حصدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمة فى الحقل فلا ترجع لتأخذها، للغريب واليتيم والأرملة تكون لكى يباركك الرب إلهك فى كل عمل يدك »[3] .

– « لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة، لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة، وزن صحيح وحق يكون لك، ومكيال صحيح وحق يكون لك

---

(١) من الإصحاح الثانى والعشرين .
(٢) من الإصحاح الثالث والعشرين .
(٣) من الإصحاح الرابع والعشرين .

لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك، لأن كل من عمل ذلك، كل من عمل غشا مكروه لدى الرب إلهك»[١].

- «إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسيرة عليك ولا بعيدة منك، ليست هى فى السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها، ولا هى فى عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها، بل الكلمة قريبة منك جدا فى فمك وفى قلبك لتعمل بها...»[٢].

---

(١) من الإصحاح الخامس والعشرين.

(٢) من الإصحاح الثلاثين.

وكل النقول استشهادات ودلائل على ما فى التوراة من قيم تربوية دينية، وإن دخل بعضها التحريف مثل المطالبة بتحريم الربا مع اليهود وتحليله مع غيرهم من الغرباء، ونحو ذلك من التحريف.

ب - التربية الدينية فى الإنجيل

الإنجيل أو العهد الجديد فيه قيم تربوية دينية، يستطيع الناس إن تمسكوا بها أن يهتدوا فهى هدى ونور، كما أوضحنا ذلك آنفا، ويستطيعون عند التمسك بها أن يسهموا فى إقامة مجتمع إنسانى متسامح متراحم.

- وهذه القيم التربوية الدينية تدعو إلى العدل والرحمة والتسامح وإلى الفضائل فى عمومها، كما أنها تحرم الظلم والقسوة والعدوان وتنهى عن جميع الرذائل.
- هذه القيم التربوية الدينية فى الإنجيل تشبه القيم التربوية الدينية فى التوراة، بل يشبه بعضها القيم التربوية الدينية التى جاء بها القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، والأصل أن تكون جميع القيم التربوية التى جاءت فى التوراة والإنجيل مشابهة لما جاء فى القرآن الكريم، لولا ما دخل التوراة والإنجيل من تحريف وتبديل وتغيير كما اعترف بهذا التحريف بعض علمائهم.
- وقد سبق أن أشرنا إلى أن القرآن الكريم قد أوضح أن فى هذا الإنجيل قيما تربوية.
- ومما جاء فى الإنجيل من القيم التربوية الدينية ما نستشهد ببعضه فى هذا المجال من الحديث عن التربية الدينية التى غُيبت.

أولا : كل ما جاء فى التوراة من قيم تربوية دينية، لأن المسيح عليه السلام جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة وقد صرح بأنه ما جاء ليلغى التوراة أو يبطل ما فيها، وإنما جاء ليكمل.

جاء المسيح عليه السلام بدين يأخذ بكل ما جاء فى التوراة، يضيف إليها ما تميزت به ديانته مما يصلح به من شأن خراف إسرائيل الضالة «اليهود».

- وقد تمثلت ديانة المسيح عليه السلام فى الإنجيل الذى أنزله الله عليه وجعله منهجا يستطيع الناس أن يسعدوا فى دنياهم وأخراهم إذا أخذوا به.
- والإنجيل بكل تأكيد مشتمل على قيم تربوية كما توضح ذلك كلماته، ونستطيع أن نذكر تلك القيم التربوية فى خطين متوازيين:

- الخط الأول:

يتمثل فى الاستمرار بقبول ما جاءت به التوراة -مما ذكرنا آنفا- وبخاصة الوصايا العشر

لأنه عليه السلام ما جاء لينقض الناموس -كما قال- فأخذ بكل ما جاء في التوراة عن العقيدة والعبادة والقيم الخلقية وكثير من المعاملات.

كما أخذ بما جاء في التوراة من علاج لعيوب الإنسان ونقاط الضعف فيه وبخاصة في:

- شهوات النفوس وأهوائها.

- وضلالات العقول وزيغها عن الحق.

علاج ذلك من خلال المحبة: محبة الله تعالى الإقبال عليه ومحبة الخلق والتسامح معهم.

فمحبة الله تعالى تستوجب الاستجابة لأمره ونهيه ومنهجه، ومحبة الخلق تستوجب التسامح معهم وفعل الخير من أجلهم.

- **والخط الثاني:**

هو التعديل والتكميل لكثير مما جاء في التوراة تعديلا وتكميلا يأخذ اتجاهين:

الأول: هو التسامح والتنازل عن كثير من الحقوق وإرضاء للطرف الآخر، وأملا في إصلاحه.

والثاني: هو الترفع والتعالي عن سفاسف الأمور بالاستعلاء عليها وعدم أخذها في الاعتبار.

● ونضرب لذلك بعض الأمثلة:

- نهت شريعة التوراة عن قتل الإنسان وجرمته، وأوجبت على القاتل عقوبة رادعة.

وجاء الإنجيل لينهى عن مجرد التفكير في الإساءة إلى الآخر فضلا عن قتله، فنهى عن البغض والاحتقار وإضمار الشر في عبارات جاءت على لسان المسيح عليه السلام:

كقوله: «قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل، فإن من قتل يستوجب الدينونة. أما أنا فأقول لكم: إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة»[1] - والدينونة: العقاب.

ونهت شريعة التوراة عن الزنى.

وجاء الإنجيل لينهى عن مجرد النظر إلى امرأة أجنبية بشهوة كقوله عليه السلام: «قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تزن، أما أنا فأقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها

---

(١) العهد الجديد: إنجيل متى: ٥/ ٢١.

فقد زنى بها فى قلبه»[1].

- ونهت التوراة عن الحلف بالله خشية الحنث بذلك.

وجاء الإنجيل لينهى عن الحلف عموما، كما جاء ذلك فى قول المسيح عليه السلام: «قد سمعتم انه قيل للاولين: لا تحنث بل أوف للرب أقسامك، أما انا فاقول لكم: لا تحلفوا البتة، لا بالسماء فإنها عرش الله ولا بالارض فإنها موطئ قدميه، ولا باورشليم لانها مدينة الملك العظيم، ولا تحلف برأسك لانك لا تقدر ان تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، بل ليكن كلامكم: نعم، نعم، لا ، لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير»[2] -أى الشيطان-.

وجاءت التوراة بمبدأ القصاص.

أما الإنجيل فجاء بالتسامح، فقد قال المسيح عليه السلام:

«سمعتم انه قيل: عين بعين، وسن بسن، وأما انا فاقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين»[3].

- وجاءت التوراة بوجوب حب القريب وبغض العدو.

أما الإنجيل فقد جاء بحب الجميع بل بحب الأعداء، قال المسيح عليه السلام:

«سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما انا فاقول لكم: احبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، احسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لاجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»[4].

وبعد فهذه جملة مما عدله المسيح عليه السلام فى التوراة، تعديلا يتجه نحو التسامح والتعاطف والمحبة، وتلك قيمة تربوية رفيعة القدر عالية المنزلة فى المجتمع.

أما ما جاء فى الإنجيل من قيم تربوية أخرى فكثير، نحاول أن نذكر منه ما يلى:

● «احترزوا من ان تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم وإلا فليس لكم أجر... وأما

---

(١) العهد الجديد: إنجيل متى: ٥/١٧.
(٢) السابق: ٥/٣٣ - ٣٧.
(٣) السابق: ٥/ ٣٨ - ٤٠.
(٤) السابق: ٥/ ٤٣ - ٤٤.

أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكى تكون صدقتك فى الخفاء...».

- «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس، الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلّ......».

- «ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين، الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائما...».

- «لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض؛ حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا».

- «سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما، فإن كان النور الذى فيك ظلاما، فالظلام كم يكون»(١).

- «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال...»(٢).

- «لا تدينوا لكى لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم.

ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها...».

- «اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له...

«...فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء».

---

(١) السابق: ٦ / ١-٤، ٥-٦، ١٦-١٨، ١٩-٢١، ٢٢-٢٣.

(٢) السابق: ٦ / ٢٤.

«ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه، ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه».

وبعد:

فتلك كلمات استشهدت بها من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد(١) الذى فى أيدى الناس اليوم، لكى أؤكد للناس جميعا أن القيم الدينية التربوية قاسم مشترك بين الأديان كلها.

لقد أجمعت الأديان على احترام الإنسان وتأكيد حقوقه كلها من خلال ما جاءت من تشريعات وقد رأينا ذلك فى التوراة والإنجيل، وسنراه بصورة أوضح وأصرح وأشمل فى القرآن الكريم عندما نتحدث عن التربية فى القرآن الكريم.

لقد أجمعت الأديان كلها على وجوب التحلى بالفضائل ووجوب التخلى عن الرذائل لينعم الناس بحياة إنسانية كريمة.

فهل تجد القيم التربوية الدينية من أهل الأديان من يأخذ بها ويضعها فى مجال الالتزام والتطبيق؟

ذلك ما نحاول أن نجيب عنه بعد حديثنا عن التربية فى القرآن الكريم والله المستعان.

---

(١) الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد ط القاهرة ١٩٦٥م.

جـ - التربية الدينية فى القرآن الكريم

نحاول هنا أن نشير فى إجمال إلى بعض القيم التربوية فى القرآن الكريم كما فعلنا فى حديثنا عن التربية الدينية فى التوراة والإنجيل.

أما تفصيل الحديث عن التربية فى القرآن فيحمل اسم التربية الإسلامية نسبة إلى دين الإسلام خاتم الأديان(١).

وكل هذه السلسلة: مفردات التربية الإسلامية - وهى عشر حلقات صدر منها ثلاث وهذا الكتاب هو الحلقة الرابعة- تحاول أن توضح القيم التربوية التى جاء بها الإسلام.

● والقرآن الكريم هو كتاب دين الإسلام الخاتم، ولابد أن يكون حافلا بالقيم التربوية. بل ليس من المبالغة فى شىء القول بأن كل سورة من سوره المائة والأربعة عشر لا تخلو من قيمة تربوية عند التدبر، ولا عجب فى ذلك فهو الكتاب الخاتم الذى يهدى للتى هى أقوم، وهو كتاب الهدى والحق كما قال عنه رب العزة: ﴿ ... قل إنما أتبع ما يوحى إلىّ من ربى هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال جل شأنه: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل: ٨٩].

والآيات الكريمة الحافلة بالقيم التربوية كثيرة نختار منها ما كانت دلالته مباشرة فى مجال وجوب التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل وذلك فى قوله تعالى: ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١) قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (٣٢) قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا

---

(١) لنا فى ذلك الموضوع سلسلتان من الكتب:

إحداهما: سلسلة التربية فى القرآن، وقد أصدرنا منها سبع حلقات تحت عنوان «التربية الإسلامية فى سورة المائدة، وفى سورة النور، وآل عمران والأحزاب والأنفال والنساء والتوبة - دار التوزيع والنشر الإسلامية من سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م إلى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

والأخرى هى: سلسلة مفردات التربية الإسلامية.

تعلمون ﴾ [الأعراف : ٣١-٣٣] .

- وفي قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

[الفرقان : ٦٣ - ٧٦] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي

الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٨].

– وفى قوله تعالى: ﴿ قُلْ تعالوْا أتلُ ما حرَم ربُّكم عليكُمْ ألاَّ تُشركُوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تَقْتُلوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ولا تقربُوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تعقلُون (١٥١) ولا تقربُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكلِّفُ نفسًا إلاَّ وُسْعَها وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم به لعلَّكُمْ تذكَّرُون (١٥٢) وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سبيله ذلكُمْ وصَّاكُم به لعلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

– وفى قوله عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الذين هُمْ في صلاتهم خاشعُون (٢) والَّذين هم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) والَّذين هُمْ للزَّكَاة فاعلُون (٤) والَّذين هُم لفرُوجهم حافظُون (٥) إِلاَّ علىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ ما ملكت أيمانُهُم فإنَّهُم غيرُ ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وعهْدهِمْ راعُون (٨) والَّذين هُمْ على صلواتهم يُحافظُون (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذين يرثُون الْفرْدوْس هُمْ فيها خالدُون ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

– وفى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ليْس الْبرَّ أن تُولُّوا وُجُوهكُم قبل المشرق والمغرب ولكنَّ البر من آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وآتى الْمال علىٰ حُبِّه ذوى الْقُرْبىٰ واليتامى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاة والْمُوفُون بعهْدهم إذا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صدقُوا وأُولئك هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فكل هذه الآيات الكريمة وغيرها مئات أخرى تشبهها فى احتمالها الشديد بالقيم التربوية تؤكد أن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية قصد فى كل سوره وآياته أن يربى الناس تربية دينية حيث يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويوضح الصفات الفاضلة ليتحلوا بها والصفات الرذلة ليتخلوا عنها.

وبما أن نصوص الإسلام هى القرآن والسنة النبوية المطهرة كان علينا أن نستشهد ببعض الأحاديث النبوية التى تحفل بالقيم التربوية ومن ذلك:

– ما روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان».

وفى رواية لمسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شبعة من الإيمان».

قال البيهقى فى كتابه شعب الإيمان: وفى رواية فى صحيحى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها –أو فارفعها أو فأفضلها على اختلاف الروايات– قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وهذا الحديث الشريف وحده كاف فى الدلالة على معظم القيم الدينية التربوية التى عدها الإمام البيهقى فى كتابه الموسع «شعب الإيمان» فى سبع وسبعين شعبة، مستدلا على كل شعبة بآية قرآنية أو أكثر، وبحديث نبوى أو أكثر.

وكل شعبة من شعب الإيمان السبعة والسبعين قيمة تربوية ينتفع بها كل من تمسك بها، ولا يستغنى عنها مجتمع إنسانى يريد أن يعيش فى أمن ورخاء.

ويطيب لى بل أراه واجبا علىّ أن أسرد هذه الشعب، وهذه القيم التربوية السبعة والسبعين لأوفر على القارئ عناء البحث عنها، والله من وراء القصد، وهى:

١ – الإيمان بالله عز وجل، وما يستتبعه هذا الإيمان من عمل صالح أمر الله به، والكف عن العمل السيئ الذى نهى الله عنه.

٢ – والإيمان برسل الله أجمعين عليهم السلام، وبرسالاتهم من خلال ما ورد عنهم فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

٣ – والإيمان بالملائكة عليهم السلام، وطبيعتهم وعملهم كما جاء ذلك فى الكتاب والسنة.

٤ – والإيمان بجميع الكتب المنزلة على رسل الله إجمالا كما وردت فى الكتاب والسنة والإيمان بخاتمهم محمد ﷺ وبرسالته تفصيلا.

٥ – والإيمان بأن القدر خيره وشره من الله تعالى، ومعنى ذلك ألا يطغى الإنسان ولا ييأس وإنما يرضى بما هو كائن ويحمد الله تعالى عليه.

٦ – والإيمان باليوم الآخر، حتى لا يتصور الإنسان أنه خلق فى هذه الدنيا ليعيش أيامه فيها

فحسب، وإنما هو على وجه الحقيقة راجع إلى ربه فى اليوم الآخر.

٧ – والإيمان بالبعث بعد الموت، وأن هذا البعث ليس أصعب من النشأة الأولى، وأن هذا البعث للأرواح والأجساد معا.

٨ – والإيمان بحشر الناس بعد بعثهم من قبورهم، وحسابهم على ما قدموا فى الدنيا من عمل، ومجازاة كل على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

٩ – والإيمان بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنة، حيث يعيشون فيها خالدين بلا موت، وأن دار الكافرين ومأواهم جهنم حيث يبقون فيها خالدين بلا موت.

١٠ – والإيمان بوجوب محبة الله عز وجل، ومحبة الله تعالى تستوجب طاعته. وطاعته سبحانه وتعالى تنتج حب الله لعبده، ومن أحبه الله حبب فيه أهل السماء والأرض، وكان سبحانه سمعه وبصره ويده ورجله، فكان بذلك من أولياء الله المقربين إليه.

١١ – والإيمان بوجوب الخوف من الله تعالى لأن هذا الخوف مطلب شرعى، قال الله تعالى: ﴿.. وإياى فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] وخوف الله تعالى يباعد بين الإنسان ومعصية ربه وجزاء تلك المعصية.

١٢ – والإيمان بوجوب الرجاء من الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] ورجاء الله تعالى يحرك القلب والعقل للاستغفار عند الذنب. والاستغفار عبادة لله بل هو عبادة محببة إليه سبحانه وتعالى، فقد روى مسلم بسنده عن أبى أيوب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم».

١٣ – والإيمان بوجوب التوكل على الله تعالى. قال عز وجل: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ [آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤]. والتوكل على الله علامة على عمق الإيمان وصدق اليقين. وعلى الإيمان بأن الأمور كلها بيد الله تعالى.

١٤ – والإيمان بوجوب محبة النبى ﷺ. ومحبة النبى ﷺ توجب طاعته واتباع منهجه

والتمسك بسننه وآدابه، وهذا يؤدى إلى علو منزلة المحب لرسول الله ﷺ عند الله بل عند الناس كذلك.

١٥ - والإيمان بوجوب تعظيم النبى ﷺ وتبجيله وتوقيره قال الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩]، وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

ولا يكون إيمان المؤمن من غير تعظيمه وتوقيره وتبجيله.

١٦ - وشح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر، فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى فى النار».

١٧ - وطلب العلم، العلم الذى يبدأ بمعرفة الله تبارك وتعالى، وما جاء من عنده ومعرفة النبوة ومعرفة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومعرفة كل علم من شأن معرفته أن تزيد المجتمع قوة وتمكنا من أسباب الحياة، وتعطيه اكتفاء وقدرة على سد الاحتياجات وسد أبواب الشر، وجلب أنواع النفع والخير، مع اليقين بأن العلم بحر لا سواحل له ولا نهاية ينتهى إليها الإنسان فيه، فهو مطالب بأن يتقدم فى كل فروع العلم ويصل فيها إلى أقصى ما يستطيع ثم يردد قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

١٨ - ونشر العلم فى الناس أخذا بأيديهم إلى الإيمان وإلى الحق وإلى الحياة الكريمة للإنسان، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فنشر العلم فى الناس واجب وكتمانه إثم ووقوع فيما نهى الله عنه.

١٩ - وتعظيم القرآن الكريم بتعلمه وتعليمه والعمل بما فيه مما أمر الله به أو حبب إليه، واجتناب ما نهى الله عنه أو كره فيه، واعتقاد أن فيه الهدى وفى اتباعه الفلاح فى الدنيا والآخرة، وأنه قد فسرت السنة النبوية ما فيه من إجمال وأنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن الله تعالى تكفَّل بحفظه إلى يوم الدين.

٢٠ – ومن القيم التربوية الطهارات كلها الطهارة المعنوية بإفراغ القلب من الحقد والحسد ونحوهما، والطهارة الحسية من الحدثين الأصغر والأكبر، فقد روى مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان ......» ولأن أكثر العبادات في الإسلام لا تصح إلا مع طهارة المتعبد.

٢١ – وأداء الصلوات الخمس في أوقاتها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] مع وجوب أن تنهى المصلي صلاته عن الفحشاء والمنكر وأن تؤدى في جماعة وفي المسجد.

٢٢ – وأداء الزكاة لمن ملك النصاب وحال عليه الحول، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وأداء الزكاة استجابة لأمر الله تعالى وكفالة بين المسلمين ودفع لحاجة أصحاب الحاجات ممن ذكرتهم آية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

٢٣ – وصيام شهر رمضان لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. والصيام تربية للنفس وللجسم، وتقويم للإنسان على شهواته وثواب الصيام لله وحده يجزى به كما ورد في الحديث النبوي الشريف.

٢٤ – والاعتكاف وهو سنة نبوية وليس فريضة وهو قيمة تربوية عالية، إذ ينقطع الإنسان بعض الوقت في أحد المساجد بنية الاعتكاف. وقد روى في الصحيحين بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده».

٢٥ – وأداء فريضة الحج على المستطيع، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، والحج ركن من أركان الإسلام، وهو واجب في العمر مرة واحدة، وهو لقاء سنوي للأمة المسلمة من شتى أقطار الأرض ليشهدوا منافع لهم.

٢٦ – والجهاد في سبيل الله، أي الدعوة إلى الدين الحق، والقتال من أجله وفق أحكام فقهية معروفة، وهو فرض على كل مسلم قادر عليه لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ

جهاده ﴾ [الحج :٧٨] . والجهاد في سبيل الله من الفرائض التي تحفظ للأمة المسلمة كرامتها وقوتها وقدرتها على نشر دينها، وقتال أعدائها .

٢٧ - والمرابطة في سبيل الله، أى ملازمة حدود الدولة المسلمة لحمايتها من أى عدو، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]، وهذه المرابطة استعداد وتأهب لمواجهة الأعداء .

٢٨ - والثبات للعدو وترك الفرار من الزحف، لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار (١٥) ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [الأنفال : ١٥، ١٦] .

٢٩ - وأداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله، لقوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ﴾ [الأنفال : ٤١]. وأداء الخمس من الغنائم تشريع ينظم بعض موارد بيت مال المسلمين، لكي توجه الدولة المسلمة أعباء الحرب وغيرها .

٣٠ - وعتق الرقيق بقصد التقرب إلى الله تعالى وابتغاء ثوابه لقوله تعالى : ﴿ فلا اقتحم العقبة (١١) وما أدراك ما العقبة (١٢) فك رقبة ﴾ [البلد : ١١-١٣]، وتلك قيمة تربوية عالية القدر، لأن الرق عدوان على حرية الإنسان وحقوقه لذلك جعل الإسلام عتق عبد أو جزء منه عتقا من النار لمن قام بهذا العمل الإنساني الجليل .

٣١ - وأداء الكفارات التي تجب بارتكاب جناية، وهي كفارة عن القتل أو عن الظهار أو عن الحنث في اليمين، أو عن الجماع في نهار رمضان، وسميت كفارة لأنها تكفر الذنوب عن مرتكبيها وأنواع الكفارة ثلاثة : عتق رقبة، أو صدقة أو صيام . وكل ذلك حددته الشريعة .

٣٢ - والإيفاء بالعقود، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (١) ﴾ [المائدة : ١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في شرح هذه الآية : يعني : أوفوا بما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله، وشرط العقد الذي يجب الوفاء أن يكون الشرع قد أجازه .

٣٣ – وشكر نعم الله تعالى، ونعم الله تعالى كثيرة بحيث لا تحصى، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وشكر هذا النعم واجب شرعا لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] وشكر النعمة واجب عقلا إذ يقتضي العقل شكر النعمة والثناء على المنعم وتلك قيمة تربوية تؤسس السلام والحب بين أفراد المجتمع.

٣٤ – وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة وكل ما يغضب الله تبارك وتعالى، وعن الكلام بما لا فائدة فيه، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ [الزمر: ٣٢]، وروى مسلم بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة ».

٣٥ – وأداء الأمانات وما يجب فيها، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

والأمانات هي كل ما افترض الله على عباده من واجبات كالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر ما أوجب الله تعالى، وأداء الأمانات يجب أن يكون نحو الله تعالى، ونحو الناس جميعًا، وترك أدائها خيانة حرَّمها الله تعالى.

٣٦ – وتحريم قتل النفوس أو إصابتها بالضرر، لقوله الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، ولما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أول ما يُقضَى بين الناس يوم القيامة في الدماء ».

٣٧ – والامتناع عن الزنا أو الاقتراب منه لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ويدخل في الزنا كل ما لا يحفظ به المؤمن فرجه كاللواط والسحاق وإتيان البهائم ونحو ذلك مما يخدش عفة المؤمن. ولما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » الحديث.

٣٨ - وقَبْضُ اليد عما حرَّم الله من أموال كالسرقة والغصب وقطع الطريق وأكل الرشا والربا ونحو ذلك من الأموال المحرمة لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]. ولما رواه مسلم بسنده عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى فقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» وهذه قيمة يجعل التمسك بها المجتمع يعيش في أمان واطمئنان على دمه وماله وعرضه.

٣٩ - ووجوب التورع عما لا يحل منها من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ونحوها، لقوله جل شأنه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٤٠ - والامتناع عن استعمال الملابس والأوانى والمساكن التى حرم الله تعالى استعمالها، فقد روى مسلم بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا فى آنية الفضة والذهب، ولا تأكلوا فى صحافها فإنها لهم فى الدنيا وهى لكم فى الآخرة» وتلك قيمة تربوية تحبب إلى الإنسان التعفف فى ملبسه وآنيته ومسكنه عن كل ما حرم الله تعالى.

٤١ - والامتناع عن الملاعب والملاهى المخالفة للشريعة، لأنها لهو يلهى الإنسان عن الله تعالى، وعن كل ما يعود عليه بالنفع فى معاشه ومعاده، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١]، ولما رواه أحمد بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وإن كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمية الرجل بقوسه، وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق...».

وتلك قيمة تربوية لو تمسك بها المسلمون لأصبحوا جادّين لا يلهيهم شيء عن طاعة الله تعالى، وتلك خطوة هامة فى التقدم والرقىّ بالمجتمع.

٤٢ – والاعتدال في إنفاق المال دون إسراف أو تقتير، لقول الله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ولما رواه مسلم بسنده عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ – عن ثلاث: قيل وقال، وإضاعة المال وإلحاف السؤال» وما رواه أحمد بسنده عن جدّ عمرو بن شعيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل واشرب وتصدّق من غير سرف ولا مخيلة».

٤٣ – وترك الغلّ والحسد ونحوهما، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥]، ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء: ٥٤]، ولما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي، يلتقيان يصدّ هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

٤٤ – وتحريم أعراض الناس بترك الوقيعة فيها، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور: ١٩]، وقوله تعالى ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ [النور: ٢٣]، ولما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

٤٥ – وإخلاص العمل لله تبارك وتعالى وترك الرياء، لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة: ٥]، وقوله جل شأنه: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود: ١٥ – ١٦]، وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن

عمل لى عملاً أشرك فيه معى غيرى، فأنا منه برىء، وهو للذى أشرك » وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن جندب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومن يرائى يرائى الله به ».

٤٦ – والسرور بفعل الحسنة، والاغتمام بالسيئة، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]، ولما رواه أبو داود بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » ولما رواه أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: لقيتُ رسول الله ﷺ فقال لى: يا عقبة بن عامر: « صلْ من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك » قال: ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فقال لى: يا عقبة بن عامر: « املك لسانك وابك على خطيئتك وليسعك بيتك » قال: ثم لقيتُ رسول الله ﷺ فقال لى: « يا عقبة بن عامر ألا أعلمك سُوراً ما أنزلت فى التوراة ولا فى الزبور ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان مثلهن؟ لا يأتينَّ عليك ليلة إلا قرأتهن فيها؟ « قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ».

٤٧ – ومعالجة كل ذنب بالتوبة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨] وقوله جل شأنه: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ [الزمر: ٥٤] وما رواه مسلم بسنده عن الأغرّ المزنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنه ليُغان[١] على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة ».

٤٨ – وتقديم كل ما يتقرب به إلى الله تعالى وهى القرابين، وهى ثلاثة: الهَدْى[٢] والأضحية[٣] والعقيقة[٤]، لقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]،

---

(١) يُغان: أى يحصل لقلبى غشاوة.

(٢) الهَدْى: ما يسوقه الحاج من إبل أو بقر أو غنم ليذبحه بعد رمى جمرة العقبة إن كان قارنا أو متمتعا.

(٣) الأضحية: إراقة دم من النَّعم إبل أو بقر أو غنم فى يوم عيد الأضحى، وهى سنةٌ إلا عند أبى حنيفة فهى واجب.

(٤) العقيقة: ما يذبح يوم سابع ولادة للمولود فما بعده ويشترط فى هذه القرابين الثلاثة خلوها من العيب وتوسط سنها.
والهدى فى الحرم والأضحية فى أى مكان وكذلك العقيقة.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الحج: ٣٦].

٤٩ - وطاعة أولى الأمر - وهم الأمراء والرؤساء وأمراء السرايا فى الحرب، والآباء والعلماء، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]. ولما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بسندهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى».

٥٠ - والتمسك بما عليه الجماعة، لقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خرج من الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات؛ مات ميتة جاهلية» وما رواه مسلم بسنده عن عرفجة بن شريح الجهنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون بعدى هناة وهناة، فمن رأيتموه يُفرِّق أمر أمة محمد وهى جميع فاقتلوه كائنًا من كان من الناس».

٥١ - والحكم بين الناس بالعدل، لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ولما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها».

٥٢ - والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] وما رواه مسلم بسنده عن

أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وما رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبى بعثه الله فى أمته قَبْلى إلا كان له فى أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

٥٣ - والتعاون على البر والتقوى، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ولما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره مظلوما، فكيف أنصره ظالما؟ فقال: تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه».

والتعاون على البر والتقوى واسع المدى يشمل التعاون على كل خير، والنهى عن التعاون على الإثم والعدوان يتناول النهى عن كل شر.

٥٤ - والحياء، وهو شعبة من شعب الإيمان، وهو صفة يجب أن يتحلى بها كل مسلم، لما روى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه سمع رجلاً يعظ أخاه فى الحياء فقال: «دَعْه فإن الحياء من الإيمان» وما رواه البخارى بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحياء لا يأتى إلا بخير»، وما رواه البخارى بسنده عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت».

٥٥ - وبرّ الوالدين، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤]. ولما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أىّ العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال:

«الصلاة لوقتها» قلتُ: ثم أيّ؟ قال: «برّ الوالدين» قلت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال ابن مسعود: حدثني بهن ولو استزدته لزادني.

٥٦ - وصلة الأرحام، وهي السبب الرئيسي في إحداث الوئام الاجتماعي، لقوله تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وقوله جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

فالقطيعة لما أمر الله به أن يوصل مقرونة بالإفساد في الأرض، وذلك مستوجب للعنة الله تعالى لأولئك القاطعين المفسدين.

ولما رواه البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحبَّ أن يبسط له في رزقه وأن يُنْسأ له في أثره فليصل رحمه» ولما رواه مسلم بسنده عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» يعني قاطع رحم.

٥٧ - وحسن الخلق - وله مفردات كثيرة [(١)] - لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٥] [(٢)]. ولما روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» ولما روى الطبراني بسنده - في الأوسط - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» ولما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق».

---

(١) لتفصيل مفردات حسن الخلق، انظر لنا: التربية الخلقية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) هذه آية جامعة لكثير من محاسن الأخلاق - انظر لنا التربية الإسلامية في سورة آل عمران - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥٨- والإحسان إلى المماليك، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾ [النساء: ٣٦]. ولما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن معرور بن سويد - وهو تابعي رحمه الله - قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه حُلة مثلها فسألناه عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً فشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: «أعَيَّرته بأُمه» ثم قال: «إن إخوانكم خَوَلكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم عليه».

٥٩- وحق السادة على المماليك، وهو لزوم العبد سيده وإقامته حيث يراه له ويأمره به، وطاعة العبد لسيده فيما يطيقه. لما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين». ولما رواه أبو داود بسنده عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العبد الآبقُ لا يقبل الله منه صلاته حتى يرجع إلى مواليه».

٦٠- وحقوق الأولاد والأهلين على عائلهم، وذلك بقيام الرجل العائل على أهله وولده وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه، وكذلك الإنفاق عليهم وتعليمهم وتزويجهم. لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ...﴾ [التحريم: ٦]. أي مروهم بطاعة الله، وعلموهم الخير، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علموهم أي أدّبوهم، ولما رواه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا وضم أصبعيه».

٦١- والتقرب من أهل الدين ومودتهم، وإفشاء السلام بينهم، ونحو ذلك من أسباب تأكيد المودة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]، ولما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي

بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم » وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: أين المتحابون؟ بجلالي أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ».

٦٢- وردّ السلام، لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦]، ولما رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إياكم والجلوس بالطرقات »، قالوا: يا رسول الله ما لنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: « إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا: وما حقه؟ قال: « غضُّ البصر، وكفّ الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ».

٦٣- وعيادة المريض، لما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود في سننه بأسانيدهم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وردّ السلام، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، ونهانا عن حلقة الذهب أو قال: خاتم الذهب، وآنية الذهب والفضة، والمثيرة [1] والقسيّ [2] والاستبرق [3]، والحرير، والديباج[4]؛ وما رواه مسلم بسنده عن ثوبان رضي الله عنه [5]، قال: قال رسول الله ﷺ: « عائد المريض في خرفة [6] الجنة حتى يرجع ».

٦٤- والصلاة على من مات من أهل القبلة، لما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « حق المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض، وتشميت العاطس، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة »، ولما رواه مسلم

---

(١) المثيرة: وطاء يعمل من الحرير ليجلس عليه الراكب.

(٢) القسيّ: ثياب تعمل فيدخل في عملها الحرير.

(٣) الاستبرق: ما غلظ من الحرير.

(٤) الديباج: ما رقّ من الحرير.

(٥) هو ثوبان بن بُجدد الهاشمي مولى رسول الله ﷺ، اشتراه الرسول ﷺ ثم أعتقه فظل يخدم الرسول ﷺ إلى وفاة النبي ﷺ، خرج ثوبان إلى الشام ونزل الرملة في فلسطين ومات سنة ٥٤هـ وله: ١٢٨ حديثا.

(٦) خرفة: ما يخترف من النخل حين يدرك ثمره فيأخذه السائر فيه.

بسنده عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلىَّ على جنازة فله قيراط، ومن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أُحُد».

٥٦- وتشميت العاطس، لما رواه مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال. قال رسول الله ﷺ: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه».

قال العلماء: العطاس منفعة للعاطس بسبب خروج ما احتقن فى الدماغ من الأبخرة. فإذا حمد الله على هذه النعمة استحق أن يدعو له من سمعه الله تعالى بالرحمة، ومن أعرض عن ذلك وأهمل ما أُمر به فهو مستغن عن الدعاء، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن تشميته أى الدعاء له بالرحمة.

٦٦- ومباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم، لقول الله تبارك وتعالى ﴿لا يتخذ المُؤمنون الكافرين أولياء من دُون المُؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلاَّ أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ [الممتحنة: ١]. وقوله جل شانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣) قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤]. وما رواه أبو داود فى سننه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأكل طعامك إلا تقى، ولا تصاحب إلا مؤمناً».

٦٧- وإكرام الجار، لقول الله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ(١) وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ(٢) وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ(٣) وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ [النساء: ٣٦]. ولما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وما رواه أحمد بسنده عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

٦٨- وإكرام الضيف، لما روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعتْ أذناي وأبصرتْ عيناي حين تكلم رسول الله ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قيل: وما جائزته؟ قال: «يومه وليلته. والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه».

٦٩- والستر على أصحاب الذنوب، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... ﴾ [النور: ١٩]. فمن لم يستر على أخيه ذنبه فهو يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «..... ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» وفي الستر على الذنوب تفصيل للعلماء خلاصته أن الذنب الذي لا يستر هو ما كان ذنباً يعود على الدين نفسه بالضرر، كما لا يستر الذنب المتعلق بحقوق العباد.

٧٠- والصبر على المصائب وعما تنزع إليه النفس من شهوات ولذائذ دنيوية، لقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وقوله

---

(١) الجار ذو القربى: هو الذي بينك وبينه قرابة، وقيل هو: الجار الملاصق، وله ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم.

(٢) الجار الجنب: هو الأجنبي عنك، وقيل هو البعيد عن أن يكون ملاصقاً، وقيل أي جار ولو كان مشركاً، وله حق واحد هو حق الجوار.

(٣) الصاحب بالجنب: هو الرفيق في السفر، وقيل هو الرفيق عموماً في السفر أو في الحضر، وقيل هو الرفيق الصالح، وعن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أن الصاحب بالجنب هو: المرأة أي الزوجة. وله حقان: حق الجوار وحق الإسلام.

سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]. ولما رواه مسلم بسنده عن صهيب بن سنان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أُسَيْد بن حُضَيْر رضى الله عنه أن رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملنى كما استعملت فلانًا؟ فقال: «إنكم ستلقون بعدى أثرةً فاصبروا حتى تلقونى على الحق».

٧١- والزهد وقصر الأمل، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ... ﴾ [محمد: ١٨]، وما رواه البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه السبَّابة والوسطى» وما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

٧٢- والغَيْرة وترك المذاء لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، ولما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يغار، وإن المؤمن يغار، وغَيْرَةُ الله أن يأتى المؤمن ما حَرَّم عز وجل عليه» والمذاء هو اللين والرخاوة وهو مذموم بل هو من النفاق الذى لا يجوز لمسلم أن يتصف به لأنه يخل بالشرف والنخوة والمروءة.

٧٣- والإعراض عن اللغو، لقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ... ﴾ [القصص: ٥٥].

واللغو هو: الباطل الذى لا يعنيه، ولا يتصل بقصد صحيح، ولا يكون لقائله فيه فائدة، بل ربما كان وبالاً عليه، وما رواه الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

٧٤- والجود والسخاء، لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ... ﴾ [آل عمران: ١٣٣،

١٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء:٣٧]. وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا».

٧٥- ورُحْمُ الصغير وتوقير الكبير، لما رواه مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «من لا يرحم لا يرحمه الله تعالى» وما رواه أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا» وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء؛ فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

٧٦- وإصلاح ذات البين، لقول الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ... ﴾ [الحجرات:١٠] وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذَّاب الذى يصلح بين الناس فيقول خيراً ويَنْمِى خيراً» قالت: ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس كذبا إلا فى ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

٧٧- وأن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، لما رواه البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ولما رواه مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[1].

---

(١) للتوسع فى حقوق الأخوة فى الإسلام انظر لنا: فقه الأخوة فى الإسلام وركن الأخوة، كلاهما نشرته دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٤م و ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وبعد فهذه جولة فى القيم التربوية الإسلامية شملت سبعًا وسبعين قيمة، وأُصِّلَتْ كلها بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ.

والذى لا شك فيه - كما رأينا - أن كل قيمة من هذه القيم تمثل لبنة صحيحة قوية وضرورية فى بناء مجتمع إنسانى راشد كريم، بل فى بناء حضارة إنسانية شامخة لا تعرف التمييز بين الناس ولا الكيل بمكيالين، ولا التفرقة بين الناس بألوانهم أو فقرهم وغناهم أو قوتهم وضعفهم، أو تأخذ بأى اعتبار يناقض تكريم الإنسان وتفضيله، وما أشك فى أن هذه القيم هى فى كل دين سماوى جاء من عند الله تعالى.

- عندما نقول التربية الدينية نعنى القيم التى تكفل للمجتمع الإنسانى كله حياة كريمة تليق بتكريم الله تعالى للإنسان.

- غير أن سؤالاً قد يرد بعد أن نعرض لهذه القيم السبع والسبعين من حديث نبوى واحد، وهو: كيف تفرعت كل هذه القيم عن هذا الحديث النبوى المجمل: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»؟

والجواب عن هذا السؤال هو أن الحديث النبوى الشريف أوضح الحدين اللذين تنحصر بينهما كل هذه القيم التربوية الإيمانية وهما: لا إله إلا الله، وإماطة الأذى عن الطريق. وما بين هذين الحدين يستطيع العقل مستنداً إلى الشرع أن يهتدى إلى كل هذه القيم، كما فعل الإمام البيهقى رحمه الله فى كتابه «شعب الإيمان».

٣- أعداء الأديان السماوية عمومًا

أ- أعداء كل الأديان:

الأديان السماوية جميعًا أنزلها الله تعالى لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى، ومن تحكم الشهوات والأهواء فى الإنسان إلى التوازن الصحيح فى مطالب روح الإنسان وجسده، لتستقيم بذلك حياته.

- الأديان السماوية كلها تقوم على عبادة الله وتوحيده، ولابد أن يكون للعبادة وللتوحيد أعداء.
- والأديان السماوية كلها تقوم على مناهج وتشريعات، ولابد أن لهذه المناهج والتشريعات أعداء.
- والأديان السماوية كلها تقوم على الإيمان والعلم والعمل، ولابد أن يكون للإيمان والعلم والعمل أعداء.
- والأديان السماوية كلها تفرض على الناس تكاليف وأعباء من أجل أن يحيا الإنسان حياة كريمة، ولا شك أن لهذه الأعباء والتكاليف أعداء لا يحبون أن يتحملوا عبءًا ولا تكليفًا.
- والأديان السماوية كلها تحرم على الناس الفواحش والإثم والبغى بغير الحق، ولابد أن يكون لهذا التحريم أعداء.

ولنلق ضوءًا على هؤلاء الأعداء لتوضيح سبب عدائهم.

أولاً:

الذين يعادون عبادة الله وتوحيده

هؤلاء ضَلَّتْ عقولُهم وعميتْ قلوبُهم وبصائرهم، فرأوا فى العبادة لله سبحانه عبودية وقيداً على عقولهم الضالة وقلوبهم التى ران عليها الباطل والجحود.

هؤلاء يزعمون أنهم أحرار يعبدون الله أو لا يعبدونه!!!

وإذا كانت عبادة الله تَعْنِي غاية التذلل له لأنه سبحانه الخالق الرازق الذى له غاية الإفضال على الإنسان، فإن هؤلاء لغرورهم وضلال عقولهم وعمى قلوبهم يتصورون أن هذه العبادة تناقض ما يجب أن يتمتعوا به من حرية مزعومة، وذلك أن الإنسان مفطور على عبادة الله والتدين بدينه، فمن لم يكن عبداً لله تعالى فهو عبد للدنيا وما فيها من متع وشهوات، وذلك هو الإنسان الذى يأكل ويتمتع كما تفعل الأنعام، ذلك أنه أعطى للشيطان سلطانا على نفسه فأغرقه الشيطان في الشهوات والمآثم، ولو كان يعبد الله لما كان للشيطان عليه من سلطان: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

وهذا الذى يعادى الدين لأنه يأمره بالعبادة لله تعالى دون غيره، فيعبد أعراض الدنيا، هو الذى عناه الرسول ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « تَعِسَ عَبْدُ الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض ».

فمثل هؤلاء المقبلين على عبادة الدنيا وأعراضها وما فيها من شهوات هم أعداء عبادة الله تعالى؛ لما توجبه عليهم عبادته سبحانه من الإخلاص فيها، ومن تناول أعراض الدنيا بتوسط واعتدال، واعتبار كل ما فى الدنيا أسباباً تعين على عبادة الله تعالى.

وأعداء توحيد الله بالألوهية والربوبية كثيرون، وقد عبّر عنهم القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [الزمر: ٤٥].

وهؤلاء الذين يُعادون توحيد الله فيعبدون معه إلهًا آخر أو إلهيْن أو أكثر، هؤلاء خالفوا أمر الله وعصوه؛ فقد أمرهم سبحانه بتوحيده، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]، كما نهاهم عن القول بآلهة ثلاثة فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ١٧١].

- والذين اتخذوا آلهة عديدة لا اثنين ولا ثلاثة كثيرون أيضا، فقوم إبراهيم عليه السلام اتخذوا أصناماً آلهة، وآل فرعون فعلوا نفس الشىء فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء، ومشركوا العرب اتخذوا أصناماً آلهة، وهؤلاء جميعاً أنكر الله

عليهم اتخاذ آلهة وتوعدهم.

وإلى يومنا هذا هناك من يتخذون آلهة من دون الله تعالى !!!

- هؤلاء جميعًا أعداء التوحيد أى أعداء الأديان لأن الأديان جميعها جاءت بتوحيد الله تعالى.

ثانيًا:

الذين يعادون الإيمان والعلم والعمل

وهم الذين يرون الإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، نوعًا من إلغاء العقول لكى تؤمن بالغيبيات، لأن كل غيبى عندهم مرفوض إذ كيف يؤمنون بما لا تدركه حواسهم فيرونه أو يسمعونه أو يلمسونه!!! ولأن الإيمان بالرسل فرع من الإيمان بالله فهم يرون ذلك من الغيبيات التى ما ينبغى أن يؤمنوا بها!!!

- والأديان كلها تدعو إلى الإيمان بالله تعالى، والله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وليس كمثله شىء، فهى تدعو إلى الإيمان بالغيب، فلابد أن يكون هؤلاء من أعدائها.

- والإيمان يدعو إلى العلم لمعرفة الله تعالى، ويحرر العقول بهذا العلم من الخرافة والوهم، بل يرفض أن يؤمن الإنسان تقليداً لأسلافه آباء وأجداداً، ويلزم كل إنسان بأن يعمل عقله الذى تنور بالعلم ليهتدى إلى معرفة الله تبارك وتعالى، فالعلم الصحيح يؤدى إلى الإيمان الصحيح بالتدبر وإعمال العقل فى مخلوقات الله تعالى للاهتداء بها إلى الإيمان بالله تعالى؛ لذلك كانت أهم أعمال النبى الخاتم ﷺ هى:

١- أن يتلو على الناس آيات الله.

٢- وأن يعلمهم القرآن الكريم والسنة النبوية.

٣- وأن يُزكيهم أى يطهرهم من رجس الشرك والضلال.

قال جل شأنه: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [الجمعة: ٢].

وتلاوة آيات الله على الناس أنه كان يذكرهم بها ويدعوهم إليها لتهديهم إلى الإيمان بالله تعالى، فذلك علم دعا إليه الدين الخاتم، كذلك دعا إلى التعلُّم والتعليم لترقية حياة الناس

ونفعهم بما يعلمون.

واعداء هذا العلم هم الذين يوظفون العلم للدمار والفتك ولا يقبلون العلم المؤدى إلى الإيمان.

● وهذا الإيمان يدعو مع العلم النافع إلى العمل الصالح.

والذين يعادون الإيمان لابد أن يعادوا العمل الصالح، لأنهم لا يرون العمل صالحًا إلا إذا حقق شهواتهم وأهواءهم.

وكل الأديان تدعو إلى الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، فكان لها من هؤلاء أعداء أشداء!!!

ثالثًا:

الذين يعادون مناهج الله وتشريعاته

هؤلاء يرفضون مناهج الله وتشريعاته التى جاءت بها الأديان السماوية، لأسباب غير مقنعة، ومن هذه الأسباب:

- ادعاؤهم أن هذه المناهج والتشريعات من الغيبيات وهم لا يؤمنون بالغيبيات - كما أوضحنا آنفًا - واعتبروها غيبيات لأنها جاءت من عند الله تعالى وهم لم يروا الله ولا سمعوا صوته ولا لمسوه بأيديهم؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فكيف يؤمنون بمناهجه وتشريعاته.

● فكانوا أعداء لمناهج الله وتشريعاته على لسان أى رسول من رسله عليهم السلام، وكل مناهج الله تعالى واحدة فى الغاية والهدف وإن اختلف بعضها عن بعض فى التفصيلات.

- وزعمهم أن مناهج الله وتشريعاته جاءت لأزمان وأقوام عاشوا فى الماضى البعيد كقوم نوح عليه السلام أو الماضى القريب كأمة محمد ﷺ، أما زمنهم هم ولما أشخاصهم فلا تصلح لهم هذه المناهج والتشريعات، وقد ضلوا فى ذلك الزعم ضلالاً بعيدا، فما كان الله ليجعل خاتم مناهجه وتشريعاته التى جاء بها خاتم أنبيائه عليه الصلاة والسلام عاجزة عن الاستجابة لحاجات الأزمنة والأمكنة والناس إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، لما فى ذلك من اضطراب الناس وضياعهم!!!

وزعموا أن مناهج الله وتشريعاته لا تستطيع أن تواكب المتغيرات المستمرة فى حياة

الإنسان على الأرض، فهى - بزعمهم - مناهج جامدة رجعية، وركزوا إساءتهم لمناهج الدين الخاتم وتشريعاته بل تباروا فى وصفها بالعجز والجمود، ولو كانوا يعلمون لعرفوا أن بابًا واسعًا فى الشريعة الإسلامية هو باب الاجتهاد يتيح لعلماء المسلمين فى كل عصر ومصر أن يواكبوا هذه المتغيرات ويضعوا لها نظامًا من خلال ما يرونه حسنًا أو يرون فيه مصلحة عامة للمسلمين، أو ما يرون فيه سدًا لباب من الشر دون المسلمين!!!

● اليهود عادوا مناهجهم التى جاءت على لسان موسى، فحرفوها وغيروا وبدلوا لتلائم أهواءهم وتُنَفِّسَ عن عقدهم النفسية وتتفق مع غرورهم وإحساسهم بأنهم فوق الناس جميعًا.

وهكذا فعل كثير من النصارى فحرفوا وبدلوا واتبعوا بعض الضالين منهم فألقوا الإنجيل الذى جاء من عند الله وراء ظهورهم.

وهكذا فعل كثير من المسلمين فى هذه الأيام فاستبدلوا بمناهجهم وتشريعاتهم مناهج شرقية حينًا وغربية حينًا حتى ضاعوا وضعفوا وأصبحوا مطمعًا لأعدائهم التقليديين.

- وزعموا أن مناهج الله وتشريعاته تضمنت عقوبات قاسية كالرجم والجلد وقطع يد السارق!!! متجاهلين أن جرائم الزنى واللواط وقذف المحصنات وشرب الخمر والسرقة من أبشع الجرائم وأنها تفقد المجتمع الإحساس بالأمن، وتسهم فى نشر الأمراض الخطيرة كنقص المناعة المكتسب «الإيدز».

● ولو ضربنا الأمثال على أثر التهاون فى تطبيق هذه العقوبات لتعددت أمامنا الأمثلة والشواهد فى أقوى دول العالم وأوفرها حظًا من الديمقراطية والحرية، بل لادهشتنا هذه الأمثلة، فمثلاً لا إحساس بالأمن فى الولايات المتحدة الأمريكية لمن يحمل أوراق «بنكوت»، ولا لمن يمشى وحده ليلاً ولا لمن يذهب إلى أحياء معينة فى بعض المدن، وكذلك كثير من دول أوربا!!!

وفى ألمانيا بعد توحيد شرقيها مع غربيها دعارة علنية تنظمها مكاتب تستجلب فقيرات أوربا الشرقية وفقيرات ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، فقد أذاعت محطة هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C أن فى ألمانيا وحدها مائتين وسبعين ألف ساقطة، وأكثر من مائة ألف من مرضى «الإيدز»!!!

وفى بريطانيا إباحة للشذوذ الجنسى اللواط، وما يترتب على إباحته من أمراض!!!

وفى فرنسا حلَّت الخمور محل مياه الشرب، حتى إنهم يقولون هناك: لا يشرب الماء إلا حيوان أما الإنسان فشرابه الخمر!!!

- هل تعتبر هذه الظروف وتلك الأمراض أثراً حسناً للتهاون فى تطبيق مناهج الله وتشريعاته، فالله تعالى حرم هذه الجرائم على لسان كل نبى وفى كل كتاب سماوى!!!
- ما أثر تطبيق العقوبات التى فرضها الله على مرتكبى هذه الجرائم؟ أيساوى أثر عدم تطبيقها كما أشرنا إشارات خاطفة؟
- أمن القسوة أن يُطبق تشريع يُنَقِّى المجتمع ويطهره من الجرائم والأمراض وفَقْد الأمن؟

رابعًا:

الذين يتهربون من التكاليف والأعباء

هؤلاء أعداء أُصلاء لمناهج الله وتشريعاته فى كل دين، وذلك أن مناهج الله وتشريعاته فى كل دين تحمل تكاليف بالأمر والنهى وتحمل المأمور والمنهىَّ أعباء؛ وربما تحملهم بعض المشقة، وتحرمه من ممارسة شهوات نفسه إلا فى إطار ما أحل الله تعالى.

وما من دين من الأديان السماوية إلا وفيه قائمة من الأمور المحرمة شرعا، كما فيه كثير من الأمور المباحة.

- والاصل فى النفس الإنسانية ان كثيراً منها يأمر بالسوء، والشيطان يامر بالسوء والفحشاء، وكل ممنوع مرغوب لدى الناس، والذى يُتْبِع نفسه هواها يَتردَّى سريعًا فى المهاوى ويفقد ماله وصحته ودنياه وآخرته، كل تلك القضايا مسلم بصحتها عند كل العقلاء.
- والإنسان فى عمومه يحب ما يلذ له من شهوات، فإذا كلف بالامتناع عن ذلك ضاق بهذا التكليف وعاداه.
- ولا شك أن الصبر على هذه التكاليف أعباء؛ فالعفة عبء نفسى وجسدى، والاستقامة بالابتعاد عن هذه الأعمال التى حرم الله عبء نفسى وجسدى كذلك.

هذا فى جانب ما نهت مناهج الأديان عنه.

أما ما أمرتْ به الأديان فأعباء عند من لا يدركون حقائق الأمور، ويقيسونها بمقاييس مادية دنيوية، وعلى سبيل المثال:

● الصلاة عمل يمثل عبءاً وقد وصفها الله تعالى بأنها كبيرة إلا على الخاشعين، وهى عبء لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأنها اقتطاع وقت وجزء من جهد الإنسان كان يمكن أن ينفقهما الغافل فى ملذاته وشهواته.

● والزكاة عبء على الموسر، يقتطع جزءاً من ماله كل عام ليقدمه لإخوانه فى المجتمع للذين لا يجدون، وكان يمكن لهذا الغافل أن ينفقها فى شهواته وملذاته.

● وكذلك شأن الصوم فهو امتناع عن ممارسة الشهوات، وجوع وعطش وقهر للشهوات.

● والجهاد فى سبيل الله عبء يتمثل فى التضحية بالوقت والجهد والمال والنفس، ولا يتحمل هذا العبء كثير من الناس.

● ورعاية الأسرة زوجة وأبناء وغيرهم إن وجدوا عبءٌ، يضيق به معظم الناس، حتى إن بعضهم لا يعمل على تكوين أسرة وبعضهم يبخل على أسرته ويقتر.

● والإسهام فى رعاية الفقراء والمساكين والغارمين والأرامل واليتامى، كل ذلك عبء ينفر من تحمله كثير من الناس.

- هؤلاء جميعاً أعداء للتكاليف التى جاءت من عند الأديان السماوية، مع أن هذه التكاليف لصالح الفرد والمجتمع.

خامساً:

الذين يحبون الإثم والفواحش والبغى بغير الحق

وهؤلاء كثرة فى كل زمان ومكان ولكنها الكثرة التى وصفها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله سبحانه: **﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾** [المائدة:٤٩]، وقوله: **﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾** [يونس:٩٢]. وقوله جل وعلا: **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف:١٨٧][1]، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾** [هود:١٧]، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾** [البقرة:٢٤٣] وغيرها من الآيات.

● إنها كثرة لا تعلم ولا تعقل ولا تشكر ولا تؤمن بل تكفر وتجهل وتكره الحق وتفسق، ومثل هؤلاء هم الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، ويقبلون على الآثام والمعاصى والبغى بغير الحق.

---

(١) تكرر هذا التعبير القرآنى فى وصف أكثر الناس بأنهم لا يعلمون أكثر من خمس وعشرين مرة بلفظه، وبقريب منها فى العدد بمعناه.

● وهؤلاء بهذه الصفات هم أعداء الأديان، لأن الأديان كلها دعت الناس إلى الإيمان والعلم والتعقل وشكر المنعم، وحب الحق والصلاح، وممارسة العمل الصالح، وهم على النقيض من كل ذلك، فهم أعداء كل الأديان.

● والذى لا شك فيه أن ارتكاب المعاصى والآثام وإتيان الفواحش والبغى بغير الحق من تزيين الشيطان ووسوسته، ومن رغبات النفوس المنحرفة عن الفطرة السوية وعن الحق.

● وما دامت الأديان تقاوم هذا الفساد والإفساد، فلابد أن يقف هؤلاء موقف العداء لكل دين، وهذا هو واقع هؤلاء الفاسقين الذين لا يؤمنون ولا يعلمون.

والإثم هو: الفعل الذى يبطىء بصاحبه عن الطاعة والثواب وفعل الخير عموما، والإثم هو ما يحيك فى الصدر ويخجل صاحبه من الإفصاح عنه.

- والفواحش هى: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال.

والبغى هو: التجاوز فى الأقوال والأفعال عما يجب أن يكون عليه القول والفعل، فهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه، وهذا البغى هو المذموم لأنه بغير الحق، أما إن كان البغى فى الخير فهو محمود. وذلك مثل تجاوز العدل إلى الإحسان.

ب - أعداء الدين الخاتم

الدين الذى ختم الله تعالى به الأديان، وكلف خاتم أنبيائه بتبليغه للناس، نال من العداوة أكثر من أى دين جاء قبله، إذ قد تجمع عليه من الأعداء بقدر ما أكمله الله وأتمه، وجعل منه ومن منهجه رعاية لحقوق الإنسان، ودفعاً له إلى أعلى المراتب فى مجال الحضارة الإنسانية، هؤلاء الأعداء لا يمارسون عداوتهم للإسلام والمسلمين إلا وقد أهدرت حقوق الإنسان، وعاش عاجزا عن أن يسهم فى بناء حضارة إنسانية ترتفع به إلى المستوى الذى كرمه الله به.

ومهما حاولنا أن نرصد هؤلاء الأعداء فلن نستطيع أن نستوعبهم أو نستقصى الحديث عنهم لكثرتهم من جانب ولتنوعهم من جانب آخر، الأمر الذى يجعلنا نوجز الحديث عن أعداء هذا الدين الخاتم الذى رضيه الله تعالى للبشرية كلها ديناً.(١)

وهؤلاء الأعداء للإسلام منهم:

---

(١) فصلنا الحديث عنهم فى كتابنا: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام نشر دار القلم بالكويت ١٣٩١ هـ ١٩٧١م وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م، ودار المنار بالقاهرة ١٤٠٩هـ ١٩٩٠م.

أولا :

الحاقدون على الإسلام من أهل الأديان السابقة : اليهود والنصارى الذين كذبوا الرسول ﷺ في حياته، وكفروا بما جاءهم به، ورموه بباطل التهم وظالم المفتريات، وخبيث الشائعات .

- وأبرز هؤلاء هم اليهود :

فمنذ عهد النبوة وبخاصة بعد هجرته ﷺ إلى المدينة نافقوه، وعادوه وتآمروا عليه، وحاربوه وغدروا به ونكثوا الوعود والعهود وألبوا عليه المشركين، كل ذلك كان حسدا منهم له إذ اصطفاه الله من غيرهم .

- واستمرت عداوتهم للإسلام بعد عهده تآمرا ودَسّاً وتحالفاً مع أعداء الإسلام .

- وقد تنكر اليهود بل أنكروا ما جاء على لسان موسى عليه السلام من بشارة بمحمد ﷺ كما جاء ذلك في التوراة، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الاعراف : ١٥٧][1] .

- ولا تزال عداوتهم للإسلام حتى اليوم بل هي اليوم أشد وأضرى لأنهم اليوم أقوى من الأمس لمعاونة الغرب لهم ضد الإسلام صراحة وجهارا، الغرب الذي يرفع شعار : لا تفرقه بين الناس من أجل الدين!!

- إن أمتع ما يمارسه اليهود اليوم هو قهر المسلمين والتآمر عليهم في كل مكان يستطيعون الوصول إليه راجلين أو راكبين ظهور الأمريكان والأوربيين، وجميعهم الراكب والمركوب يستمتعون بقهر المسلمين وتحدى الإسلام ومنهجه ونظامه!!

- ولابد لهذه الموجة العالية من أن تنحسر يوماً ما لأن تلك سنة الله في خلقه، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

---

(١) وانظر نصوصا من التوراة تبشر بمحمد ﷺ في كتابنا عالمية الدعوة الإسلامية الطبعة الرابعة : نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

والنصارى المنحرفون عن النصرانية التي جاءت من عند الله.

وهؤلاء أنكروا بشارة عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك القرآن الكريم: ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ [الصف: ٦][(١)]

- وكانت العداوة للإسلام من النصارى في موجتها العالية عندما شنوا على المسلمين الحروب الصليبية التي استمرت مائتي عام[(٢)].

- ولهم موجة في اضطهاد المسلمين في الأندلس وإكراه كثير منهم على الدخول في النصرانية أو القتل.

- ولهم موجة لاتقل شرا وخطرا في عدائهم للإسلام فيما عرف بالاستشراق حيث عمد كثير من هؤلاء المستشرقين إلى تشويه الإسلام أولا وإلى دلالة دولهم على نقاط الضعف في بلاد المسلمين ليستولوا عليها بالحرب أو بالسياسة والحصار ثانيا.

- ولهم موجة ضارية ضد الإسلام فيما عرف بالاستعمار، ثم ما عرف بالانتداب والوصاية والحماية، ثم بالنظام العالمي الجديد.

- ولهم موجهة خبيثة في عداء الإسلام تستهدف ضرب الحركات الإسلامية، وبخاصة بعد سيطرة النظام العالمي الجديد على بلدان العالم الإسلامي.

وأحدث موجاتهم تلك التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية يعاونها الغرب كله وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي السابق واتحاد روسيا اليوم ووحوش الصرب لضرب كل حكومة في أي بلد مسلم تعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية كما حدث في إيران والسودان.

- ومن موجاتهم المعادية للإسلام عملهم على أن يحولوا بين المسلمين والوصول إلى الحكم مهما نجحوا في انتخابات شرعية، كما حدث ذلك في الجزائر، فأدى إلى حمامات الدم وأكثر من مائة ألف قتيل، وكما حدث في تركيا مع حزب الرفاه بعزل رئيس الوزراء

---

(١) وانظر نصوصا من الإنجيل تبشر بمحمد ﷺ أوردناها في كتابنا المشار إليه آنفا عالمية الدعوة الإسلامية.

(٢) انظر لنا: الغزو الصليبي والعالم الإسلامي في طبعته الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة.

« أربكان »!! بأمر من الجيش، مع ادعاء الديمقراطية؟!

● وكما يحدث فى تزوير الانتخابات واستعمال القوة « البلطجة » فى إدارة المعركة الانتخابية حتى لا يصل أبناء أى حركة إسلامية إلى المجالس النيابية!!

ثانيا:

الحاقدون على الإسلام من مختلف المذاهب والنظريات بسبب سرعة انتشار الإسلام وعظيم تقبل الناس له ولمنهجه، الأمر الذى جعل أصحاب هذه المذاهب والنظريات بل وأصحاب الأديان كتابية وغير كتابية، جعلهم يتوجسون على مذاهبهم من خطر انتشار الإسلام، فكان عداؤهم للإسلام شديدا وضاريا، ومن أجل هذا التوجس قاموا بأعمال خطيرة فى عداء الإسلام، ومنها:

● عندما دخل الناس فى دين الله أفواجا بعد أن جاء نصر الله والفتح، أشاع هؤلاء الأعداء أن الإسلام إنما انتشر بالسيف والقهر والقوة، مع أن القرآن الكريم يعلن أنه: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولا يجرؤ أحد من المسلمين على مخالفة القرآن الكريم، وما سمعنا عن أحد أكره على الدخول فى الإسلام.

● وضاعف هؤلاء الأعداء من حملات التنصير وبخاصة فى آسيا وإفريقيا، وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وربما نجحوا فى تنصير الوثنيين ولكن نجاحهم محدود جدا فى نقل أحد المسلمين عن دينه إلى النصرانية!!

● وبالغوا فى تقديم المغريات المادية والمعنوية لكل من يدخل فى النصرانية، بالإضافة إلى دعم الحكومات لهؤلاء المتنصرين، غير أن المشاهَد أن بعض هؤلاء المتنصرين يخرجون من النصرانية بعد تيقنهم من التفرقة فى المعاملة بين نصرانى ومتنصر.

● ربطوا مغالطين بين الأصولية والإسلام، وبينه وبين الإرهاب والتطرف والعنف، وأغروا بعض الغافلين من المسلمين بالقيام ببعض أعمال العنف والتطرف، وبرَّر لهم ذلك القيام بضرب الحركات الإسلامية وتشويهها وحظر نشاطها وحرمان كثير من أعضائها من حقوقهم السياسية، وتقديم بعضهم إلى محاكمات عسكرية، وأخذهم بالظنّة والشبهة وتعذيبهم واعتقالهم مُددا طويلة دون سند قانونى!!

● ورفعوا شعار العلمانية وعزل الإسلام عن الحياة وعن التشريع وتصدوا بكل قوة لأى مناداة بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، بل جرَّموا ذلك فى بعض البلدان.

● واتهموا الإسلام بأنه يستهدف إقامة حكومة دينية تخول سلطتها من الله تعالى، ولا تستمع لرأى آخر وإنما تستبد بما ترى ولا تقيم وزنا للمجالس النيابية، وأنها حكومة لها حقوق مقدسة لا ينازعها فيها أحد، وكل ذلك إفك افتروه متأثرين بما كان لديهم من تسلط للكنيسة على الناس باسم الدين، فلم يعرف المسلمون حكومة دينية بهذه الصفات!!

● وأوهموا بعض الناس بأن الإسلام ضد الديمقراطية وضد الحداثة وضد الإبداع وضد التطور!!

وكل تلك تهم باطلة لا تقوم على أى أساس من الحق أو من الصواب وإنما هو التشويه لمجرد التشويه، تنفيسا عما يضمرونه للإسلام من عداء.

ثالثا:

الحاقدون على العرب لأن منهم خاتم النبيين ﷺ ولأن الإسلام بدأ بهم وفى بلادهم، وانتشر بجهودهم وانتصر بجهادهم، وجاء الكتاب السماوى الخاتم بلسان عربى مبين، وكل حاقد كاره للعرب فهو حاقد كاره للإسلام، فقد أمر النبى ﷺ بحب العرب فى حديثين شريفين:(١)

والأحقاد على العرب قديمة إذ كان ظهورها مواكبا لظهور دولة بنى العباس، وربما أرَّثَ هذه الأحقاد على العرب ما مال إليه بنو أمية من تقريب العرب وإبعاد سواهم من المسلمين، فقد ظهرت الحركة الشعوبية وازدهرت فى عصر بنى العباس، وقامت هذه الحركة على مقولات من أهمها:

– قولهم: إن الإسلام سَوَّى بين العرب وغيرهم من الناس، وقد صدقوا فى ذلك، ولكنهم انطلقوا من ذلك إلى مقولة أخرى لا نُسَلِّم لهم بها وهى:

– قولهم: إن العرب أقل من غيرهم من الناس، وهذا كلام لا يقبل عقلا، ولا هو بمقبول عند المسلمين.

---

(١) الحديث رقم ٥٦٧، والحديث رقم ٥٦٨ من الجامع الكبير للسيوطى (جامع الأحاديث) نشر عباس أحمد صقر وأحمد عبدالجواد دون تاريخ أو دار نشر.

– وقولهم: إن العرب أقل من سواهم من المسلمين، وهذا غير مُسلَّم أيضا، لما فيه من تعميم، ولما يتضمنه من ظلم.

– ثم جاءت أبشع الاتهامات بقول بعضهم: إن العرب أقل ذكاء وأدخل فى البداوة، وتلك التى تلقفها بعض الحاقدين من أهل الغرب مثل: «أوليرى» وغيره حيث زعموا أن العقلية العربية سطحية لا تحسن النظرة المتعمقة إلى الناس والأحداث والأشياء.

ويذكر أحمد أمين فى «فجر الإسلام» أن العربى خياله محدود وغير متنوع، فقلما يرسم له خياله عيشة خيرا من عيشته، وحياة خيرا من حياته ليسعى وراءها، لذلك لم يعرف «المثل الأعلى» لأنه وليد الخيال، ولم يضع له فى لغته كلمة واحدة دالة عليه.. «ففى مثل هذا الطور الذى كانت تمر به العرب فى الجاهلية يتجلى ضعف التعليل، أعنى عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول والسبب والمسبب فهماً تاما...»

«فالعربى لم ينظر إلى العالم نظرة شاملة كما فعل اليونانى مثلا.. أما العربى فلم يتجه نظره هذا الاتجاه ولا عد الإسلام...»!! سامحك الله يا أحمد أمين.

كيف يقال هذا عن العرب وقد اختار الله نبيه الخاتم منهم؟ وكيف يقال هذا عنهم وقد اختار الله تعالى لغتهم لينزل بها كتابه الخاتم؟

إنه الحقد على الإسلام يأخذ صورة الحقد على العرب!!

إن «أوليرى» وأمثاله من المستشرقين وعلماء الغرب، ومن رَدَّدُوا أقوالهم من المسلمين والكتاب المفتونين باليونان ولغتهم وثقافتهم إنما يحاولون من وراء ذلك الزراية بالعرب لتهوين شأن الإسلام.

وهؤلاء جميعا هم أعداء الدين الإسلامى الخاتم!!

ولا يزال هذا الحقد يقطر من أفكارهم وألسنتهم حتى اليوم، كما صرح «دافيد ليفى» وزير خارجية إسرائيل فى فبراير سنة ٢٠٠٠م على أثر توقف المباحثات السورية الإسرائيلية فى قوله: «إن إسرائيل جزيرة بين بحر من التخلف والقذارة»!!

يقول هذا ولا يغضب العرب ولا يثور حكامهم على هذه الإهانة وإنما يكتفون بالشجب والاعتراض اللفظى فقط!!

رابعا:

ومن ألدّ أعداء الدين الخاتم أولئك الذين يشوهون عن عَمْد كتاب الله الخاتم، وسنة رسوله ﷺ الشارحة المفصلة للكتاب الكريم، بل يشوهون شخص الرسول ﷺ.

ثم يمتد شر هؤلاء وحقدهم على الإسلام حتى يشمل قادته ومفكريه وعلماءه ومصلحيه وأدباءه.

بل يستفحل شرهم حتى يوجهوا التهم الجزافية إلى دول العالم الإسلامي وأقطاره[1].

وهؤلاء الأعداء للإسلام -قدامى ومحدثين، وأجانب عن الإسلام ومسلمين، وأعاجم وعرباً- مليئة قلوبهم بالحقد والكراهية.

- وقد بدأت هذه الطائفة بعبدالله بن سبأ المتوفى سنة ٤١ هـ الذى كان يهوديا يمنيا فأظهر الإسلام وأخذ يدس الأباطيل ومفردات الزندقة من قوله: برجعة النبى ﷺ بعد موته، وبأن عليّا رضى الله عنه خالق الأض وباسط الرزق، وأنه حيى فى السحاب وقوله بتناسخ الأرواح.

وقد قال عنه الإمام ابن حجر العسقلاني: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، أحسب أن علياً أحرقه بالنار[2].

ولهؤلاء الأعداء المشوهين للإسلام موجات تعلو وتهبط تبعا ليقظة المسلمين أو غفلتهم.

ولقد شارك فى هذه الحملات عدد غير قليل من المستشرقين ومثلهم من المبشرين المتعالمين، ومثلهم من ساسة الغرب ومفكريهم، بل مثلهم من المسلمين الأذناب التابعين الذين يرددون هذه التهم وتلك الأباطيل تقليدا لهؤلاء الأعداء الأجانب، أو طمعا فى نيل منصب أو جاه أو تيسير دراسة يقومون بها فى الغرب للحصول على درجة علمية، أو التباهى بأنهم أصحاب فكر وإبداع وحرية رأى ممن يقولون بعزل الدين عن الدولة ومَنْ يقولون إن التدين رجعية وجمود وإيمان بالغيبيات والظلاميات، ومن يقولون بأن الإسلام لا يصلح لكل زمان ومكان!![3].

---

(١) انظر لنا: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام نشر: دار القلم بالكويت ١٣٩٢ / هـ - ١٩٧٢م وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ودار المنار بالقاهرة ١٤٠١ هـ - ١٩٩١م.

(٢) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان: ٣ / ٢٨٩.

(٣) هؤلاء أكثر من أن نحصى أسماءهم، ولكن فطنة القارئ المسلم لا تعجز عن معرفتهم بأسمائهم أو بلحن أقوالهم.

ولهؤلاء الأعداء من الغربيين أسلوب يغرى بتهجم بعض المسلمين على الإسلام، فهم أصحاب نفوذ سياسى واقتصادى وثقافى فى مختلف أقطار العالم الإسلامى، ومن هنا فإنهم يمكنون هؤلاء المهاجمين للإسلام من المكانة فى بلاد المسلمين، ومن عجزوا معه عن ذلك استضافوه فى بلاد الغرب وفرضوا حوله حماية وكفلوا له العيش الرغيد.

وكان الشرق الذى يمثله ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى يقوم بنفس العمل مع كل عربى أو مسلم يتهجم على الإسلام، ويتهمه أو يتهم بعض قادته!!

وليس آخر هؤلاء الأعداء هو: «دافيد ليفى» وزير خارجية إسرائيل -كما أشرنا آنفا- ولكن رحم الأعداء الخبيثة لا تزال تقذف كل يوم بوليد خبيث يشب ويرضع وينمو على الحقد على هذا الدين الخاتم، ثم يفرز سُمَّه بعد أن يصبح فى بلده المسلم شيئا مذكورا!!

خامسا:

الذين يقودون حملات الاستعمار الحديث أو الوصاية على بلدان العالم الإسلامى وهؤلاء أنواع:

- النظام العالمى الجديد بقيادة أمريكا.
- والاتحاد الأوربى.
- والاتحاد الروسى.
- والصرب.
- واليهود.

هؤلاء جميعا يحاولون مجتمعين أو متفرقين أو متحيزا بعضهم مع بعض أن يسيطروا على بلدان العالم الإسلامى من خلال أحد أسلوبين يتعاملون بهما هما:

- الاستيلاء على بلدان المسلمين بطردهم منها مثلما حدث فى:

فلسطين والبوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان وتيمور الشرقية، وكشمير وغيرها، ليحل محلهم غير المسلمين.

- أو الاستيلاء على مقدرات البلدان الإسلامية الاقتصادية من قمح ونفط وقطن وثروة زراعية أو حيوانية أو معادن، بالبطش حينا وبإعطائهم السلاح حينا وببيع منتجاتهم حينا.

• وهؤلاء المستعمرون الجدد لهم أسلوب أخبث من ذلك، إذ يغرون بعض بلدان العالم الإسلامى بشن الحروب على بلدان إسلامية مجاورة أو الانفصال عن وطنها الأم، وعندئذ يبيعون لهم السلاح بالسعر الذى يحددون، ويعملون ماوسعهم على أن تستمر هذه الحروب أطول زمن ممكن كما حدث ذلك فى حرب العراق للجمهورية الإسلامية فى إيران فقد استمرت ما يقرب من تسع سنوات، وكالفتنة التى أحدثوها فى لبنان فاستمرت ما يقرب من خمسة عشر عاما، ناهيك عن حروب الخلافات على الحدود بين دول العرب والمسلمين، وكما حدث فى إغراء مجنون العراق بالاستيلاء على الكويت، وهى حرب لاتزال تُدرّ على الغرب مليارات الدولارات حتى اليوم!!

• ومن أراد من بلدان العالم الإسلامى أن يخرج عن دائرة النفوذ الاستعمارى الحديث حاصروه اقتصاديا، ومنعوا طائراته من أن تحلق فى أجوائه!!

بل ربما جوعوا شعوب المسلمين، وضربوهم بالصواريخ وفجروا طائراتهم فى الجو الإقليمى أو العالمى!!

• والمنظمات الدولية التى تدعى العمل على تحقيق السلام العالمى والمحافظة على حقوق الإنسان، وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجالسها المتعددة- كما يشهد بذلك كل منصف- إنما تكيل بمكيالين، وتعطى وتمنع حسب أهواء كبارها من أصحاب الطبقة المميزة أصحاب حق «الفيتو».

هذه المنظمات جميعًا تعمل لصالح الغرب أو لصالح من تربطهم به مصالح استراتيجية أو انتخابية أو غيرها، وأقوى دليل على ذلك معاملتها لإسرائيل!! وللجمهوريات المسلمة فى الاتحاد الروسى، وللبلدان المسلمة فى البلقان، ولتيمور الشرقية في إندونيسيا، وغيرها.

هذا الاستعمار الحديث هو من ألدّ أعداء الإسلام بوجه خاص، عقابا له على استقامة منهجه وعدالة ما جاء به!!

سادسا:

الذين يقفون بالمرصاد لأى يقظة إسلامية، فضلا عن أى حركة إسلامية فى أى بلد من بلدان العالم، فضلا عن دولة تعلن أنها اتخذت من منهج الإسلام ونظامه دستورا لها!!

وهؤلاء الأعداء يتكاتفون – وإن كانوا أعداء فيما بينهم – ما دام الهدف هو ضرب بلد مسلم، ويحاصرون هذا البلد المسلم المستيقظ أو الحركى أو الذى أعلن دولة إسلامية حتى

يختنق أو ينهار أو يستسلم لهم صاغرا، والأمثلة على ذلك فى العصر الحديث عديدة، نذكر منها:

- تحالف الغرب والشرق واليهود على إسقاط دولة الخلافة العثمانية وتقسيم أجزائها فيما بينهم.

- والعمل على اغتصاب فلسطين وإقامة دولة لإسرائيل فيها ببحر من دماء الأبرياء المعتدى عليهم من أهل فلسطين، وتأييد من الغرب والشرق لهذه المجازر الوحشية التى حدثت فى فلسطين.

- وما قام به الاتحاد الروسى -بعد انهيار الاتحاد السوفيتى- من منح بعض أجزائه الاستقلال، وتحريم هذا الاستقلال على الجمهوريات الإسلامية فيه.

- وما قام به الصرب والكروات بتأييد مفضوح من الغرب والشرق من إبادة مستمرة لمسلمى البوسنة والهرسك، ومد الصرب بالسلاح وتحريم السلاح على البوسنة والهرسك!!

- وما قام به الصرب بتأييد من الغرب والشرق من أعمال وحشية فى إقليم كوسوفو والعالم يكبل الضحية ويكافىء المعتدى ولا تملك هيئة الأمم المتحدة أن تصدر قرارا عادلا، مادامت أمريكا لا تريد إصداره!!

- وما قام به الغرب من تأييد ودعم وعمل متواصل وإمداد بالسلاح والمال والرجال حتى تنفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا وإجبار إندونيسيا على تعويض أهل تيمور الشرقية ومكافاتهم على الانفصال!!

- وما قام به الاتحاد الروسى من إبادة للشيشان بتأييد من الغرب مالا وسلاحا، ومن ممارسات غير إنسانية فى تلك الحرب غير المتكافئة، وما ملكت هيئة الأمم أن تفعل شيئا، لأن الهدف عندهم شرعى ونبيل وهو إبادة المسلمين وإخلاء بلادهم منهم!!

- وما تقوم به الهند مؤيدة من الغرب والشرق بعدوان مستمر على كشمير التى تسكنها أغلبية مسلمة!!.

- والإصرار -المؤيد من الغرب والشرق- على منع أى حزب يعلن هويته الإسلامية من الوصول إلى الحكم، فإن وصل بالانتخاب المباشر، فإما أن يلغى الجيش الانتخاب كما حدث فى الجزائر، أو يخلع الجيش رئيس الحكومة الشرعى كما حدث فى تركيا!!

- والعمل الدائب على قمع أى حركة إسلامية وإجهاضها، وعزل أعضائها سياسيا ومنعهم من حق الترشيح للمجالس النيابية، فإن أفلت بعضهم وترشح زورت الانتخابات عيانا بيانا وحُوِّل الراغبون فى الترشيح إلى محاكمات عسكرية وزج بهم فى السجون دون استئناف لتلك الأحكام!!

سابعا:

الذين يحقدون على الإسلام خشية أن يحول تطبيقه بينهم وبين ما يشتهون من ظلم واستبداد واستمرار فى الحكم.

وهؤلاء يمارسون ضد الإسلام أعمالا ذات شقَّين:

أحدهما:

تشويه نظام حكم الإسلام بزعم عجزه عن مواكبة المتغيرات وعزله عن حياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما يكلفهم ذلك إلا تشريعات تصدرها بعض المجالس النيابية التى زورت انتخاباتها والتى يشارك فى التشريع فيها من لا يحسنون القراءة.

والآخر:

قمع المسلمين الحركيين بإلقاء القبض عليهم وتعذيبهم ومحاكمتهم أمام محاكم عسكرية، مع إهدار حقوقهم الإنسانية، وكل ذلك يلقى ترحيبا من المجتمع الدولى المعادى للإسلام، ويرفع من قدر الحكام الذين يمارسون ذلك القمع.

وغالبا ما يصل هذا القمع إلى قهر المواطن فى وطنه، أو عمله على الهجرة من بلده، حتى لقد كثر عدد المهاجرين من المسلمين إلى بعض دول الغرب فكونوا جاليات فى كثير من بلدان أوربا وأمريكا، مع ترحيب هذه الدول بهم، وربما منحتهم حق اللجوء السياسى، كما هو مشاهد ومعلن عنه.

وبعد:

فتلك نماذج -فقط- من أعداء الإسلام خصوصا، يضافون إلى من تحدثنا عنهم من أعداء الأديان عموما، لتكتمل صورة العداء للأديان، وتتضح التيارات المعادية لها.

٤ – متى غُيِّبت التربية الدينية؟

نتناول تحت هذا العنوان ثلاثة موضوعات هى:

أ– الإطار الذى تتحرك فيه التربية الدينية.

ب– والأسس التى تقوم عليها التربية الدينية.

جـ– ومعنى غيابها ومتى غيبت التربية الدينية؟

أ– الإطار الذى تتحرك فيه التربية الدينية

التربية الدينية فى جوهرها هى: المنهج الذى اختاره الله لعباده لعلمه سبحانه بأنه صالح لهم فى معاشهم ومعادهم، لكى يعيشوا حياتهم الدنيا وفق نظامه، ويهتدوا بهداه، ويواجهوا بمفرداته كل ظروف الحياة وكل متغيراتها.

● وهذا المنهج الذى يضم التربية الدينية، وضعه الله سبحانه وتعالى بنفسه وأوصى به إلى رسله صلوات الله عليهم وسلامه، وكلفهم بتبليغه للناس ومطالبتهم الناس باتباعه ورفض أى منهج سواه.

● وكل دين سماوى جاء بمنهج من عند الله علي لسان رسول كريم معصوم من الكذب والخيانة والتحريف أو التبديل لأى شيء من هذا المنهج، وكل منهج من هذه المناهج ملائم لمصالح الناس فى الدنيا والآخرة فى زمانهم ومكانهم.

● والمنهج الخاتم الذى جاء به خاتم الأنبياء محمد ﷺ وتضمنه خاتم الكتب السماوية القرآن الكريم، وفصَّلته سنة المعصوم ﷺ، هذا المنهج أوسع المناهج واشملها وهو وحده –من بينها جميعا– الصالح لكل زمان ومكان، ولكل الناس، لما اشتمل عليه من قدرة على حل مشكلات الناس جميعا.

● ومن أجل هذه الشروط والاحترازات فى مناهج الأديان السماوية، جاءت هذه المناهج فى أوسع إطار؛ لكى تتجاوب مع فطرة الإنسان لا تشق عليه، ولا تهمله، وإنما تلائم حاجات هذه الفطرة التى فطره الله عليها.

ومن دلالات سَعَة هذا الإطار الذى تتحرك فيه التربية الدينية ما نشير إليه من النقاط التالية:

– أنه يلائم حاجات الإنسان صغيرا وكبيرا وذكراً وأنثى، فى كل سنى حياته، وفى جميع احتياجاته الروحية والعقلية والبدنية.

- وأنه يلائم حاجات الإنسان الاجتماعية جميعها، فى الزواج وتكوين الأسرة، وفى تربية الأبناء والعناية بهم، وفى صلة الأرحام والبر بذوى القربى، وفى تقرير حقوق الجار والضيف وفى رعاية حق اليتيم وذوى الحاجات.

- وأنه يوضح حق المجتمع على الفرد وحق الفرد على المجتمع، دون أن يسمح بأن تكون هذه العلاقة منحازة لصالح المجتمع أو لصالح الفرد، وإنما العدل والتوازن هو الذى يحكم هذه العلاقة كما جاء بها كل منهج من عند الله.

- وأنه يقرر عقوبات على من ارتكب جريمة ما من الجرائم كالزنى والسرقة والغصب والغش وشرب الخمر والكذب والرِّبا، وسائر الجرائم المحرمة فى كل دين -كما أوضحنا آنفا- وإنما كانت هذه العقوبات لردع المجرم المتجاهل لخدمة المجتمع والعاصى لأمر الله تعالى ونهيه، وإنما حددت هذه الجرائم لما لها من إضرار بالمجتمع كله وبالفرد نفسه.

- وأنه يقرر حقوقا فى المال للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل وكل ذى حاجة، سواء أكان ذلك عن طريق زكاة مفروضة أو صدقة ندب إليها المنهج، مع تأكيد على رعاية اليتيم وحماية الضعيف وإغاثة اللهيف.

- وأنه يحرم الظلم والإثم والفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن، ويحرم كل ما يلحق ضررا بالنفس أو بالغير.

- وأنه منهج يدعو الناس إلى فعل الخير وإلى جلب المصلحة ودفع المفسدة.

- وأنه منهج يجعل الإنسان بصيرا على نفسه ويطالبه بأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب بين يدى ربه.

- وأنه منهج يقوم على الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جزاء وحساب وجنة ونار وثواب وعقاب.

هذا هو الإطار الذى يتحرك فيه المنهج الإلهى الذى جاء به كل رسول من رسل الله عليهم السلام أصحاب الكتب المنزلة.

وهو إطار واسع بل شديد السَّعَة لما يتضمنه من الاستجابة لكل احتياجات الإنسان.

ب- الأسس التى تقوم عليها التربية الدينية

لاشك أن التربية الدينية بوصفها قد جاءت من عند الله تعالى ومن خلال تبليغ رسله عليهم السلام بها، لاشك أنها تقوم على أقوى الأسس وأصلحها للحياة الإنسانية الملائمة للفطرة التى فطر الله الناس عليها، كما أن هذه الأسس أصلح ما تكون للسموات والأرض كما فطرهن الله تعالى.

فالتربية الدينية ملائمة لفطرة الله تعالى للناس وللسموات والأرض حيث يعيش الناس.

● وهذه الأسس التى تقوم عليها التربية الدينية هى:

أولا:

تَوْحيد الله تعالى إلها وربا وخالقا ورازقا ومحييا مميتا، بحيث يمثل هذا التوحيد للألوهية والربوبية ركنا ركيناً تقوم عليه عقيدة الناس فى الله تبارك وتعالى.

والتوحيد من العلوم الحقيقية التى لا تتغير بتغير الأديان فجميع الأنبياء عليهم السلام كانوا متفقين في الاعتقادات كلها وعلى رأسها الاعتقاد في توحيد الله تعالى أى تجريد ذاته سبحانه وتعالى عن كل ما يتصور فى الأفهام ويتخيل فى الأذهان والأوهام.

والتوحيد -كما اتفق على ذلك علماء الأمة- هو:

- معرفة الله تعالى بالربوبية.
- والإقرار له بالوحدانية.
- ونفى الأنداد عنه جملة.

والتربية فى أى دين سماوى تقوم على هذا التوحيد بوصفه أول أساس من أسسها.

ثانيا:

عبادة الله تعالى وحده على النحو الذى شرعه فى العبادة وكلف رسله عليهم السلام بتبليغه للناس، فليس لأحد أن يعبد الله كما يتخيل أو كما يرى، وإنما يعبده بالصورة التى جاءت من عنده تعالى.

والعبادة هى: فعل المكلَّف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه سبحانه وتعالى، واستجابة لما أمر به في عبادته.

والعبودية هى: الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود كما قال الأسلاف من العلماء.

وعبادة الله تعالى وفق ما شرع تعنى الا يتلقَّى الإنسان فى هذه العبادة أو في صورتها إلا من الله تعالى كما تعنى وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ثالثا:

والأخلاق أو السلوك - وهو معرفة النفس ما لها وما عليها - ومعرفة بل ممارسة المعاملة الحسنة - التى حَسَّنها الله تبارك وتعالى - مع الله تعالى ورسوله ﷺ بالطاعة والولاء، ومع الملائكة والرسل عليهم السلام بالاحترام والتصديق، ومع كتبه سبحانه وتعالى بتصديقها

والعمل بما جاء فيها.

والمعيار الدقيق الصحيح للأخلاق هو الالتزام بما أمر الله به من قول وعمل والانتهاء عما نهى عنه سبحانه.

الأخلاق التى جاءت بها الأديان تعلم الناس كيف يتعامل بعضهم مع بعض، بل إنها تعلم الناس كيف يتعاملون مع مفردات الكون كله، أولياء وأعداء ومحايدين.

وكذلك التعامل مع قوى الشر فى هذا الكون وهى الشياطين؛ بعداوة هذه الشياطين ورفض الاستجابة لوسوستها.

وجوهر الأخلاق التى جاءت بها الأديان كلها هو فعل الخير عموما والتعاون عليه، ونبذ الشَّرِّ عموما وكل ما يضر النفس أو الغَيْر.

تلك هى الأسس الكبرى التى تقوم عليها التربية الدينية فى كل دين سماوى، ولأهمية التربية الدينية فى ترشيد سلوك الإنسان، وفى تامين حقوق الإنسان، وفى تحقيق سعادته فى معاشه ومعاده، فإن غيابها أو تغييبها يجلب للإنسان شرورا وأضرارا بالغة الخطر، وهذا ما سنوضحه فى الصفحات التالية والله المستعان.

ج معنى غياب التربية الدينية ومتى غُيِّبَتْ؟

غياب التربية الدينية يعنى التَّخَلِّىَ عن منهج الله تعالى فى الحياة، ويعنى الكفر به سبحانه وجحود نعمه وأفضاله، وإنكار رسله عليهم السلام وتكذيب كتبه التى أنزل عليهم.

كما يعنى غرور الإنسان بتصوره أنه يستطيع أن يستعيض عن منهج الله تعالى بمنهج سواه.

ويعنى تسلط الشيطان على الإنسان وخداعه بقلب الحقائق أمام عينيه وإغراءه بالفساد والشر.

- وغياب التربية الدينية عن حياة الناس يؤدى بهم إلى القلق والاضطراب والعجز عن ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة، مما يؤذن بضعفهم عن مواجهة المتغيرات وإصابتهم بكثير من الأمراض الاجتماعية كالظلم والاستبداد والغش والخداع والكذب وشيوع الفواحش، وذلك أن التربية الدينية تعصم المجتمع من ذلك كله.

تلك مُسَلَّمة لا يجادل فيها العالمون أو العارفون بطبائع الناس والحياة وبطبيعة القيم التربوية الدينية..

- وهذه التربية الدينية وما تشتمل عليه من قيم إنسانية، قديمة فى الحياة البشرية منذ حياة

أبينا آدم عليه السلام عندما أهبطه الله تعالى إلى الأرض ورزقه الذرية، إذ أعطاه الله تعالى منهجا ونظاما لحياته وحياة أبنائه، فكان ذلك المنهج متضمنا بالتأكيد لقيم تربوية أوجب عليه وعلى أبنائه التعامل بها، مثل التراحم والتعاون والمودة والصدق والعدل، ومثل تحريم الظلم والعدوان، والغش والكذب والحسد والحقد ونحو هذه القيم التي لا تستقيم حياة الناس إلا بها.

- والذي لا شك فيه أن أبانا آدم عليه السلام كان نبيا أوحى الله إليه وكلفه وكلف ذريته، وأمره ونهاه، ولاشك أن أبانا آدم عليه السلام قد التزم بما كلفه به الله به وقد ألزم أبناءه بهذه التكاليف ما وسعه وما وسع أبناءه وذريته.
- ولقد استمر آدم عليه السلام وذريته على المحافظة على هذه التكاليف حتى وقعت أول جريمة على الأرض إذ قتل أحد ولد آدم أخاه[1] بسبب أن تقبل الله من أحدهما قربانه ولم يتقبل من الآخر.

عند قتل احد الاخوين لاخيه كان ذلك أول غياب للتربية الدينية التي حَرَّمت القتل والعدوان والحسد.

- ودوافع هذه الجريمة النكراء هي الحسد والحقد، وكان ذلك بوسوسة الشيطان من جانب وبغياب التربية الدينية التي غيبها الشيطان كذلك من جانب آخر، فقد تقبل الله قربان أحدهما لإخلاصه والتزامه ولم يتقبل من الآخر لعدم إخلاصه، وما كان ذلك ليجيز له قتل أخيه، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] فلما هدده بالقتل، قال له: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨].
- ثم توالت الجرائم لغياب التربية الدينية، وإغواء الشياطين وإغرائهم الناس بالعدوان والظلم وأنواع الشر، وإضلالهم عن الحق، وإبعادهم عن منهج الله ونظامه، وتلك خطة إبليس وأعوانه إلى يوم الدين، ومن اتبعه فهو من الغاوين.
- وسوف تتوالى الجرائم إلى ما شاء الله لغياب التربية الدينية عن الناس، وخروجهم بغيابها عن منهج الله ونظامه.

وعلى سبيل المثال:

- لو لم تغب التربية الدينية عن اليهود، ما كذبوا الانبياء ولا قتلوا بعضهم، ولا عاندوا

---

(١) جاء في العهد القديم: التوراة أن القاتل هو قابيل وان المقتول هو هابيل. الإصحاح الرابع: ١ - ١١ من سفر التكوين، ولكن القرآن الكريم لم يحدد اسم اى منهما، وقصة ذلك في الآيات من: ٢٧ - ٣١ من سورة المائدة.

نبيهم موسى وتعنتوا معه، ولا كذبوا المسيح عيسى ابن مريم ولا تآمروا عليه، ولا حاربوه، ولا ضيقوا عليه : لأن التربية الدينية التى جاءتهم على لسان موسى عليه السلام لا تسمح لهم بشىء من ذلك، لكنهم غيبوها ففعلوا ما فعلوا من الجرائم.

- ولو لا غياب التربية الدينية عن اليهود ما أنكروا نبوة محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أنفسهم، ويجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة، ولما عاندوه وتآمروا عليه وألبوا عليه الأعداء، ولا حاولوا قتله غدراً أكثر من مرة، ولولا غياب التربية الدينية ما خططوا لمقتل ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

- ولولا غياب التربية الدينية عن اليهود ما تعاملوا بالربا ولا استحلوا حرمات غير اليهود، ولا كانوا على هذا القدر من القسوة والفظاظة والوحشية فى التعامل مع من يَغْلبون!!

- ولولا غياب التربية الدينية عنهم، ما جعلوا التآمر والخداع والغش مبدأهم، ولا جعلوا الملق والنفاق خلقاً لهم كلما غُلبوا، والتبجح والكبرياء كلما غَلَبُوا!!!.

- ولولا غياب التربية الدينية عندهم ما قتلوا النساء وبقروا بطونهم ولاقتلوا الأطفال ولا كسروا عظام من قدروا عليهم ، ولا دفنوا الناس أحياء فى الرمال، ولا كانوا على هذا القدر من الوحشية التى تشبه وحشية الصرب والروس وكل ظلوم جهول!!

والعجيب أن اليهود اليوم يزعمون أنهم يقدسون التوراة!! وما كان الله ليأمرهم أو يجيز لهم شيئا مما يفعلون.

– ولو لم تغب التربية الدينية عن المسيحيين الغربيين «الكاثوليك والبروتستانت» ما تنكروا لما جاءهم به عيسى ابن مريم عليه السلام من تسامح وعدالة ورحمة، ولا أقاموا محاكم التفتيش، ولا شنوا على المسلمين الحروب الصليبية التى عاثت فى الأرض فساداً وعبَّرت بصدق عن أحقاد الصليبيين أمراء ورجال كنيسة، تلك الحروب التى خلَّفت وراءها الدمار لكل ما هو إنسانى وكل ما هو جميل.

– ولو لم تغب التربية الدينية عن المسيحيين ما حاربوا كنيستهم بكل هذه الضراوة ، ولا عزلوا الدين المسيحى عن حياة الناس معتبرين الالتزام بالدين رجعية ونكوصا وتخلفا وجحودا وإصرارا على العيش فى الماضى ومعاداة التحرر من القيود.

– ولو لم تغب التربية الدينية عن المسيحيين ما نادوا بالعلمانية التى قامت على أساس فصل الدين عن الدولة وعن العلاقات الاجتماعية ورفض أى سيطرة للدين على الناس اجتماعيا أو ثقافيا أو سياسيا، وجعل كل هذه العلاقات متروكة لإرادة البشر وفق ما يرون

من أسباب تحقيق مصالحهم وسعادتهم الدنيوية.

● فالعلمانية تجاوزت فصل الدين عن السياسة إلى فصل الدين عن الدولة وعن الحياة، ليعيش الدين بمعزل عن الناس، ويعيش الناس بمعزل عن الدين.

● وكل ما يرد على الناس من خصومات وتنازع داخل المجتمع فمردُّه إلى غياب التربية الدينية وإحلال غيرها محلها، بل كل ما يرد على الدول من صراعات وحروب فمردُّه كذلك إلى غياب التربية الدينية؛ وذلك أن التربية الدينية تحدث فى الإنسان إحساسا بمسئوليته عن كل قول أو عمل يأتيه، بينما تعجز سائر البدائل عنها عن تكوين هذا الإحساس بالمسئولية إحساسا نابعا من عقله وقلبه وذاته لا من خشية الحاكم، لأن الحاكم قد لا يراه ولا يحس بخطئه، ولا من خشية القانون الذى وضعه الناس للناس، لأن التحايل على هذا القانون ميسور لكل من أراد من الناس.

– ولو لم تغب التربية الدينية عن المسيحيين ما طمعوا فيما فى أيدى الناس من مال وعقار، ولما شنوا عليهم حروبا تهزمهم وتجليهم عن أرضهم وما يملكون أو تبيدهم مطلقا، ولما فرضوا عليهم الرِّق وجعلوهم عبيدا يباعون كما تباع الأشياء!!!

– ولولا غياب التربية الدينية عن المسيحيين ما مارسوا العدوان العسكرى على كثير من بلدان العالم، وفرضوا عليهم الذل فى أوطانهم، وحكموهم بالحديد والنار فى عقر دارهم[1].

– ولولا غياب التربية الدينية عن الولايات المتحدة الأمريكية – مثلا – ما مارست الضغط الهائل على الدول والشعوب حتى ترضى بأن تكون ذيولا لها خانعة ذليلة تنفذ ماترغب أمريكا فى تنفيذه، أو تُعدُّ لها أمريكا انقلابا عسكريا فى داخلها، أو تصنع حولها حربا اقتصادية، أو تحتلها بجيوش وقواعد عسكرية تنفق عليها من أموال الدول والشعوب المقهورة، وقد لا تتورع – كما حدث منها فعلا – عن أن تقبض على رئيس الدولة – كما قبضوا على نرويجا من بلده – ثم تذهب به إلى قضائها فتحاكمه فتدينه فتسجنه فى أمريكا نفسها!!!

أين من ذلك كله احترام الدول بعضها لبعض؟ بل أين احترام حقوق الإنسان؟

---

(١) فعلت ذلك انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا واسبانيا والمانيا، وامريكا وما لا احصى من الدول التى تدين بالمسيحية ديانة العدل والتسامح والرحمة.

- ولولا غياب التربية عن بريطانيا وأمريكا لما وقفوا من العراق هذا الموقف المخزى لإنسانية الإنسان، إذ يحتلون جوه، ويضربون حيث يشاءون، والاطفال والمرضى هم ضحايا هذه الحرب الضروس التي لا يريدون لها نهاية .

- ولو لم تغب التربية الدينية عن الشيوعيين والاشتراكيين،ما استطاع « كارل ماركس » أن يؤلف كل هذا الباطل ولا أن يلفق بين هذه الاغاليط فيما قال وفيما كتب وفيما فعل، لانه كان عدواً لكل قيمة دينية من قمة راسه إلى أخمص قدميه .

● ولما استطاع « لينين » ومن جاءوا بعد من الشيوعيين أو الاشتراكيين أن يجعلوا من بلاد ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي جحيما لكل من عارضهم، بل لكل من فكر في معارضتهم في سياستهم ونظامهم القائم على ما يناقض طبيعة الإنسان وفطرته، ولما أحالوا الدول أو الولايات الإسلامية في آسيا[١] إلى جحيم لا يطاق العيش فيه إلا لمن فقدوا حقوقهم وحرياتهم بل وإنسانيتهم، لقد كان رجال الحزب يقتلون من يصلي من المسلمين، وكان المسلمون يختبئون لاداء الصلاة، ولم يكن أحد يجرؤ على أن يطلب أداء فريضة الحج!!!

- ولو لم تغب التربية الدينية وقيمها عن الشيوعيين لما فعلوا ما فعلوا بأسرة « رومانوف » التي اغتصبوا منها حكم البلاد، وأقاموا مكانه ما سماه « لينين » ديكتاتورية البروليتاريا وباسمها نكل بأسرة « رومانوف » ونكل بالمسلمين وهدمت مساجدهم ووضعت رقابة صارمة على الكنائس كلها.

● وعندما جاء « ستالين » زاد من قمع المسلمين واضطهد الشيشان ونفى معظمهم إلى « سيبريا » واضطهد مسلمي القوقاز ومسلمي البلقان، وكل من كان تابعا لما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، أما اليهود فلم يضاروا في شيء لان كثيرا من أعضاء مجلس السوفيت الاعلى كانوا من اليهود - ثمانية أعضاء من اليهود وأربعة أعضاء من غير اليهود .

- ولولا غياب التربية الدينية عن الشيوعيين لما نكلوا بالمسيحيين وعزلوا المسيحية عن الحياة كلها، ولما نادوا بعلمانية إلحادية تستهزئ بالخالق وتجحده، وتفتك بمن لا يجحده .

---

(١) الجمهوريات الإسلامية هي : اذربيجان في القوقاز، وجمهوريات : قازاخستان ، وتركمانستان، وطاجكستان، وقرغيزستان، في آسيا الوسطى، وكلها سيمت الخسف والهوان وإهدار حقوق الإنسان بل إهدار الإنسان نفسه .

- ولولا غياب التربية الدينية عن الشوعيين فى أى مكان، لما كانوا على هذا القدر من الكفر بالخالق والإلحاد، واستباحة كل محرم والسخرية من الأديان والزراية بالمؤمنين بالغيب. ولما كانوا على هذا القدر من التجرد من أى قيمة خلقية فاضلة، ولما اتخذوا الغدر والإرهاب والكذب أسلوبا فى حياتهم العامة والخاصة، فضلا عن التراجع والنفاق إذ غُلبوا والتكبر والتجبر إذا غَلَبوا على أى مرفق من المرافق - كاليهود تماما -.

- ولولا غياب التربية الدينية عن الولايات المتحدة الأمريكية ما اتخذت هذا الأسلوب غير الأخلاقى فى التعامل مع دول العالم كله، الأسلوب الذى تمثل فيه تيارين:

- تيار ممالأة إسرائيل ودعمها بالمال والسلاح والمعلومات لتقهر العالم العربى وتحتل أرضه، وتبتز العالم الإسلامى وتكيد له أدنا كيد وأخبثه، وتسخِّر من أجل ذلك هيئة الأمم المتحدة، وتمكن إسرائيل من انتهاك أى شرعية دولية.

- وتيار النظام العالمى الجديد التى تسيطر بمقتضاه أمريكا على دول العالم كلها سيطرة اقتصادية وثقافية وسياسية، بغَضّ النظر عن الشرعية الدولية وحق كل بلد فى أن يختار لنفسه ما يشاء من نظم.

وفى عالمنا الإسلامى والعربى، لم يكن الأمر مختلفا عما عليه الغرب المسيحى فى أوروبا وأمريكا ولا هو بمختلف عما هو عليه فى إسرائيل، إذ غياب القيم الدينية قاسم مشترك بيننا وبينهم فى الجوهر والمضمون أما الشكل فربما اختلف.

ومما يثير الدهشة والأسى أن العالمين العربى والإسلامى، يكون المتوقع منهما تصدير القيم التربوية الدينية إلى العالم كله، لأن هذه القيم وذلك الدين الذى جاء بها، هم أهله وأولى به من سواهم!!!

- فإذا غابت التربية الدينية عن اليهود أو عن المسيحيين فربما لا يثير ذلك دهشة أو عجبا فكل منهما قد غيب الدين نفسه بما مارس فيه من تحريف وتبديل، وبما تنكر لأوليات الدين وأصوله.

- أما العالمان الإسلامى والعربى فلا يزال الدين فيهما كما أنزله الله تعالى إذ تكفل الله بحفظه عن التحريف والتبديل، ولا تزال القيم التى جاء بها الإسلام محفوظة تربوية وغير تربوية، فما لهم يغيبون التربية الدينية عن حياتهم كما فعل اليهود والمسيحيون؟

وعلى سبيل المثال :

- لولا غياب التربية الدينية ما قامت في عالمينا العربي والإسلامي هذه الانقلابات العسكرية بشكل يكاد يكون مستمرا، وفي كل مرة يعلن الانقلابيون أنهم قاموا للإصلاح ولتحقيق الرفاهية والعدل ثم يصبحون أعدى أعداء العدل وألدّ خصوم الحريات ويتشبثون بكراسي الحكم حتى الموت ويتوارث الحكم من بعدهم عسكريون كذلك!!!

● ثم تكون نتيجة كثير من هذه الانقلابات العسكرية لججًا من دماء الأبرياء، وأمواجًا من فوق أمواج تجرف أمامها الحريات وحقوق الإنسان وعزل كثير من المواطنين من ممارسة حقوقهم السياسية، وتزوير الانتخابات وتزييف إرادة الشعب وإيجاد طبقات من المنتفعين بالانقلاب العسكري وتعاملاً بقوانين الطوارئ لمدد تربو على العشرين عاما، وتنطعًا وتبجحًا بقمع المواطنين ووأد المعارضين وفتح أبواب السجون والمعتقلات وزج الألوف فيها، حتى إن أحد هؤلاء الانقلابيين افتخر يوما بأنه اعتقل ثمانية عشر ألفا من المواطنين في ليلة واحدة!!! لولا غياب التربية الدينية ما كان شيء من ذلك ولا كان تبجح كهذا، ولا قهر كذاك.

- ولولا غياب التربية الدينية ما ظهر الطغاة والمستبدون في العالمين الإسلامي والعربي، ولما تحولت أوطانهم بهذا الطغيان والاستبداد إلى أوكار يعشش فيها الفساد، ويشتد الظلم، ويعبث فيها بكرامة الإنسان وينتهك عرضه وماله وأقاربه، ويحال بينهم وبين أي عمل له أهمية في دول الظلم والطغيان، حتى لتصبح الأوطان بذلك أوكارا للشياطين!!!

- ولولا غياب القيم الدينية ماجرؤ بعض حكام العرب أن يهدم بيوت المسلمين على ساكنيها أطفالا ونساءً وشيوخا ورجالا عزُلاً من أي سلاح؛ في قصة مأساوية دامية وسيروي التاريخ تفصيلات هذه المأساة، ويحلل المؤرخون دلالاتها عما قريب.

- ولولا غياب القيم الدينية ما اتخذ بعض الحكام - عربا ومسلمين - أسلوب مطاردة أصحاب الدين حتى يخرجوا من أوطانهم وأهليهم وأموالهم أو يلقوا في غياهب السجون بعد تعذيبهم، وقهر إنسانيتهم وإبادة كرامتهم وامتهان تدينهم وإيمانهم، وأعجب العجب أن يدعي هؤلاء الحكام أنهم يمارسون هذه الجرائم باسم الديمقراطية وحماية للشعب!!! وإن كان الحق أن جرائمهم هذه لحمايتهم وحماية بطشهم وجبروتهم

وإفسادهم البلاد والعباد، والتقاء مصالحهم فى ذلك مع مصالح أعداء الإسلام من يهود ونصارى وملحدين وفساق وآثمين.

– ولولا غياب التربية الدينية وقيمها ما وجد سفاح العراق مبررا من دين أو خلق أن يعتدى على دولة عربية مسلمة مجاورة له فيجتاحها ويقتل ويشرد أبناءها ويعتقل منهم من شاء!!!

إن للكويت على العراق حق الجوار وما أعظمه من حق!!! وحق العروبة وما أقواه من حق، وحق الإسلام وما أجَلّه من حق!!

لو كانت عند السفاح قيم دينية ما فكر فى هذا العدوان، ولما استجاب لمن خدعوه فأغروه بالعدوان على الكويت، ثم شمروا سواعدهم ليدافعوا عن الكويت بالثمن الباهظ الذى يرتضونه!!

– ولولا غياب القيم الدينية ما التجأ بعض الحكام فى العالمين العربى والإسلامى إلى الأساليب الوحشية فى التعامل مع المعارضة السياسية بضراوة لا يصدقها العقل، من اعتقال وسجن حتى الموت دون تحقيق أو إدانة، فإن بعض هؤلاء الحكام لم يستح أن يفرج عن بعض المعتقلين السياسيين بعد أن أمضوا فى السجون أكثر من عشرين عاما دون محاكمة فضلا عن تحقيق وإدانة!!!

ولقد كتبت الصحف وسجلت مذكرات المشاركين فى الانقلابات العسكرية ألوانا من التعذيب يشيب لسماعها الولدان، من صعق بالكهرباء ومن لف أطواق الحديد على الرءوس وتضييقها حتى تُسمع قرعة العظام، ومن المنع من النوم أياما، ومن هتك أعراض الرجال والنساء أمام ذويهم، فى صورة وحشية لا تَمتّ إلى الإنسانية بأدنى صلة، كى يحافظ الحاكم على الكرسى الذى اغتصبه فى انقلاب عسكرى أو اعتلاه فى انتخابات مزورة تنتج تسعة وتسعين فى المائة من الموافقين على رئاسته المشئومة دون أن يكون معه منافس ليسمى الانتخاب انتخابا، ولعلهم من خجلهم – إن كانوا يخجلون – قد سموه استفتاء لا انتخابا!!!

● إن تحليل الموقف عندى هو: أن إسرائيل بمعاونة أمريكا والغرب تقهر هذا الحاكم فتستولى على جزء من الوطن الذى يحكمه، ويعجز هو تماما عن استرداد الأرض والشرف، فينفس

عن قهره وعجزه بقهر المواطنين وهضم حقوقهم ومعاملتهم معاملة النخاس للعبيد أو السيد للخدم؟!!! لذلك لا عجب عندما تجد معظم بلدان العالم الإسلامي تسمي العاملين في هيئاتهم ومؤسساتها مُسْتَخْدَمين أيْ خَدَمَ!!!

وهكذا غابت التربية الدينية قديما وحديثا، فكان الشر وكان الفساد والاستبداد وإهدار حقوق الإنسان.

ولا علاج لادواء العالم كله إلا بان تعود القيم الدينية إلى مكانها في أخلاق الناس وفي تعاملهم بعضهم مع بعض حكاما مع محكومين.

٥- الميادين التى غُيِّبتْ عنها التربية الدينية

اجتهد أعداء الدين عموما وأعداء الإسلام خصوصا[١] فى أن يغيبوا التربية الدينية وقيمها عن حياة الناس فى كل ميدان استطاع نفوذهم أن يصل إليه ، ليضمنوا لأنفسهم فى غياب التربية الدينية وقيمها تحقيق مصالحهم الدنيوية ذاهلين عن أن هناك داراً أخروية هى دار الحق ودار الحساب والجزاء!!!

وكانت لهم وسائلهم فى تغييب التربية الدينية ، وهى وسائل خبيثة مستترة حينا، حينما يتلصص كما يفعل « الميكروب » الخبيث فلا يشعر المريض بمرضه إلا بعد أن يستفحل المرض ويتفاقم، لأنه دخل على الجسم مدخل اللص الذى يحاول دائما أن يختفى عن الأنظار .

- وقد تكون الوسائل واضحة حينا ولكنها تجد لها من دعاة الشر من يبررون خطر القيم الدينية على من يمارسها، فهو بها « رجعىّ أو أصولىّ أو إرهابى أو متطرف أو متعصب، وكل أولئك تحاربهم أجهزة الدولة وتهدر حقوقهم أولا ثم تهدر حياتهم بعد ذلك، ومن عجب أن تجد الحكومات من يقبل عملها هذا ويبرره بل يزكيه ويشيد به!!!

- وقد تكون الوسائل قهراً وعنفاً فى التعامل مع كل من يتمسك بالقيم الدينية بحجة أن التمسك بهذه القيم يجعلنا فى مجابهة من الدول الكبرى التى تؤمن السلاح والقمح والدواء، أو تقدم المعونات الاقتصادية المشروطة أو القروض ذوات الفائدة الربوية الفاحشة!!!

- وقد تكون وسائلهم فى تغييب التربية الدينية هى ضرب الحركات الإسلامية وقمع القائمين بها، وإرهاب كل من يحاول أن يتمسك بقيمة من هذه القيم، وتهديده فى نفسه وأهله ومسكنه وماله ومستقبله عموما، حتى إنه يحرم من الالتحاق بكليات بعينها من كليات الجامعة وهى تلك الكليات التى تمنع طلابها من الصلاة فى جماعة، وتحرم عليهم إطلاق لحاهم!!!

---

(١) سنفصل الحديث عن هؤلاء بوصفهم أصحاب مصالح فى تغييب التربية الدينية من حياة الناس فى النقطة التالية من نقاط هذا الباب الأول من الكتاب بإذن الله تعالى .

● وقد تكون وسائلهم فى تغييب التربية الدينية تبنى الدولة لمذهب سياسى، وتجريم كل من يميز إلى مذهب غيره، كما حدث فى كثير فى دول العالمين العربى والإسلامى حين تبنت بعضها الاشتراكية مذهبا فجعلت الخروج عن الاشتراكية جريمة وخيانة. وانطلق المنافقون من مؤلفى الأغانى والمغنين ينعقون بقولهم فى خطاب صاحب الرأى المعارض:

«يا عديم الاشتراكية.. يا خاين المسئولية...»!!!

وبعد:

فما أشهر هذه الميادين التى غيبوا عنها التربية الدينية وقيمها؟ هذا ما سوف نوضحه بعون الله تعالى فى الصفحات التالية.

أ - الأسـرة

وهى أهم الميادين التى غيبت عنها التربية الدينية، لأن الأسرة نواة المجتمع، وهى فى مفهومها المباشر أبوان وأبناء ومن يعيش معهم من أصول وفروع وأقارب وأرحام.

● والأصل فى الأسرة المتدينة أن تمارس قيم الدين التربوية وهى تتعامل بعضها مع بعض، والقيم الدينية رسمت لكل فرد فى الأسرة حدودا وأبعادا لا يجوز له أن يتجاوزها ولا أن يَقْصُر عنها، كما أوجبت عليه واجبات وأعطته حقوقا وأوضحت ذلك إيضاحاً لا لبس فيه ولا خفاء.

● كل من فى الأسرة له حقوق وعليه واجبات، والتربية الدينية تلزم كلا بواجباته وتحفظ له حقوقه، وعند التخلى عن هذه القيم التى تحفظ الحقوق وتلزم بالواجبات تنهار الأسرة ويتهدم كيانها ليحل محل ذلك أسرة مضيعة مريضة فينهار المجتمع تبعا لذلك ويصبح مجتمع الظلم والضياع، والجريمة والمعصية.

● وأعداء الأديان عموما وأعداء الإسلام خصوصا لا هم لهم أكبر من تغييب هذه التربية الدينية عن الأسرة ليختل نظامها، فكثير منهم لا يرى للأسرة ضرورة وإنما يشعر أنها عبء على الرجل يحسن به أن يتخلص منه، وعبء على الزوجين فى تربية الأبناء يجب التخفف منه.

لذلك لا يجد هؤلاء وأولئك للزواج الذى أقرته الأديان ضرورة وإنما يعبرون عن حاجاتهم الجنسية دون زواج أو ارتباط ما دام رجل وامرأة قد رغب كل منهما فى الآخر، وتراضيا على أن يعبر كل منهما من خلال صاحبه عن هذه الغريزة الجنسية، لذلك لا تجرم هذه المجتمعات الزنى ما دام برضا الطرفين، وإنما تجرم الاغتصاب فقط.

وبعضهم يغالى فى ذلك فلا يحرم الزنى ما دام برضا الطرفين حتى لو كانا متزوجين من آخرين!!!

وبعضهم يقول بشيوعية النساء عموما فلا اختصاص لرجل بامرأة ولا لامرأة برجل!!

- وهؤلاء وأولئك تبعا لذلك يدعون أبناءهم من هذه العلاقات للدولة تربيهم وتتعهدهم حتى يستطيعوا ممارسة الحياة وحدهم، وهذه أمور شائعة فى الغرب: أوروبا وأمريكا، تلد

المرأة فى المستشفى ثم تترك وليدها وتنصرف تاركة إياه فى حضانة الدولة، ثم تذهب لتحبل وتلد وتترك وليدها وهكذا.

- والعجب العاجب أن تلك الدول تبيح الإجهاض تخففاً من أعباء تربية الأبناء الذين لم يولدوا فى فراش الزوجية بل تحاول ان تصدر إباحة الإجهاض إلى دول العالمين الإسلامى والعربى !!! وتُسمية حرية المرأة، ومن أعجب العجب أن توافق بعض هذه الدول على ذلك.

- ومن شذ من هؤلاء وأولئك فاضطر إلى الزواج فإن حضانتهم لأبنائهم موقوتة بخمسة عشر عاما أو نحوها يقضيها الأبناء فى بيت الأسرة، ثم يتخلى عنهم الآباء والأمهات، ليمارسوا على النحو الذى يمكنهم منه نضجهم الاقتصادى آنذاك، فلا سبيل أمامهم إلا العيش فى مسكن مشترك بين البنين والبنات فى هذه السن الخطيرة من أعمارهم، فيتعايشون كما يتعايش الذكر والأنثى من الحيوان!!!

أما قضية الأبوين إن تقدم بهما السِّن أو عجز عن الكسب فهى أن يعزلا فى دور لكبار السن ترعاهما الدولة كذلك، فلا واجب لوالد على ولد.

وإذا كان ذلك شأن الآباء فما بالك بمن دونهم من القرابات والأرحام أعماما وأخوالا وعمات وخالات؟

- هؤلاء الذين ينظرون إلى الأسرة هذه النظرة، كيف يرضون أن تكون القيم الدينية دعامة أو أساسا تقوم عليه الأسرة.

لذلك يحاولون ما وسعهم إقصاء القيم الدينية عن الأسرة، لكى يتاح للرجل عدد من الخليلات، ويتاح للمرأة عدد من الأخدان بغض النظر عمنْ كان منهم متزوجا أو غير متزوج.

وبإقصاء هذه القيم تُستساغ العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء ولا يؤثمها الأبوان ولا القوانين، بل إن بعضهم يرحب بهذه العلاقة!!!

- وتأتى بعد ذلك أدوات ووسائل أخرى لتُقْصى القيم الدينية وتُحِلُّ محلها هذا الفساد، من مثل: القصص الجنسية الصريحة التى لا تعرف الكناية ولا التورية فضلا عن الرمز والإيحاء، وتدخل السينما بكل ثقلها وإثارتها ومتعة مشاهدتها لتدعم هذا الاتجاه وتبرره وتدعو إليه.

- ولقد أضرت هذه الفوضى الجنسية [بالأ]سرة أبلغ الضرر إذ فتحت باب ممارسة الجنس مع المحارم كزوجة الأب وزوجة الابن[١] وغيرها من المحرمات على وجه التأبيد.

- ومن تخريبهم للقيم الدينية فى الأسرة الحد من سلطة الأبوين على الأبناء، حتى إن الولد أو البنت ليشكو أبويه أو أحدهما إن نهره عن خطأ فضربه، وبذلك ضاعت هيبة الأبوين وكثر تمرد الأبناء، فى حين أن الأديان توجب طاعة الوالدين والإحسان إليهما وتجعل ذلك تاليا لتوحيد الله بالعبادة.

- وهم يُغَيِّبون التربية الدينية عن الأسرة حتى لا يأتى يوم يصبح الآباء فيه عبءًا على الأبناء، كما أن الأبناء فى كثير من الأحيان عندهم ليسوا عبءًا على الآباء بل على الدولة.

- إن غياب التربية الدينية عن الأسرة هدم لكل خلق فاضل وكل عمل أو قول جميل فى الأسرة، وغمط لحقوق أفراد الأسرة بعضهم على بعض وإهدار لواجبات بعضهم نحو بعض.

- والذين يعمدون إلى تغييب التربية الدينية عن الأسرة لابد أن تكون لهم مصالح شخصية أو اجتماعية أو سياسية فى ذلك، فقد يكونون من المنحلين أخلاقيا، أو من الراغبين فى التعبير عن غرائزهم فى غير شرعية أسرية، أو من الحكام الذين ينافقون الشباب بنين وبنات ليحصلوا على أصواتهم فى الانتخابات.

- ومن أفظع آثار تغييب القيم التربوية الدينية عن الأسرة إباحة الشذوذ الجنسى فى تلك المجتمعات، حتى إن بعض هذه الدول شرعت اللواط وقننته، أما السحاق فاهون عندهم من أن يفكروا فيه!!!

لهذا غُيِّبَت التربية الدينية عن الأسرة!!!

(١) حدث ذلك فى مسلسل «الجرئ والجميلات» الذى عرض فى التليفزيون على مدى سنوات متواصلة وأظن أنه لا يزال يعرض.

ب - المدرسة

وهى المحضن الثانى للأبناء بعد الأسرة، وهى تعلّم وتربى، وتقدم العلم والمعرفة بطريقة تدرجية سَلِسَة تستعين عليها بالمعلم والكتاب والمنهج والإدارة الجيدة والمبنى الملائم والإعداد العلمى الجيد لهذا المبنى؛ مرافق وإدارة وفصولا مدرسية وأماكن خضراء منبسطة، وورش عمل مناسبة.

- والأمر المؤكد من الناحية التربوية أن المدرسة تستطيع ما لا تستطيع الأسرة؛ لكثرة إمكاناتها البشرية والعلمية والمادية والتدريبية، فهى تعطى للمتعلم فيها مالا يجده منظما سَلِساً متدرجاً آمنا إلا فيها.

- ومن الأوليات المتعارف عليها أن التعاون بين الأسرة والمدرسة أمر حيوى أو حتمى حتى تتم عملية التربية فى إطارها الصحيح المتكامل الذى يؤدى إلى تكوين القيم الصحيحة والمعارف السليمة من الخطأ والعيوب، وعندما يضعف هذا التعاون أو يفقد فإن الخاسر بكل تأكيد هو المتعلم أولا والأسرة ثانيا والمجتمع بعد ذلك.

- والمدرسة والأسرة لهما هدف واحد هو تكوين الإنسان الصالح القادر على القيام بواجبه نحو نفسه ونحو غيره، ونحو الناس فى مجتمعه، وفى المجتمعات الإنسانية كلها؛ فإذا ربى على هذا النحو تَوَلَّد عن هذه التربية الصحيحة ولاؤه لأسرته ولمدرسته ولمجتمعه ووطنه، وكل الأديان ترعى هذا الولاء وتؤيده بل تجعله واجبا دينيا، وتشرع التضحية فى سبيل القيام بأى واجب من هذه الواجبات بل تلزم بهذه التضحية فى بعض الأحيان.

- والمدرسة التى تسودها القيم التربوية الدينية هى المدرسة القادرة على أن تنجح فى أداء رسالتها، بشرط أن تكون هذه القيم من صفات المعلم والإدارة المدرسية والكتاب والمنهج، ومسجد المدرسة ومرافقها والروح السائدة بين المتعلمين فيها.

ورسالة المدرسة هى التعليم والتثقيف والتنوير، وتنمية دوافع الخير فى المتعلم، فضلا عن تربية الجسم والقدرات والمهارات ومَدّ المجتمع بالعناصر الصالحة فى بناء حضارته.

- هذه المدرسة بكافة مستوياتها غُيِّبت عنها التربية الإسلامية تغييبا مقصوداً تناول كل مكونات المدرسة ومنهجها، وعلى سبيل المثال:

● غُيِّبت التربية الدينية عن المدرس، فلم يشترط فيه خُلقٌ أو دين ودفعتْ به إلى المدرسة كلية تعد المعلمين إعدادا يتجاهل القيم الدينية، بل يتجاهل التفوق فى الحصول على الثانوية العامة فى أغلب الأحوال، ولم تكن المناهج التى تلقاها فى كليته تهتم بالقيمة الدينية علميا أو سلوكيا، بل إن بعض الكليات فى فترات هجوم الحكومات على الإسلاميين كانت تراقب الذين يؤدون فريضة الصلاة فى الكلية أو الذين يطلقون لحاهم، وسريعا ما يقعون فى قبضة الاعتقال بعد هذه المراقبة!!!

● فالمدرس جاء من كليته إلى مدرسته متهيبا التدين والدعوة إلى الدين، متوجِّسا أن تفترسه كلاب السلطة التى لا يرضيها التدين ولا ترضى عن المتدينين.

● وغُيِّبتْ التربية الدينية عن الكتاب المدرسى فى كل مراحل التعليم، فلم يتضمن الكتاب المدرسى قيما دينية فى مختلف فروع المعرفة - وكان ذلك ممكنا بل واجبا - حتى الكتب التى يتصور أنها بعيدة عن الدين وقيمه، ككتب الرياضيات والعلوم: فيزياء وكيمياء ونبات، فضلا عن كتب التاريخ والجغرافيا وغيرها، إذ يستطيع أى كتاب فى أى فرع من فروع المعرفة أن يخدم القيم الدينية من خلال نوع المعرفة التى يتضمنها، لو كان مؤلفه راغبا فى ذلك.

● وما أكثر ما يمكن أن يعطيه الكتاب للمتعلم:

- فهو يعطيه المعرفة الصحيحة.

- ويعطيه القيمة الخلقية الدينية إن تضمنها.

- ويعطيه القيمة الجمالية إن أَحْسِنَ إخراجُه طباعةً وتجليداً وحسنَ تبويب لما فيه.

- ويعطيه الثقافة العامة إلى جوار الثقافة التى تخصص الكتاب فيها.

- ويعطيه الثقة فيما يقرأ إن جاء الكتاب على مستوى هذه الثقة من حيث ما تضمنه من علم ومعرفة.

- ويعطيه الإحساس باحترام الكتاب وعقد صداقة معه إن أَحْسن مؤلفه تاليفه.

● غير أن المصيبة فى الكتب المدرسية أنها لا تعطى شيئاً من ذلك حتى فى تخصصها بدليل كثرة الكتب البديلة التى تحسن عرض ما فى الكتاب الحكومى وتدرب الطالب على استيعاب هذه المعرفة التى تضمنها، ولابد أن يكون ذلك مشيراً إلى سوء توجيه الوزارة

وإلى سوء اختيار للمؤلف، وسوء اختيار الموضوع، وسوء عرض ما فى الكتاب، وهذه الظاهرة قد برئت منها كتب كثيرة فى الغرب ، ولكنها جاثمة على بلدان العالمين العربى والإسلامى، إلا قليلا ممن عصم الله!!

● وغُيبت التربية الدينية عن بناء المدرسة وأماكن التعلم فيها وعن مرافقها، إذ يأمر الدين فى كل شيء عموما مما يقوم به الإنسان بأمرين:

– النظافة.

– والجمال.

ويدخل فى النظافة ، نظافة أماكن تلقى العلم فصولاً ومدرجات ومعامل وملاعب وحدائق، وكل ذلك مفقود فى غالب الأحيان ، وفقده دليل غياب التربية الدينية التى تأمر بالنظافة والطهارة عموما فى البدن والثوب والمكان.

ويدخل فى الجمال أن يكون بناء المدرسة جميلا من حيث شكله ومن حيث قدرته على أداء الوظيفة المنوطة به، فى كل مرفق من مرافق المدرسة، وبخاصة حديقة المدرسة وفناؤها، لأن الدين ينادى بأن الله تعالى جميل يحب الجمال.

ويدخل فى جمال المدرسة أن يحسن المدرس اختيار ملابسه ومظهره أمام تلاميذه، وكذلك كل عامل فى المدرسة.

والتزام القيمة التربوية الدينية فى المدرسة يربى التلاميذ على النظافة والجمال، فينتقل منهم ذلك إلى الشارع والبيت والنادى وكل مكان يحلون فيه، وتلك من وظائف المدرسة التى هى أبرز الوظائف وأنفعها للمجتمع كله.

– والتربية الدينية الحقة غُيِّبت عمدا عن المدرسة ، بدليل أنها تعتمد على كتاب سيىء ومدرس بعيد عن التدين وإعطاء القدوة، وعلى أوقات هامشية فى اليوم المدرسى، إذ أوقاتها فى الكثير الغالب هى فى آخر اليوم المدرسى ، وقد ضعفت عقول الطلاب عن التحصيل والتجاوب.

والطامة الكبرى فى التربية الدينية فى المدرسة أنهم يخرجونها عن المجموع الذى يحصل عليه الطالب، وربما اعتبرتها بعض بلدان العالم الإسلامى مادة لا رسوب فيها، ولهم فى هذا

التهميش حجج أوهى من خيوط العنكبوت وما يفكر فيها إلا كل غافل متعصب ضيق الأفق إذ يمكن الموازنة بين المقررات الدراسية فى الأديان التى تدرس فى المدرسة، وهذا أبسط الحلول لمبررات هذا التهميش.

- وتهميش التربية الدينية يخرجها من حيز اهتمام الطالب ومن دائرة الاقتداء والأسوة بما فيها نتيجة طبيعية لذلك، فهذا التهميش رسالة دالة غير مباشرة توجهها وزارات التربية إلى الطلاب ، ومحتوى هذه الرسالة فى كلمات هو : «لا أهمية للدين ولا للتربية الدينية فى حياتكم» وهى رسالة خطيرة بالغة التأثير السيىء فى الطالب ثم فى أسرته ثم فى المجتمع كله.

لهذا ولغيره غُيِّبت التربية الدينية عن المدرسة، كما غيبت عن الأسرة.

جـ - المجتمع

وهو الدائرة الأوسع التى يعيش فيها الإنسان يتأثر بما يسودها من قيم ويؤثر فيها، يأخذ عنه ويعطيه، يلهمه ويستلهم منه.

وفى المجتمع تتبادل العلاقات بين الأفراد أو الجماعات، ويستطيع المجتمع بما يسوده من قيم ومبادئ أن يعطى الفرد القدرة على حسن التعامل مع الآخرين، وعلى المساهمة فى التفاعل الاجتماعى، وعلى إحراز مكانة فى الجماعة التى ينتمى إليها أو فى المجتمع كله.

- والمجتمع بما فيه من قيم صحيحة نابعة من الدين يستطيع أن يحدث مع الناس تكيفا اجتماعيا يتمثل فى القيام بنشاط وممارسة سلوك يرمى إلى الملاءمة والانسجام بين الأفراد، أو بين جماعة وأخرى، وكل ذلك فى صالح الفرد والمجتمع.
- وكل نكوص أو تراجع أو توقف عن ممارسة القيم الدينية فى المجتمع يؤدى بالضرورة إلى تخلف اجتماعى، يترتب عليه انتشار العادات والتقاليد الضارة، وارتفاع فى نسبة الجهل والأمية وهبوط فى المعرفة.

بل إن التخلف الاجتماعى يؤدى إلى انخفاض مستوى الخدمات التى تؤديها الحكومات للأفراد، ويؤدى هذا بدوره إلى ضعف الحكومة نفسها عندما تعجز عن أداء الخدمات للمجتمع.

- وكلما كان هناك تمسك بالقيم الدينية التربوية فى المجال الاجتماعى، كان هناك تماسك اجتماعى يؤدى إلى الاستقرار للنظم الاجتماعية وإلى التضامن بين أفراد المجتمع، وما لم يكن هناك تمسك بالقيم الدينية فى المجتمع لم يكن هناك تماسك اجتماعى، بل يصبح هناك تفكك اجتماعى.
- ومن خلال التمسك بالقيم الدينية التربوية فى المجتمع يستطيع المجتمع أن يحقق مكاسب جيدة فى نواح عديدة، نذكر منها:

- يستطيع أن يحقق توازنا اجتماعيا بين أفراده وجماعاته، وهذا التوازن إذا اختل حلت محله الصراعات والعداوات وربما الحروب.
- ويستطيع أن يحقق أداءً جيدا لمختلف الوظائف الاجتماعية المنوطة بالأفراد أو الجماعات أو

المجتمع ككل، وأبرز هذه الوظائف الأمن والاستقرار والتعليم والرعاية الصحية والنفسية، وبغير هذه القيم الدينية يكون القلق والاضطراب والسخط على الأحوال الراهنة والعمل بأى وسيلة على تغييرها.

– وبسيادة القيم الدينية التربوية فى المجتمع أفرادا وجماعات يستطيع المجتمع أن يؤمن أفراده ضد المخاطر الاجتماعية مثل:

العجز عن العمل.

وفقد العمل «البطالة».

وبلوغ سن الشيخوخة.

والمرض بأنواعه.

والوفاة العادية أو المفاجئة بحادث ونحوه.

هذه المخاطر وغيرها كثير لا يؤمن التغلب عليها ومواجهتها بالحلول الملائمة إلا أن تسود القيم الدينية التربوية فى المجتمع حيث يؤدى كلٌّ واجبه ويمارس حقوقه كاملة غير منقوصة، وذلك عندما يتم على وجهه الصحيح تكون العدالة الاجتماعية.

- والتمسك بالقيم الدينية فى المجتمع هو الذى يحدث عند الناس وَعْيًا اجتماعيا؛ يتمثل فى دعوة كل فرد فيه أو جماعة إلى تحمل المسئولية فى المجتمع فلا تهرب من عمل اجتماعى ولا سلبية فى مواجهة المشكلات التى تحتاج إلى تضافر جهود الأفراد، لأن الدين يوجب ذلك ويجعله جزءاً من التدين.

– هذه التربية الدينية فى المجتمع بما لها من هذه الآثار الإيجابية الصالحة التى أشرنا إلى بعضها آنفا، يريد أعداء الأديان أن يغيبوها عن الناس فى حركة المجتمع اليومية، وفى تعامل الناس بعضهم مع بعض، وفى تعامل الرؤساء مع المرءوسين، وكل من يلى عملا ومن يتعامل معه من الناس.

- فإذا غُيِّبت التربية الدينية عن المجتمع – كما هو واقع المجتمعات اليوم – فإن نتائج هذا التغييب وخيمة نذكر منها:

– انتشار الرذائل والفواحش التى حرمتها الأديان كالغش والتزوير وشهادة الزور والكذب والنفاق، والرشوة، والربا، وشرب الخمر فى حانات مرخَّصة فى بلاد المسلمين، وشيوع

تعاطى المخدرات، والاتجار فيها، وما يجر إليه ذلك كله من فساد للمجتمع وإفساد لأفراده وجماعاته.

- وشيوع العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، والرجال والرجال، والنساء والنساء، فى منظومة جنسية تهبط بالإنسان إلى أن يكون كالحيوان، تتكون هذه المنظومة من الزنى ودواعيه، وتمتد إلى العلاقات الشاذة بين الرجال باللواط، والعلاقات الشاذة بين النساء بالسحاق.

- وانتشار لعب الميسر والحصول على أموال الناس بالباطل، ومن عجب أن الأديان جميعا حرمت الميسر وأن معظم بلدان العالم تقنن الميسر وتضع له تشريعات سواء أكانت هذه البلدان تدين باليهودية أو بالمسيحية أو بالإسلام!!!

- وشيوع شرب الخمر وحملها وصناعتها والاتجار فيها، مع أن الأديان جميعا حرمت الخمر، وكاذبٌ من يدعى غير ذلك، لأن الكتب السماوية شاهدة بذلك.

والخمر تجر إلى كبائر وآثام كثيرة فهى من الكبائر التى أمرنا باجتنابها، وإنها أم الخبائث، فضلا عما فيها من إفساد العقل والجسم والمال وإثارة النزاع والعداوة.

- وانتشار الصلات الجنسية بين الرجال والنساء بصورة حرمتها الأديان، إذ لا تعترف لهذه العلاقة بغير الزواج.

فانتشر الزنى وانتشرت دواعيه من المراقصة والمخالّة والمخادنة، وعدم غض الأبصار، والتبرج وتعمد إظهار المحاسن أمام الأجانب والتجمل ووضع العطور فى المجتمعات المختلفة رجالاً ونساءً، وما عرف اليوم بالزواج العرفى أو السرىّ، وهو نكاح باطل باطل باطل كما وصفه الرسول ﷺ، فإن أخص صفات هذا النكاح أنه يتم دون إذن الولى، ولابد أن أسوق هنا بعض الأحاديث النبوية التى حرمت نكاح المرأة بغير إذن وليها، فمن ذلك:

- روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا نكحت المرأة بغير أمر مولاها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل...».

- وروى الإمام مالك فى موطئه بسنده عند سعيد بن المسيب قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها أو ذى الرأى من أهلها أو السلطان».

- وروى الإمام مالك فى الموطأ بسنده عن أبى الزبير المكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامرأة، فقال: هذا نكاح السر ولا أجيزه، ولو كنت

تقدمتُ فيه لرجمت».

- وروى أحمد بسنده عند محمد بن حاطب الجممي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف والصوتُ في النكاح».

وإنما استطردت في ذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة، لأقول لكل من تحدثه نفسه من الرجال والنساء بالإقدام على الزواج العرفي أو السريّ - الذى شاع بين الناس اليوم - لأقول لهم: اتقوا الله ولاتوقعوا أنفسكم فيما حرم الله، ولتأتوا البيوت من أبوابها، وباب المرأة هو وليها الذى لا تتزوج بدونه.

الا هل بلغتُ اللهم فاشهد.

وهكذا غُيبت التربية الدينية عن المجتمع ليقع أفراده في المعاصي والآثام، وليفرح أعداء الأديان وأعداء الأخلاق القويمة، والقيم الفاضلة.

على أن المجتمع أوسع دائرة تغيب عنها التربية الدينية، والفساد المرتب على تغييبها أبشع من كل فساد.

د – القوانين والتشريعات

القانون إحدى وسائل الضبط الاجتماعى، وهو يمثل قمة التنظيم للسلوك الاجتماعى.

والقانون له وظائف عديدة من أبرزها:

- تحديد ما يجب على الفرد أن يقوم به من عمل «أى الواجبات» تحديدا واضحا صريحاً لا لبس فيه ولا غموض، وتحديد ما يجب على الفرد تركه وعدم الوقوع فيه من عمل «أى المحظورات» تحديداً واضحاً صريحا كذلك، بحيث يؤثم من يخرج على هذا التحديد.
- وتحديد الحقوق التى يمارسها الفرد فى المجتمع، بحيث لا يجوز لأحد أى ينتقص منها شيئا إلا ويؤثمه القانون.
- وتحديد العقوبات التى توقع على من خالف شيئاً مما جاء فى القانون، وتحديد الجهات أو السلطات التى توقع هذه العقوبات على المخالف.

وعلماء هذا القانون يقسمونه إلى أقسام عديدة أهمها:

- القانون الجنائى.
- والقانون المدنى.
- والقانون العادى، وغير ذلك من القوانين.

● وسَنُّ القانون هو: وضع القواعد القانونية بوساطة سلطة مختصة من سلطات الدولة.

● والتقنين هو: جمع القواعد المتعلقة بفرع من فروع القانون وتسجيلها فى مدونة مستقلة مرتبة ومبوبة، كالتقنين المدنى والتقنين التجارى وغيرهما.

- أما التشريع:

فهو مجموعة القواعد القانونية التى تسنها سلطة مختصة من سلطات الدولة هى: «السلطة التشريعية».

وإذا سنت السلطة التشريعية قانونا بعد المداولة والمدارسة فإنه يصبح ملزما للمحاكم والجهات القضائية، ويصبح واجب التطبيق من تاريخ صدوره وإعلانه.

والمجتمع الإنساني يعتريه كثير من المتغيرات التي تستلزم سَنَّ تشريعات تلائم هذه المتغيرات، وإفراغها في قالب قوانين.

● وفي العصر الحديث تداخل مفهوم القانون مع مفهوم التشريع فقد أصبح يطلق على التشريع لفظ قانون، إذ التشريع مصدر أساسي للشرائع المستحدثة.

هذه كلمات ألقيت بها الضوء على القوانين والتشريعات، لكن بقيت كلمة أفرق فيها بين تشريع من عند الله أو قانون يسنه الله ويبلغه عنه واحد من رسله عليهم السلام، وبين قانون يضعه المشرعون أو المقننون من الناس.

● وأعداء الأديان عموما وأعداء الإسلام على وجه الخصوص عملوا مجتمعين ومتفرقين وجماعات وأفراداً على أن يستبعدوا قوانين الأديان ليحلوا محلها قوانين وضعوها بأنفسهم تحقق لهم أهدافهم وترضى شهواتهم وغرورهم.

– والقانون ذو صلة وثيقة بأخلاق الناس ونظام مجتمعاتهم، والعدو المتربص بالأديان وهو يلغى قوانين الدين وتشريعاته ويغيبها عن الناس، يجهد في أن يحل قوانين وضعية مكان قوانين الدين وشرائعه.

– وهم حين يُغَيِّبون قانون الدين وتشريعه إنما يغيبون الناس عن قيمهم الخلقية وفلسفتهم المدنية كلها إذ هي مرتبطة بالقانون من حيث أنه يعبر عنها ويستمد كيانه منها، وما هو إلا أن يعيش الناس بمعزل عن الدين وقوانينه وتشريعاته، لتفتك بهم الأمراض الخلقية والاجتماعية التي كان الدين يحول بينهم وبينها بقوانينه وتشريعاته.

– وهم حين يضعون قوانين بديلة لقوانين الأديان، إنما يضعونها في ظل مُسَلَّمات أساسية – عندهم – من أهمها:

● الدين وقوانينه شأن ذاتي بين الإنسان وربه، وليس له علاقة بالحياة الاجتماعية، وما يربط بين الناس من علاقات في مجال الفكر أو السياسة أو الاقتصاد، أي عزل الدين عن الحياة.

● والدين وقوانينه وتشريعاته نظام قديم غير قادر على التجاوب مع متطلبات الحياة المعاصرة والمتغيرات المستمرة فيها، لذلك لم يعد صالحا للناس حتى لو تمسكوا به.

● والدين له رجاله الذين يسيطرون على الناس باسمه ويستغلون هذه السيطرة والسلطة أسوأ استغلال، ويضربون على ذلك الأمثال مما حدث من رجال الدين في الكنيسة الغربية، والتخلص من الدين وقوانينه يؤدي إلى التخلص من رجاله المستغلين.

● والدين يقف حائلا بين الإنسان وممارسة متعه ولذائذه، لما فى قوانينه من صرامة، وقسوة، وذلك فى نظرهم يتنافى مع حق الإنسان فى أن يستمتع بالحياة كما يشاء، دون خوف من عقاب فضلا عن توقيع العقاب عليه.

– هذه المسلّمات مغلوطة ليس فيها شيء من الصواب ربما تأثر بها واضعوها بسبب ما رأوا عليه الكنيسة الغربية وبسبب ما دخل على الديانتين اليهودية والمسيحية من تحريف جعلهما أقرب إلى هذه المسلمات.

لكن العجب أنهم سحبوا هذه المسلمات على الإسلام مع أن كتابه محفوظ لم يدخله تحريف ولا تبديل، وليس فى الإسلام مَنْ يعرفون بأنهم رجال دين، وإنما هم علماء الدين وليس لهم سلطان على المسلمين ولا سيطرة على الأمراء والحكام، ولم يستولوا على أموال الناس بالباطل كما حدث من رجال الدين فى الغرب، والمؤسسة الدينية فى الإسلام هى المسجد ولم يدخل المسجد فى صراع مع الدولة فى زمن من الأزمان.

– هذه المسلمات وغيرها مما يثيره أعداء الأديان هى التى تحدوهم إلى تغييب الدين أو التربية الدينية عن حياة الناس وعن تنظيمها بقسطاس يحفظ حقوق جميع الناس، ويُطبُّ لسائر أمراضهم.

وما دمنا قد رفضنا هذه المسلمات فإن ما ترتب عليها وهو تغييب الدين أو التربية الدينية عن حياة الناس مرفوض مرفوض مرفوض؛ لما يلى:

– مرفوض أولا: لأنه مناقض لطبيعة الأديان وأهدافها التى تحدثنا عنها آنفا، ومناقض لحكمة الله تعالى فى إنزال الأديان لهداية الناس.

– ومرفوض ثانيا: لأنه مناقض لطبيعة الحياة الإنسانية ووجوب المحافظة عليها من الخلل المرتب على الانكباب على الملذات والشهوات.

– ومرفوض ثالثا: لأنه يشتمل على كثير من العيوب والقصور التى لابد أن تكون فى أعمال البشر، فقد فطروا على عدم الكمال، حيث الكمال لله وحده، وقوانينهم هذه –البديلة لقوانين الأديان وتربيتها– لها فى كل حين وفى كل مكان صرعى ومضطهدون باسمها.

فكيف يحلون فى حياة الناس قوانين بديلة لقوانين الأديان؟ مع النقص فى قوانينهم والكمال فيما أنزله الله تعالى على رسله وأنبيائه؟

- وأولئك الذين يعملون على تغييب الدين والتربية الدينية، يجعلون من قوانينهم وتشريعاتهم مصادر لنظام حياة الناس، في مقابل مصادر الأديان لنظام الحياة!!

وشتان ما بين هذا وذاك!!

● إن المصادر التي يقوم عليها نظام الحياة الإنسانية في الأديان جميعا هو « الكتاب » سواء أكان التوراة أو الإنجيل أو القرآن الكريم.

وهذا « الكتاب » له تفسير موثق وتفصيل لما أجمل فيه وهو السنة التي استنها أنبياء الله لتفسير هذا الكتاب، سواء أكان النبي الذي شرح الكتاب بسنته هو موسى أو عيسى أو محمد عليهم الصلاة والسلام، وهذا الشرع هو بيان أحكام الكتاب بأقوال النبي أو بأفعاله أو بتقريراته.

● أما مصادرهم التي يقيمون عليها نظام الحياة الإنسانية فهي من تأليفهم ووضعهم، ومن المحال أن يصلوا إلى ما يحقق للإنسان سعادة الدنيا والآخرة، بل هم يعجزون بالقطع من أن يحققوا للإنسان بقوانينهم وتشريعاتهم سعادة الدنيا وحدها، لكنهم يكابرون ويزعمون أنهم قادرون على سن قوانين وتشريعات تصلح لحياة الناس وتكفل لهم السعادة والرفاهية!!

ولنا أن نتساءل حول مكابرتهم ومزاعمهم تلك، قائلين:

- أي قانون هذا الذي يبيح شرب الخمر ولا يجرمه ولا يعاقب عليه، مع القطع بضرر شرب الخمر الذي يؤذي العقل والجسم والمجتمع كله بإثارة العداوة والمخاصمات بين شاربي الخمر؟!

- وأي قانون هذا الذي يبيح الربا، بل الربا الفاحش الذي يسيء استغلال حاجة الإنسان، ويستعبده في غالب الأحيان؟!

- وأي قانون هذا الذي يقر نظرية « الجوييم » التي ينادي بها اليهود ويميزون بها بين اليهودي وغيره، حتى إنهم ليحرمون الزواج من الأجانب « الجوييم » أي غير اليهود، بل يحرمون تناول الطعام معهم، بل يبيحون سرقتهم، والعدوان عليهم، ثم جاء التلمود ليحل قتل « الجوييم » الأغيار، وقد أطلق « ابن جوريون » اصطلاح « حاسيري الوهيم » بمعنى فاقدي الإله على هؤلاء الأغيار.

– وأى قانون ذلك الذى يبيح الزنا ما دامت المرأة لم تغتصب؟ ويبيح اللواط، ويجرى عقدا لنكاح رجل لرجل؟!!

– وأى قانون هذا الذى بمقتضاه وبموافقته يختطف الأفارقة الذين ولدتهم أمهاتهم أحرارا، ثم يساقون إلى أوربا وأمريكا وقد ضربت عليهم العبودية ووضعت الأطواق فى أعناقهم؟!

– وأى قانون هذا الذى يقدر أو يقدس الرجل الأبيض بينما يحتقر الرجل الأسود أو الأصفر أو الأحمر!! كأن بياض البشرة قد جلبه الرجل الأبيض لنفسه وكافح فى سبيل الحصول عليه!! وكأن اللون غير الأبيض قد قصَّر صاحبه وأهمل وأخَلّ بواجبات الحصول على اللون الأبيض؟!

– وأى قانون هذا الذى أباح بلاد العباد وخيراتهم لينعم بها الرجل الأبيض لأنه أقوى وأحسن تسلحا وقدرة على الحرب والتدمير؟!

– وأى قانون هذا الذى يكيل بمكيالين، ويواجه الأمور بوجهين، ويعطى –على سبيل المثال– لإسرائيل حق الاعتداء على فلسطين وإقامة دولة فيها وطرد أبنائها الذين أفلتوا من حملة القتل والتخريب والتدمير وبقر البطون وتكسير العظام والدفن أحياء؟!!

– وأى قانون هذا الذى يحرم على أهل الأديان ممارسة شعائر أديانهم، كما كان يحدث فيما كان يسمى «الاتحاد السوفيتى»؟!

– وأى قانون هذا الذى يتفنن فى التجسس والتخابر على الآمنين الأبرياء حتى يوقعهم فى الشرك ثم يصليهم من ألوان التعذيب البدنى والنفسى ما يقضى على إنسانيتهم؟!

– وأى قانون هذا الذى يعلن عن حقوق الإنسان فى وثيقة عالمية ثم يفسر هذا القانون تفسيرا عرقيا تمييزيا، يمنح ويمنع كما يحلو لواضعيه ومفسريه؟!

– وأى قانون هذا الذى يمد الصرب والكروات بالسلاح لضرب أهل البوسنة والهرسك فى الوقت الذى يحظر على العالم كله أن يبيع سلاحا لأهل البوسنة والهرسك؟!

ثم تتكرر المأساة القانونية مع إقليم كوسوفو، وأخيرا مع جمهورية الشيشان؟!

– أى قانون هذا الذى يحظر على دولة أن يحلق طيرانها فى أجوائها، ثم يستبيح هو ضرب هذه الدول بأسلحته الجوية؟!

– وأى قانون هذا الذى يدعم ويساعد كل عمل سياسى أو اقتصادى أو ثقافى يقوم به اليهود أو المسيحيون، ويحظر نفس العمل إذا قام به المسلمون؟!

– وأى قوانين وتشريعات تلك التى تبيح الغش والخداع والكذب والتجسس، والإيقاع بالناس فى الشر، والمداهنة والنفاق والتدليس وكل رذيلة ما دامتْ تَجُرّ نفعا؟!

– وهل من المعقول أن تبيح قوانين الأديان شيئا من ذلك؟

– لهذا يغيبون التربية الدينية عن حياة الناس ويتجاهلون قوانين الله ليحلوا محلها قوانينهم الجائرة؟

هـ - الإعــلام

وهو عمل يقوم على الإنباء بالأحداث والأشياء لمن لا يعلم هذه الأحداث والأشياء، وهو بهذا المفهوم قديم مواكب لتجمع الناس ونقل أخبارهم بعضهم لبعض، وكان نقل هذه الأخبار مرتبطا بما يملك الناس فى مختلف العصور من وسائل اتصال وتأثير.

– أما حديثا فقد أصبح الإعلام عِلْماً من علوم الاتصال وهى كثيرة.

– وقد عرفه علماء الاتصال فى مصطلحاتهم بأنه: التعبير الموضوعى عن عقليات الجماهير وعن روحها وميولها واتجاهاتها.

– والجانب الموضوعى فى الإعلام يعنى: أن يكون جمع الأنباء أو المعلومات ونشرها فى الناس دون تحليل أو تعليق فضلا عن توجيه، وهو جانب يمكن أن يتحقق فى أى زمن حتى فى زمننا هذا.

– وأما جانب التعبير عن عقليات الجماهير، فلم يكن واقعيا فى هذا الزمان، بل أصبحت جميع وسائل الإعلام فى أنحاء العالم كله تعبر عن النُخب الرأسمالية أو العسكرية أوغيرها ما دامت تحكم البلاد التى تبث الإعلام فى الناس، ولم تعد وسائل الإعلام معبرة عن الجماهير: عقلياتها وروحها، بل إن بعض الحكومات تجعل الرسالة الإعلامية كالجرعة الدوائية المرة، لابد أن يتجرعها المتعامل مع أى وسيلة من وسائل الإعلام: صحافة أو إذاعة مسموعة أو مرئية أو سينما أو مسرحا أو كتابا أو نشرة دورية، أو ندوة أو مؤتمرا، وبذلك أضحى الإعلام حكوميا، بل أصبحت وزارات الإعلام لا تقل أهمية عن وزارات السيادة إن لم تكن أهم منها أو فى مقدمتها.

– ولابد من تعريف وجيز بوسائل الإعلام المعاصرة فى مطلع القرن الحادى والعشرين وهى:

١– الصحافة.

٢– والإذاعة المسموعة «الراديو».

٣– والإذاعة المرئية، «التليفزيون».

٤– والسينما.

٥- والمسرح.

٦- وشبكات «الإنترنت»، وغيرها.

- والإعلام بوصفه من أنشطة الاتصال بالناس، يراعى فيه لكى تتم عملية الاتصال على وجهها وتؤدى أهدافها، يراعى فيه أن تتوافر له عناصر أساسية أو أركان هى:

أ- المصدر:

وهو الجهة التى تعد المادة الإعلامية وتبعث بها إلى المستقبل أو المتلقى، وهذه الجهة يقوم عليها اليوم من نطلق عليهم: الإعلاميين من صحفيين وكتاب ومحررين وإذاعيين وعاملين فى المسرح أو السينما من خلال أفكار المؤلفين للمسرحيات والأفلام، ودور نشر حكومية أو دور تحاول إرضاء الحكومة وسياستها، ومؤلفى كتب فى شتى نواحى المعرفة الإنسانية.

ب- والرسالة:

وهى الحقائق والأفكار والمعلومات والآراء والتحليلات والتفسيرات، وتحويلها إلى كلمات أو صور أو رموز أو مواقف، يستطيع المتلقى أن يفهمها، ويدرك مراميها وأهدافها.

ج- والوسيلة:

وهى عدد من الوسائط التى تحمل الرسالة الإعلامية إلى المتلقى، أى رسالة المصدر إلى المستقبل، وتلك الوسائل قد ذكرناها آنفا وهى الصحافة والإذاعة... إلخ.

د - والمستقبل أو المتلقى

وهو جمهور الناس -بغض النظر عن مستوياتهم الثقافية- الذين يتلقون هذه الرسائل من خلال الوسائل التى ذكرنا، وهذا المستقبل هو مقصود العملية الإعلامية كلها لإقناعه بالرسالة الإعلامية، أو الترفيه عنه أو تثقيفه، أو تكوين رأى معين عنده نحو قضية من القضايا.

هـ - والتأثير:

وهو الهدف الذى يريد المصدر تحقيقه من وراء العملية الإعلامية وعلى قدر التأثير فى المستقبل وتحويل اتجاهه يكون نجاح المصدر الذى يبعث بالرسالة الإعلامية، بغض النظر فى غالب الأحيان عن الموضوعية وعن التعبير عن عقليات الجماهير.

و - ورجع الصدى:

وهو معرفة مدى تأثر المستقبل بالرسالة الإعلامية. وكثيرا ما يعرف المصدر رجع الصدى في المستقبل من خلال الرسائل التي يبعث بها المستقبلون إلى مصدر الإعلام.

وفي عصرنا هذا - وهو عصر يقظة إسلامية على الرغم من ضغوط كثير من الحكومات على الإسلاميين ضغوطا تصل إلى حد اضطهادهم!! - في عصرنا هذا كثر عدد الذين يكتبون عن الإعلام الإسلامي، وتعددت من أجل ذلك الندوات والمؤتمرات، وحدثت يقظة إعلامية إسلامية في كثير من وسائط الإعلام..

ويمكن اعتبار ما كُتب عن الإعلام الإسلامي منطبقا على الإعلام الديني عموما، من منطلق أن الأديان جميعا تحترم الإنسان وتحترم حقه في المعرفة وفي الإعلام.

هؤلاء الكتاب عن الإعلام الإسلامي يقولون عنه:

الإعلام الإسلامي جزء من نظام متكامل في المجتمع المسلم ومن ثم يكون كل شيء في هذا الإعلام إسلاميا بدءا من: المرح والفكاهة والمزاح، وحتى مواجهة الموت.

ويرون أن الإعلام الإسلامي يتميز فوق التزامه بالقيم الخلقية الفاضلة التي تعتبر حاكما لجميع المواد الإعلامية؛ يتميز بأمور:

- أولها:

أنه ليس انفعالاً محضا ولا تصويراً لواقع الناس: حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وما يمر بهم في حياتهم اليومية.

- وثانيها:

أنه عمل تربوي هادف لا يتجاهل في كل أنواعه العمل على توجيه المشاعر الإنسانية نحو حب الحق والخير والجمال، وإرشاد العقول إلى ما يحقق صالح الفرد والمجتمع من أنواع المعرفة ونمط السلوك الإنساني الراشد.

- وثالثها:

أنه تعبير عن عقيدة متميزة، بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالإلزام بالعمل الصالح على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، وعلى مستوى الحكومات.

● وينطبق على الإعلام الإسلامي ما ينطبق بالضرورة وإلى أبعد حد على سائر الأديان ذات الكتب السماوية.

– ولا شك أن الأديان السماوية كلها تقر بهذه المبادئ التي نسوقها في مجال الإعلام وهي:

١– أن الإعلام حق أصيل من حقوق الإنسان يمده بالمعارف والمعلومات التي تلزمه في حياته في مجتمع متدين بدين سماوي، ويفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٢– وأن الإعلام عمل مؤثر في الجماعة، فهو يعبر عن شخصية الجماعة نفسها، وهو بهذا المفهوم يجب أن تقوم به الجهات المسئولة، ويفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٣– وأن الإعلام –بالمفهوم الديني– من فروض الكفاية شأنه في ذلك شأن كل العلوم النافعة للإنسان، ومن هنا فلابد أن يلتزم المجتمع المتدين به وينشيء له من الهيئات والمؤسسات والجماعات ما ينهض به، لما فيه من تحقيق المصالح العامة للناس ولما فيه من دفع المضار عنهم، وذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

٤– وأن الإعلام الديني يجب أن تكون له صفة العالمية، إذ أنه يُقَدَّم للناس كافة مسلمين وغير مسلمين، بقصد هدايتهم إلى الحق وإلى الطريق القويم.

٥– وأن يكون الإعلام الديني بعيدا عن طرق الإكراه سواء منها ما كان صريحا أو غير صريح، وأن يبتعد عن توجيه الرأي العام إلى توجهات بعينها من خلال التحكم فيه بتلفيق المعلومات أو تزويرها ويمكن أن يفهم ذلك كله في الأديان جميعها من قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فماذا فعلت وسائل الإعلام والقائمون عليها من أجل أن يغيبوا التربية الدينية وقيمها عن الناس؟

إنهم قاموا بأعمال لها أهميتها وفاعليتها في تغييب التربية الدينية، بل في تغييب الأديان

عموما، من هذه الاعمال الإعلامية ما نشير إلى بعضه فيما يلى :

أولا :

قلصوا واختصروا فترات البث الإعلامى الدينى فى كل وسائط الإعلام ووسائله من صحافة وإذاعة بنوعيها وسينما ومسرح ونشرة وكتاب وندوة ومؤتمر.. إلخ.

وعلى سبيل المثال فى الصحافة :

صحيفة تصدر يوميا فيما يقرب من ستين صفحة أى بمعدل أربعمائة صفحة أسبوعيا، تخصص صفحة واحدة فى الاسبوع لما يسمونه الفكر الدينى، وتعالج فيه بعض القضايا التى طرقت مئات المرات وتتحاشى ماوسعها الحديث عن الدعوات والحركات الإسلامية فى العالم كله وتستكتب أو تستفتى فى هذه الصفحة علماء ممن ترضى عنهم السلطة الحاكمة، وما هكذا يكون الفكر الدينى ولا يكون الكلام عنه أو مناقشة قضاياه..

والصحافة كغيرها من أجهزة الإعلام لا يكتب فيها فضلا عن أن يرأسها إلا رجل مرضى عنه من الحكومة فهو موظف يعين ويفصل من وظيفته حسب ما ترغب الجهة التى عينته!!

وعلى سبيل المثال فى «التليفزيون» :

يلحظ أن ساعات البث التليفزيونى لدى بعض الحكومات تزيد على مائة ساعة فى اليوم والليلة من خلال قنوات عديدة ومحطات فضاء متعددة، لا تعطى لبث مادة ذات توجه دينى أو إسلامى إلا ساعة أو بعض ساعة فى اليوم أو فى اليومين أو الثلاثة الأيام أو الأسبوع، مما يطلقون عليه إعلاما إسلاميا، وهو فى مجموعه غير موفق من حيث التأليف ومن حيث الإخراج والتمثيل وهو مجرد انفعالات غير مبّررة أو أصوات مرتفعة وغضب وثورة لاتفه الأسباب، كأنهم يقولون للمشاهد : هذا هو الإسلام وهذه هى الأديان، فتكون نتيجة هذا الإعلام عكسية تحدث نفوراً من الدين ومن المتدينين وهونفس ما يسعى الإعلاميون إلى الوصول إليه وهو تشويه الأديان عموما والإسلام على وجه الخصوص.

أما السينما والمسرح فقد حرما تماما على الإعلام الإسلامى، فإن وجد فيلم أو مسرحية فمن أجل تمجيد الأفراد والأبطال والفاتحين لا من أجل تمجيد المبادئ والأديان.

ثانيا :

تَعَمُّد اختيار الأوقات الميتة فى المشاهدة التليفزيونية ليقدموا فيها ما يزعمون أنه إعلام دينى أو إسلامى، مع أن اختيار الوقت الملائم لا يقل أهميته عن نوع العمل الذى يقدم،

والأمثلة على ذلك كثيرة بل أكثر من أن تحصى فى الإذاعة أو فى التليفزيون.

ولو شئنا أن نضرب على ذلك الأمثال لاحتجنا إلى صفحات كثيرة ولكن الأمر أوضح من أن نستشهد عليه أو نمثل له.

ثالثا:

تعمد اختيار المواد الإعلامية المضادة للقيم الدينية، ولذلك أمثلة كثيرة، كالأفلام والمسلسلات التى يبدو فيها الأبطال مستهترين ينتهكون الحرمات والمقدسات، وقلما تجد واحدا منهم إلا يظهر وهو يشرب الخمر، ويتخذ من العشيقات والخليلات مما حرم الله، وكثيرا ما يمارس الزنا أو مقدماته أمام المشاهدين، ولقد بلى العالم العربى والعالم الإسلامى بالمسلسلات الأمريكية التى أنتجها يهود أمريكا وفق ما نصت عليه «بروتوكولات» حكماء صهيون وحسبنا بهذه المسلسلات الأمريكية شرا فهى تنتهك كل المقدسات والمحرمات ويزنى الرجل بزوجة أبيه وينجب منها طفلا، ثم يتزوج الرجل من زوجة ابنه، وينجب منها كذلك، وتظهر فيه المرأة -التى يدافعون عن حقوقها- وهى لا تردّ يد لامس، وتتخذ من الزنى مجالا تفاخر به لذاتها فهى مرغوبة لكل رجل.

إن هذه الأفلام والمسلسلات تهدم كل قيمة جاء بها الدين، وبهذا يغيبون الدين وقيمه التربوية عن الحياة أو الناس.

رابعا:

دعم الأفكار والمبادئ التى تناقض الإسلام من شيوعية واشتراكية ورأسمالية مستغلة ظالمة، لتحل هذه الأفكار محل الأفكار الدينية عموما والإسلامية بوجه خاص.

وتحمل الصحافة العبء الأكبر من هذه الأعمال والأفكار المناقضة للأديان، ويكتب هذه المقالات والدراسات عدد غير قليل من أعداء الأديان كلها من شيوعيين ويساريين واشتراكيين وحاقدين على الأديان كلها.

وتعمل كثير من الحكومات على تجنيد الشيوعيين واليساريين للدعاية لها وترويج مذهبها فى الحكم والسياسة والاقتصاد، وهؤلاء الكتاب يتلونون بلون سياسة اى حكومة، ولقد استطاع بعض هؤلاء الكتاب الشيوعيين واليساريين ان يطلقوا البخور فى محاريب الدكتاتورية العسكرية ذات الحزب الواحد، ثم مالوا مع المنابر ثم مع التعددية الحزبية، ثم أيدوا تزوير الانتخابات، عملوا كل ذلك التلون لإرضاء الحكومات من جانب ولإبعاد الإسلاميين عن المجالس النيابية من جانب آخر.

وهؤلاء اليساريون والشيوعيون ما إن يمكنوا من أجهزة الإعلام ووسائله حتى يلتصقوا بها ثم يتوارثونها جيلا بعد جيل.

وكل هذه الأجيال من اليساريين والشيوعيين وأبواق الحكومات الظالمة المستبدة حاقدون على الأديان جميعا، وأشد حقدا على الإسلام بوجه خاص، وذلك لخلل فى تصورهم للأديان ولمنزل الأديان سبحانه وتعالى، فهم يجحدون الله تعالى ويكذبون رسله وكتبه وملائكته، ولا يؤمنون بالغيب كله ولا باليوم الآخر، بل يسخرون من المؤمنين وإذا مروا بهم يتغامزون،، وهم دائما يغرون السلطات الظالمة بأهل التدين ويفترون عليهم ما يجعل أهل السلطة يضطهدون كل من هو متدين.

وهؤلاء اليساريون يحسنون إطلاق التُهم بالمتدنيين، وهم الذين ولد على أيديهم الزعم بأن الإسلاميين متطرفون وإرهابيون، وربما أغروا -بماكر حيلهم- بعض السذج من المتدينين ليقوموا بأعمال إجرامية لا تحسب على أشخاصهم ولكنها تحسب خطأً على الدين والعقيدة والمبدأ!!!

وبعد فهذه أفاعيل الإعلاميين الكارهين للأديان عموما وللإسلام خصوصا، يستهدفون تغييب التربية وقيمها عن الناس والحياة.

ولابد لنا من أن نحدد فى الصفحات التالية من هم أصحاب المصالح فى تغييب أو غياب التربية الدينية؟ والله المسدّد والهادى إلى سواء السبيل.

٦- أصحاب المصالح فى غياب التربية الدينية

أصحاب المصالح فى تغييب التربية الدينية أو غيابها هم الذين تتعارض مصالحهم الشخصية أو الدنيوية مع الأهداف النبيلة التى تعمل التربية الدينية على إقرارها فى الناس ونشرها فيهم، وهؤلاء أعداء للتربية الدينية ما عاشوا وما استطاعوا التعبير عن هذا العداء.

وسوف نذكر أهم أهداف التربية الدينية، ثم نحدد الصنف الذى يتعارض هذا الهدف مع مصلحته.

أولا :

- هدف الأهداف فى التربية الدينية هو : توحيد الله بالعبادة، وعبادته وفق ما شرع من عبادات روحية أو عقلية أو بدنية أو مالية، بحيث لا يستطيع أحد ان ينقص شيئا من هذه العبادات أو يزيد فيها، ومن أجل هذه العبادة خلق الله تعالى خلقه من الإنس والجن.

- وأعداء هذا التوحيد وتلك العبادة نوعان من الناس :

الأول منهما :

هم الجاحدون المنكرون للخالق العظيم، الذين يقولون بأن هذا العالم لم يحتج إلى خالق يخلقه، وإنما وجد العالم وحده دون مُوجد، ولقد قالوا بذلك إفكاً عظيما، وأتوا فيه بما لا يقبله العقل، ولا يستسيغه العقلاء، حتى البدو من هؤلاء العقلاء هدتهم فطرتهم إلى أن لهذا الكون العظيم خالقا عظيما، حتى الذين غشيتهم موجة من الكفر بالأنبياء اعترفوا بأن الله خالق السموات والأرض.

هؤلاء الجاحدون المنكرون للخالق العظيم هم أعداء التربية الدينية وهم أصحاب مصلحة فى غيابها وتغييبها عن الناس، لكى يشبعوا أنفسهم وعقولهم جحودا ونكرانا، وكلما قيل إله واحد وخالق واحد أحسوا بأنهم يختنقون وأن راحتهم وسعادتهم فى غياب الدين عن حياة الناس، إذ كيف يؤمنون بالله ويوحدونه، وهم لم يروه رأى العين، ولا سمعوا صوته؟ إنهم لا يؤمنون إلا بالماديات فكيف يوحدون الله إلها وخالقا ورازقا؟

والثانى منهما :

هم الذين ينكرون العبادة لله ولا يحبون أن يؤدوها، لما فى أدائها من مشقة وعناء كما

يقولون، وعند التحقيق فإن العبادة لله وحده راحة وترويح عن النفس، وتنقية للقلب من الشوائب والأوضار والأغيار، كل العبادات كذلك وليست الصلاة وحدها هي التي تريح المصلي، كما جاء في الحديث الشريف، فقد روى أحمد بسنده عن رجل من أسلم أن النبي ﷺ قال: «يا بلال أرحنا بالصلاة» وفي رواية: «أقم الصلاة أرحنا بها» وإنما كل عبادة يعقب اداءها راحة بل سعادة، هي راحة طاعة الله تعالى باداء ما أوجب على عبده، وسعادة الإحساس بالرضا أن وفقه الله فأدى ما تعبده الله تعالى به.

هؤلاء الذين لا يحبون اداء الواجب لابد ان يكونوا من أعداء الدين الكارهين لتكاليفه وهم بذلك أصحاب مصلحة في غياب التربية الدينية وكل قيمة دينية.

ثانيا:

- هدف كبير من أهداف التربية الدينية أن يطاع الله فيما أمر وفيما نهى، ليصل الطائع إلى رضا الله وجنته وهو احسن الأهداف وارجاها للناس جميعا، كما ان معصية الله تعقب حسرة وندامة وتؤدى إلى عقاب وعذاب يوم الحساب.

- وأعداء طاعة الله أو حلفاء معصيته، هم أيضا الذين ينكرون شرع الله وتكاليفه، ويتأبون على أداء هذه التكاليف، والتكاليف في جوهرها: «افعل ولا تفعل» وهي منهج حياة إنسانية متكاملة ومن رفض التكاليف ورفض طاعة الله بأدائها، فقد اغتر بنفسه ووضعها بإزاء خالقها، وهو بكل تأكيد وريث إبليس في رفضه ان يسجد كما أمره الله، حيث لم يقبل منه تعليل لرفض السجود، لانه في الحق رفض لطاعة خالقه وكان جزاؤه المعروف هو الطرد من رحمة الله وتوعدهوقبيله بجهنم وما فيها من عذاب.

فأعداء طاعة الله وأعداء أداء تكاليفه أصحاب مصلحة شخصية في غياب الدين والتكاليف وطاعة الله عن الناس، وأصحاب رغبة في تغيبها.

- والأديان كلها تقوم على وجوب طاعة الله فيما أمر وفيما نهى، كما بلّغ بذلك رسله عليهم الصلاة والسلام، ومن لم يطع الله فقد عصاه، والأديان تحرم معصية الله وتجرم عاصيه وتتوعده بالعقاب والعذاب.

- وكل الذين يرفضون الالتزام بمنهج الله تعالى جرياً وراء منفعة زائلة، أو منفعة وقتية، أو استكبارا وإفسادا في الأرض فهم أعداء التربية الدينية وأصحاب مصالح في أن يغيبوها عن الناس.

ثالثا :

ومن أهداف الدين أى دين أن يحترم حرية الإنسان وإرادته ويخيره بين أن يؤمن أو يكفر دون قهر أو تسلط أو إكراه لأنه بذلك يربى إرادة الإنسان الحرة، ليؤمن عن بيِّنة أو يكفر عن بيِّنة، كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] وقوله جل وعلا : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

– وأعداء الأديان والتربية الدينية يقهرون إرادة الإنسان، ويختارون له ويحرمونه من متعة الاختيار، فيجبرونه على اعتناق دين –كما كان الأمر أيام محاكم التفتيش– أو يجبرونه على اتباع مذهب بعينه –كما كان عليه الأمر أيام قيام الشيوعية والنازية والبلشفية –أو يحملونه على ولاء لنظام حكم بعينه –كما هو حادث اليوم فى كثير من بلدان العالم –إما أن يوالى أو يصنف معارضا بغيضا يتعقبه أتباع نظام الحكم حتى يوقعوا به .

– هؤلاء الأعداء لحرية الإرادة وحرية الاختيار هم أعداء الأديان التى نادت بذلك وألزمت به، وهؤلاء هم أصحاب مصالح شخصية أو حزبية أو فكرية فى قهر الناس واعتقال إرادتهم وتكبيل حرياتهم واختيارهم، فمصالحهم فى أن تغيب الأديان والتربية الدينية عن الناس، كى يستطيعوا سوقهم كالأنعام دون إرادة ولا حرية ولا اختيار، وإنما إرهابا واستعباداً!!

رابعاً :

ومن أهداف الأديان كلها إحقاق الحق،وإيصاله إلى أصحابه كاملاً غير منقوص، وما يترتب على ذلك من محاربة الباطل ومن ينصره، والحق يشمل الماديات والمعنويات ويتناول الأقوال والعقائد والأديان لأنها تشتمل على الحق، ويقابل الحق الباطل، والحق هو الصدق والصواب، وبكل معنى من المعانى أقرت الأديان الحق وأوجبت إحقاقه و قاومت الباطل وأهله لأنهم يقفون فى وجه الحق ويحولون بينه وبين أن يصل إلى أصحابه .

– وأعداء الأديان وتربيتها الدينية هم أعداء الحق أى أنصار الباطل، ولابد أن تكون لهم مصلحة أو مصالح فى معاداة الحق وأهله ودعاته، وكلما ضاع حق ظهر باطل، وكلما هضم صاحب حق، استبد به واجد من أهل الباطل .

– وأعداء الحق أعداء كل دين وكل رسول وكل كتاب ، وقد بعث الله النبيين وأرسل الرسل للتبشير والإنذار وأنزل معهم الكتب بالحق للحكم بمقتضاها بين الناس حتى يعود كل

حق إلى صاحبه، وما يُكتَم الحق أو يُختَلفُ فيه إلا بسبب البغي والعدوان، قال الله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٣]. فعداؤهم لله تعالى ولرسله وكتبه عداء للحق، وهم أصحاب مصلحة في أن يختفي الحق ويظهر الباطل،لأنهم يستفيدون من الباطل أكل حقوق الناس، ويعبرون عن أمراضهم النفسية بأن يحولوا بين الحقوق ووصولها إلى أصحابها.

وكيف يُحق الحق ويصل إلى أصحابه، وكيف يُهزَم الباطل ويخزى أنصاره إلا بأن تكون القيم الدينية هي السائدة وأن تكون التربية الدينية هي السائدة الحاكمة؟

- إن غياب التربية الدينية أو العمل على تغييبها يجعل أصحاب الباطل وأنصاره أقوى من أهل الحق وأوليائه، وإن من وراء ذلك الغياب أو التغييب للتربية الدينية لأصحاب مصالح في ذلك.

خامسا :

- ومن أهداف التربية الدينية أن تقيم العدل بين الناس وتجعله أساسا للحكم وللملك، والعدل هو التوسط بين الإفراط والتفريط، والعدل هو اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، كما أن من أهداف الأديان أن تحقق العدالة أي الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو محظور في الدين.

- وأعداء الأديان هم أعداء العدل بكل معنى من معانيه، وأعداء العدالة بكل صورة من صورها، وهم أصحاب مصالح في أن يتعطل العدل وأن تتراجع العدالة، ليأخذوا ما ليس لهم ولا يعطوا ما عليهم، أي يأكلوا أموال الناس وحقوقهم بالباطل ويدلون بها إلى الحكام رشاوى ينالون بها ما لا يستحقون ويأكلون بها نارا.

- وكلما ضاع عدل أو توقفت عدالة شاع ظلم وانتشر عدوان، وكلما انتشر ظلم عمّت ظلمات وكلما شاع عدوان كثرت الضحايا من الأبرياء، واتُّهم الناس جزافا وأخذوا بالظنّة وحوسبوا بالشبهة، واكتظت بهم سجون الظالمين ومعتقلاتهم، وصودرت أموالهم ومقتنياتهم، واعتدى على أبشارهم بالتعذيب وعلى أعراضهم بالإهانة والتجريح، وكلما فشت الجريمة المقننة، اتسع نفوذ الظالمين حتى لا ينالهم عقاب ولا يوقفهم عن ظلمهم قانون، وكل ذلك بسبب ضياع العدل.

بل كلما ضاع العدل قُتل الناس ظلما وعدوانا وترملت النساء وتيتم الاطفال فى مجتمع لا يعترف بالارامل واليتامى، لانه مجتمع ظالم معتد أثيم لا يخاف الله ولا يخشى عدله سبحانه وتعالى.

– وكلما ضاع العدل كثرت الرشاوى وعم الفساد وأثرى اللصوص واستعلوا على القانون والنظام، ونادى كل ظالم مستبد قائلا للمظلومين بصوته الجهير المنكر: أنا ربكم الأعلى، أنا أمنحكم الحق فى الحياة أو أحكم عليكم بالموت وأعطيكم الاموال أو أحرمكم منها، ولا عدل إلا عدلى ولا قانون إلا ما أراه، وكثيرا ما يقول: أنا الشعب كله أفعل ما أشاء ولا أسأل عما أفعل!!!

– وكل هؤلاء الظالمين والمستبدين ما ظلموا ولا استبدوا إلا فى غيبة العدل والعدالة ، فهم اصحاب المصالح الحقيقية فى غياب التربية الدينية التى تأمر بالعدل وتلزم به بل تطلب ما فوقه وهو الإحسان.

سادسا:

ومن أهداف الأديان جميعا رعاية القيم الفاضلة وغرسها فى الناس، وجعلها أسلوبا فى حياتهم وأنماطا لسلوكهم، وفى مقابل ذلك تحارب القيم الرذلة وتنهى عنها وتحرمها وتجرمها، وتعاقب على ممارستها فى الدنيا بالحدود والقصاص ، وفى الآخرة بعذاب النار لمن أجرم ولم يوقع عليه حد الله.

– وكل الدناءات و السفاسف فى الأقوال وفى الاعمال مما نهى الله عنها أو كرِهْ فيها، يحاسب على ارتكابها.

– وأعداء الأديان وما جاءت به من قيم فاضلة هم بالضرورة أهل الرذائل والدنايا، والعاكفون على ما حرم الله المنتهكون لما نهى عنه، ولابد أن يكون أولئك أصحاب مصالح فى عداء الأديان وتربيتها الدينية ، لأنهم ينتهكون محارم الله، فهم الزناة ومن أصيبوا بالشذوذ الجنسى وشاربو الخمر ولاعبو الميسر والغشاشون والمرابون والكذابون والمنافقون والمتعاملون بالرشاوى والمخلفون لوعودهم، والخائنون للأمانات، والغادرون بعهودهم ومواثيقهم، والظلمة والمستبدون، وكل ممارس لرذيلة نهى عنها الله تعالى.

– وأهل الرذائل هؤلاء هم الذين يحبون أن تغيب التربية الدينية عن الناس والمجتمع ليمرحوا ما شاءت لهم شهواتهم وانحرافاتهم وإجرامهم وجرأتهم على الله ونظامه ومنهجه.

وهؤلاء يعملون ما وسعهم – وهم فى الغالب أهل نفوذ وسلطان – على تغييب التربية الدينية وقيمها من المجتمع حتى يعيثوا فيه فسادا – كما أوضحنا – آنفا.

سابعاً :

ومن أهداف الأديان أن تدعو إلى المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات، وأن تعلن إليهم أن أباهم جميعا هو آدم عليه السلام، فأصلهم واحد، والمساواة بينهم فى الحقوق والواجبات حتمية، لا يشذ عنها أحد من الناس، إذ بهذه المساواة يعتدل أمر المجتمع ويستقر نظامه، وينمو ويتقدم نحو الأحسن والأوفق لمصالح الناس فى الدنيا والآخرة.

- وأعداء الأديان يضيقون بالمساواة، لأنهم يحبون أن يتميزوا وأن يميزوا أولياءهم وأنصارهم ومنافقيهم بما ليس من حقهم، ولا يستطيع هؤلاء أن يتميزوا ولا أن يميزوا من يشاءون إلا فى غيبة القيم الدينية، لذلك كانوا من أعدائها.

وهم أصحاب مصالح فى غياب التربية الدينية وتغييبها عن الناس، فإذا غابت المساواة ظهر التمييز وانقسم الناس إلى طبقات وتفاضلوا بهذه الطبقات لا بالتقوى، وشاع بين الناس الكيل بمكيالين، والتفرقة بينهم لأسباب غير معقولة ولا مقبولة، وشاع التمييز العنصرى والتفرقة اللونية والإقليمية، وعرف بين الغربيين مصطلح العالم الثالث أو النامى أو الفقير، وعومل أهله على أنهم أقل وأحقر!!

وقد وضع اليهود أساس التفرقة العنصرية بمصطلح «الجويم» ثم انتشر هذا المصطلح، وعانى منه الناس ولا يزالون يعانون، وكل ذلك إهدار لمبدأ المساواة بين البشر الذى جاءت به كل الأديان.

وأصحاب المصالح فى هدم المساواة هم الأقوى والأغنى والأكثر تقدما، والأكثر تسلحاً وهكذا، لهذا يحرصون على أن يُغَيِّب الدين عن الناس، وأن تغيب التربية الدينية عنهم.

ثامناً :

ومن أهداف التربية الدينية تكريم الإنسان وإعلاء منزلته عن منزلة كل مخلوقات الله تعالى، وذلك أن الكتب السماوية كلها تضمنت ما يدل على تكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله على سائر مخلوقاته، وتسخير مخلوقات الأرض جميعا له ومن أجله، ففى القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وأتمها وأكملها وأبعدها عن أن يدخله تحريف أوتبديل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧] وقوله جل شانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا

﴿فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢ - ١٣].

- وأعداء الأديان يحاولون دائما - ما داموا أقوياء أو قادرين - أن ينتقصوا من كرامة الإنسان، لكي يستغلوه ويسخروه في مصالحهم الشخصية، حتى بلغ بهم أن فرضوا عليه الرق والعبودية قديما، والاستعمار والاستغلال واستنزاف ثرواته في وطنه حديثا.

● فالصهيونية تقوم على استغلال الإنسان وإهدار كرامته ما دام غير يهودى، إذ تستبيح ماله وجهده وطاقته، وتستبد به إلى أقصى درجات الاستبداد إن قدرت عليه، وتهدده وترهبه إذا لم تقدر عليه فتفقده الأمن والاطمئنان، يفعلون ذلك فى الحرب وفى السلم على السواء، وويل لمن اقترب من اليهود أوتعامل معهم!!!

● والاستعمار الغربى لبلدان العالم الثالث له فى إهدار كرامة الإنسان مواقف يندى لها الجبين خجلا، إذ ظلوا يقهرون الإنسان حتى حولوه إلى عبد رقيق، وظلوا يميزون من أجل اللون حتى كان لهم فى دولة جنوب أفريقيا مخازى فى هذه التفرقة لا يمكن أن تنسى مهما تطاولت السنون، ولهم فى خطف الأحرار من أفريقيا وبيعهم فى سوق العبيد قصص مخزية لا يمكن أن تصدر من إنسان.

● والشيوعية والاشتراكية لهما من المخازى فى إهدار كرامة الإنسان ما تشهد به مجاهل سيبيريا وما كان يجرى من قمع واضطهاد للإنسان على يد ستالين ومن جاءوا بعده، حتى انهار الاتحاد السوفيتى وخَلَفَ من بعدهم خلف أسوأ منهم. بدليل تشجيعهم الصرب على إبادة المسلمين فى البوسنة والهرسك وكوسوفو، والشيشان، والعالم العربى يتفرج ويشجب وإن كان شعوره الحقيقى هو التشفى فى هؤلاء الذين اضطهدوا وأهدرت كرامتهم واحتلت بلادهم وديست أعراضهم واغتصبت نساؤهم فى قصة ما كانت تتوقع أحداثها فى هذا العصر الذى نعيش فيه الآن - العقد الأخير من القرن الميلادى العشرين.

● والنظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ما هو إلا نظام تدوس به أمريكا على كرامة أى شعب وتمرغه فى التراب وتُسِفُّه الْمَلَّ، وتضربه بطيرانها وتحظر على طيرانه التحليق فوق أرضه!!! وتفرض عليه من العقوبات ما تنوء به ظروفه، والعالم الغربى والروسى من حولها يباركها ويؤيد ظلمها وعدوانها، كماتؤيد هى ظلمه وعدوانه.

ومع كل هذا الإهدار لكرامة الإنسان تتشدق أمريكا والغرب بما يقولون عنه إنه الشرعية الدولية!!!

- وهؤلاء جميعاً هم أصحاب المصالح فى تنحية الدين عن الحياة، وتغييب التربية الدينية عن الناس، لينفردوا بالإنسان يهينونه وينتقصون من حقوقه ويهدرون ما كرمه الله به.

ولن يستطيع التاريخ الإنسانى أن ينسى ما حدث فى هيروشيما ونجازاكى، وفيتنام، وإيران، والعراق، وليبيا، وما يحدث الآن فى السودان، ونيجيريا، وأندونيسيا والفلبين، من مخاز تهدر كل حقوق الإنسان وتمرغ كرامته وإنسانيته فى الرغام.

● أيقبل هؤلاء الذين أجرموا فى حق الإنسانية كلها أن يكون الدين ومبادئه سائدا أو حاكما فى أى بلد من بلدان العالم؟

● ولم يَقُل أحد من العقلاء ولو فى نفسه إن هيئة الأمم المتحدة تحافظ على حقوق الإنسان أو تحمى له كرامته وإنسانيته لأن ذلك من أفدح الخطأ وأكذب الكذب، فما هيئة الأمم إلا أمم قوية كبيرة متحدة فعلا ولكن ضد مصالح الأمم الضعيفة والصغيرة، وما قراراتها إلا حبر على ورق، وقول بلا عمل، اللهم إلا أن تنفذها أمريكا والغرب كما يشتهون ووفق ما يحقق مصالحهم، عندئذ يشمرون ويحشدون الجيوش ويبنون القواعد العسكرية ويحتلون البلاد ويقهرون العباد!!!

تاسعا:

ومن أهداف الأديان أن تغرس فى الناس التعارف والتراحم والتكافل، ليعيشوا حياة إنسانية بعيدة عن متاعب التناكر والتناحر والقسوة والضياع والصراع، فالله سبحانه وتعالى خلق الناس، ليتعارفوا، ثم يترتب على هذا التعارف تعاون وتراحم وتكافل، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣].

- وأعداء الأديان لا يحبون أن يسود بين الناس تعارف ولا تعاون ولا تراحم فضلا عن التكافل، لأنهم بذلك يحققون مصالحهم الذاتية وأهواءهم الشخصية.

● فعند فقد الناس للتعارف يتناكرون ويجهل بعضهم بعضاً، ويبغى بعضهم على بعض، وهنا تكون فرصة أعداء الأديان ليندسوا بشرهم فى هذه الصفوف المتنافرة، فيفرزوا من السموم فيهم ما يحقق مصالحهم ويتجاهل مصالح المتنافرين.

● وعند فَقْد التعاون بين الناس يدخل الأعداء بوصفهم الأصيل وهو استغلال الناس واستنزاف طاقاتهم وإمكاناتهم، فلا يعجزون عن تحقيق مطامعهم الشخصية، وضرب

الناس في مقاتلهم حيث لا يستطيع غير المتعاونين أن يدفعوا عدوا ولا أن يحولوا بينه وبين ما يريد.

● وعند فَقْد التراحم فيما بين الناس كما أوجبت ذلك الأديان جميعا، يقسو الناس بعضهم على بعض، ويضيع بينهم حق الضعيفين المرأة واليتيم، ويجد أعداء الأديان الفرصة سانحة للتعبير عن رغباتهم الشريرة في أكل الحقوق والإفساد بين الناس دون أن يردعهم أحد أو يحول بينهم وبين ما يريدون، عندئذ يكون الضعفاء في المجتمع بلا سند ولا معين ولا تراحم بينهم يجمع صفوف الضعفاء وأصحاب الحاجات.

● وعند فَقد التكافل بين الناس لبعد ما بينهم وبين قيم الدين يأتي أعداء الأديان لاهتبال هذه الفرصة فتُعالج أمور الذين لا يتكافلون بالرِّبا بل بالربا الفاحش، وإساءة استغلال حاجتهم، وما يدخل الربا بين قوم إلا وتصاحبه الأحقاد فالجرائم، فتدمير القيم الفاضلة في المجتمع.

وعند فقد التكافل بين الناس يتكاثر أعداء الأديان ويمارسون تنطعاً ومغالاة في سد حاجات الناس ويصبحون أصحاب النعمة وأصحاب النفوذ، وويل للناس منهم آنذاك.

– وهكذا يستغل أعداء الأديان كل ثغرة أمر الدين بسَدِّها وعلاج آثارها فلا يسدُّونها إلا بأبهظ الأثمان، ولا يسدونها إلا بما يحقق مصالحهم الشخصية وأهواءهم وشهواتهم على حساب أي قيمة تهدر في المجتمع!!!

عاشرا:

ومن أهداف الأديان أن تضبط للناس وسائل التعبير عن غرائزهم وشهواتهم وعواطفهم، وأن تقنن لهم هذه الوسائل بالشرائع التي تعترف بإنسانية الإنسان وما أودع الله فيه من طاقات، وما جعل لروحه وعقله وجسده وحِسِّه الاجتماعي من حاجات لا يطمئن إلا بتلبيتها، بل يمارس حياته بصورة فاعلة تحقق مصالحه وتكاثره إلا بها.

– وأعداء الأديان يحاربون كل انضباط باسم الدين، لما يضيع عليهم هذا الانضباط من فرص تمسهم هم شخصيا أولا، وتمس بل تصادر رغباتهم في استغلال حاجات الناس من وراء ذلك.

● هؤلاء الذين يعادون الأديان لما تشرعه من قوانين تضبط بها غرائز الناس وشهواتهم، فيجدون أنفسهم وقد حوصروا، وحيل بينهم وبين غرائزهم وشهواتهم إلا من خلال القوانين والشرائع. وهنا تثور ثائرتهم على الأديان، وعلى قيمها، ولا يرون في الأديان إلا

قيودا بل حربا لغرائزهم وشهواتهم، وإن كان الحق غير ذلك، فما هى قيود بل تنظيم وما هى حرب بل توجيه.

فهذه مصالحهم المادية الجسدية تتعطل - فى نظرهم - باسم الدين فكيف لا يعادونه ويقفون لقيمَه بالمرصاد؟

- وهم بعد ذلك يحاولون أن يزينوا للناس الشهوات كلها من زنا وخمور وميسر وربا.. إلخ دون ضابط أو رابط، ليبيعوا لهم هذه المتع فى الحرام وفيما حظرت الشرائع الدينية، وفى هذا ما يحقق مصالحهم المادية والاستغلالية.
- هؤلاء الأعداء للأديان يجأرون دائما بأن الأديان قيود على الحرية الشخصية!!! والحق أنهم لو تمتعوا بهذه الحرية المطلقة التى يرغبون لكانوا كالحيوانات يأكلون ويتمتعون دون نظر إلى ما وراء ذلك من متاعب نفسية وجسدية واجتماعية، لأنهم لا ينظرون إلا فيما تحت أرجلهم، ويتجاهلون تماما ماذا ينتظرهم فى اليوم الآخر من حساب وعقاب.

حادى عشر:

ومن أهداف الأديان احترام الأسرة وحمايتها، ورسم الطريق القويمة لإنشاء هذه الأسرة، والأسلوب الصحيح لرعاية هذه الأسرة وامتداد هذه الأسرة فى المجتمع.

وإذا كانت المرأة هى ركيزة الأسرة فإن الأديان جميعا وفَّرتْ لها مزيدا من الاحترام والتقدير على اعتبار أنها شطر المجتمع، وأنها دعامة التربية المبكرة للأبناء فى الأسرة، وما من دين قلَّل من شأن المرأة فضلا عن أن يتجاهل حقوقها أو يدعها دون أداء واجباتها.

- وكل اتهام للأديان بأنها لم تعط المرأة حقوقها اتهام باطل لا يملك أحد عليه دليلا أدنى دليل، وهؤلاء المتهمون للأديان هم الذين يستغلون المرأة ويرون فيها متعة جسدية وتحفة جمالية ويحرمونها من الميراث، بل يحرمونها من التصرف فى أموالها، ويهدرون ذمتها المالية، هؤلاء هم الذين يقبلون يد المرأة ثم يطحنونها فى التعامل معها فى الحياة فهى تعمل كالرجل، ثم يضاف إليها عبء الزوجية والحمل والولادة والأمومة والحضانة والتربية، وقيادة السيارة فكل تلك واجبات عليها أوجبها من قبَّل يدها!!!

أفبعد هذا توجد مغالطة؟

- وأعداء الأديان والقيم التربوية الدينية هم - على وجه الحقيقة - أعداء الأسرة، وأصحاب مصالح شخصية فى أن تضطرب الأسرة وأن تضيع مكانتها فى المجتمع، لتحل محلها

فوضى جنسية يرغبون فيها ويمارسونها ويقننونها!!!

● فأين الأسرة من تشريعات تبيح الزنا، وتبيح اللواطة وتعقد عقد زواج على رجل لرجل؟ وأين حماية الأسرة مع إباحة الإجهاض، والتعامل مع موانع الحمل؟ وأين الأسرة مع ترك الأولاد لرعاية دور تقيمها الدول لرعاية اللقطاء؟ وأين الأسرة وحقوقها وواجباتها مع التشريعات التى تهدر حقوق الأسرة وتتجاهل واجباتها، كحق الأسرة فى أن تعيش آمنة موفورة الكرامة تجد قوتها وتجد مسكنها وتجد ما تنفقه على أبنائها، وكواجب الأسرة أبًا وأمًّا وأبناء نحو هذه الأسرة، كلهم يقصر فى اداء هذا الواجب فى ظل القيم السائدة فى المجتمع الذى لا تسوده التربية الدينية.

● إن حقوق الآباء على الابناء قد أهدرت باسم عدم التضييق على الابناء، وحقوق الابناء على الآباء قد أهدرت باسم عدم مسئولية الآباء عن الابناء بعد الخامسة عشرة من أعمارهم - كما هو مشاهد فى الغرب فى بلاد عديدة.

- وأصحاب المصالح فى هدم الأسرة أو تقليل شأنها فى المجتمع هم المنحرفون أخلاقيا ونفسيا واجتماعيا ليعيشوا بزعمهم أحرارا من قيود الأسرة!!!

ثانى عشر:

ومن أهداف الأديان أن تقر الوئام والسلام بين الناس، وأن تقضى على أسباب الصراعات والحروب ما وسعها، لأن الحروب دمار للطرفين، وقتل للإنسان وعدوان على الأعراض والأموال والأوطان، إذ الحرب شرٌ يقع على الغالب والمغلوب على السواء.

وما قامت حرب بين طرفين إلاَّ وكان من أسبابها الطمع والحسد والحقد، وكثير من الرذائل الخلقية التى حرمتها الأديان!!! إذ يتحول المحارب إلى شيطان أو حيوان يعتدى ويوقع الشر بأخيه الإنسان، إلا أن يدافع عن نفسه أو عرضه أو ماله، والحرب تقوم على السَّلْب والانتهاب بل هو معناها أو من أبرز معانيها.

وما أعظم الآثار السيئة التى تترتب على الحرب!!!

- وأعداء الأديان لا يحبون السلام الذى تدعو إليه الأديان، لأنهم يستفيدون من الحروب فوائد كثيرة، وبخاصة أولئك الأعداء للأديان فى عصرنا هذا.

● هؤلاء هم صناع الأسلحة وتجارها ومروجوها، وهم الذين يدبرون لإحداث القلاقل وإقامة الحروب، ولن ينسى التاريخ أن الغرب عموما وأمريكا خصوصا كانوا وراء إثارة الحرب بين

العراق وإيران، وبين العراق وجيوش العالم بعد إغراء صدام العراق بغزو الكويت واحتلالها على الرغم مما لها من حق الجار العربى المسلم، وما يشك متدبر فى أسباب الحروب فى أن وراء كل حرب أصابع خفية من اليهود الغربيين فى أوروبا أو أمريكا وروسيا الاتحادية.

- هؤلاء الأعداء للأديان التى تنادى بالسلام يرغبون فى إراقة الدماء بل ربما يتلذذون بذلك لأنهم مرضى القلوب يريدون أن يحصلوا من وراء إثارة الحروب على الثروة والسلطان والتحكم فيمن يحتاج إلى أسلحتهم.
- وما يستطيع أحد أن يحصى المكاسب التى حققها اليهود والغرب عموما وأمريكا خصوصا من حرب عاصفة الصحراء، مكاسب مادية ومكاسب سياسية ومكاسب لنظرياتهم فى الحياة ومبادئهم، حتى لو كانت الحروب التى يدبرون لها، «بيلوجية» أو ذرية أو أشد فتكا من هذه وتلك، من تلك الحروب التى تعيد أتعس الذكريات إلى الإنسان عندما يسترجع ما حدث فى هيروشيما وناجازاكى وفيتنام!!!

أو ما حدث فى حرب الفوكلاند!!!

أو ما حدث فى أفغانستان، أو فى إيران أو فى العراق، أو فى البوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان!!!

- إن هؤلاء الأعداء للأديان وللقيم التى جاءت بها الأديان هم أصحاب المصالح الحقيقية فى إثارة الحروب وفى مدها بالسلاح والوقود والضحايا.

وبعد: فإن هؤلاء الأعداء للأديان عموما وللإسلام على وجه الخصوص إنما يوسوس إليهم بهذه العداوة ويزينها لهم شيطانان:

أحدهما:

شيطان الجن لأنه يحب الفساد، ولأنه قد أخذ على نفسه العهد ليضلن الناس، وليمنينهم الأمانى الكاذبة ما وسعته الحيلة، ولقد نجح هذا الشيطان فى الماضى فكون فريقا من أعداء الأديان وأعداء الحق وأعداء الله سبحانه وتعالى.

ولا يزال هذا الشيطان يعمل بجد وداب، ولا يزال يجد مستجيبين له متعاونين معه ممن أضلهم وأعمى أبصارهم، ولقد حذرت الأديان من كيد الشياطين وطالبت الإنسان باتخاذ الشيطان عدوا لأنه عدو للإنسان.

والآخر:

شيطان الإنس وهو حليف لشيطان الجن يتلقى همزه ولمزه وهمسه ووسوسته فيعطيه بذلك الحق فى أن يركبه وأن يسيطر عليه، وأن يحوله إلى جندى له.

ومداخل شيطان الإنس هى الشهوات والرغبات الجامحة للجسد، والشطحات الجانحة للعقل والروح، والتزيين الخادع للمتع الحرام.

إن شياطين الإنس اليوم يسمون مستشارين سياسيين أو اقتصاديين أو أمنيين، يوسوسون بما يحقق مصالحهم ومصالح الدول التى تجندهم لهذه الاعمال.

- وما يتوقع من شيطان الجن والإنس إلا عداوة الأديان وتحقيق مصالحهم غير المشروعة من وراء غياب الأديان وتغييب التربية الدينية وقيمها عن حياة الناس.

وبعد: فقبل أن نختتم هذا الباب لابد أن نضع النقط فوق الحروف، ونصرح بآثار غياب التربية الدينية عن الناس والمجتمع الإنسانى كله مؤمنه وكافره، والله المستعان.

٧- آثار غياب التربية الدينية

لا شك أن غياب التربية الدينية عن أى مجتمع إنسانى تُعقب أسوأ النتائج وأوخم العواقب، وذلك أن التربية الدينية وما تشتمل عليه من قيم اختارها الخالق العظيم، إذا غابت أو غُيِّبت فلابد أن تحل محلها تربية قد اختارها الناس وتواضعوا عليها، وارتضوا القيم التى تسودها.

- ومن المسَلَّم به لدى المؤمنين والعقلاء من الناس أن ما يضعه الله سبحانه وتعالى من نظم، وما يختاره لعباده من قيم هو أنسب لعباده الذين خلقهم ويعلم ما يصلح لدينهم ودنياهم.

- ومن المسَلَّم به كذلك أن ما يضعه الإنسان للإنسان من نظم وما يختار له من قيم لابد أن يشوبه من القصور والنقص ما من شأنه أن يفوت الإنسان المفطور على القصور والنقص، فهو بحكم فطرته التى فطره الله عليها لا يمكن أن يصل إلى الكمال فى شىء لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى، وقصارى ما يطمح إليه الإنسان المؤمن العاقل أن يقترب بقدر طاقته من الكمال، وهذا حسبه شرفا وعُلُوَّ همة.

● وشتان بين ما يضعه الله لخلقه وما يختاره لهم وبين ما يضعه الناس بعضهم لبعض وما يختارون.

- إن ما كان من صنع الله ووضعه فيه الكمال والكفاية وتحقيق مصالح الدنيا والآخرة، وما كان من صنع الإنسان ووضعه فيه القصور والنقص والعجز عن تحقيق كثير من مصالح الدنيا، وكل مصالح الآخرة لأنها منظورة له.

- وإن ما كان من صنع الله ووضعه لخلقه فيه الثبات والاستقرار والقدرة على الاستمرار فى الزمان والمكان، وإن ما كان من صنع الإنسان للإنسان فيه التغير والقلق والاضطراب والعجز عن الاستمرار فى الزمان والمكان.

- وإن ما كان من صنع الله واختياره لخلقه فيه التلاؤم والانسجام مع فطرة الإنسان ، وإن ما كان من صنع الإنسان للإنسان يعجز عن التلاؤم مع الفطرة أو الانسجام مع متطلباتها.

ولنحاول رصد بعض الآثار المترتبة على غياب التربية الدينية فى المجتمع الإنسانى.

وهذه الآثار الضارة عند فقد التربية الدينية قد رأيتها أنواعا ثلاثة:

آثار أدبية نفسية.

وآثار اجتماعية.

وآثار سياسية.

وكلها آثار يلمسها كل مراقب منصف ويلمس مدى ضررها بالناس ما داموا يعيشون على غير القيم الدينية.

أولاً:

الأثار الأدبية النفسية

وهى آثار عميقة وفاعلة، ولا تقل فاعلية وضررا عن الآثار المادية إن لم تكن أهم منها، إذ تعود بأبلغ الأضرار على الإنسان الذى يفقد التربية الدينية.

ومن أخطر هذه الأضرار، ضرران:

أحدهما:

زعزعة الانتماء إلى الدين المؤدية إلى فقده:

عند غياب التربية الدينية وقيمها عن المجتمع فإن أمر الدين نفسه يصبح فى انحسار وتراجع، لأن قيما أخرى غير دينية قد حلتْ محل قيم الدين وأخذت منه زمام التوجيه والقيادة، فزعزعت الانتماء إلى الدين وزهَّدت فى التدين.

- ومن أجل أن التدين فطرة فى الإنسان فطره الله عليها، وخلقه ذا شوق ورغبة فى التدين، فإذا جاء من يحول هذه الفطرة عن مسارها تزعزع التدين ثم ضاع.

- ولأن الأديان كلها تقوم على ركن رئيس واصل أصيل هو توحيد الله تعالى وعبادته كما شرع وكما أمر ونهى، كان شوق الإنسان السوى سليم القلب والعقل إلى توحيد الله وعبادته، وهذا التوحيد وتلك العبادة إنما يتحرك الإنسان إليهما بدوافع ذاتية تحركها قيم جاءت بها الأديان، فالإنسان الذى لا يوحد الله تعالى ولا يعبده يعيش قلقا مضطربا إذا كان ذا فطرة سليمة فإذا وحَّد الله سبحانه وعبده وفق ما شرع عاش آمنا مطمئنا، متجاوبا مع فطرته، لا يكلفها الشطط ولا العنت.

- وقيم الأديان جميعا واحدة لا اختلاف بينها ،لأن القيم من الثوابت التى لا تتغير، وعلى سبيل المثال:

فإن الصدق والعفة والأمانة والعدل ونحوها من القيم لا خلاف عليها بين دين ودين، ولا اختلاف فيها ولا تفاوت، وهى جميعا متساوقة مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها،

وهذه القيم الدينية لصيقة بمشاعر الإنسان وهو بها وبأمثالها يعبد الله تعالى ويتدين بهذا الدين الذى جاء بهذه القيم.

● وليس هناك من إنسان إلا وهو محتاج إلى التدين بهذا الدين الذى جاء من عند الله، وجوهر الدين حِلٌّ وحرمة، والله سبحانه هو الذى يحلل ويحرم لما يعلم أنه فى صالح الإنسان ومتوافق مع فطرته، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

فالفطرة هى النظام الذى أوجده الله تعالى فى مخلوقاته ليلائمه، ودين الفطرة هو الدين الذى جاء من عند الله وكان ذا قيم ثابتة غير قابلة للتغيير على تطاول الزمان وعلى اتساع المكان.

والإنسان بحكم فطرته لا يستغنى عن النظام أى الدين الذى جاء من عند الله خالقه سبحانه وتعالى، ومصداق ذلك ما رواه مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم فى خطبته: «ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم مما جهلتم مما علمنى يومى هذا: كل ما نحلته عبدا حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ...» الحديث.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ أى: اتبعوا دين الله الذى خلق الناس ليتدينوا به.. وسُمِّيتْ الفطرة دينا لأن الناس يخلقون لهذا الدين، قال جل وعلا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

● ومَنْ غُيبت عنه التربية الدينية وقيمها الفاضلة الثابتة المحققة لمصالح الناس فى معاشهم ومعادهم، فقد غُيِّبتْ عنه فطرته، وغيب عنه الدين الذى جاءه به الرسول، وغيب عنه ما يصلحه الأخذ به، وماذا بعد ذلك إلا زعزعة الانتماء لهذا الدين أولا، ثم فقده لهذا الدين من بعد ذلك.

إن الإنسان حينئذ يصبح انتماؤه لقيم دخيلة ودين دخيل، كليهما من عند غير الله.

ومن فقد الانتماء لدين الله وقيمه فقد ضل ضلالا بعيداً، ومن كان ولاؤه وانتماؤه لغير دين الله فقد خسر خسرانا مبينًا فيصبح ولاؤه وانتماؤه لهذا الدخيل لا لدين الله ولا لقيمه.

هذا أحد الضررين.

والآخر:

هو الواقع فى حمأة التقليد:

إن من يفقد انتماءه للدين، لينتمى إلى غيره، أو من يفقد الدين كله فيعطى ولاءه لغير الله ولغير منهجه، يستبدل بدين الله ومنهجه ما توا ضع عليه الناس، ومن فعل ذلك فَقَد الأصالة وليس أمامه بعد ذلك إلاَّ التقليد، فكان بهذا التقليد مسخا شائها لا كيان له ولا شخصية.

ومن لجأ إلى التقليد ، فقد قلد بَشَراً مثله معرضاً للخطأ والخطيئة واتباع الهوى والشهوات.

والتقليد لا يجدى فى عبادة الله تعالى، بل لا يجدى فى كثير من العادات، وذلك أن التقليد تعطيل للقوى الفاعلة فى الإنسان واستسلام غير منطقى لإنسان مثله فى فكره وسلوكه، ولن يستطيع هذا الآخر المقَلَّد ان يقدم للمقلِّد شيئا ينفعه فى دنياه فضلاً عن ان يدفع عنه ضررا أو شرا، فضلاً عن أن ينفعه فى أخراه.

فالمقلِّد يقلد عاجزا قاصرا ، فكيف بهذا التقليد يشق طريقه فى الحياة، وكيف يطمئن إلى آخرته؟

- إننا فى الدين الخاتم نؤكد ان التقليد غير مقبول فى الإيمان مع ان الإيمان عمل قلبى لا يطلع عليه غير الله تعالى ، فاولى بالتقليد ان لا يقبل فيما هو ظاهر من الأعمال المعبرة عن الإيمان كالعمل الصالح.

وهذا العمل الصالح لابد ان يحرك إليه ويدفعه إيمان صحيح، ولا يكون الإيمان صحيحا إذا قام على التقليد، بل لابد ان يكون قائما على الاقتناع والحوار والمناقشة.

وإذا فَقَد الإنسان الإيمان الصحيح فقد العمل الصالح أيضا، لان هذا نابع عن ذاك وأثر من آثاره وترجمة عنه.

- وإن القيم التربوية الدينية إذا غيبت وحلت محلها قيم تربوية غير دينية، فلن تستطيع ان تغنى عن القيم الدينية ولا ان تُسُدُّ مَسَدَّها، بل هى تسئ إلى الإنسان فردا وجماعة وأمة

وحكومة لما فى هذه القيم التربوية غير الدينية من قصور وخلل ونقص، وأيًا ما كان مصدر هذه القيم غير الدينية ، ومهما تكن الفلسفة التى خرجت منها، ومهما كانت أهدافها، وبالغةً ما بلغت وسائلها ووسائطها، فإنها تظل قاصرة عاجزة عن أن تقدم للإنسان بديلا عن القيم التربوية الدينية.

والدليل على صحة ما نقول: أنَّ المجتمعات التى غيبت عنها التربية الدينية وقيمها، فاختارت لنفسها قيما غير دينية أصبحت تعانى من الأمراض النفسية والعصبية ما لا تطيق، وأخذت تفقد من الأمن النفسى والهدوء العصبى ما جعل كثيرا من أفرادها يفكرون فى الانتحار بل يقدمون عليه تخلصا مما هم فيه من معاناة - على الرغم مما أتاحت لهم تلك القيم البديلة عن القيم الدينية كثيرا من شهوات الجسد - حدث هذا فى المجتمعات المتقدمة ماديا واقتصاديا، وسياسيا، بحيث كانت هى التى تصدر القيم البديلة عن القيم الدينية.

● فإذا جئنا إلى المجتمعات المتخلفة ماديا واقتصاديا والمضطربة سياسيا بحيث تعيش سلسلة من الانقلابات العسكرية، أو يجثم على صدرها نظام عسكرى أو اشتراكى طاغ مستبد يستبيح حرمات الإنسان ويقتل كرامته حيًا وميتاً، ومع كل ذلك فهى مجتمعات غافلة ذات سياسات مقلدة تستأجر كراسى الحكم التى تجلس عليها من إحدى القوى العالمية المسيطرة - أمريكا أو الاتحاد السوفيتى السابق أو أوروبا - بكل هذه الظروف المحيطة بتلك المجتمعات المقهورة المهاجر علماؤها وكثير من أبنائها منها فرارا من الظلم وطمعا فى تنسم هواء الحرية.

هذه المجتمعات كانت تعزل القيم التربوية الدينية عن حياة الناس - خشية أن يستريحوا أو يستروحوا - ثم تستورد تلك القيم البديلة للقيم الدينية تقليداً وإدعاءً وتشدقا، بل فخرا بالابتعاد عن الدين ورجعيته وجموده، ولا تستحى وهى تستورد هذه القيم البديلة أن تنتهك حرمات الإنسان وأن تعتدى على الأعراض والأبدان والأموال وسائر الممتلكات باسم الاشتراكية الخادعة، ثم يجأر طاغوتها الحاكم قائلاً: «ارفع رأسك يا أخى فقد مضى زمن الاستعباد»!!! أو يرفع شعار أن المجتمع «مجتمع الرفاهية والعدل»!!!

هذه المجتمعات التى ابتليت بالحكام المستبدين الطغاة، فأبعدوها عن الدين وقيمه، فأوقعوها فى خطأين:

الأول : أنهم لم يلحقوا بمن قلدوهم فى التمتع بشهوات الجسد لأنهم فقراء لا يملكون وإنما يملك حكامهم فقط .

والآخر : أنهم فقدوا الأصالة والاحتفاظ بالقيم الدينية الراشدة النافعة وفقدوا ما أنعم الله عليهم به من منهج ونظام هو أصلح لهم من أى منهج أو نظام وافد من الغرب أو من الشرق .

وتلك عبرة لا تنتهى دروسها المستفادة من التأمل فى أحداثها أحقابا طويلة من عمر الزمان .

ثانيا :

الآثار الاجتماعية

عندما تغيب التربية الدينية عن المجتمع الإنسانى، لتحل محلها تربية ذات قيم غَيْر دينية فإن المجتمع يصبح ضائعا ضالا عن الهدى وعن الصراط المستقيم أى عما يعصمه عن الجريمة والانحراف.

وعند تُغَيَّب التربية الدينية عن المجتمع الإنسانى دون أن تحل محلها تربية أخرى، بل يبقى مكان التربية دينية أو غير دينية شاغرا فإن هذا المجتمع يفقد الوسيلة أو الوسائط التى يمكنه من خلالها أن يبنى الأجيال الصالحة، إذ كيف تكون الأجيال صالحة دون أن تخضع لمنهج تربوى؟

– إن المجتمع الذى تغيب عنه التربية الدينية يمر بإحدى حالات ثلاثة، أو بها جميعا، وهذه الحالات :

– الجمود والتوقف عن النمو والتقدم.

– والوقوع فى الأخطاء ثم فى الخطايا.

– وفقد التعاون والتعاطف والتراحم.

ولتفصيل ذلك أقول :

أولى هذه الحالات :

هى : الجمود والتوقف عن النمو والتقدم.

وبيان ذلك أن التطور والتطوير، والاستمرار فيه يحتاج إلى مرونة عقل وحرية تفكير، وكذلك النمو والتقدم، وما يكون ذلك متاحا إلا عندما يتبع المنهج الذى جاء من عند الله، ويُتَمسَّك بقيمه ويلتزم بتربيته، لأنه المنهج الصحيح السليم الملائم للإنسان، لأنه من وضع الخالق سبحانه وتعالى، وهو سبحانه يعلم ما يصلح للإنسان من منهج وما لا يصلح له فى الدين والدنيا معاً.

أما سائر المناهج وما تشتمل عليه من قيم تربوية فإنها لا تخلو من الفساد والعيوب

والقصور ما دامت من وضع البشر، وهم قد فطروا على الخطأ والقصور والنسيان إلا من عصم الله من نبى أو رسول أو ولى من أوليائه.

وليس الأمر مقصورا على مجرد الجمود والتوقف عن النمو، وإنما يتعدى ذلك إلى السقوط والخسران.

وأىّ خسارة أفدح من خسارة مجتمع تتجمد عقول أهله وأفكارهم ويعجزون عن مواصلة التقدم والنمو والانطلاق نحو تحقيق الأهداف؟ وذلك أن الأهداف مرتبطة دائماً بالقيم التربوية السائدة فى المجتمع، إن كانت القيم صحيحة سليمة كانت الأهداف نبيلة سامية، والعكس صحيح مطرد دائماً، فالمجتمع بحاجة إلى قيم تربوية صحيحة سليمة متكاملة، ولا توجد هذه القيم بتلك الصفات إلا فى الأديان التى أنزلها الله تعالى وأمر رسله عليهم السلام أن يبلغوها للناس.

- وغياب التربية الدينية وقيمها الصحيحة السليمة التى جاءت فى منهج من عند الله تبارك وتعالى وما يترتب على ذلك الغياب من جمود وتوقف عن النمو والتقدم، لابد أن يصيب المجتمع بالقلق والاضطراب.

وثانية هذه الحالات:

هى: الوقوع فى الأخطاء ثم فى الخطايا.

والخطأ أنواع ثلاثة:

- أن يريد ما لا يَحْسُن فِعْلُه فيفعله وذلك هو الخطأ التام الذى يؤخذ به الإنسان، كالقتل والكذب والسرقة.. إلخ.

- أو يريد ما يحسُن فِعْلُه، ولكن يقع منه خلافه، وذاك هو الصواب فى الإرادة والخطأ فى الفعل، وهذا الذى لا يؤاخذ الإنسان عليه وهو المقصود فى قول الرسول ﷺ فيما رواه الطبرانى بسنده «فى الكبير» عن ثوبان رضى الله عنه: «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

- أو يريد ما لا يحسن فعله ولكن يقع منه خلافه، فهذا مخطئ فى الإرادة مصيب فى الفعل، وهو مذموم بقصده غير محمود على فعله.

أما الخطيئة فهي والسيئة والذنب متقاربة، ويمكن أن يغفرها الله تبارك وتعالى إذا صحبتها التوبة والندم كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦١].

- والوقوع فى الأخطاء أو الخطيئات إنما هو نتيجة لغياب التربية الدينية، واتباع قيم تربوية ليست من عند الله تبارك وتعالى.

● وهذه الأخطاء والخطايا يتضح أثرها فى الفرد والأسرة والمجتمع.

- فالفرد الذى لا يستهدى فى حياته بالقيم الدينية، ويتبع نفسه هواها يقع فى كثير من الأخطاء التى تُعَد رذائل أخلاقية، لأن الفضائل الأخلاقية هى التى جاءت من عند الله ودل عليها أو أوصى بها منهج من مناهجه فى دين سماوى.

وقد ينخدع الإنسان بأن يقول فى نفسه: ما دام هذا العمل يحقق لى منفعة أو يجلب متعة فهو من الفضائل!! وهذا خطأ فى الفكر وفى التصور، لأن المنافع الدنيوية والمتع كلها لابد أن يكون قد حددها الدين وأوصى بها.

- والأسرة التى تغيب عنها التربية الدينية أو تتجاهلها على الرغم من وجودها، تقع فى مسلسل من الأخطاء والخطايا، وتخسر أول ما تخسر الإحساس بالأمن والاستقرار وتضيع حقوقها على ذويها وعلى المجتمع كله، وسريعا ما تتعرض للانهيار.

● ومن ينظر إلى بعض الناس فى المجتمعات التى لا تأخذ بالتربية الدينية يجد العَلاَقات بين أفراد الأسرة ليست على ما يجب أن تكون عليه، وعلى سبيل المثال فى المجتمعات الغربية التى تعزل الدين عن الحياة أو فى المجتمعات الشيوعية أو الاشتراكية التى لا تقيم للدين وزنا وتتهمه بأنه مخدر للشعوب أو أفيونها - كما قالوا -؛ تجد كثيرا من الأسر لا ترعى أبناءها بنين أو بنات بعد سن الخامسة عشرة، وإنما تتركهم لأنفسهم بعد أن توصد أبواب بيت الأسرة فى وجوههم، ليسقطوا صرعى أمراض المراهقة ونزوات هذه الفترة من العمر.

● وبعض الأسر فى تلك المجتمعات لا تقيم وزنا للعفة بل تعطى لكل فرد فيها الحق أن يعبر عن غريزته الجنسية بأى طريقة من الطرق التى غالبا ما تكون غير مشروعة، بل إنهم يتجاوزون ذلك إلى عدم احترام العفة حتى للزوجين، وإنما تبيح لكل من الزوجين أن يخالل أو يخادن على الرغم من عقدة النكاح وزعمهم أن الزواج رابطة مقدسة!!

● وبعض الأسر تسحب الولاية والقوامة من الرجل، وتعطيها للمرأة لظروف قلما تكون مقنعة، بل قد تعفى الأبوين كليهما من الولاية على الأسرة أو القوامة عليها.

– والمجتمع الذى تغيب عنه التربية الدينية وقيمها، أو يتحاكم إلى غيرها تظهر فيه أمراض خطيرة منها:

● أن يفقد الناس فيه الإخلاص فى أقوالهم وأعمالهم وتعاملاتهم، لأن الإخلاص لله ومن أجله، وإذا غابت التربية الدينية فلن يكون الإخلاص، وإذا فقد الإخلاص فسد العمل فى الدنيا وحبط عليه الأجر فى الآخرة.

● ويفقد الناس فيه الرغبة فى إجادة العمل وإتقانه، لأن المجيد لعمله المتقن له إنما يستجيب لقيم تربوية دينية، ومن فقد هذه القيم فلمن يستجيب؟ إنه فى الغالب يستجيب إلى الرقيب البشرى الذى يراقب عمله، وهذا الرقيب لا يستطيع أن يستمر فى الرقابة لعجزه عن ذلك أو تقصيره، أما أن يكون الرقيب نابعا من النفس لأن الدين قد كلف بذلك، فلا يمكن أن يغيب.

وثالثة هذه الحالات:

وهى: فَقْد التعاون والتعاطف والتراحم.

وذلك أن المجتمع الذى تغيب عنه التربية الدينية، يفقد أفراده روح التعاون فيما بينهم، التعاون على جلب ما ينفع فى الدين والدنيا، والتعاون على دفْع ما يضر فى الدين والدنيا، لأن هذا التعاون مطلب دينى دعت إليه جميع الأديان.

والمجتمع الذى يفقد أفراده التعاون فيما بينهم، سريعا ما يفقد التعاطف والتراحم لأنهما صفتان مرتبطتان بالتعاون وبالقيم الدينية، وهذه الصفات – من تعاون وتعاطف وتراحم – هى التى ميزت الإنسان عن الحيوان، وعندما يفقد الناس هذه الصفات يظلم القوى الضعيف، ويأكل الغنى الفقير ويستبيح لحمه ودمه، ولا يجد الضعيف والفقير وليا ولا نصيرا من الناس الذى يحيطون به، لأن الأصل فى التعاون كما دعت إليه الأديان السماوية أن يكون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، لأن آخر الكتب السماوية وأتمها وأكملها قد نادى فى البشرية كلها بقول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

وبعد : فإن تلك الحالات الثلاثة التى يمر بها أى مجتمع تغيب عنه التربية الدينية، لابد أن تفضى بالمجتمع الإنسانى إلى : الانحراف عن الخلق القويم.

وهذا الخلق القويم لابد أن يكون من وضع رب الناس للناس. لأنه سبحانه يضعه دون محاباة لأحد من خلقه، ويضعه ويعطيه صفة الثبات والاستمرار ، فليس بحاجة إلى تغيير عندما يتغير الزمان أو المكان.

وهو خلق قادر على أن يحقق للناس مصالح دينهم ودنياهم، ويدفع المضارّ فىَ الدين والدنيا.

● وتوثيق هذا الخلق القويم هو أن نجده فى القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وأكملها وأتمها وأبعدها عن التحريف والتبديل.

فالخلق واحد من ثلاثة أمور ثابتة راسخة فى الأديان جميعا لا يدخلها تغيير أو تبديل مهما تطاول الزمان ومهما تعدد المكان، هذه الأمور الثلاثة هى :

العقائد

والعبادات

والأخلاق

● والأخلاق نتيجة لصحة العقائد وسلامة العبادات ، وفى غيبة هذه الأخلاق القويمة يحدث الانحراف عن الأصل وعن الحق وعما أوجب الله تعالى من خلق وسلوك.

●ومن هذه الأخلاق القويمة الثابتة المستقرة ما نشير إلى بعضها فيما يلى :

- العفة : عفة اللسان واليد والفرج.
- والأمانة : مع الله تعالى بأداء التكاليف ومع الناس بل مع النفس.
- والوفاء : بالعهد والميثاق لكل مؤمن أو كافر.
- والصدق : مع النفس ومع الله ومع الناس.
- والعدل : بكل معنى من معانيه.
- والإحسان : وهو مرتبة فوق العدل.

– والصبر: على الطاعات وعن المعاصى.

– وإيثار الحق: على الخلق وعلى الأهل بل على النفس.

– وحب الخير: للنفس وللغير وفعله واحتساب أجره عند الله.

– والتعاون: على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

وما لا أحصى من القيم الفاضلة لأن الدين هو الذى جعلها فاضلة.

– عند التأمل فى هذه القيم نجد المجتمعات العالمية قد انحرفت عن هذه القيم انحرافاً لا ينكره إلا مكابر، بل حدث خروج عن خط هذه القيم الفاضلة، وحلت محلها قيم فاسدة، بلغ من فسادها أن خرجت عن الأخلاق الإنسانية عموما لا عن القيم الدينية وحدها.

ولهذا الانحراف مظاهر نذكر منها:

١– سَنّ القوانين والتشريعات لصالح الدول القوية، من أجل السيطرة على الدول الضعيفة الفقيرة، من خلال المؤسسات الدولية كهيئة الأمم ومؤسساتها جميعا.

ولا تملك دولة ضعيفة أو فقيرة أن تعترض، وإلا تعرضت للضغوط والحصار الاقتصادى، وربما العسكرى أيضا.

وحسبك بهذه القوانين ظلما أن تحظر على بلد أن تطير طائراتها فى أجوائها، وهذا أسوأ ما يكون نتيجة لغيبة التربية الدينية.

● وعلى سبيل المثال، فإن «الكونجرس» الامريكى يتخذ من القرارات ويسن من التشريعات ما يخص أى دولة من دول العالم كأنه مجلس نيابى للعالم كله، وكأن جميع الشعوب هى التى اختارت أعضاء «الكونجرس» الامريكى!!! أفبعد هذا انحراف عن العدل والأخلاق القويمة؟

٢– والإخلال بالقيم والمعايير الدينية والإنسانية وما يسمونه – باطلاً وزُوراً – بالشرعية الدولية، وذلك فى التعامل مع الدول والشعوب وجمهور الناس، حيث تقر الدول الكبرى كلها – وعلى رأسها هيئة الامم المتحدة– سياسة الكيل بمكيالين والتحيز اللونى والعرقى والدينى– وإن صرحوا بغير ذلك – وحسبنا دليلا على هذه السياسة الجائرة التأمل فيما يعرف بحق الاعتراض «الفيتو» فى هيئة الامم المتحدة!!

ولو شئنا شواهد وبراهين على هذه السياسة الجائرة لذكرنا من ذلك الكثير والكثير، ولكننا نكتفى بالأمثلة التالية:

- موقف دول الغرب والشرق من إقرار طرد الفلسطينيين من وطنهم لإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين.
- وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية الأعمى لإسرائيل وتمكينها من التفوق على العرب جميعا: تسلحا واقتصادا ودعما فى المحافل الدولية.
- وموقف ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى من تأييد إسرائيل أدبيا وماديا والسماح للعلماء الروس من أصل يهودى بالهجرة إلى إسرائيل، فقد كان أول من اعترف بإسرائيل سنة ١٩٤٨م.
- وموقف دول الغرب من إسرائيل والعرب عموما والفلسطينيين خصوصا، بحيث تحابى إسرائيل وتجاملها على حساب العرب والفلسطينيين فى حاضرهم ومستقبلهم.
- وموقف الغرب كله والاتحاد الروسى فى حرب الصرب والكروات ضد البوسنة والهرسك، إنه موقف مخزٍ لما يسمونه الشرعية الدولية.
- وموقفهم جميعا من حرب كوسوفو!!!
- وموقفهم جميعا من حرب الشيشان أو القضاء على الشيشان.
- وموقفهم من قضية كشمير.
- وموقفهم من تفكيك أندونيسيا وإقليم تيمور!!!

كل ذلك انحراف عن الحق وإخلال بالقيم والمعايير الدينية والإنسانية والشرعية الدولية!!!

٣- إنتشار الجريمة بكل أنواعها:

- الجريمة على مستوى الفرد.
- والجريمة على مستوى الجماعة.
- والجريمة على مستوى الدولة.

- أما على مستوى الفرد فحدث ولا حرج، ومهما كانت بواعث الجريمة متوافرة، وربما يكون الظلم الاجتماعى ودكتاتورية الحكام سببا فيها، فإن كوابح هذه الجرائم ليست السلطة ولا الشرط ولاخوف العقاب بالسجن، وإنما كوابحها كامنة فى القيم الدينية.

لو كان للتربية الدينية حضور لانكمشت الجريمة على مستوى الفرد أو لانعدمت لأن الرقيب لا يغفل ولا ينام وهو الله سبحانه وتعالى.

- وأما الجريمة على مستوى الجماعات، فحديثها ذو شجون:

فمن الجماعات الصهيونية التى تسمت بأسماء عديدة والتى كان من أعضائها رؤساء وزراء إسرائيل ووزراؤها مثل: مناحم بيجن وسائر وزراء إسرائيل، ومن الجمعيات اليهودية.

- الحركة الصهيونية الهادفة لطرد الفلسطينيين من ديارهم وإقامة وطن قومى لليهود فيها، وهى حركة عنصرية أدانتها بالعنصرية هيئة الأمم المتحدة فى قرارها رقم ٣٣٧٩ بتاريخ ١٠/١١/١٩٧٥م واعتبرتها شكلا من أشكال التمييز العنصرى.

وادانها مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الإفريقية عام ١٩٧٥م.

وادانها مؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازة عام ١٩٧٥م.

وادانها مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية عام ١٩٧٥م.

وادانها مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية عام ١٩٨٠م.

وقد ولدت الحركة الصهيونية العالمية العنصرية تنظيمات أو جمعيات أو جماعات تحقق لها أهدافها، مثل:

- المنظمة الصهيونية العالمية، أنشئت بقرار من مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م

- والوكالة اليهودية وأنشئت بقرار من المؤتمر السابق.

- والمؤتمر اليهودى العالمى سنة ١٩٣٦م.

وقد استعملت هذه التنظيمات وما تولد عنها من جماعات أبشع أنواع الجرائم ضد العرب فى أوقات عديدة من عام ١٩٣٦م وإلى يوم الناس هذا عام ٢٠٠٠م حيث كانت اساليبها وحشية فى معاملة العرب نساءً واطفالاً وشيوخا، ولولا انحرافهم عن الحق والخلق القويم ما فعلوا من ذلك شيئاً.

وقِس على تلك الجماعات الصهيونية المتوحشة معظم الجماعات السرية التى ترى أن أى وسيلة - مهما كانت غير إنسانية - تحقق لها أغراضها- غير المشروعة غالبا - فهى مشروعة!!!

- وأما الجريمة على مستوى الدول فحدث ولا حرج، ففى غيبة الحق والخلق والمعاير الإنسانية، عاثت فى الأرض فسادا مؤسسات تنسب إلى دول: ابتداء من الموساد فى إسرائيل وانتهاء بكل المؤسسات التى تتبناها الدول بحجة أمن الدولة، وعلى رأسها أجهزة المخابرات فى أمريكا ثم سائر بلدان العالم.

وما كانت تلك الجرائم التى تصل إلى تفجير الطائرات بركابها والسفن بمن تحمل، إلى تفجير الأماكن والمراكز الآهلة بالناس، فى حديث يطول ولا تكفيه مئات الصفحات.

ما كانت إلا نتيجة حتمية للانحراف عن القيم الدينية، وللتنكر لكل ما هو دينى على الإطلاق.

٤- وانتشار المخدرات تعاطيا وتجارة وزراعة وتصديرا، حتى إن بعض أنظمة الحكم فى عدد غير قليل من البلاد تيسر إنتاجها وتقننه فى بعض الأحيان، بل تبتكر فى الوسائل التى تعود بها من وراء المخدرات بأرباح طائلة!!!

وكذلك الشأن فى صناعة الخمور والاتجار بها، والدعاية المستمرة لمعاقرتها، فما من «فيلم سينمائى» إلا وبطله يشرب الخمر، وما من بيت لرجل موسر إلا وفيه مكان مخصص للخمر وشربها -بار-.

وليس فى الأديان دين أباح الخمر أو المخدرات تعاطيا أو اتجارا أو إنتاجا!!!

أما الذين يَتعَاطَوْن المخدرات والخمور، فهم بؤساء تعساء وإن عَدَّهم بعض قصار النظر من علية القوم!!!

هؤلاء المتعاطون أصناف:

- فمنهم المقهورون اجتماعيا أوسياسيا الذين يعيشون فى ظروف غير آمنة ولا مطمئنة، فيهرعون من هنا إلى شرب الخمر وتعاطى المخدرات!!
- ومنهم طائفة عجزت عن تحقيق ذاتها أو مآربها فى الحياة، فلجأت إلى الخمور والمخدرات متوهمة أنها بذلك تنسى عجزها وهمومها وأحزانها!!

● ومنهم الذين يربطون بين الفن والإبداع والخمر والمخدرات وهؤلاء مصابون بلوثة عقلية بكل تأكيد إذ لا علاقة بين فنان مبدع يحتاج إلى تفكير مركز وعقل واع وبين شرب الخمر التى تغيب العقل أو تعاطى المخدرات التى تجعل العقل والجسم كله فى فتور وكسل!!

● ومنهم المنكبون على شهواتهم، يتحركون حسبما توجههم غرائزهم بوهم أن هذه الخمور أو المخدرات تمكنهم من ممارسة شهواتهم الجسدية الجنسية، والحق أنها تضر ولا تنفع وإلا ما حرمها الله تعالى وحرمها كل دين!!

- والحقيقة الدامغة التى لا ينكرها إلا مكابر أو أحمق هى أن الأديان جميعا حرمت كل ما يضر أو يؤذى، أو يلحق الضرر بالبدن أو بالعقل أو بالمال أو بالعرض، والحقيقة التالية لتلك الحقيقة هى أن الخمور والمخدرات تلحق الضرر بالبدن والعقل والمال والعرض،كما أجمع على ضررها البدنى علماء من غير المسلمين، بل أجمعوا على ضررها النفسى والعصبى كما أجمعوا على ضرر التدخين.

ومن أنكر شيئا من هذه الحقائق فهو منسوب إلى الجهل بالأديان -إن أحسنا به الظن- أو منسوب إلى معاندة الأديان وجحدها وجحد ما جاءت به من قيم، أو هو مضلل تحركه مصلحة فيكون عندئذ من المجرمين.

● فكل ما يتصل بتعاطى الخمور والمخدرات أو إنتاجها أو الاتجار بها، ما هو إلا انحراف حادّ عن القيم التى جاءت بها التربية الدينية فى أى دين من الأديان.

٥ - وانتشار الإباحيَّة أو الفوضى الجنسية، التى أصبحت تتسع دوائرها يوما بعد يوم، حتى دخل فيها الشذوذ الجنسى من لواط وسحاق وزواج رجل من رجل، بل لقد قننتْ بعض الدول الكبرى هذه الفوضى الجنسية وسنت لها من القوانين ما يحمى أصحابها، ولا يخضعهم لأى عقاب ولا يحرمهم الانضمام إلى صفوف القوات المسلحة!!

● وإذا كان الغرب قد قنن هذه الفوضى الجنسية وتولى كبر هذه القضية وما تشتمل عليه من آثار نفسية واجتماعية وصحية فى غاية السوء والإضرار، فإن الشرق أو عالم الشيوعيين لم يقصر فى هذا المجال بل واكب الغرب وسايره، فهؤلاء هم أصحاب إلغاء الزواج والأخذ بمبدأ شيوعية النساء والعلاقات الجنسية كلها!!

● وقد اجتهد دعاة الفوضى الجنسية فسنوا القوانين وعقدوا الندوات والمؤتمرات وجندوا وسائل الإعلام معظمها صحافة وسينما وشبكات «الإنترنت».

● وهذه الفوضى الجنسية جرَّت إلى سيل من الأغانى الهابطة الخليعة الفاحشة كأغانى «الراى» ونحوها وروجوا لها، كما جرَّت إلى إباحة الإجهاض، وعدم تحريم الزنا حتى لو كان بالمحصنات أو بالمحارم ما دام ليس مصحوبا باغتصاب، وإلى إباحة اللواط..

وأدَّى ذلك إلى اتهام الأديان التى حرمت ذلك بأنها رجعية وهى تحرم، ووحشية وهى تعاقب!! مع أن الأديان جميعا وهى تحرم ذلك إنما نظرت إلى مصلحة الإنسان والمحافظة عليه على جسده وعقله وخلقه وماله وعرضه، بل عَدَّت الزنى من أكبر الكبائر.

● وهذه الفوضى الجنسية قد أدَّت إلى مرض العصر وهو: «فقد المناعة المكتسب، الإيدز» فضلا عما أدَّتْ إليه من ضياع الانساب لا اختلاطها فحسب!!

وما أعجبهم وهم يبررون هذه الفوضى الجنسية برفع شعار الحرية الشخصية!! وقول قائلهم: «هذا جسدى أفعل به ما أشاء».

● إنهم يتعمدون تجاهل العفة بل يعدونها رجعية وتخلفاً ونظرة دينية بعيدة عن الرقى والتقدم، وربما «العولمة».

وما ظهر ذلك كله إلاَّ نتيجة لتحدى القيم الدينية والتمرد على أسلوبها فى تربية الإنسان.

ثالثا :

الآثار السياسية

لغياب التربية الدينية عن مجتمع إنسانى أو تغييبها عنه، أسوأ الآثار السياسية، لأن غياب التربية الدينية هو غياب للقانون وللنظام وللتربية الأخلاقية والكوابح المادية والمعنوية.

ولسنا بصدد تعريف السياسة أو علم السياسة، ولكننا نشير إلى أن للسياسة تعريفات عديدة تختلف باختلاف وجهة نظر مَنْ عرَّفها نذكر منها:

- هى: فن حكم البشر عن طريق خداعهم[1].
- أو هى: تنظيم الجماهير المستعدة للتضحية فى سبيل المُثل.[2]
- أو هى: علم دراسة المصالح المتضاربة وانعكاسها على تكوين السلطة والحفاظ على امتيازات الطبقة الحاكمة[3].
- أو هى: الجهد لإقامة النظام والعدل، وتغليب الصالح العام والمصلحة الاجتماعية المشتركة فى وجه ضغوط المصالح الفئوية.
- ولعلماء المسلمين تعريفات للسياسة اشتهر منها ما قاله: الماوردى وأبو يعلى فى كتابيهما «الأحكام السلطانية» ثم جاء ابن خلدون فأبدع بما لم يسبق إليه وربما بما لم يلحق فيه، كما اعترف بذلك: أرنولودتويننى، وجولد زيهر وغيرهما.

● ومهما يكن من شأن الاهتمام بالسياسة فإن الدين الخاتم أولاها: ما تستحقه من التأصيل والممارسة:

فالرسول الخاتم ﷺ بسيرته وأحاديثه قد جمع بين أصالة الفكر السياسى وفعالية العمل السياسى.

وجاء من بعده ﷺ خلفاؤه فنهجوا نهجه فهذا الفاروق عمر يقول: «متى استعبدتم الناس

(١) قال ذلك: دزرائيلى.
(٢) قال ذلك: نابليون بونابرت.
(٣) قال ذلك: ماركس وأتباعه.

وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» ويقول: «من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقومه» وهذا على كرم الله وجهه، يلخص السياسة كلها في كلمة إذ يقول: «الفقر في الوطن غربة» وأجمع ما قيل في السياسة أهدافها ووسائلها ما أوصى به الخليفة المنصور ولده المهدى (١٥٨ هـ) وهى وصية مشهورة موثقة[١].

● وكلما غابت التربية الدينية وقيمها ظهرت الآثار السياسية السلبية السيئة التى نحاول أن نرصد منها هنا ظاهرتين فقط هما:

– شيوع الفساد والظلم فى أنظمة الحكم.

– وظهور طبقات انتهازية مستغلة من الحكام والمحكومين.

الأولى: شيوع الفساد والظلم فى أنظمة الحكم.

نظام الحكم في صورته المعروفة للناس من سلطات تشريعية تناط بالمجالس النيابية، وسلطات قضائية تناط بالقضاء، وسلطات تنفيذية تتولاها الحكومات من خلال الشرط وقوات الأمن وغيرها.

نظام الحكم بصورته تلك هو الذى يكفل للمواطن العيش فى أمن ورخاء ويباعد بينه وبين الإحساس بالغربة.

وعندما يحدث خلل فى أى من هذه السلطات يكون هناك انتقاص لحق من حقوق المواطن وهى كثيرة.

● ولا يصيب هذه السلطات خلل أفدح من الخلل الذى يتسبب فيه غياب التربية الدينية وقيمها الخلقية.

● ومن مظاهر الخلل فى أنظمة الحكم بسبب غياب التربية الدينية ظاهرتان:

– انتشار الفساد.

– وانتشار الظلم.

---

(١) انظر هذه الوصية في كتب تاريخ الدولة العباسية، وفي كثير من كتب الأدب الجامعة وفى الموسوعة السياسية التى أخذت منها كثيرا من هذه التعريفات.

الظاهرة الأولى :

انتشار الفساد :

الفساد هو الخروج عما يجب أن تكون عليه الأمور من عدل وانضباط، ومصداقية وشفافية، بحيث يؤدى ذلك إلى وصول الحق إلى أصحابه دون إبطاء أو تسويف، مع عقاب المخطىء الجانى دون تفاوت بين الناس فى تطبيق القانون عليهم.

● ولهذا الفساد علامات ودلائل، منها :

- تأخر وصول الحق إلى أصحابه فضلا عن غمطه أو ضياعه.
- وجود تفاوت بين المواطنين فى الحقوق والواجبات.
- وجود تباطؤ فى إحقاق الحق، أو تراخ فى إيصاله إلى صاحبه.
- وجود ثغرات فى تطبيق القانون على الناس أو تحايل على ذلك.
- انتشار البطالة بين المواطنين بعدم إتاحة فرص العمل لهم.
- وانتشار الأمّية لقلة عدد المدارس أو تجاهل واجب الحكومة فى نشر التعليم وإتاحته للناس جميعا.
- وانتشار الجهل وضحالة الثقافة وتهميشها.
- وعجز المواطن عن تأمين السكن الملائم لنفسه وذويه.
- وعجز وسائل المواصلات والاتصالات عن الوفاء بحاجة المواطنين.
- وكلما كانت هناك ديون أجنبية تكبل خطوات الدولة فى الإصلاح والتقدم وتلبية احتياجات الوطن الأساسية كالمرافق ونحوها كان ذلك دليلا على فساد الحكم.
- وكلما كانت الفرص المتاحة أمام المواطنين فى جميع المجالات ليست متكافئة؛ كان ذلك دليلا على فساد نظام الحكم، وخلل فى السياسة العامة لهذا النظام.
- وعندما يشيع فى نظام سياسى ما تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة والكفاءة، فإن ذلك يدل على فساد نظام الحكم، وعلى تحيز الحكام لمن يدلون إليهم بالمودة أو القربى.

- وكلما كان القائم على النظام يتمتع فيه بسلطات ضخمة تكاد تكون مطلقة، دون أن يعود إلى المجالس النيابية ومجالس المستشارين وأهل الخبرة، كان ذلك دليلا على فساد نظام الحكم واستبداد الحاكم وغروره.

- وكلما حدث فى نظام حكم ما تجاهل لمبدأ الانتخاب والاختيار بعد الترشيح للقيام بالوظائف الكبرى فى المجتمع، وأصبح الأصل فى تلك الوظائف هو التعيين، دون العودة إلى المجالس النيابية وآراء المواطنين فى هؤلاء الذين يتولون تلك الوظائف كلما دل ذلك على فساد نظام الحكم، وعلى خلل فى سياسة هذا النظام.

- وكلما كانت الأجهزة المعاونة للمحاكم قادرة على تزييف إرادة الناخبين، وكان الترشيح للمجالس النيابية عن طريق الحاكم أو حزبه، كانت عملية الانتخابات خالية من مضمونها الصحيح ودل ذلك على فساد النظام.

- وكلما وضعت قيود على تكوين الأحزاب السياسية، وزيد فى الشروط والاحترازات الواجب أن تتوافر لكى يسمح بتكوين الحزب، كان ذلك دليلا قاطعا على فساد نظام الحكم.

- وكلما استبعدت طوائف أو مجموعات أو جماعات من المواطنين من العمل الحزبى الإصلاحى السياسى، كلما دل ذلك على فساد فى نظام الحكم وعلى استبداد وتحكم وظلم.

- وكلما أصبح إصدار الصحف والمجلات مقيدا، وحرم منه بعض المواطنين، دل ذلك على فساد نظام الحكم، وهلعه من الرأى الآخر وفى هذا دليل قاطع على الفساد والاستبداد.

- وكلما كان نظام الحكم عسكريا يعتمد على البطش والقوة وعلى القوانين والأحكام العرفية والمحاكم العسكرية، دل ذلك على فساد نظام الحكم، ومعاداته لحقوق المواطنين فى العيش الآمن، والتحاكم إلى القضاء الطبيعى، بل معاداة هذا النظام لكرامة الإنسان.

وبعد: فما أكثر ما يمكن أن نستدل به على فساد نظام الحكم وبعده عن الحق والعدل والمساواة بين المواطنين، وكل هذا الفساد لأى نظام حكم إنما هو نتيجة لغياب التربية الدينية وتغييب قيمها عن المجتمع، لأنه لا يحق الحقَّ ويطبق العدل ويأمر بالمساواة إلا الأديان التى جاءت من عند الله تعالى..

والظاهرة الثانية :

انتشار الظلم

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، سواء أكان هذا التجاوز بالزيادة أم بالنقص أم بالعدول عن المكان الملائم أو الوقت الملائم.

وكل أنواع الفساد لأنظمة الحكم هي ظلم للناس، وتجاوز من نظام الحكم لما أوجبه الله.

والظلم -كما قال أسلافنا رحمهم الله- أنواع ثلاثة :

- ظلم بين الإنسان وربه سبحانه وتعالى، وهو أفدح الظلم.
- وظلم بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهو يورط الإنسان ويدخله في المعصية والذنب.
- وظلم بين الإنسان ونفسه وهو محرم أيضا.

● وهذه الأنواع عند التحقيق هي ظلم للنفس، لأنه لو كان غير ظالم لنفسه لما مارس الظلم بينه وبين الله تعالى، ولا مارسه مع الناس.

● وانتشار الظلم في مجتمع ما نتيجة طبيعية لفساد أنظمة الحكم، وإذا فسد نظام الحكم كثر الظلم، وهكذا يبدو الارتباط بين الظلم وفساد الحكم والحكام.

- فكلما أصاب الخللُ جهازا حكوميا أو مؤسسة عامة في الدولة ظهر ظلم للمواطنين، وافتيات على حقوقهم في الحياة الإنسانية الكريمة التي هي حق كل إنسان، والتي أقرها كل دين من الأديان السماوية، بل عندما يختل جهاز حكومي يفقد المواطن إحساسه بالأمن في بيته وفي عمله وفي حاضره، وبالضرورة في مستقبله وهكذا دَوَالَيْك.

● ولو ذهبت أحصي أو استقصي كل ظلم يقع على إنسان لكان ذلك من المعجز لي، الذي يفوق طاقتي وإمكاناتي، ولكني أكتفي بذكر نوعين من الظلم، أحدهما مادي والآخر معنوي.

- والظلم الماديّ يتمثل في أمور : من أهمها :

● أن يحرم الإنسان من حقه أو من بعض حقه المادي مالا أو عقارا أو غيره من فرد أو جماعة أو مؤسسة حكومية ومهما حاول استرداد حقه فهيهات..

وهناك مقولة شائعة في دول العالم الثالث أو النامي أو الفقير أو الذي فسدت فيه أنظمة

الحكم، خلاصتها: إن الحكومة تسرع فى مطالبة المواطن بما عليه لها، وتتباطأ فى إعطائه حقه عليها»!!

● وأن يحرم المواطن من الحصول على حقه فى الوقت المناسب فيكون ذلك ظلما شديدا، حتى لكانه حرم من حقه مطلقا، وتلك سمة الحكومات فى أنظمة الحُكم الفاسدة ويؤكد ذلك مقولة أخرى تقول: «يوم الحكومة بسنة».

● وأن يحرم المواطن من حقه فى الخدمات التى يجب أن تقدم إليه من الحكومة فلا يجد أمامه بابا يصل منه إلى حقه إلا بالرشوة أو التزلف والنفاق لمن بيدهم توصيل هذه الخدمات كالمياه النقية والصرف الصحى والكهرباء ونظافة البيئة والاتصالات والمواصلات والتعليم والخدمات الطبية وغيرها.

● وأن يحرم الإنسان من أن يمارس حياته فى وطنه ويقضى مصالحه بيسر وسهولة ودون تعنت من الجهات المسئولة، أو تسيب أو إمهال يصل إلى حد الإهمال وبديل اليسر والسهولة هو التزاحم والتنافس الذى يصل إلى حد التناحر، والقضية المسلمة التى لا تحتمل مجادلة هى: أنه لا تزاحم على شىء أو خدمة إلا إن كان ذلك بسبب فساد فى الجهاز الذى يقدم هذه الخدمة أو السلعة، وهكذا يتحمل الإنسان من الظلم المادى ما يدل دلالة قاطعة على فساد نظام الحكم.

– والظلم المعنوى ويتمثل أيضا فى أمور من أهمها:

● أن يحرم الإنسان من حقه فى التعبير عن رأيه ومعتقده بأى وسيلة تقرها الأديان للتعبير عن الرأى، فهذا الحرمان شائع ذائع فى نظم الحكم الفاسدة المستبدة بالإنسان، إن هذا الحرمان سلب لإرادة الإنسان ولأولى حقوقه وأهمها.

● وأن يحرم الإنسان من حقه فى الإحساس بالأمن، ففى هذه الأنظمة الفاسدة ربما اقتحم عليه رجال المخابر وأمن الدولة مسكنه بليل، وربما أوسعوه ضربا وإهانة أمام زوجته وأولاده[1]، ثم يجد نفسه بعد ذلك مساقاً إلى مجهول كانوا يسمونه: «وراء الشمس» ويظل فى سجنه أو معتقله سنوات ربما بلغت العشرين كما حدث فى بعض بلدان العالم

---

(١) حدث ذلك كثيرا فى حكم جمال عبد الناصر لمصر ١٩٥٣م – ١٩٧٠م وسجله كثير من الكتاب الصحفيين ومؤلفى الكتب، وعدد من المؤرخين، ومن عجب أن حكم عبدالناصر يفعل هذا وينادى هو مغالطا غاشا لنفسه وأهل وطنه قائلا: ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد، هل كان هناك استبداد أكثر وأكبر مما حدث فى عهده المشئوم؟

الثالث في المغرب العربي، ولقد شاعت عبارات: «زوار الفجر» وكان كل معتقل ينال من التعذيب الجسدى ما لم تعرف محاكم التفتيش مثله ولا قريبا منه، فقد كان شيئا غير إنسانى بحال، وكل هذا التعذيب أثناء التحقيق وأخذ الأقوال!!

أما الذين كانوا يمارسون تعذيب سواهم فأغلب ظنى أنهم مرضى نفسيا أحسن اختيارهم للقيام بمهمة غير إنسانية، أو قد بلغ بهم الجبن من بطش الحاكم المستبد حد القيام بهذه الأعمال برغبة ولذة.(١) وإن أغلبهم قد لوّثَ يديه بدماء الأبرياء، ومع ذلك لم يقع تحت طائلة القانون حتى اليوم -مع أنهم يقولون: إن جرائم التعذيب لا تسقط بالتقادم!!.

وهذه المصادرة لحق الإنسان فى الإحساس بالأمن هى من أفدح أنواع الظلم المعنوى التى تقع على الإنسان.

- وأن يحرم الإنسان من حقه فى أن يبقى جسده سليما من الجلد والحرق والصعق الكهربى وتكسير العظام أو أن يحول جسده إلى مطفئة للسجائر، أو يعتدى عليه جنسيا على مرأى ومسمع من جبابرة الحكم الناصرى وزراء وكبراء وقادة، وجميعهم يرفع شعار «الديمقراطية» وشعار: «ارفع رأسك يا أخى...» ومن الإنصاف أن نقول: إن الغرب والشرق كانوا فى انتهاك جسد الإنسان سواء، ولكن حكام بعض بلدان العالم الثالث كانوا أشد ضراوة من حكام الغرب والشرق، بل كانوا أشد فتكا بالأبرياء من الوحوش الجائعة!!

- وأن يحرم الإنسان من حقه فى أن يأمن على ماله وولده وعرضه، وذلك بالمصادرة الظالمة الغاشمة وسجن الأبناء والعدوان على أعراض النساء أمام أزواجهن وآبائهن وإخوتهن، إن متوحشى الصرب ما فعلوا أكثر من ذلك فى نساء البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان والبانيا!!

وحجتهم الواهية فى مصادرة الأموال هى حماية الشعب من أعداء الشعب، ولكن الحقيقة تكشفت بأقلام الكتاب وبأقلام بعض هؤلاء الثوريين، فاعترفوا بأن هذه المصادرة كانت لصالح الحاكم وحاشيته والمنتفعين بالثورة كما كان ينادى الزعيم الخالد كما كانوا يسمونه!!

---

(١) هؤلاء كثيرون عرفوا بأسمائهم ومنهم وزراء، وأصحاب رتب عالية فى الجيش أو فى الشرطة، وكلهم كافأهم الدكتاتور بتوليتهم مناصب مدنية بعد أن تركوا الخدمة.

● وحرمان المواطن من حقه فى زن يختار المذهب السياسى الذى يريده وذلك أن الثورة العسكرية لا تعترف بذلك ولا تعرفه، فعندما تبنت الفكر الاشتراكى البغيض الظالم الجائر، انطلق جيش المنافقين من مؤلفى الاغانى يدينون بكلماتهم الهابطة الدالة على تفاهة تفكيرهم وانسياقهم دون وعى كأنهم قطيع، انطلق أحدهم يؤلف أغنية جاء فيها فى خطاب المواطن التعيس الذى لم يسارع بتبنى الاشتراكية مذهبا فيقول له: «يا عديم الاشتراكية يا خاين المسئولية»!! كان الاشتراكية يجب أن تكون جزءا من كيانه وفكره وإرادته واختياره، لا يجوز له أن يظهر فى الحياة بسواها!!

ثم جرَّت الاشتراكية على البلاد التى اتخذتها مذهبا ويلات الديون والسيطرة الشيوعية الاشتراكية، ثم عادوا فكفروا بها دون حياء!! وكيف يستحيون وهم محترفو حزبية تنقلوا فيها من النقيض إلى النقيض، هم، هم دون خجل!!

● وأن يحرم من حقه فى الإعلام، والإعلام حق يكفله الدستور، إذ من حق المواطن فى أى دولة محترمة تحترم حقوق المواطن أن تزوده بالمعلومات والحقائق التى تتصل بحياته السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ولكن ذلك لا يحدث فى بلاد فسد فيها نظام الحكم وقام على الاستبداد، ويزعمون عند حرمان المواطن من الإعلام أن غالبية الناس لا يستطيعون الارتفاع إلى مستوى الأحداث، وهى تهمة توجه لأى حكومة تقول بها، إذ تلام على أنها تركت مواطنيها على هذا القدر من الجهل والغفلة!!

وهذا ظلم للمواطن لا يمارس إلا مع غيبة الأديان وتربيتها الدينية وقيمها.

● وأن يحرم المواطن من العيش فى بلده الذى يضم آباءه وأجداده، وذلك حينما يضطره نظام الحكم الفاسد إلى الهجرة من بلده بالتضييق عليه ومطاردته ومصادرة أمواله، واعتقاله وتعذيبه وحرمانه من حق أصيل من حقوق الإنسان، إن المواطن فى هذه الحالة يصبح هدفه أن يفر من الجلادين والزبانية والوحوش التى تعذب بالصعق الكهربى، فإن لم يهاجر ويفر، لفقت له القضايا وتوبع هو وذووه ورصدت خطواته فأصبح مخيرا بين السجن أو الهجرة!!

وبعد .. فإن الظلم الذى تحدثت عن طرف منه، الظلم المادى والظلم المعنوى ما كان ليحدث إلا فى غياب التربية الدينية والقيم العالية الإنسانية الرفيعة التى جاءت من عند الله على ألسنة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

والظاهرة الثانية:

هي: ظهور طبقات انتهازية مستغلة من الحكام والمحكومين.

يكاد يكون الانتهازيون والمستغلون جميعا حكاما ومحكومين أبناء شرعيين لشيوع الفساد وانتشار الظلم، وما يتبع ذلك من سلبيات، أهمها غيبة القيم الدينية وإهدار القوانين الوضعية، وتطبيقها حينا وإهمالها حينا آخر، والتفاوت فى تطبيق العقوبات على ناس دون آخرين.

وما وجد انتهازى أو مستغل إلا إن كانت هناك ثغرة فى القانون نفذ منها إلى أعماله المنحرفة الخاطئة، وقد تكون الثغرة فى نسيج القانون الوضعى حين سَنُّوه، وقد تكون تعلقا بكبار المسئولين الذين يهابهم القانون وحماته لأنهم بمسئولياتهم فى المجتمعات الضعيفة فوق القانون، وقد تكون الثغرة مِنَّة من الانتهازيين والمستغلين على كبار المسئولين من ستر عورة أو تيسير خطأ أو نحو ذلك.

وهؤلاء الانتهازيون والمستغلون صنوف وأشكال، نذكر منهم ومن أعمالهم طرفا، ولا يستطيع أحد أن يحصيهم وبخاصة فى مجتمعات البلدان النامية أو الفقيرة أو التى فسد فيها نظام الحكم.

ونحن نذكر بعض مجالات الانتهازية والاستغلال للنفوذ دون أن نذكر تفصيلات، لأن التفصيلات فوق طاقة هذا الكتاب وكاتبه.

● **الانتهاز والاستغلال فى مجال الأموال:**

إن المال له إغراؤه فهو عند التحليل الدقيق يعطى قدرات هائلة على التمتع بلذائذ الحياة، وقدرات على مواجهة الفقر والحاجة، وجمعه يعقب لذة فى نفوس كثير من الناس، وبالمال يستطيع الصغير أن يكون كبيرا والوضيع شريفا والضعيف قويا، والثقيل مُتقَبلا، هكذا كان المال وهكذا سيظل فى المجتمعات التى تغيب فيها التربية الدينية التى تعدل الموازين وتعطى للمال والجاه قدرهما الحقيقى دون مبالغة أو تهوين.

وما دام نظام الحكم فاسدا لغياب القيم الدينية، فلا قانون يحاسب أحدا من الكبراء وأوليائهم على ما حازوا من أموال، حتى لو كانت أموال قروض تؤدى عنها فوائد ربوية مركبة يدفعها الشعب البائس من قوته ومستقبله.

والحصول على هذه الأموال غالبا ما يكون وقفًا على الكبراء وأذنابهم ومنافقيهم والذين ييسرون لهم الحصول عليها، ولابد أن يكون من هؤلاء الحاصلين على الأموال أولئك الأتباع الذين رضوا بأن يكونوا أدوات تعذيب وجلد وتنكيل للمعارضين.

ما أقوله هذا قد ألفت فيه كتب وكتبت فيه عشرات بل مئات المقالات في الصحف والمجلات – لكن بعد انقضاء عهد الانتهازيين والمستغلين وبعد فرارهم بتلك الأموال خارج البلاد التي ينتمون إليها.

ولقد كتبت بعض الصحف الذائعة الانتشار[١] أن أسرة أحد الحكام قد استولت على عدد من المليارات من الدولارات الأمريكية أثناء حكم أحد أفراد هذه الأسرة للبلاد!

● ولقد كان بعض رؤساء إحدى الدول التي تنتمي إلى العالم الثالث أو الفقير أو عالم الحكم الفاسد يشجع على الانتهازية والاستغلال مادام ذلك دعما لبقائه في كرسي الحكم، ويعطي مشروعية –وهو رأس الدولة– للاستيلاء على المال، عندما قال: «أريد أن يكون هناك منتفعون بالثورة» يقصد الثورة التي يقودها ويعلن شعاراتها الكاذبة المغالطة المضللة التي منها: «ارفع رأسك يا أخي فقد مضى زمن الاستعباد»!!! وهو وزبانيته يمارسون قهر الناس وإذلالهم وانتهاك أعراضهم[٢].

وربما صحا بعض الحكام فقرر محاكمة هؤلاء المستغلين الانتهازيين اللصوص متهما إياهم بتضخم الثروة، ويطبق عليهم قانون: من أين لك هذا؟ ولكنه سريعا ما يرخي قبضته وتذهب حِدَّته، ويتكالب عليه قطعان من هؤلاء وأولئك فلا يسعه إلا أن يسكت متوقفا عن المتابعة فضلا عن المحاكمة لأسباب يعلمها هو، وإن كان الناس يحسون بها.

● ولا يستطيع كاتب مثلي أن يحصي عدد الدول المنتمية إلى العالم الثالث التي لا يجيز القانون فيها ملاحقة الحاكم إن ترك الحكم وهو حَيّ –وقليلا ما يحدث هذا– فضلا عن تقديمه إلى المحاكمة على أعمال توجب محاكمته، لأن حكام تلك الدول يرون أنفسهم فوق القانون!!

---

(١) هي جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر في ٩ / ٢ / ٢٠٠٠م عن إحدى هذه الأسر بعد نهاية حكم هذا الحاكم.

(٢) انظر في ذلك عددا من المقالات التي يواظب على كتابتها ما بين حين وآخر ثروت أباظة يوم الإثنين من كل أسبوع في جريدة الأهرام وهو يهاجم الناصرية والشيوعية بضراوة وموضوعية تستحق الإعجاب.

بل إن بعض الدول التى تعد نفسها كبيرة وعظمى، وكانت من قبل أحد قطبى العالم -قبل انهيار الاتحاد السوفيتي- وهى روسيا الاتحادية، يحدث فيها تستر بالقانون على مخالفات رئيسها المستقيل «بورس يلسن».

فقد أذاعت ونشرت وكالات الأنباء استقالته وتنازله عن الحكم لرئيس وزرائه «بوتن» بشرط أن يصدر قانونا -هو أول قانون أصدره- يمنع ملاحقة يلسن أو محاكمته، وقد كان ما أراد «يلسن» وخليفته «بوتن»، والشعب الروسى ينظر ويرى ويحرق الأُرّم -كما يقال فى المثل العربى- أى يحك أضراسه بعضها ببعض من الغيظ، وخصوصا معارضى «يلسن» ولكن ليحرق الأرم كما شاء فقد حكم «يلسن» حكما فاسدا وأخذ وذووه ما شاءوا من الأموال ثم أُخْرِسَ القانون عن متابعتهم.

وفى أثناء كتابتى لهذه الصفحات[1] من هذا الكتاب أذاعت محطة الإذاعة البريطانية القسم العربى الـ B. B. C وغيرها ونشرت كثير من الصحف الصادرة فى لندن بالإنجليزية أو بالعربية أخبارا عن فضائح بعض رؤساء الدول الذين استغلوا مناصبهم للحصول على المال الذى ليس من حقهم. فتحدثوا عن:

- وايزمان رئيس دولة إسرائيل.
- وكول مستشار ألمانيا.
- ونيتن ياهو رئيس وزراء إسرائيل.
- ورئيس وزراء إيطاليا، وغيرهم.

ولكن سوف يتعقبهم القانون ويلاحقهم ويحاكمهم، وهذا هو الفرق بين العالم الثالث وتلك الدول!!

● وهناك انتهازيون ومستغلون استغلوا وجودهم فى السلطة ليعطوا لابنائهم وأصهارهم وذويهم ومنافقيهم ومن ساعدوهم فى الباطل مناصب رفيعة دون كفاءة أو تأهل لها، ومنحوهم رواتب خيالية فى ضخامتها، وأصدروا لذلك قوانين أقرتها المجالس النيابية التابعة لهم التى شكلوها بتزوير الانتخابات وبالتعيين لمن فاته تزوير الانتخابات!!

● وهناك انتهازيون استغلوا سلطتهم فى الإيقاع بالنساء -والنساء كالمال فى ملذات الحياة الدنيا- فهددوا وتوعدوا وتآمرت أجهزتهم للإيقاع بهؤلاء النساء، وسيقت النساء لإتيان

---

(١) فى شهر ذى القعدة من عام ١٤٢٠هـ - فبراير سنة ٢٠٠٠م.

الفاحشة حتى لو كن ذوات أزواج إذ من السهل إصدار أمر باعتقال الزوج أو قتله إن كان ذلك ضروريا، وربما كان ذلك بعلم الزوج المقهور، وهؤلاء المستغلون للنساء أكثر من واحد، والكتابات في ذلك كثيرة ومخزية أنزه عنها صفحات هذا الكتاب.

- وهناك مسئول كبير عن موقع خطير في نظام الحكم الفاسد أيام عبدالناصر، استغل نفوذه ومنصبه في إكراه مُغَنٍّ معروف على أن يغني له وحده في جلسات كان المغني يساق إليها والرعب يملأ قلبه خشية ألا يستجيب فيعتقل ويهان، كما صرح المغني المشهور بذلك، وأخذ الصحفي كاتب هذه الفضيحة يطالب المسئول المستغل الذي لا يزال على قيد الحياة برد هذه التسجيلات للدولة على أنها تراث لهذا المغني الفذّ!![1]

- والانتهازيون والمستغلون في غير مجال المال.

وهؤلاء أكثر عددا من أولئك وإن كان جنسهم سواء في الإثم والخطأ، وهذه المجالات كثيرة أجاد في تنويعها الحكام الاشتراكيون في معظم بلدان العالم النامي الذي ينطوي على فساد واسع في نظام الحُكم، ومن هذه الأنواع:

- محترفو السياسة.
- المدعوون برجال الأعمال.
- الذين يحبون الخروج على القانون.
- محبو السلطة والنفوذ.
- أصدقاء أسر الحكام وأقرباؤهم.

ولكل نوع من هذه الأنواع صولات وجولات في ظل فساد الحكم وعجز القانون عن متابعة أصحاب النفوذ، وغياب التربية الدينية وقيمها.

ومعظم بلدان العالم الثالث أو النامي تعج بهؤلاء الراغبين في الانتهازية والاستغلال، حتى لقد أصبحوا ظاهرة اجتماعية تأخذ صفات الظاهرة وسماتها، بل سمات الواقعة الاجتماعية فهي تحدث بالفعل وتأخذ نمطا سلوكيا خاصا.

---

(١) انظر الأهرام الجريدة المصرية الذائعة الانتشار في عددها الصادر بالقاهرة في ٤/٢/٢٠٠٠م.

● **محترفو السياسة:**

ما عليهم إلا منافقة الحكام والانضمام إلى الحزب الذى يرأسه الحاكم، وأن ينخرطوا فى نظام الحكم بشرط أن يظهروا أنهم ملكيون أكثر من الملك نفسه، وما هى إلا كلمات لمن يحسن الكلام منهم أو تبرعات لبعض الأنشطة ممن يملكون المال منهم، أو وشايات ضد من يسمون دائما بأعداء النظام، حتى يظهر هؤلاء ويتولوا المسئوليات فى الحزب، ثم يرشحوا للمجالس النيابية، ثم يحصلوا على الحصانة البرلمانية، ثم يمارسوا الانتهاز والاستغلال، وهم معروفون لكل من يرقب الأحداث.

● ومن يحبون أن يوصفوا بأنهم رجال أعمال:

وهؤلاء طريقهم واضحة بل معبدة، فهم يبدأون بالنفاق والملق والإيقاع بأحد من يسمون الثورة المضادة أو أعداء الشعب فإذا بهم فى مناصب سياسية وجاه ونفوذ، ومن خلال هذه المناصب البراقة يمارسون التجارة والاستيراد والتصدير، فإذا بهم قد انفتحت أمامهم الأبواب المغلقة فى وجوه سواهم، وإذا بهم يصنفون من رجال الأعمال، ثم يدعمون مراكزهم بتبرعات من أموال سرقوها لمشروعات تتبناها أنظمة الحكم، وبعد ذلك يبدأ استغلال النفوذ والانتهازية والاستغلال والاتجار فى كل ما يمنع القانون الاتجار فيه، وهم فى الغالب فى حماية من المساءلة للحصانة النيابية أو غيرها من الحصانات غير المنظورة.

● ومنهم الذين يحبون أو يكونون فوق القانون:

وهؤلاء ينظرون فى مجتمعات الحكم الفاسد فى العالم النامى، فيجدون بعض الناس من المقربين والمرْضِىّ عنهم من الحكام، وقد أصبحوا فوق القانون، وقد خضعت لهم سلطات أصحاب السلطات المكلفين بتطبيق القانون، ينظرون فيرون هؤلاء فيبحثون عن الوصول إلى تلك المكانة..

وما عليهم إلا أن ينافقوا من كانوا فوق القانون ويجاملوهم بمناسبة وبغير مناسبة بل يسهلون لهم من الأمور الدنيئة مالا يستطيع هؤلاء أن يمارسوه.

وما هى إلا خدمة أكثر وجرعة نفاق أو أكثر، وتيسير دناءة أو أكثر حتى يصبحوا فى ركاب من كانوا فوق القانون، ثم سريعا ما يحسبون معهم بل منهم.

ثم ينطلق هؤلاء وقد أصبحوا فوق القانون فى الانتهازية والاستغلال، والقانون نائم عنهم قرير العين لا يستطيع أحد أن يوقظه فضلا عن أن يهزه ويستفزه!!

● ومنهم الذين يحبون أن يخرجوا على القانون:

وهؤلاء مجرمون بالفطرة أو بالميراث، وطريقهم فى الوصول إلى الخروج عن القانون -فى تصورهم- هو عضوية المجالس النيابية لذلك ينفقون على الوصول إلى ذلك الملايين من المال العام الذى جمعوه بوسائل غير مشروعة، فإذا وصلوا إلى ذلك وحصلوا علي الحصانة النيابية عادوا إلى سالف عهدهم فى الإجرام من ارتكاب جرائم لا يحاسبون عليها إلا في القليل النادر عندما ترفع عنهم الحصانة النيابية ويقدمون للمحاكمة.

وهؤلاء الذين يحبون أن يخرجوا على القانون ليسوا قليلى العدد، وحبهم للخروج على القانون يمثل انحرافًا خلقيًا وضحالة عقلية، وعقدة نفسية، وهم بكل تأكيد من أولئك الذين يحبون أن يتميزوا على غيرهم وإن كان هذا التميز بطرق غير مشروعة.

وبعد:

فهل يحدث من الآثار السلبية التى ذكرنا نتيجة لغياب التربية الدينية أو تغييبها ما هو أسوأ من ذلك؟

وإنما كانت هذه الآثار هى الأسوأ لأن فيها إهداراً لحقوق الإنسان الذى كرمته الأديان كلها وفضله الله على كثير من خلقه ورزقه من الطيبات.

وإذا قلنا: إن وراء غياب التربية الدينية أو تغييبها أيدى وأصابعَ معادية للأديان عمومًا ولدين الإسلام على وجه الخصوص صاحوا فى وجوهنا قائلين: إن هذا تفسير تآمرى للأحداث!!! وما أعجب ما يقولون!!!

وأخيراً فإن علاج كل هذه الآثار السلبية هو بالأخذ بما جاءت به الأديان من قيم تربوية، والله يقول الحق وهو يهدى إلى سواء الصراط.

الباب الثانى

المفاهيم الأساسية للتربية الدينية الإسلامية

تمهيد لهذا الباب :

أعنى بالمفاهيم الاساسية، تلك المفاهيم التى لا يختلف عليها العلماء والباحثون، وإنما تحظى لديهم بالقبول والتسليم، بمعنى أن هذه المفاهيم الاساسية للتربية الدينية الإسلامية ليست محل نزاع أو اختلاف فضلاً عن رفض وخلاف .

– وأعنى بذلك توضيح نقاط أربعة من وجهة نظرى تمثل المفاهيم الاساسية للتربية الدينية الإسلامية، وهذه المفاهيم فى تصورى هى :

- مفهوم الدين الإسلامي .
- ومفهوم التربية الإسلامية .
- وفلسفة التربية الإسلامية ونظريتها .
- ودعائم التربية الإسلامية التى تقوم عليها هذه التربية .

– وتوضيح هذه المفاهيم الاربعة يمكن من السير فى خطوات هذا الباب على هدى، وينفى عنه المشاحّة، والاختلاف فضلاً عن الخلاف، وهذه المفاهيم الاساسية التى ساوضحها هى من مصطلحات هذا الباب من الكتاب لا تحتمل مشاحّةً ما دامت اصطلاحاً .

– فمفهوم الدين الإسلامى أعَرّفه بلفظه وبمحتواه ودلالته دون التعرض لما أثاره أعداء هذا الدين من افتراءات تدل على الجهل بالدين نفسه والجهل بلغة هذا الدين « العربية » إذ لهم فى مفهوم الدين الإسلامى مزاعم وأوهام لا تستطيع ان تواجه الضوء الذى يكشف عنه البحث العلمى، فضلاً عن ان تواجه شمس الحق ونور الحقيقة الناصعة التى اشتمل عليها مرجعا الدين الإسلامى، وهما الكتاب والسنة .

– ومفهوم التربية الإسلامية أعَرّفه بلفظه الذى هو أعرق فى التاريخ الإنسانى من أى لفظ للتربية فى الغرب والشرق، وأوضح محتوى التربية الإسلامية من خلال الحديث عن الوظيفة التربوية التى أداها الرسول الخاتم ﷺ والتى يجب أن يقتدى به المسلمون فيها .

متحدثًا بإيجاز عن أهم مراكز التربية الإسلامية، وأتناول تحديد وظائف التربية الإسلامية في أي مجتمع يحترم الدين ويضعه في مكان الاحترام والتقديس.

- ومفهوم فلسفة التربية الإسلامية ونظريتها؛ أوضّح فيه أن الفلسفة التربوية تشتق دائمًا من الفلسفة السائدة في المجتمع، وهي فلسفة ترتكز في المجتمع الإسلامي على معرفة الله تعالى وعبادته وطاعته، والتلقي عنه وتفسير منهجه والالتزام به.

موضحًا أن فلسفة التربية الإسلامية ليست بدعًا بين الفلسفات وإنما هي كغيرها في الأساس تقوم - بعد الإيمان والإسلام والإحسان - على ما تقوم عليه الفلسفات الأخرى، من الطبيعة، والمنطق، والمعرفة، والأخلاق والجمال.

- ومفهوم دعائم التربية الإسلامية التي تقوم عليها أو لا تقوم إلا بها وهي:

- إعداد الإنسان المؤمن - لأن الإيمان ضرورة توجبها إنسانية الإنسان، ولا غنى لإنسان عن الإيمان، وهذا الإيمان له مفرداته الرئيسة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- وإعداد الإنسان المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم شهر رمضان ويحج بيت الله إن استطاع إليه سبيلاً.

وإعداد الإنسان المحسن بكل معنًى من معاني الإحسان يجيد ويتقن ويتفقد من يحتاج إلى الإحسان ويعبد الله كأنه يراه.

- وإعداد الإنسان الصالح الملتزم بمنهج الله تعالى، ويتمثل هذا الالتزام في أن يكون خلقه حسنا وهو خلق القرآن الكريم، وأن يحسن التعامل بما يرضي الله مع الآخر أيا كان دينه أو مذهبه أو معتقده، وأن يحسن التعامل بما يرضي الله مع الحياة الإنسانية نفسها يحافظ عليها بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات، وينتفع بها على الوجه الذي شرعه الله تعالى، ويطورها ويرقيها فيعمرها كما طالبه الإسلام بذلك ويعيش فيها مرضيًا لربه حتى يحظى بحياة أخروية يرضى عنه فيها.

والله تعالى أسأل أن يوفق ويسدد العمل والخطا فيه، إنه سبحانه المستعان.

١ - مفهوم الدين الإسلامى

الدين أو الديانة فى اللغة : اسم لكل ما يعبد به الله تعالى .

وفى بعض معاجم اللغة[١] : « الدال والياء والنون ، أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها ، وهو : جنس من الانقياد والذُّل » .

والدين : المِلَّة .

والدين : الإسلام .

والدين : التَّدَيُّن .

والدين : الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان .

والدين : السِّيرة ، والعادة ، والحال ، والشأن ، والورع ، والحساب ، والمُلك ، والسلطان ، والحكم ، والقضاء ، والتدبُّر .

والدين فى الاصطلاح : هو النظام المنسوب إلى الله تعالى ، الذى يجب على الناس أن يدينوا له ، ويلتزموه لأن فيه مصالح معاشهم ومعادهم .

● **بكل معنى من هذه المعانى استعملت كلمة الدين فى لغتنا وتراثنا الأدبى ، وتاريخنا الثقافى .**

- وفى الاستعمال القرآنى للكلمة معانٍ كثيرة أشهرها ثلاثة :

● **الطاعة .**

● **والإسلام .**

● **والجزاء .**

فبمعنى الطاعة جاء قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وبمعنى الإسلام جاء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . . ﴾ [آل عمران : ١٩] .

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة .

وقوله جل شانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وبمعنى الجزاء جاء قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وقوله جل وعلا: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ...﴾ [الواقعة: ٨٦].

– بيْن الدين الملَّة والمذهب:

هناك فروق بين هذه الكلمات، فقد قالوا:

الدين: ما كان منسوبًا إلى الله تعالى.

والملة: ما كانت منسوبة إلى الرسول ﷺ.

والمذهب: ما كان منسوبًا إلى المجتهد، ومن هنا قيل: مذهب الإمام أبى حنيفة ومذهب الإمام مالك، ومذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام أحمد.

– وقيل فى توضيح ذلك:

الدين: هو الشريعة من حيث إنها يجب أن تطاع.

والدين: هو الملة من حيث إنه يجمع بين المؤمنين به.

والدين: هو المذهب من حيث إنه يرجع إليه.

– ومن معانى الدين:

● الحساب، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] أى لكم حسابكم ولى حسابى.

● والعقوبة: كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ...﴾ [النور: ٢] أى عقوبة الحد المقرر للزنى.

● وعند التدبر فى آيات القرآن الكريم التى ورد فيها لفظ «دين» تجد لهذه الكلمة معانى أخرى غير ما قلنا منها:

● الدين: بمعنى السلطة العليا:

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...﴾ [الزمر: ٢ – ٣].

● والدين بمعنى الإذعان:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٢].

● والدين: بمعنى القانون والحدود والشرع والنظام والمنهج:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ... ﴾ [الروم: ٣٠] أى القانون.

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ... ﴾ [النور: ٢] أى فى حدود الله تعالى وعقوبته.

وقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ... ﴾ [الشورى: ١٣].

● والدين: بمعنى المحاسبة والجزاء:

وذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾

[الذاريات: ٥ - ٦].

● والدين: بمعنى النظام الشامل والمنهج المتكامل:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا... ﴾ [المائدة: ٣].

وبعد هذه الجولة فى رحاب القرآن الكريم نقول:

إن الدين أو التدين أى الالتجاء إلى الله تعالى حاجة فطرية فى الناس جميعًا، إذ الإنسان بحكم فطرته التى فطره الله عليها يحتاج إلى أن يلجأ إلى من يقضى له حاجاته، ومن يجيره عندما تنوبه نائبة، ومن يطمئنه ويلقى فى قلبه السكينة ويخفف من روعه عند الفزع.

ذلك شأن الإنسان عمومًا، حتى ذلك الإنسان الذى ضلَّ فعبد غير الله الواحد الأحد

الخالق الرازق، إنهم يدينون بذلك الباطل ويستجيبون فى هذا التدين الخاطئ إلى دواعى فطرهم فى وجوب التديُّن، يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٣]. كما يفهم من قوله جل وعلا: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ... ﴾ [يونس: ١٨].

ويوجِّه القرآن الكريم هؤلاء العابدين لغير الله إلى الصواب فى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ... ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

« والدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ... »

ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية؛ لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان، ولأن الحاجة النوعية « بيولوجية » تتحقق أغراضها فى كل زمن، وتتوافر أسبابها فى كل حالة، ولا يزال الإنسان بعد تحقق أغراضها وتوافر وسائلها فى حاجة إلى الدين.

وغرائز الإنسان النوعية واحدة فى كل فرد من أفراد النوع، وكل سلالة من سلالاته، ولكنه فى الدين يختلف أكبر الاختلاف، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر فى النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى، بل تقرير مكانه فى هذا الكون أو فى هذه الحياة.

فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة، ولكنه يتعلق من الدين بمعنى الحياة.

ولن يوجد إنسان ليس له نوع، أو غريزة نوع، أو آداب نوع، لأن وشيجة النوع ليست مما ينفصل عنه باختياره، ولكن قد يوجد إنسان يفوته معنى الحياة، وقد يوجد إنسان يفهم معنى الحياة على أنه إعراض عن الحياة الفردية، وعن الحياة النوعية، وتوجُّهٌ إلى ضرب آخر من الحياة.

وقد يتحول الإنسان من عقيدة إلى عقيدة، فلا يقال إذن إنه تحول من غريزة نوعية إلى غريزة نوعية، لأن هذه الغريزة لا تقبل التحول ولا التحويل، بل يقال إذن إنه آمن بعلاقة جديدة بين الخلائق جميعًا، وبين الحياة أو مصدر الحياة.

والإنسان إذا طلب من الدين الحياة الأبدية فهو لا يطلب ذلك لأنه فرد من أفراد نوع؛ فإن

النوع قد يبقى ألوف السنين، وقد يقدر الإنسان أنه مكفول البقاء بغير انتهاء، ثم لا يغنيه كل ذلك عن طلب الحياة الأبدية، لأنه يريد لحياته معنى لا يزول، ويريد أن يتصل بحياة الكون كله في أوسع مداه»[1].

والخلاصة أن الإنسان بحاجة فطرية إلى الدين.

وأن الدين الحق من عند الله.

وأن الله تعالى وقد أنعم على الإنسان بالدين، أنعم عليه برسول معصوم يعلمه هذا الدين، ويدربه على التدين.

وأنه سبحانه أنعم على الإنسان بنعم كثيرة تعينه على هذا التديّن أولاها:

نعمة الحياة، بجميع أسبابها.

ونعمة تسخير الكون له.

ونعمة العقل.

ونِعَمًا كثيرة مَنْ عَدّها لا يحصيها.

ونكتفي هنا بآيات جامعة تذكر بهذه النعم التي تعين الإنسان على الحياة وعلى التدين بدين الله الحق، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٠ - ٦٤].

فالإنسان المتدين بدين الحق إنما يشكر بهذا التدين نعم الله تعالى التي أحاطه بها ظاهرة وباطنة.

---

(١) عباس محمود العقاد. الفلسفة القرآنية

– والدين نوعان :

- نوع من وضع الناس للناس.
- ونوع من وضع الله تعالى للناس.

– والنوع الأول الذى من وضع الناس أصناف :

- صنف منه يتصوره الناس لأنفسهم ويدينون به بل يضحون فى سبيله، بغض النظر عن أن يكون حقًا أو باطلاً صوابًا أو خطأً، وقد أدى به ذلك إلى أن يعبد شجرًا أو حجرًا أو كوكبًا أو حيوانًا أو إنسانًا مثله، بل إن بعضهم عبد النور والظلام وعبد الشيطان!!!
- وصنف ورثه الناس عن آبائهم وأجدادهم وأسلافهم فتمسكوا به والتزموا بما كان عليه آباؤهم، ولم يجرؤوا أن يناقشوا ما يتضمنه من باطل ووهم وخروج على العقل والمنطق، وإنما كان قصارى ما فعلوا أن قالوا كما حكى القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣].
- وصنف فرضه عليهم الطغاة من الإنس أو الجن، كما فعل فرعون مع قومه، فقد حكى القرآن الكريم عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص : ٣٨].

غير أن هذا النوع من الدين يتخيله الناس أو يرثونه أو يفرض عليهم من طاغوت، ليس هو الدين الذى تميل إليه الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وإنما هو باطل يجب على الإنسان أن يفيق منه وأن يتجه بفطرته السليمة إلى الصواب.

– والنوع الثانى الذى وضعه رب الناس للناس صنف واحد :

هو : دين الله الذى أنزله على رسله عليهم الصلاة والسلام، التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى عليهم السلام، ثم ختم ذلك وأكمله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينا بالقرآن الكريم الذى أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ.

- لهذا الدين الحق الخاتم الكامل التام الصالح لكل زمان ومكان وظائف عديدة فى حياة الناس نذكر منها ما يوفق الله إليه فيما يلى :

● هذا الدين وضع الإنسان فى وضعه الصحيح :

فلم يبالغ فى مكانته فيعطيه ما ليس من حقه، حتى لا يغتر ويطغى ويقول مقالة فرعون : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٣ - ٢٤].

ولم يقلل من شأنه حتى يستعبده إنسان مثله ويقهره ويجبره على ما يريد، وإنما قال عنه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠].

● وهذا الدين بيَّن للمتدينين مكانة الرسول ووظيفته :

فالرسول ﷺ خاتم المرسلين، وطاعته واجبة بل طاعة كل رسول، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾

[الأنفال : ٢٠ - ٢٢].

والرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه ما أوحاه إليه من الكتاب والحكمة، وله وظائف عديدة تنتمى كلها إلى الهداية، هداية الناس إلى الإيمان وإلى الحق وإلى طريق مستقيم يفضى بالبشرية كلها إلى سعادة الدارين.

● وهذا الدين أوضح للمتدينين به أنه خليفة عن الله فى الأرض : وذلك لكى تتضح لكل إنسان وظيفته فى الحياة الدنيا، فهو نائب عن الله تعالى فى إعمار الأرض وإحقاق الحق والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وهذا الخليفة يجب أن يطيع من استخلفه سبحانه وتعالى ويطيع الرسول الذى جاءه من عند الله بالمنهج الذى يضمن اتباعُه سعادة الدنيا والآخرة، يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ

اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٠ – ٣٦].

● وهذا الدين هو الذى طالب المتديّن به بالإيمان والإسلام والإحسان:

وقد بيّن الرسول ﷺ مفردات الإيمان، وأركان الإسلام ومعنى الإحسان، فيما رواه مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...» الحديث ورواه البخارى وغيره من علماء السنة.

● وهذا الدين الخاتم هو الذى أكد للناس أن الله سخر لهم ما فى الأرض:

بل سخّر لهم عناصر الكون، ليتعاملوا معها كما أمرهم الله تعالى على لسان رسوله الخاتم ﷺ فيجلبوا لأنفسهم بالتعامل معها ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم، ويدفعوا عن أنفسهم ما يضرهم فى معاشهم أو معادهم، قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٢ – ١٧].

● هذا الدين هو الذى طالب المتديّن به أن يفعل الخير عموماً:

والخير هو العمل الذى يرغب فيه كل الناس لفضيلته ونفعه وضده الشر، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

● وهذا الدين الخاتم يطالب المتدين به أن يعود فى معرفة الدين إلى مصدريه الرئيسين: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة. قال الله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ١٥١].

فالكتاب هو القرآن الكريم وهو أكبر نعمة أنعمها الله على الناس، والحكمة هى السنة النبوية المطهرة التى تُفَصِّل ما أُجمل فى القرآن، والسنة هى قول الرسول ﷺ وعمله وتقريره، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

وبعد:

فلعلى بذلك أكون قد أوضحت باختصار شديد مفهوم الدين الإسلامى على النحو الذى يلائم هذا الكتاب.

٢ - مفهوم التربية الإسلامية

التربية في اللغة هي :

- مصدر للفعل : رَبَّ وربَّبَ : المكون من الراء والباء المضعَّفة .

- والربُّ في الأصل : التربية وهي : إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام .

- وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس :

الراء والباء يدل على أصول ثلاثة :

الأول : إصلاح الشيء والقيام عليه .

والآخر : لزوم الشيء والقيام عليه .

والثالث : ضم الشيء للشيء .

وكل هذه الأصول مناسبة لمعنى التربية - كما سنوضح ذلك فيما بعد - إذ التربية : تنشئة، وإنماء، وإصلاح، كما أنها : تعهد ورعاية وكفالة .

- والربَّاني : الحكيم الذي يربُّ العلمَ، أو يربُّه العلم، والمعنيان متلازمان؛ لأن من يربُّ نفسَه بالعلم فقد ربُّ العلم، ومَنْ ربُّ العلم فقد رَبَّ نفسه .

- والتربية ترادف التزكية وهي : تنمية النفس بالخيرات والبركات، وبتزكية النفس وتطهيرها يصبح الإنسان مستحقًا للأوصاف المحمودة في الدنيا، وللأجر والمثوبة في الآخرة، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٧ - ١٠] .

● وتزكية الإنسان نفسه على ضربَيْن :

محمود ومذموم :

فالمحمود هو تطهير النفس من الشرور والآثام وما يعاب على المرء أن يتصف به من الصفات، وتزكيتها بممارسة الأفعال المحمودة .

والمذموم هو أن يمدح الإنسان نفسه، قال الله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

● والتزكية بهذا المعنى المحمود هي إحدى وظائف الرسول الخاتم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فوظيفة الرسول ﷺ - كما يفهم من هذه الآية الكريمة - هي:

- أن يقرأ على الناس آيات الله أي يفسرها لهم.
- وأن يطهرهم من كل النقائص والعيوب في العقائد والعبادات والأخلاق.
- وأن يعلمهم القرآن الكريم أي يبصرهم بما فيه.
- وأن يعلمهم السنة النبوية المطهرة.

وهذه هي مفردات وظيفة محمد ﷺ أو أهم مفردات وظيفته.

- والتربية في تعريف علماء التربية المحدثين مسلمين وغير مسلمين هي:

نظام اجتماعي يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة في تنمية النشء من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية، حتى يتمكن المتربي من أن يحيا حياة سوية في البيئة التي يعيش فيها، ويتفاعل معها.

● والتربية بهذا المفهوم أوسع دلالة من «التعليم» الذي يمثل المراحل المتعددة التي يمر بها المتعلم، ليرقى بمستواه في المعرفة العامة.

● فالتربية إذن: عملية عامة تستهدف أن يتكيف الفرد تكيفاً يمكنه من التلاؤم مع التيار الحضاري الذي يعيش فيه.

- أما علم التربية: فهو العلم الذي يبحث في أهداف تنمية الفرد في مجتمعه من شتى النواحي الإنسانية ابتداء من الناحية البدنية إلى الناحية العقلية والخلقية والاجتماعية.

كما يبحث علم التربية في كل الوسائط التي يستعان بها على تحقيق هذه الأهداف مثل:

● إعداد المعلمين.

● وإعداد المناهج الدراسية.

● وإعداد الكتاب المدرسى.

● وإعداد الخطة المدرسية.

● وإعداد وسائل التدريس.

● وإعداد المدارس ودور التعليم إعداداً يلائم العملية التعليمية.

● وإعداد الإدارة المدرسية، قيادة ومعاونين وعمالاً.

فالعملية التربوية لا تنجح فى تحقيق أهدافها التى يمكن أن نجملها فى كلمة واحدة هى: «إعداد الإنسان الصالح» إلا بكل ذلك.

– والتربية الإسلامية: بكل مفهوم ذكرناه آنفاً؛ يسجل لها أنها سبقت في الوجود كل مفهوم شامل للتربية فى الغرب – الذى أصبح يصدر للمسلمين التربية أهدافاً ووسائل ووسائط، ويوهمنا أنه أعرق من المسلمين فى التربية، ويصدقه كثير منا فى هذه الدعاوى!!!

– ودليلنا على سبق التربية الإسلامية للتربية الغربية نلتمسه فى كلمات علماء الغرب فى التربية – حتى لا نتهم فيما نقول.

● وأهم هؤلاء العلماء الغربيين فى التربية هو:

رونيه أوبير «R. Habert».

فقد قال فى كتابه: «التربية العامة»(١):

«يذكر معجم:

هاتزتفيلد Hatzfeld

ودارمستر Darmester

وتوماس Thomas

أننا لا نقع عليها – أى كلمة التربية – فى اللغة الفرنسية قبل عام ١٥٢٧م.

ونحن نجدها فى جميع المعاجم منذ عام ١٥٤٩م.

---

(١) ترجمة الدكتور عبد الله عبد الدايم أستاذ التخطيط التربوى والإدارة التربوية بالمركز الإقليمى لتخطيط التربية وإدارتها للبلاد العربية – نشر دار العلم للملايين – بيروت – ط أولى ١٩٦٧م.

كما نجدها فى المعجم الفرنسى اللاتينى لصاحبه : روبير إيتين Robert Etienne، حيث نجدها ملحقة بكلمة طعام، ولكنها مع ذلك لم تظهر فى النصوص إلا نادراً.

على أنها - أى كلمة التربية - ليست من الوجهة الاشتقاقية سوى نقل عن اللاتينية، وهو نقل قام به أصحاب النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوربية.

فاللغة اللاتينية كانت تستخدم كلمة «التربية» للدلالة على تربية النباتات أو الحيوانات، وللدلالة على الطعام، وعلى تهذيب بنى البشر، دونما تفريق بين هذه الأحوال جميعًا.

وفى عام ١٦٤٩م لم يكن المجمع العلمى الفرنسى يعرف غير المعنى الأول لهذة الكلمة، فلم يكن يفهم من التربية سوى تكوين النفس والجسد، وكان يجعل منها والتعليم شيئًا واحداً؛ إذ يرى فيها : «العناية التى نقدمها لتعليم الأطفال، سواء فيما يتصل برياضة النفس أو رياضة الجسد»[1].

أحب - بناءً على هذا - أن أسجل هنا هذا السبق للتربية بمفهومها الدقيق فى تاريخنا الإسلامى المرتبط بنزول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ففى القرآن والسنة مفاهيم ومضامين للتربية بمعانى :

● التزكية.

● والتعهد.

● والرعاية.

أسجل هذا السبق إحقاقا للحق، وليس تقليلاً من شان من تأخر عندهم المفهوم الدقيق للتربية إلا بعد الإسلام بتسعة قرون على وجه التقريب.

١ - فمنذ القرن الأول الهجرى، بنى جامع عمرو بن العاص بمصر بمدينة الفسطاط عام ٢٢ هـ - ٦٤٢م، وكان مدرسة كبرى للعلوم حتى إن الإمام الشافعى رحمه الله (١٥٠ - ٢٠٤هـ - الموافق ٧٦٧ - ٨٢٠م) درَس فيه وكان من بين الأساتذة الذين درّسوا فيه.

٢ - وفى أخريات القرن الأول الهجرى أنشأ الوليد بن عبد الملك (٩٠هـ - ٧٠٨م) الجامع الأموى بدمشق، وكان مدرسة لتلقى العلوم.

---

(١) رونيه أوبير : التربية العامة : مقدمة : التربية والبداجوجيا - ص ٢٢ . ط اولى - بيروت - ١٩٦٧م.

٣ – وفى أوائل القرن الثانى الهجرى (١١٥هـ – ٧٣٢م) بنى جامع الزيتونة بتونس ولكنه استعمل كمدرسة أو جامعة فى عهد الحفصيين فى القرن الثامن الهجرى واستقدم الأساتذة فى مختلف فروع المعرفة من بلدان العالم الإسلامى.

٤ – وكذلك أنشىء جامع قرطبة أنشأه عبد الرحمن الداخل فى قرطبة بالأندلس عام (١٦٩هـ – ٧٨٥م) وكان مدرسة كذلك.

٥ – وجامع القرويين فى فاس بالمغرب العربى أنشىء فى عام (٢٤٥هـ – ٨٥٩م) وكان مدرسة.

٦ – وجامع ابن طولون الذى أنشأه أحمد بن طولون فى القاهرة (عام ٢٦٥هـ – ٨٧٨م) وكان مدرسة تعقد بها حلقات العلم والتعليم.

٧ – والجامع الأزهر الذى بناه جوهر الصقلى قائد جيش الفاطميين بناه فى القاهرة سنة (٣٦١هـ – ٩٧٠م) وما لبث أن صار أكبر وأقدم جامعة إسلامية للتعليم.

وغير ذلك من الوف الجوامع التى امتلأت بها بلدان العالم الإسلامى وكانت تقوم إلى جوار العبادة والصلاة حلقات التعليم فيها لمختلف فروع المعرفة الإنسانية.

وكثير من المساجد الجامعة فى العالم الإسلامى لا تزال إلى اليوم تعقد فيها حلقات العلم والتعليم.

– وبعد تسجيل هذا السبق الزمنى للمسلمين فى التعامل مع التربية بمفهومها الملائم، نعود إلى إلقاء الضوء على المفهوم العام للتربية، فنقول:

- إن التربية تعنى تنمية ما لدى الأفراد من إمكانات وقدرات لتصل به إلى المستوى اللائق بإنسانية الإنسان الذى كرمه الله تعالى وفضّله على كثير من خلقه، بحيث تهيئ التربية لهؤلاء الأفراد قدرة على المشاركة فى النشاط الاجتماعى عموماً، وسائر الأنشطة، غير أن هذه المشاركة يجب أن تتم وفق الآداب والأخلاق السائدة فى المجتمع.
- ومن أجل أن تكون التربية إسلامية فإنها يجب أن تتم وفق ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكام وآداب وأخلاق أى وفق ما أحل الله وما حرم.
- إن جميع القيم التربوية فى المجتمع المسلم يجب أن تكون نابعة من القيم الإسلامية التى جاء بها خاتم الأديان، ويجب الإلحاح والاستمرار على هذه القيم التربوية الإسلامية، من

أجل أن يعيش المجتمع المسلم آمنا مطمئنا، قادراً على التغلب على مشكلات الحياة الدنيا، مسهما إسهامًا حقيقيًا فى إعمار هذه الأرض كما تطالبه بذلك شريعة الإسلام.

- وما ضعفت شعوب العالم الإسلامى ولا تراجعت أممه هذا التراجع الحضارى الملحوظ إلا لأنها استبعدت التربية الإسلامية فغيبتها عن حياتها أو غيبها عن حياتها أعداء الإسلام وأعداء أمته[1].

– ونختم هذه النقطة من الحديث عن التربية الإسلامية بتوضيح وظائف التربية الإسلامية أو أهدافها.

- وإنما مزجت بين الوظائف والأهداف لما بينهما من عامل مشترك هو العمل الجماعى لا الفردى، أو العمل الفردى بوصفه عملا تفرضه الجماعة.

- فإذا كانت الوظيفة بمفهوميها الإدارى والاجتماعى هى مجموعة الواجبات والمسئوليات والسلطات والاختصاصات التى تهدف إلى تحقيق هدف معين، وتتعلق بالمستقبل والآمال التى يراد تحقيقها.

إذا كانت الوظيفة كذلك، وكان الهدف هو ما تنشده الجماعة عن طريق العمل الجماعى، ويتعلق بالمستقبل وبالآمال التى يراد تحقيقها، فإن الوظيفة والهدف متقاربان فى هذا المفهوم الاجتماعى.

- وبما أن التربية عمل اجتماعى فى جوهره، فإن وظائفها أو أهدافها من وجهة النظر التى تتفق مع القيم الدينية الإسلامية هى ما نشير إليه باختصار فى النقاط التالية:

١– تمكين المتعلم – على أى مستوى عمرى – من معرفة القيم والمعايير والمرجعيات السائدة فى المجتمع، وهم قيم ومعايير ومرجعيات إسلامية – فى المجتمع المسلم – تمكينهم من ذلك ليأخذوا به ويقدروه ويوالوه ويخلصوا فى تطبيقه، ليعيشوا فى ظله وئامًا اجتماعيا مع إخوانهم فى رحاب هذه القيم وتلك المعايير والمرجعيات.

٢– وتعليم الفرد وتدريبه بل إكسابه الأنماط السلوكية التى يتقبلها المجتمع المسلم، لأنها لا تتعارض مع القيم السائدة فيه، وذلك يستهدف أن يصبح هذا الفرد بهذا السلوك

---

(١) أوضحنا أثر هذا الغياب والتغييب للتربية الدينية فى الباب الأول من هذا الكتاب.

متقبلا فى المجتمع المسلم، وذا قدرة على التكيف مع أى متغيرات مستحدثة، تكيفا لا يخرجه عن قيمه ومعاييره الإسلامية وإنما يأخذ من هذه المتغيرات ما لا يتعارض مع قيمه، ويرفض ما يتعارض.

٣- والكشف عما لدى المتعلم من إمكانات وقدرات، وتعهد ذلك بالتوجيه والتنمية، والتهذيب والاصلاح لكى توائم الاطار القيمى السائد فى المجتمع المسلم، وتحوله بهذه الإمكانات إلى إنسان متفاعل مع هذه القيم الإسلامية، فاعل فى المجتمع يطوره إلى الأحسن والأرض لله تعالى.

وأستاذ هذا التوجيه والتهذيب والاصلاح هو القدوة، والقدوة عندنا معشر المسلمين تكون بالمعصوم ﷺ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

٤- وتهيئة البنية المعرفية الجيدة الصحيحة للإنسان، وتلك من الوظائف أو الاهداف البالغة الاهمية، التى تستهدفها التربية عموما والتربية الإسلامية على وجه الخصوص.

تهيئة المعرفة بنوعيها:

- الأول: عملية الإدراك:

أى إقدار الفرد – من خلال تربيته – على أن يدرك، بل يفسر كل ما يحيط به إدراكا وتفسيرا صحيحين، يقومان على:

التفكير والتذكر والتخيل، والتعميم وإصدار الحكم.

- والنوع الآخر: عملية تحصيل المعرفة:

والمعرفة هنا هى مجموعة المعارف والمعتقدات والأحكام والتصورات الفكرية التى تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولات متكررة، لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به.

المعرفة بكل فروعها: الاستدلالية، والتجريبية، والحسية، والفنية، والمهنية، والتقنية.

هذان النوعان من المعرفة تقدمهما التربية الإسلامية للفرد، ومع ذلك تزوده بمجموعة المهارات الاجتماعية التى تمكنه من التعامل مع السيل الزاخر من المعلومات المتدفقة المتنامية، والتعامل مع البيانات والمعارف المتجددة، ليستخدم كل ذلك باقتدار – بعد ان تدرب عليه تدربا – يُمكنه من معرفة مشكلاته ومشكلات مجتمعه الذى يعيش فيه، ويمكنه من معرفة التغلب على تلك المشكلات، وعلى اختيار انسب الحلول لها.

٥- واعطاء الفرد القدرة على الاستفادة من التقدم العلمى، والتقنى[١]، الذى يزداد عمقا واتساعا يوما بعد يوم، فلا يجوز للتربية - وبخاصة التربية الإسلامية - أن تدع المتربى وفق قيمها ومعارفها بمعزل عن تطور العلوم والمكتشفات والمستجدات فى مجال العلم والتقنية (أى الثقافة المتضمنة معرفة الادوات والوسائل التى يؤثر بها الإنسان فى العالم الخارجى، ويسيطر بها على المادة ويسخرها لتحقيق النتائج التى يرغب فيها).

ويدخل فى التقنية المعرفة العملية التى تطبق على المشاكل العملية المتصلة بتقديم السلع والخدمات، ويدخل فيها الاختراعات والنماذج المستحدثة فى الإنتاج مع ما يترتب عليها من تطوير فى كمية الإنتاج ونوعه.

كل ذلك من وظائف التربية الإسلامية ومن اهدافها.

٦- وتمكين الفرد من التعبير عن ذاته، افكاره وما يدين به، وما يحب وما يكره، تعبيرا صادقا شفافا بعيدا عن نفاق الآخرين، وعن اى مبالغة أو تهويل، وعن أى تقليل من شأن هذا التعبير أو تهوين، إنه يجب أن يتعلم التعبير عن ذاته بكل وسائل التعبير: الكلمة المسموعة والكلمة المقروءة، واللوحة المرسومة، والعمل الدرامى على المسرح أو السينما، بل التظاهر إن دعت إليه حاجة.

ويدخل فى تعلم التعبير عن الذات أن يعارض وأن يرفض وأن يكوِّن رأيا مختلفا.

يجب أن يتعلم ذلك كله، والتربية الإسلامية كفيلة بان تعلمه ذلك بشرط ان لا يضر الآخر ولا يضر نفسه، ولا ينكر معلوما من الدين بالضرورة.

٧- وتمكين الفرد من فهم ما يعبر به الآخرون عن انفسهم وعن افكارهم ومعتقداتهم وما يحبون وما يكرهون، مع احترام حريتهم فى هذا التعبير بالوسيلة التى يرون ما دام الآخر لا يسيء بتعبيره عن ذاته ومعتقداته إلى غيره أو إلى نفسه.

وتعويده بتدريبه على المناقشة الهادئة الموضوعية لكل ما يستمع إليه من آراء، ولو كانت مخالفة لرأيه.

التربية الإسلامية تستهدف ذلك وتدرب عليه وتعين عليه، لان هذا من صميم وظيفة التربية الإسلامية، إذ تمكن التربية من احترام الآخر وحسن التعامل معه.

---

(١) التكنولوجى او التكنولوجيا: Tichnology.

٨- والتربية الإسلامية تقدم نفسها للمتربى من خلال أساليب متعددة؛ لا يمثل التلقين فيها إلا هامشا وقتيا، سريعًا ما ينتهى وقته، وإنما يتمثل ذلك فيما يلى :

- التربية بالقدوة؛ والقدوة الأولى هى برسول الله ﷺ، ثم بالصحابة رضوان الله عليهم ثم بأهل القرون الثلاثة الهجرية الأولى فهى خير القرون، ثم بالسلف الصالح ممن ذاع خبرهم وشاع صلاحهم، ثم بالمعلمين والآباء.. إلخ.

- والتربية بالحوار بين المعلم والمتعلم، فقد كان رسول الله ﷺ يحاور أصحابه ويحاورونه ومن خلال هذا الحوار يعلمهم ويربيهم ويزكيهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

● والحوار - أسلوب جيد فى التربية لا يدع فى نفس المتعلم شيئا يحتاج إلى استفسار، بل إن الحوار سؤالا وإجابة - يعمل على تثبيت المعلومات أو تجديدها فى عقل المحاور.

- والتربية بتغذية القدرة على التخيل، مع الاهتمام بالواقع وأخذه فى الاعتبار دون إغراق فيه أو فى التخيل، وإنما التوازن هو المطلوب، والتربية الإسلامية فى جوهرها هى تربية التوازن فى الإنسان بين روحه وعقله وجسده وواقعه وتخيله.

- والتربية بتوجيه طاقات الإنسان، بحيث تنمى فيه طاقات حب الخير وحب الناس وسائر الفضائل من عفة وشجاعة وصدق ووفاء.. وتقاوم فيه طاقات الشر والرغبة فى إلحاق الضرر بالناس وسائر الرذائل من انحلال وجبن وكذب وغش وغدر ونفاق.

- والتربية بالقصص لأخذ العبرة وبخاصة قصص القرآن والسنة فهما بحر زاخر، فالقصة تربى الروح والعقل والجسد والحس الاجتماعى والوعى السياسى والاقتصادى وتؤثر فى الإنسان أكثر من غيرها، والقصة بأنواعها كلها تقوم بهذا العمل الفاعل فى الإنسان.

- والتربية بالأحداث المعاصرة أو القريبة من زمن المتربى، لأن عرض الأحداث وتحليلها بصدق وموضوعية واستنباط المواقف منها وسيلة جيدة من وسائل التربية لا ينبغى تجاهلها، وهى مفيدة فى حاضر الإنسان وفى مستقبله.

- والتربية بالترويح عن المتربى بحيث يتمكن من خلال التربية من التعبير عن رغباته فى التسلية أو اللعب الرياضى أو الممازحة البريئة، فتلك وسيلة تربوية هامة؛ وذلك أن كبت الرغبات فى التسلية والمرح والرياضة تجاهل لطاقات الإنسان، وإكراه لهذه الطاقات على أن تتجه اتجاها غير سليم.

- والتربية بالموعظة الحسنة، لأن الإنسان بفطرته يتأثر بما يسمع وما يلقى إليه من كلام فى

خطبة أو مقالة أو غيرهما.

والموعظة وإن كانت دعوة مباشرة إلى فعل شيء أو تركه، فإنها مجدية إذا أجادها صاحبها، فهي تؤثر في القلب أولا ثم في العقل بعد ذلك ثم تتسلل إلى السلوك فتقيمه على الحق والصواب.

- والتربية من خلال التلويح بالثواب والعقاب، وذلك بإثابة من جد والتزم وعقاب من أهمل وتسيب، وهو نظام إسلامي إنساني لا ينكره أحد من علماء التربية في أي عصر من العصور، لكن العقاب البدني له ظروف وأوضاع في الإسلام، لا يجوز لأحد المربين أن يخالفه أو يتجاوزه، والإسلام لا يجيز العقاب البدني إلا عقوبة لمخالفات ارتكبها المخالف بإرادته.

٩- والتربية الإسلامية تعمل على تعزيز ثقة المتعلم بنفسه، لإيمانها بأن الثقة في النفس عنصر أساسي في الإنسان الذي يستطيع أن ينجح في عمله وفي تعامله مع الناس والأحداث، دون خوف أو توجس أو تردد، ودون غرور أو تعال على الناس، لأن الواثق بنفسه يقدر نفسه التقدير الصحيح.

والواثق بنفسه هو القادر على أن يتعامل مع المتغيرات تعاملا حسنا يحافظ فيه على قيمه الإسلامية، وعلى علاقته بربه وبنفسه وبالناس والأشياء.

١٠- والتربية الإسلامية تعزز ولاء الفرد للمجتمع المسلم، وتحمل المجتمع المسلم على احترام الفرد وتقديره، ومنحه كل حقوقه ما دام مؤديا لواجباته.

والتوازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وبين واجبات الفرد وواجبات المجتمع هو الهدف الكبير الذي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه، والذي كان هدف كل تربية، لكن لم تنجح نظرية تربوية في إحداث هذا التوازن بين الفرد والمجتمع كما نجحت التربية الإسلامية.

وتعزيز الولاء للمجتمع يدفع الفرد والمجتمع إلى المضي في موكب التقدم بالحياة الإنسانية خطوات وخطوات، بحيث لا يحدث توقف عن التقدم فضلا عن تأخر يؤدي إلى تراجع حضاري كثيرا ما يقع فيه من ليس لديهم ولاء للمجتمع الذي يعيشون فيه.

وبعد:

فتلك من أبرز وظائف التربية الإسلامية ومن أهم أهدافها، فالمجتمع المسلم مجتمع يحترم الدين ويحترم قيمه ومبادئه، بل يلتزم بها، وإلا فقد صفته فلم يعد المجتمع المسلم.

٣- فلسفة التربية الإسلامية ونظريتها

- الفلسفة التربوية الإسلامية :

من المعروف لدى المشتغلين بالفلسفة والعلوم العقلية، وعلم الكلام - التوحيد - أول أصول الدين عندنا معشر المسلمين - أن الفلسفة هي :

دراسة المبادئ الأولى للوجود وللفكر، دراسة موضوعية تستهدف نشر الحق، وتهتدى إليه بمنطق العقل . فهى فى جوهرها دراسة تقوم على التتبع والاستقراء لتصل إلى أهداف بعينها تتصل بالوجود .

● لذلك لم يكن مستغربا على الفلسفة والفلاسفة استبعاد المسلمات مهما كان مصدرها .

● والفلسفة الإسلامية تطلق على تفكير المسلمين فى الكون وفيما بعده وفى الإنسان فردا وجماعة، فى إطار ما جاء به الإسلام من مبادئ وقيم، وتفكير المسلمين أو فلسفتهم تناولت جوانب عديدة أهمها أربعة جوانب :

١- الجانب الخاص بالله تعالى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وعلاقته بالمخلوقات .

وهذا الجانب لم يخرج فيه فلاسفة المسلمين عما جاء من الله تعالى فى القرآن والسنة النبوية المطهرة، ومن خرج منهم عن ذلك إنما شطح واشتط وحسبه شططا ان خرج من مصدرى الإسلام الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

٢- والجانب الأخلاقى الذى يعنى بالقيم الخلقية، ويتناول أخلاق الإنسان وسلوكه فى التعامل مع ربه ومع نفسه ومع الآخر .

وهذا الجانب التزم فيه فلاسفة الإسلام بما أقره الدين من قيم خلقية، وإن وجد بصورة نادرة من شذ عن بعض هذه القيم .

٣- والجانب الخاص بالعالم المشاهد وتطوره أى الطبيعة، وهذا الجانب تحرك فيه فلاسفة المسلمين بملء رغبتهم فى الفكر والبحث وأسهموا فيه إسهامات جيدة .

٤- والجانب الخاص بالرياضة من حساب وجبر وهندسة وغيرها، وهو جانب انطلق فيه فلاسفة المسلمين دون قيود، فأتوا فيه بمبتكرات وكشوف لم يسبقوا إليها .

● وما دامت الفلسفة تفكيرا نقديا فى المشكلات التى تواجه الإنسان فى حياته، ومحاولة إيجاد حلول لهذه المشكلات، فإن الفلسفة الإسلامية قد فعلت ذلك بجدارة واقتدار.

– وفى مجال التربية:

نجد للتربية الإسلامية – كما أوضحناها آنفا – فلسفتها، أى نقدها وتحليلها للمشكلات التربوية التى تواجه المتربى، ونجد تقديمها لكثير من الحلول لتلك المشكلات التربوية، على مستوى البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع.

● وفلسفة التربية الإسلامية – وإن لم تختلف عن غيرها فى موضوعات بحثها ودراستها – نظرت إلى موضوعات الفلسفة من:

طبيعة، ومنطق، ومعرفة، وأخلاق، وجمال، نظرة لم تستبعد فيها الثوابت الإسلامية من عقيدة وعبادة وقيم خلقية.

● وعلى تنوع الفلسفة بتنوع مجالات الدراسة فيها من:

فلسفة دينية أو أخلاقية، أو تاريخية، أو طبيعية، أو علمية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو جمالية، أو نقدية، أو نهضوية، فإن فلسفة التربية الإسلامية قد تنوعت كذلك، وكان لها فى مجالات تلك الدراسة رؤية إسلامية تستهدى بالثوابت التى جاء بها الإسلام، وتفتح أوسع المجالات الفكرية والنقدية أمام المتغيرات.

هذا مجمل عن فلسفة التربية الإسلامية قد نحتاج إلى التوسع فى بعض مفرداته فيما بعد.

– أما نظرية التربية الإسلامية فنقول فيها:

● إذا كانت النظرية هى إطار فكرى يفسر مجموعة من الفروض العلمية، ويضعها فى نسق علمى مترابط، وهى بحاجة دائما إلى أن تتطور مع الزمن وتُعدَّل تبعا لتقدم العلم.

إذا كانت النظرية كذلك فإن نظرية التربية الإسلامية لا تخرج عن ذلك فهى إطار فكرى يفسر مجموعة من الفروض العلمية التربوية ويضعها فى نسق علمى مترابط، ويطورها على حسب ما تقتضيه الظروف والمتغيرات، والمتغيرات فى الإسلام أكثر من الثوابت فيه، فإذا كانت الثوابت الإسلامية ثلاثة هى: العقيدة والعبادة، والخلق، فإن المتغيرات مئات بل الوف لا حصر لها، ومن أجل ذلك فتح لها الإسلام باب الاجتهاد على مصراعيه ليتلاءم

المسلم مع معطياتها ويأخذ منها أو يدع وفق ما تمليه عليه الثوابت الإسلامية.

● ونظرية التربية الإسلامية تربط بين الإطار الفكرى والتطبيق العملى للتربية، فكلما فسرت فرضا من الفروض العلمية ونسقت بينه وبين سواه، عمدت إلى التطبيق العملى لذلك الفرض، لذلك قامت نظرية التربية الإسلامية فى مجال التطبيق على مرتكزات أساسية تؤمن التطبيق العملى، وهذه المرتكزات هى:

● الإيمان بمفرداته المعروفة وهى:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

● والإسلام بأركانه المعروفة، النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

● والإحسان بكل معانيه التى حددتها سنة الرسول ﷺ، أى الإجادة والبر ومراقبة الله تعالى.

● والعدل بمعانيه المعروفة وهى عدل الإنسان مع ربه ومع نفسه ومع الناس.

● والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، بكل مستوى من مستوياتهما وبشرط الا يؤدى الامر بالمعروف إلى منكر، أو ان يؤدى النهى عن المنكر إلى منكر اشد.

● والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

● والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

– نظرية التربية الإسلامية تقوم على تطبيق هذه الامورتطبيقا عمليا فى الحياة الإنسانية يلتزم به الفرد والمجتمع والأمة والدولة؛ فهى تعد الإنسان الصالح الذى يطبق هذه الأمور عمليا، وتعد الاسرة الصالحة ليطبق أفرادها جميعا هذه الأمور عمليا، وتعد المجتمع ونواته الأسرة ليمارس هذا التطبيق العملى، وتعد الأمة المسلمة كلها لتمارس جماعاتها ومجموعاتها هذا التطبيق العملى لدين الإسلام.

وتعد الدولة المسلمة بكل أجهزتها ومؤسساتها ومسئوليها ليمارسوا التطبيق العملى لهذه المبادئ الإسلامية.

– إن التربية الإسلامية بفلسفتها ونظريتها معا، تحاول ان تبنى حضارة إنسانية راشدة، قادرة على تحقيق السعادة للإنسان فى دنياه وآخرته.

● ولكن يسهم الفرد والأسرة والمجتمع فى بناء هذه الحضارة - وهذا واجبهم الزمهم به الإسلام عندما طالبهم بإعمار الارض - ويتمكن من هذا الإسهام باقتدار ورغبة فلابد له من اسباب توجه قدرته وتقوى رغبته فى الأسهام فى بناء الحضارة.

وهذه الأسباب - عند التدقيق والتحرى - هى:

١ - الإيمان:

وهو الأساس الذى تقوم عليه الحضارة الإسلامية، وهو الإيمان بالله أى توحيده وعبادته والتلقى عنه فيما أحل وما حرم وذلك بقبول ما أوحاه إلى خاتم انبيائه محمد ﷺ من القرآن والسنة.

وهذا الإيمان بالله يصفى روح المؤمن من الشوائب والأوضار والأغيار ومن صَفَتَ روحه حسن خلقه وسلوكه وكان جديرا بالمشاركة فى بناء حضارة إنسانية راشدة.

● ومن آمن بالله وأخلص له العبادة وفقه الله تعالى وكان معه فى كل أمر من أموره، ومن كان الله معه - وهو سبحانه مسبب الأسباب - كان النجاح حليفه والنصر ملازما له فى كل معركة يخوضها مع الشيطان أو مع أعدائه، لأن الله تعالى قد تعهد بذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»

● الإيمان بالله وإخلاص العبادة لله يجعل الإنسان جديرا بأن يحرز بتوفيق من الله وتأييد كل رقى وتقدم وسعادة فى دنياه وآخرته.

ولا يوجد إيمان يعدل الإيمان بالله، فلا الإيمان بالقومية، ولا الإيمان بالأمة العرقية، ولا الإيمان بالقانون، ولا الإيمان بالعقل، ولا الإيمان بالعلم، ولا الإيمان بتحقيق الرغبات، كل هذه الانواع من الإيمان وإن جلبت لصاحبها بعض النفع الدنيوى وبعض الرضا عن النفس؛ إلا انها لا تعدل الإيمان بالله وإفراده بالعبادة والإخلاص له فى كل قول أو عمل

أو صمت أو ترك، لماذا؟ لأن الإيمان بالله يحقق منافع الدنيا والآخرة، ويجلب التأييد والنصر في الدنيا ورضا الله وجنته في الآخرة.

٢- والطاعة:

وهي ترجمة الإيمان الدالة عليه، فمن آمن بالله تعالى أطاعه في أمره ونهيه، والتزم منهجه في الحياة.

ومن أطاع الله تعالى أطاع رسوله ﷺ، وأطاع أولي الأمر كلهم من أبوين ومعلمين وأولياء أمر وقادة وعلماء الدين، ومن كان مطيعا لله فإن طاعة الله عز ومعصيته ذل، وهو سبحانه وتعالى يكره أن تؤتى معصيته.

وروى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال ربكم عز وجل: لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد».

- وطاعة الله تعالى يدخل فيها العمل الصالح كله، والعمل الصالح ترجمة للإيمان، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، والعمل الذي يترجم عن الإيمان هو العمل الصالح بكل تأكيد وهو العمل الذي يرضى الله تبارك وتعالى.

- وهذا العمل الصالح يشمل شعب الإيمان كلها - السبع والسبعين - وما ينبغي للمؤمن أن يستقل عملا صالحا يقوم به ولو كان إماطة الأذى عن الطريق أو كان التصدق بشق تمرة أو كان تبسما في وجه أخيه المسلم، ويظل هذا العمل الصالح يتصاعد في قدره ومقداره حتى يشمل الجهاد في سبيل الله تعالى وطلب الشهادة ونيلها.

وأغلب الآيات القرآنية التي ورد فيها الإيمان عطف فيها العمل الصالح على الإيمان هكذا: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات..» ومن تدبر تلك الآيات وهي كثيرة علم أن هذا يعني أن الإيمان والعمل الصالح متلازمان، بمعنى أنه لا إيمان بغير عمل صالح، ولا عمل يعد صالحا إلا إذا كان نتيجة وترجمة للإيمان بالله تعالى.

٣- والتعاون على البر والتقوى:

وهذا التعاون مطلب شرعي أوجبه الله على المؤمنين، في قوله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ...﴾ [المائدة: ٢].

● وهذا التعاون على البر والتقوى هو الضمان لاستقامة الناس أفرادا وجماعات، وعونا لهم على السلامة من أمراض الانحراف عن الأخلاق القويمة، وهو فى الوقت نفسه تشجيع للصالحين وقمع للفاسدين المفسدين.

● وهذا التعاون على البر والتقوى، يتضمن ما لا حصر له من أنواع الخير والبر التى يجب أن يتعاون عليها المسلمون، ومن ذلك:

– التواصى بالحق، ومعناه أن المؤمن المطيع لربه بعمل الصالحات لا يكتفى بأن يحصل بذلك على الثواب ويتجنب العقاب، ولكنه يحب ذلك للناس جميعا، لذلك فهو يوصيهم ويتواصى معهم بالحق.

● والحق هو: الله تعالى، وهو الدين نفسه، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو العدل، وهو كل فضيلة دعا إليها الدين الخاتم. وهو الدعوة إلى الله، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو الجهاد فى سبيل الله.

● والحق ثقيل والقيام به مكلف عناء وجهدا ومحناً وابتلاءات ومن أجل ذلك كان التواصى به والعمل من أجله يحظى بأجزل الثواب عند الله تعالى فى الآخرة، ويطهر الحياة الإنسانية من الباطل والفسق والفجور فى الدنيا.

● والذين يختارون التواصى بالحق والعمل على إقراره وتثبيته فى حياة الناس هم من صفوة المؤمنين الذين يعرفون معانى الإخلاص والتجرد والتضحية، ويدخرون بذلك عند الله موضع الرضا عنهم وإرضاءهم، أما من اكتفى بالإيمان والطاعة دون التواصى بالحق ففى إيمانه ضعف وفى طاعته شك.

– ويضم التعاون على البر والتقوى: التواصى بالصبر على متاعب التواصى بالحق ومشقات طريقه.

● والصبر: صبر على أداء الطاعات، وصبر عن المعاصى.

– ثم يضم التعاون على البر والتقوى كل عمل من شأنه أن يقوم به أكثر من واحد من الناس، فكل عمل يرضى الله يحتاج لعاملَيْن أو أكثر فهو بحاجة إلى التعاون، بل التعاون فيه واجب كل مسلم قادر على المعاونة، فالتعاون إحياء لروح الجماعة، والجماعة بركة ونماء، وتركها شقاء وعذاب؛ ومن أجل ذلك جاءت تكاليف الإسلام معظمها جماعية تحتاج إلى تعاون، ابتداءً من فريضة الصلاة وانتهاء بفريضة الجهاد فى سبيل الله،

وكلها تحيى فى نفس المؤمن روح الجماعة وتوصله إلى بركة الجماعة.

● إن التعاون على البر والتقوى يعصم الإنسان المسلم من سلبيات كثيرة أبسطها - وإن كان غير بسيط - أن يؤذى الآخرين ما دام الأذى بعيدا عنه، مهما كان محركه إلى إيذاء غيره.

فهو عندما يتحرك إلى أذى غيره يخالف أمر الله فى التعاون على البر والتقوى، ويقع فى الإثم والمعصية لأنه تعاون على الإثم والعدوان الذى نهى الله عن التعاون فيه.

● وهذا فرق ما بين التربية الإسلامية وغيرها من أنواع التربية؛ فالتربية الإسلامية تعد الإنسان الصالح الملتزم بأمر الله تعالى ونهيه، بينما كل أنواع التربية غير الإسلامية تعد المواطن الصالح، وليس الإنسان الصالح، والمواطن ينظر إلى الناس والأشياء من خلال نظرة وطنه، وهى نظرة ضيقة غالبا، ومتجاهلة لمصالح الأوطان الأخرى دائما.

والفرق كبير بين إعداد الإنسان الصالح للإنسانية كلها وإعداد للمواطن الصالح لوطنه، وأكثر مما تجلى هذا الفرق فى تاريخنا المعاصر فى الجندى الأمريكى الذى ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى، حيث فتك بالإنسان فى حاضره وفى أمد طويل من مستقبله ولكنه يتصور أنه أرضى وطنه الذى أمرته قيادته بإلقاء هذه القنبلة، فهو مواطن صالح ولكنه بالقطع ليس إنسانا صالحا.

هكذا تربى أمريكا المواطن الصالح لها، المعادى للإنسانية جمعاء ولو كانت التربية فى الولايات المتحدة الأمريكية تربى الإنسان الصالح، لوجد من بين أبنائها ومن بين المسئولين فيها من يعترض على اختلال المعايير الامريكية عن الحق وعن العدل وهى تتعامل مع إسرائيل ومع سائر دول العالم، ولما استطاعت ان تلغ فى دماء الفيتناميين، ولما عذبت شعبا لعجزه عن الإطاحة بجلاده صدام حسين، ولما حاربت بغير هوادة كل دولة إسلامية او حركة إسلامية، ونصرت عليها أعداءها!!

وهكذا تربى روسيا أو الاتحاد السوفيتى سابقا المواطن الصالح الذى تبيح له هذه التربية تعذيب أعدائه فى الفكر والمنهج والعمل على إبادتهم، أو إلقائهم فى مجاهل سيبيريا، إنها التربية التى تصنع الطواغيت من أمثال: ستالين وحاشيته، وبيريا وزمرته، ويلسن وجبروته ووحشيته.

وهكذا تربى إنجلترا المواطن الصالح الذى يجيد ممارسة التمييز العنصرى واللونى، والذى لم يستح أن يذهب إلى إفريقيا محتلا لأرضها مستغلا لخيراتها، ثم يعامل ابناءها كأنهم

عبيد له، وظل المواطن الإنجليزى على هذه الحال حتى يومنا هذا، وجرائم إنجلترا فى البلدان التى احتلتها فى إفريقيا وآسيا شواهد لا يستطيع الزمن أن ينساها أو أن ينسيها للناس.

وهكذا فرنسا وهى تربى المواطن الصالح الذى يحتل بلاد المسلمين فى المغرب العربى، ثم يدعى هذا المواطن الفرنسى أو يزعم أن أرض الجزائر فرنسية، كما يستطيع أن يغتال عقول بعض الجزائريين وثقافتهم وولاءهم لبلادهم حتى يقول بعضهم بأن الجزائر يجب أن تندمج فى فرنسا، وأنها واحد من أقاليم فرنسا!! كما عبر عن ذلك بعض قادتهم.

أما ما فعلته فرنسا فى البلدان التى احتلتها من آسيا وإفريقيا، فإنه عار سيظل يطاردها الوف السنين لأن تلك الجرائم لا تسقط من التاريخ بالتقادم كما أنها لا تسقط قانونا بالتقادم.

وهكذا فعلت هولندا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا، وكل بلد فى الغرب الذى أباح لنفسه - وفق مناهج التربية التى أعدت المواطن الصالح - أن تخطف الناس من بلادهم وأن تجعلهم عبيدا فى بلادها!! وانظر فى الوجوه السوداء فى بلاد الوجوه البيضاء تدرك عمق المأساة الإنسانية فى بلدان العالم الأول أو الصناعى أو صاحب الثروة.

وهذه كلها نتائج تربية المواطن الصالح، لأنه لا يعترف لوطن غير وطنه بأى حقوق، ومنطق ألمانيا فوق الجميع أو «الفرانكوفونية» أو «بريطانيا العظمى» أو منطق حق الاعتراض «الفيتو» فى هيئة الأمم المتحدة كل ذلك يهدى ويدل على عمق المأساة وهولها؛ مأساة تربية المواطن الصالح، فى مقابل ما تفعله التربية الإسلامية من تربية الإنسان الصالح.

● إن أهوال محاكم التفتيش التى أنشأتها الكنيسة عام ١٢٣٣م الموافق ٦٣١هـ وتجددت على عهد فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٧٨م- ٨٨١هـ وقد استمرت هذه المحاكم تعمل حتى (القرن التاسع عشر الميلادى - الثالث عشر الهجرى) فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها. هذه المحاكم اعتمدت على تعذيب المحاكمين ثم الحكم عليهم بأقصى الأحكام وأفظعها.

إن تكوين هذه المحاكم ما جاء إلا نتيجة لتربية المواطن لا الإنسان فى هذه البلاد.

● وإن وحشية التتار بزعامة المغول فى أنهم عاثوا فى الأرض فسادا ودمروا ما أمامهم من كنوز العلم والمعرفة فى بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م، ما كانت إلا لأنهم لم يربوا أبناءهم تربية إنسانية وإنما كانت تربية عرقية قومية.

● وإن الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة على الشرق الإسلامى التى استمرت قرنين من

الزمان لا تهدأ (٤٩٢هـ-٦٩١م) تأكل أمامها الأخضر واليابس وتعتدى على العزل والآمنين، وتغتصب النساء وتبيد الحرث والنسل، ما مارست هذه الوحشية إلا لقصور فى تربية الإنسان الذى قاد هذه الحرب من بابوات الكنيسة وأمراء أوروبا ونبلائها .

● وإن ما قامت به بلدان أوروبا فى القرون من القرن الثامن عشر الميلادى وإلى اليوم من احتلال لبلدان كثيرة فى آسيا وإفريقيا، وما قامت به قوات الاحتلال الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والهولندية والبلجيكية والبرتغالية من أعمال وحشية لا تمت إلى الإنسانية بصلة، إنما كانت نتيجة لأن هذه الدول لم ترب أبناءها تربية إنسانية .

● وما قامت به النازية فى القرن الميلادى العشرين، وما قامت أمريكا ودول الغرب ولا تزال تقوم به حتى اليوم، له دلالة واحدة هى أن هذه الدول لم ترب أبناءها تربية إنسانية .

● وما فعله الروس فى أفغانستان وما فعله الصرب فى البوسنة والهرسك، وكوسوفا، وما تفعله روسيا اليوم فى الشيشان دليل قاطع على أن التربية فى هذه البلاد لم تعمل ولم تستهدف تربية الإنسان على القيم الإنسانية، وليس قادة هذه البلاد بأقل سوءاً أو وحشية من الجنود الذين خاضوا معارك الظلم والوحشية ودفنوا الأحياء واغتصبوا النساء!!

● وبكل تأكيد فإن ما فعلته إسرائيل – منذ تحالف أعداء العرب والمسلمين على إقامة دولة لهم على أرض فلسطين – من أعمال وحشية لا يمكن أن تصدر من إنسان له قلب أو عقل، ما فعلته فى دير ياسين وغيرها فى البداية وفى قانا وغيرها منذ عهد قريب، وما لا تزال تمارسه من اعتقال العرب واغتصاب أرضهم، وفرض سيطرتها من خلال أمريكا على العالم العربى كله اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، كل ذلك يؤكد أن إسرائيل لا تعرف الإنسانية فى تربيتها لأبنائها وإنما العنصرية والعرقية وشعب الله المختار وكل شعوب الأرض خدم لإسرائيل، حتى لقد حملوا التوراة من عندهم ما لا يعقل ولا يقبل فضلا عما كان فيها على أيديهم من تحريف وتبديل .

● وليس بأقل هولا من محاكم التفتيش محاكمات « موسكو » الثلاث المشهورة المليئة هولا ورعبا وفداحة ظلم وعدوان على الإنسان، كانت هذه المحاكمات على عهد الطاغية « ستالين » من سنة ١٩٣٦م إلى سنة ١٩٣٩م، وكل المحاكمات الثلاث كانت ظالمة، وكان النائب العام للدولة يركز كل همه على إثبات التهم على المتهمين، تلك التى ينسبها قرار الاتهام إليهم . كانت مهزلة كشفت عن حقيقة إنسانية الشيوعيين والاشتراكيين عندما

ينقضون على رفاقهم فى البطش والعدوان.

وما كشف هذه المحاكمات نوعا ما إلا تقرير لخروشتيتى شوف سنة ١٩٥٦م قدمه للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٦م ثم كشف الغطاء كله فظهر الفساد كله فى الكتاب الذى صدر تحت عنوان «الاعتراف»(١)

وبعد:

فلعلنى قد أوضحت فى هذه الصفحات فلسفة التربية الإسلامية ونظريتها، وما تركز عليه هذه الفلسفة وتلك النظرية من أسس، وما تستهدفه من أهداف.

غير أن هذه التربية الإسلامية تقوم على دعائم، لا يكون بناؤها إلا عليها، وهذه الدعائم كثيرة، لكنى سأقتصر منها على ما يناسب هذا الكتاب، والله ولى التوفيق.

---

(١) كتاب: Artun Landur فى أواخر سنوات الستين.

٤ - دعائم التربية الإسلامية

التربية التى تتخذ من الدين الإسلامى الخاتم وصفا لها فتوصف بانها إسلامية تربية مرتبطة بالوحى أولا وبالعقل والعلم ثانيا، وبالخلق الذى جاء به الإسلام فى كل حين.

وهى تربية تقوم على احترام الإنسان وحقوقه، كما أنها عالمية النزعة والنظرة للناس والأشياء، وجملة أهدافها أن تنقل الناس بهذا الدين الخاتم من الضلال الذى يعيشون فيه إلى الهدى الذى يجب أن يصلوا إليه ليستقيموا على الحق وتستقيم بهم الحياة الإنسانية.

- والدعائم التى تقوم عليها التربية الإسلامية ويرتفع فوقها بناؤها، دعائم قوية عميقة الجذور سامقة الجذوع مورقة الفروع مثمرة أحلى الثمر، لا يسقط ورقها، إنها دعائم جاءت من القيم التى أقرها الدين الخاتم ورضيها للبشرية كلها دينا، وهى القيم التى إن تمسك الناس بها سعدوا فى دينهم ودنياهم.

- والدعامة من كل شىء هى عماده أو عموده الرئيسى الذى يقوم عليه بيت الشَّعْر (الخيمة) ودعائم التربية الإسلامية هى العمد التى يرتكز عليها البناء.

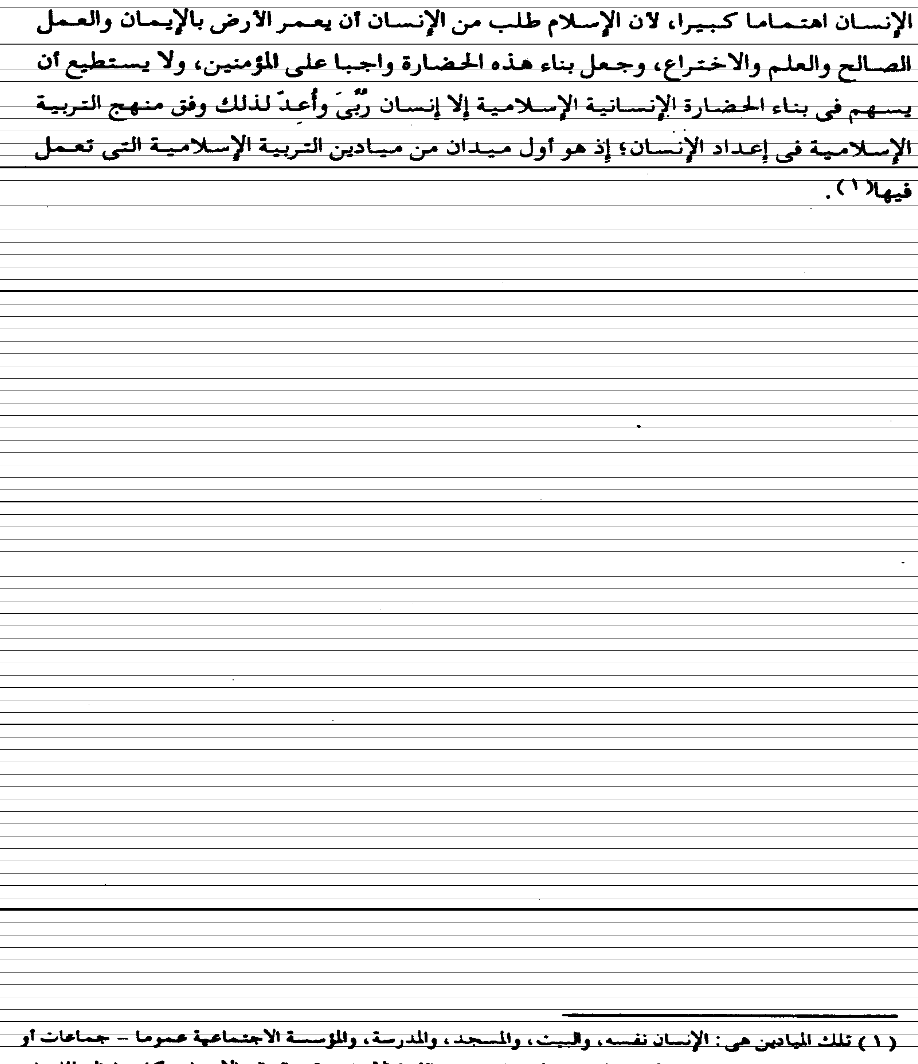
وإذا كانت التربية الإسلامية بناءً أو صرحا، فإن دعائم هذا البناء لابد أن تكون قوية متينة تتحمل أن يقوم عليها البناء الشامخ، فلا يتعرض لسقوط، ولا يؤثر فيه بالضعف تطاول الأيام وكرور الليالى.

هذه الدعائم أو الأسس أو المرتكزات التى يقوم عليها صرح التربية الإسلامية كثيرة، تتعدد بتعدد فروع التربية الإسلامية وهى فروع كثيرة تتناول كل جانب من جوانب الحياة فترسم له معالم طريقه وتمكنه من الصلاح ومقاومة عوامل الضعف والفساد.

- ومن هذه الدعائم الكثيرة اخترت سبع دعائم متماسكة حيوية فى تربية الإنسان قادرة على بناء الإنسان بناءً إسلاميا صحيحا سليما من العيوب والآفات، قادرا على التجاوب مع الحياة، وقادرا على مواجهة المتغيرات يقبل منها أو يرفض وفق منهج متكامل كلفه الله بحمله والعمل به والدعوة إليه.

والإنسان أكرم على الله من سائر ما خلق الله، ولذلك كان اهتمام التربية الإسلامية ببناء

الإنسان اهتماما كبيرا، لأن الإسلام طلب من الإنسان أن يعمر الأرض بالإيمان والعمل الصالح والعلم والاختراع، وجعل بناء هذه الحضارة واجبا على المؤمنين، ولا يستطيع أن يسهم فى بناء الحضارة الإنسانية الإسلامية إلا إنسان ربِّىَ وأُعِدّ لذلك وفق منهج التربية الإسلامية فى إعداد الإنسان؛ إذ هو أول ميدان من ميادين التربية الإسلامية التى تعمل فيها[1].



(١) تلك الميادين هى: الإنسان نفسه، والبيت، والمسجد، والمدرسة، والمؤسسة الاجتماعية عموما - جماعات أو جمعيات أو نوادى - والمجتمع كله، والأمة العربية، والأمة الإسلامية، والعالم الإنسانى كله، انظر ذلك فى الحلقة الأولى من هذه السلسلة: «التربية الروحية» دار التوزيع سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الدعامة الأولى :

الدعامة الروحية

التربية الإسلامية تستهدف إعداد الإنسان وصياغته صياغة جيدة فى فكره وقلبه وسلوكه وتعاملاته مع الناس على النحو الذى يرضى الله تبارك وتعالى .

والإنسان - كما هو معروف - أشرف مخلوقات الله وأكرمها على الله تعالى، كما تحدث بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧] .

والإنسان إنما اكتسب هذا الشرف وتلك المكانة لأن روحه نفخة من روح الله تعالى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٨-٢٩]

- لذلك عنيت التربية الإسلامية أول ما عنيت بتربية هذا الإنسان المكرم الشريف، فركزت على تربية روحه تلك التى حملت معها الحياة يوم نفخت فيه، وهى التى تواصل سيرها به فى طريق الحياة شفافة صافية، ما لم يكدرها صاحبها بأكدار المعاصى والآثام .

والروح بهذه الشفافية وذلك الصفاء الفطرى فيها تستطيع بالرياضة عن طريق ذكر الله، وعن طريق الالتزام بمنهج الله تعالى أن تقرب بصاحبها من الله تعالى، فيقرب الله تعالى منه، فيكون له الخير فى الدنيا والآخرة .

أ- والتربية الإسلامية للروح لها جانبان :

أحدهما :

نظرى يقوم على الفكر والتدبر والنظر فى ملكوت الله، والسير فى الأرض وأخذ العظة والعبرة من الذين مضوا فى سالف الزمان على الإيمان بالله أو على الكفر به سبحانه، ليتمكن الإنسان من التدبر فى هذا أن يشق طريقه فى الحياة آمنا من انحراف عن الحق أو اتباع للباطل، مطمئنا إلى رضا الله تعالى عنه .

وشرط هذا الجانب النظرى من التربية الإسلامية للروح هو : حضور القلب عند القيام بأى عمل، بحيث لا يقصد بعمله هذا إلا وجه الله .

والسير فى الأرض لأخذ العبرة مطلب شرعى، حيث دعا إليه الله تعالى فى سبع آيات من

كتابه[1] منها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦].

وأوجب الله تعالى السير في الأرض إذ أمر به في سبع آيات من كتابه الكريم[2] منها قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧].

والطريق الآخر في التربية الإسلامية للروح، طريق عملي أي تربية عملية:

تقوم على الأذكار والأوراد، وعلى أداء الفرائض مع حضور القلب أيضا - لأن حضور القلب شرط في كل عمل يتوجه به إلى الله تعالى - وعلى الإكثار من أداء النوافل، لما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه».

- ومن التربية العملية للروح ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أمر الله تعالى بذلك، فقد روى الترمذي بسنده عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

- ومنها الدعوة إلى الله والحركة بدينه في الناس حيث يكونون، وبأي لغة يتكلمون لأنه الدين الخاتم الذي يجب أن يبلغ للبشرية كلها، كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨].

والدعوة إلى الله والحركة بدينه واجبة على كل مسلم قادر على ذلك[3].

---

(١) تلك الآيات الكريمة السبع هي : الآية : ١٠٩ من سورة يوسف، والآية : ٩ من سورة الروم، والآية: ٤٤ من سورة فاطر، والآية: ٢١ من سورة غافر: والآية : ١٢ من سورة غافر، والآية : ١٠ من سورة محمد.

(٢) تلك الآيات الكريمة السبع هي : الآية: ١ من الأنعام، والآية: ٣٦ من سورة النحل، والآية: ٦٩ من سورة النمل، والآية: ٢٠ من سورة العنكبوت، والآية: ٤٢ من سورة الروم والآية: ١٨ من سورة سبأ.

(٣) انظر من ذلك كتابنا الموسع: فقه الدعوة إلى الله. الذي تضمن بابا لفقه الدعوة، وآخر لفقه الداعي وثالثا لفقه المدعو - نشر دار الوفاء - القاهرة في طبعات عديدة

● ومن التربية الروحية العبادات الليلية – قيام الليل – فقد أوصى بذلك رسول الله ﷺ، روى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: لما قدم النبى ﷺ المدينة، انجفل الناس قبله، وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله ثلاثا، فجئت فى الناس لأنظر فلما تبينتُ وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شىء سمعته تكلم به أن قال: «يأيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».

وروى أحمد بسنده عن بلال رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد».

● ومن التربية الروحية زيارة القبور، فإنها عظة وذكرى، وتذكر لليوم الآخر، وتذكر الآخرة يرقق القلب ويصرف عن المعاصى ويشجع على الطاعات، فهو يوم الحساب، قد روى مسلم بسنده عن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها» وفى رواية: «فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة».

وروى مسلم بسنده عن بريدة رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية».

● وبغير التربية الروحية للإنسان فلا إنسان، إذ ماذا يبقى من الإنسان بعد أن أصبحت روحه خواءً وقلبه هواءً وأعماله هباءً؟

إن الروح عندئذ تفقد صلتها بالله تعالى، أو تصاب هذه الصلة بالضعف والفتور، وفى كل ذلك ضياع للإنسان.

● إن التربية الإسلامية للروح تجعلها تحب الخير، وتحب الناس وتفعل الخير والبر، وتبتعد عن المعصية والشر، وهذه التربية تزكى النفس بالطاعات، وتلتزم بما أمر الله تعالى به، وتجتنب ما نهى عنه سبحانه وتعالى.

● وإن الروح التى تُربَّى تربية إسلامية؛ تستطيع دائما وبفاعلية أن تتخلص من شوائب الشك والتردد والقلق، ليحل محلها اليقين والعزم والاطمئنان، إنها بهذه التربية روح إيجابية

فاعلة تتعلق بالإيمان وتتذوق عزه، وتنفر من المعصية وتتباعد عن ذلها.

إن الروح مع هذه التربية الإسلامية لها تحسن التعامل مع الحياة بما يحقق للإنسان منافعه، كما تجعل تعاملها الحسن مع الحياة طريقا ومعبرا إلى التعامل المقبول مع أسباب ربح اليوم الآخر، وذلك هو التوازن للروح وهى تتعامل مع الدنيا والآخرة.

ب- وأبرز ما تتصف به الروح التى ربيت تربية إسلامية صفتان:

الأولى: حب الخير.

والأخرى: إيثار الحق.

لأنها روح متصلة بالله بل حسنة الاتصال بالله تعالى.

- والله تعالى يأمر بالخير فى آيات القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، وما دام قد أمر به فإنه سبحانه يثيب عليه أجزل الثواب.

- والله تعالى هو الحق، فلابد للمؤمن من حب الحق وإيثاره، بل لا بد له من تحمل تبعات إيثار الحق وهى كثيرة أيضا، لكن الثواب على ذلك كبير من فضل الله تعالى وكرمه.

وثمرة حب الخير للناس هى القرب منهم والتعاطف معهم وحبهم وتقديم العون لهم حسبة لوجه الله تعالى، ومن أحب الخير للناس وأحبهم آخاهم فى الله تعالى وفى دينه العظيم، والمؤاخاة فى الله مطلب شرعى يجب أن يسعى إليه المسلم، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.. ﴾ [الحجرات: ١٠] والرسول ﷺ يفسر ذلك ويقربه فيقول فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا».

- ومقتضى الأخوة فى الله - كما يفهم من هذا الحديث - ما يلى:

- ألا يسىء الظن أخ مسلم بأخيه المسلم.

- وألا يتحسس - أى لا يتتبع أخباره ويطلب معرفتها - ليظهر منه ما لا يحب أخوه أن يظهر.

- وألا يتجسس عليه أى لا يبحث عن عيوبه وأخطائه، إذ الأصل أن يستر عليه.

- وألا يحسده على نعمة أنعمها الله عليه، فالحسد حرام.

- وألا يبغضه، لأن الأصل فى المسلمين أن يتحابوا لينالوا جزاء المتحابين فى الله وليستطيعوا بهذا التحاب أن يواجهوا أعداءهم.

- وألا يتدابر مع أخيه بمعنى أن يوليه دبره وينصرف عنه ويقاطعه فذلك كله حرام.

- وأن يكون أخًا فى الله لأخيه، أى يلتزم بحقوق الأخوة فى الله وواجباتها.

وثمرة إيثار الحق هى حب الله وحب الحق والبعد عن الضلال والغى، ومن لم يؤثر الله تعالى بالتوحيد والعبادة فقد ضل ضلالا بعيدا، لأن الله تعالى يقول: ﴿ .. **فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ [يونس: ٣٢]

وإيثار الحق يقتضى الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى ما خلق من خلق إلا بالحق أى بمقتضى الحكمة، قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يونس: ٥]

وإيثار الحق يقتضى العدل عموما والعدل بين الناس، وأداء الأمانات والوفاء بالعهود، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء: ٥٨].

- إن الروح التى ربيت تربية إسلامية هى المؤهلة لحب الخير والإيثار الحق بالغة ما بلغت التكاليف والتبعات، وبذلك يتطهر المجتمع من عيوبه، ومن انحرافاته.

الدعامة الثانية :

الدعامة الخلقية

مهما قلنا فى أهمية الأخلاق فى بناء الإنسان وبناء المجتمع الإنسانى الراشد؛ فلن نبلغ ما ينبغى أن يقال فى أهميتها تلك، فهى لها فى بناء الحياة الإنسانية وتوجيهها نحو الحق والصواب ما ليس لغيرها من دعائم التربية الإسلامية.

● ويحق لنا ولغيرنا من الذين يعرفون قيمة الأخلاق أن نقول: إنه بغير الأخلاق فلا حياة إنسانية آمنة فى هذه الدنيا مهما تضافرت القوى الضاغطة على الإنسان من قوانين ونظم ورجال يحمون تطبيق القوانين ويعملون على حماية النظم.

– وأفضل ما أصدر به الحديث عن هذه الدعامة هو خير الكلام وأصدقه كلام الله تعالى وهدى محمد ﷺ.

● قال الله يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن سفسافها، ويعد بالإثابة على التحلى بمكارم الأخلاق، ويوعد بالعقاب على التخلى عنها: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٢- ٣٩].

● قال جل شأنه يعد بأجزل الثواب وأعظمه يوم القيامة لمن اتصفوا بمحامد الأخلاق: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣].

● وقال جل وعلا يوضح لعباده أنواع البر ومحاسن الأخلاق: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

● وقال رسول الله ﷺ في الحض على التمسك بمحاسن الأخلاق والنهي عن الاتصاف بمساوئها أحاديث نبوية كثيرة[١] وجاءت سيرته ﷺ بيانا عمليا لوصف الله تعالى له بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) جمعنا قدرا ليس بالقليل من هذه الأحاديث في كتابنا التربية الخلقية - الحلقة الثانية من سلسلة «مفردات التربية الإسلامية».

ومن تلك الأحاديث الشريفة:

- روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه فى كتابه: الأدب المفرد - ورواه الحاكم فى كتابه: المستدرك، والبيهقى فى كتابه: شعب الإيمان بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

فهدف النبوة كلها - كما يفهم من هذا الحديث الشريف - هو إتمام صالح الأخلاق، بمعنى أن القدر الذى كان موجودا فى الناس من مكارم الأخلاق لم يكن تاما بل فيه نقص وقصور، وأن الرسول ﷺ جاء ليتمم صالح الأخلاق.

- وروى البزار بسنده عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة»

فالخلق الحسن ضرورى لكمال الإيمان، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصلاة والصوم.

- وروى مسلم بسنده عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

أ- التربية الخلقية الإسلامية، والعقيدة:

- هذه الدعامة الخلقية التى تقوم عليها التربية الإسلامية، تقدم هى بدورها العقيدة الصحيحة فى الكون كله وفى خالقه سبحانه وتعالى، العقيدة السليمة من العيوب الخالية من الشوائب، وذلك لأن من صحت عقيدته فى خالقه سبحانه وتعالى وفى نفسه وفيمن حوله من الناس والأشياء هو الإنسان الذى يستطيع أن يسلك سلوكا حسنا نابعا عن خلق قويم، يحقق به الأهداف السامية التى جاء من أجلها الدين الخاتم على يد المعصوم ﷺ.

ويحتاج ذلك إلى شرح وتفسير نقول فيه بعون من الله تعالى:

- لا تصح العقيدة فى الله تعالى ذاته وصفاته وافعاله إلا من خلال الوحى على لسان رسل الله عليهم السلام وبخاصة خاتمهم الذى جاء بأكمل منهج وأحسن نظام.

- وإذا تلقى الإنسان الوحى عن الله تبارك وتعالى، صحت عقيدته فى ملائكته الذين حملوا الوحى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، عندئذ تصح عقيدتهم فى الرسل عليهم السلام وفى صدقهم وعصمتهم وفى المنهج الذى جاء من عند الله متضمنا ما يصلح الناس فى دنياهم وآخرتهم.

● وهذا المنهج الذى جاء من عند الله هو الذى تضمن الدستور الأخلاقى الذى يجب أن يلتزم به الناس فى حياتهم طاعة لله تعالى وتقربا إليه وارضاءً له سبحانه وتعالى.

● ومن أخذ قيمه الخلقية من المنهج الذى جاء به خاتم المرسلين محمد ﷺ صح توجهه إلى الله تعالى بالطاعات وبالكف عن المعاصى وعاش راجيا ثواب الله خائفا من عقابه.

● ومن عاش حياته يرجو الله ويحذر العقاب فى اليوم الآخر صحت عقيدته فى اليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب ومن صحت عقيدته فى اليوم الآخر استقام خلقه على الصراط المستقيم، وعاش مؤمنا بالقضاء والقدر، واستعدت نفسه لتقبل ما يجرى عليه من قضاء الله، وهذا أكمل الإيمان.

● فالأخلاق القويمة التى أمر الله بها والتى هدى إليها المعصوم ﷺ دليل على صحة العقيدة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، والإيمان بكل ذلك دليل على حسن الأخلاق وعلى الاستقامة واتباع صراط الله تعالى، ورفض أى سبل أخرى.

● ومن صحت عقيدته فى الإيمان بالله تعالى، عرف كثيرا من حقائق الكون والحياة الإنسانية فتكونت لديه معرفة صحيحة عن أهم ما فى هذا الكون من مفردات أهمها:

أ- الإنسان نفسه، فمعرفة الإنسان عن طريق الوحى تعصم صاحبها عن انحراف الأخلاق، وعن الخلل فى معرفة قيمة الإنسان وما له وما عليه.

ب- والشيطان أو قوة الشر، فمعرفته عن طريق الوحى تعصم صاحبها عن الوقوع فى أحابيله ومصايده وهمزاته ووساوسه.

جـ- والمشركون والكافرون ومن يعبدون غير الله أو يعبدونه ومعه غيره، فهؤلاء يكون التعامل معهم بما يمليه الوحى وما توجبه الأخلاق الإسلامية القويمة.

د- والمنافقون والفاسقون، وأهل الذنوب من المؤمنين، وهؤلاء يكون التعامل معهم من خلال ما أوجب الإسلام وما منع، وهذا عند ترجمته أو رده إلى أصله هو الخلق القويم الذى جاء به محمد ﷺ.

وبعد.. فإن العقيدة الصحيحة أساس للأخلاق القويمة ودعم لها فى كل توجه يتوجه إليه سلوك الإنسان.

ب- التربية الخلقية الإسلامية مع الفضائل والرذائل.

- ومن المسلم به بين الذين يعرفون الإسلام أن الأخلاق التى جاء بها الإسلام للناس لكى يقيموا عليها حياتهم الإنسانية الراشدة ذات شعبتين، شعبة الفضائل التى يجب أن يتحلى بها المسلم، وشعبة الرذائل التى يجب أن يتخلى عنها المسلم، ولكى نلقى ضوءاً على كل شعبة منها نقول:

الأولى: شعبة الفضائل التى دعا الإسلام إليها:

هذه الفضائل التى دعا الإسلام إلى التمسك بها هى مكارم الأخلاق التى جاء الرسول ﷺ ليتممها، وهى البر وهى حسن الخلق الذى يبلغ درجة الصلاة والصوم، وهى التى أوضحتها الآيات القرآنية التى ذكرنا آنفا من سورة الإسراء(١) ومن سورة الشورى(٢) ومن سورة الأحزاب(٣).

وآيات أخرى كثيرة فى سور عديدة من سور القرآن الكريم. مثل سورة الفرقان(٤) وسورة الأنعام(٥) وسورة النحل(٦)، وسورة المؤمنون(٧)، وسورة المعارج(٨)، وسورة الرعد(٩)، وسورة النساء(١٠)، وسورة التوبة(١١)، وسورة البقرة(١٢).

وبجمع هذه الآيات جميعا فى مكارم الأخلاق نجد أنها تدعو إلى فعل الخير وممارسة أنواع البر والاحسان والخير، والبر والإحسان من صميم صفات المؤمنين، والإيمان نفسه سبع وسبعون شعبة كما هو معروف من حديث النبى ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون- أو سبعون شعبة، فأرفعها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

---

(١) وهى الآيات من الآية رقم: ٢٢ إلى الآية: ٣٩.
(٢) وهى الآيات من الآية رقم: ٣٦ إلى الآية: ٤٣.
(٣) وهى الآية ذات الرقم: ٣٥.
(٤) وهى الآيات من ٦٣ إلى ٧٦ وتسمى عند بعض العلماء: صفات عباد الرحمن.
(٥) وهى الآيات من ١٥١ إلى١٥٣، ويسمونها: الوصايا العشر.
(٦) وهى الآيات من ٩١ إلى ٩٧، ويسمونها: أهل الوفاء بالعهد.
(٧) وهى الآيات من ١ إلى ١١، ويسمونها: المؤمنون المفلحون.
(٨) وهى الآيات من ١٩ إلى ٣٥، ويسمونها: صفات المصلين الدائمين على الصلاة.
(٩) وهى الآيات من ١٩ إلى ٢٢، ويسمونها: آيات المتذكرين أولى الألباب.
(١٠) وهى الآية ذات الرقم: ٣٦، ويسمونها آية المحسنين إلى غيرهم.
(١١) وهى الآية ذات الرقم: ١١٢، ويسمونها آية الذين باعوا أنفسهم لله تعالى.
(١٢) وهى الآية ذات الرقم: ١٧٧، ويسمونها آية أهل البر.

● هذه الأخلاق الفاضلة التى يجب أن يتمسك المسلم بتطبيقها على نفسه، وفى أسرته وفى المجتمع الذى يعيش فيه، لكن هذه الأخلاق الفاضلة تجمعها صفات رئيسة خمس هى:

– الالتزام بمنهج الله فى كل أمر من الأمور.

– والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين،

– والجدية فى التعامل مع المواقف والناس.

– والتسامح والعفو فى التعامل مع الناس.

– والاعتدال والتوسط فى الحكم على الناس والأحداث.

وتحت هذه الصفات الخمس أو الأخلاق الخمسة تندرج مئات الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة.

ولنوضح بإيجاز هذه الصفات الرئيسة الخمس وهى:

● الالتزام بمنهج الله تعالى أى الائتمار بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، ويدخل تحت هذا الالتزام كل صفة فاضلة امتثل فيها المسلم لأمر الله ونهيه.

وهذا المنهج كما نعرف هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته، أى أقواله وأفعاله.

● والولاء لله ولرسوله وللإسلام ولأئمة المسلمين وصالحى المؤمنين.

– فالولاء لله حبه سبحانه والتلقى عنه وحده وطاعته.

– والولاء للرسول ﷺ هو الاقتداء به والتمسك بسنته.

– والولاء للإسلام هو الاعتزاز به عقيدة وشريعة وخلقا وتطبيق ذلك عمليا.

– والولاء لأئمة المسلمين يعنى طاعتهم فى غير معصية لله وتأييدهم والجهاد فى جيوشهم لتكون كلمة الله هى العليا.

– والولاء لصالحى المؤمنين يعنى حبهم وموادتهم ونصرهم، والتعاون معهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وتقديم الخير لهم على كل حال.

● والجديّة فى التعامل مع الأحداث والناس والأشياء، وهى تعنى أمرين جوهريين:

الأول:

الاجتهاد أى بذل الوسع وتسخير الطاقة فى طلب الحق، وفى إحقاقه، بمعنى ممارسة الحقوق كلها حقوق الإنسان، والاعتراف بها لأصحابها وعونهم للوصول إليها، مهما كانت تكاليف هذا الاجتهاد.

والآخر:

ترك الهزل والتراخى وإرجاء عمل اليوم إلى غد، وترك الشعور بعدم المبالاة، أو تناول الأمور بعفوية.

- والمعيار الدقيق للجدية باعتبارها صفة رئيسة من صفات الأخلاق هو: أداء الواجبات فى زمانها الملائم ومكانها الملائم دون تقصير أو إخلال بشىء منها، بل لابد من الغيرة على أدائها والتحمس لهذا الأداء، وبخاصة إذا تذكر الإنسان أنها واجبات إسلامية.

ومع أداء الواجبات لابد من ممارسة الحقوق والتمسك بها دون تفريط بشىء منها إلا إن كان ذلك بإرادة صاحب الحق ورغبته فى التنازل عن بعض هذه الحقوق من باب الإحسان إلى من يرغب فى التنازل له عن بعضها.

● ومن علامات الجدية أن يكون المسلم غيورا على المسلمين جميعا فى أى بقعة من بقاع العالم الإسلامى أن يصيبهم مكروه أو يعتدى عليهم ظالم، فقد روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان يكون أفضل الناس فيه منزلة، رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع بهيعة استوى على متنه ثم طلب الموت مظانه..»

ورواه مسلم فى كتاب الإمارة(1).

● **والتسامح والعفو:**

وهذا أصل من الأصول التى تقوم عليها الأخلاق الإسلامية التى هى دعامة من دعائم التربية الإسلامية.

والتسامح والعفو طريق إلى الوصول إلى درجة الإحسان، وبغيره يصبح التعامل بين المسلمين ماديا كما يتعامل غير المؤمنين ومع التعامل المادى الذى لا يدخله التسامح

---

(1) باب فضل الجهاد والرباط. ورواه غيرهما من جامعى سنن النبى ﷺ.

والعفو يصبح المجتمع المسلم وقد ضعفت أخلاقه ففقد ما ميزه الله به من خلق عظيم يعد أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة .

– والتسامح والعفو يجب أن يكون فى حق المتسامح وما يملك، أما حقوق الله وحقوق الدين وحقوق المجتمع فلا يملك أحد ان يتسامح فيها أو يعفو عن منتهك لها، وإلا ضعف الإسلام فى نفوس المسلمين، وانتشرت الجريمة فى المجتمع وتعادى الناس وحارب بعضهم بعضا .

– والتسامح والعفو كما قلنا هما الطريق إلى درجة الإحسان والإحسان كما نعرف درجة أرفع وأعلى من درجة العدل . ولان الإحسان درجة رفيعة فإن الله تعالى يأمر بها نبيه ﷺ، وجميع أهل الإحسان، يأمره بالعفو والتسامح كما يفهم ذلك من قوله تعالى مخاطبا خاتم انبيائه ورسله محمداً ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ . . ﴾

[آل عمران : ١٥٩] .

والرسول ﷺ يطالب المسلمين بالرفق وهو نوع من العفو، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها، قالت : قال رسول الله ﷺ : «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه» .

● والاعتدال والتوازن :

وهو الاصل الهام من بين الأصول التى تقوم عليها الاخلاق الإسلامية والاعتدال هو التوسط بين طرفين، وهو مطلب شرعى عقلى، إذا غاب حل محله الإفراط أو التفريط .

– والاعتدال هو خلق الامة الإسلامية بين الامم صاحبة الاديان فهى أمة لم تغال فى دينها كما فعلت النصارى، ولا هى فرطت فى دينها كما فعلت يهود، وقد وصف الله هذه الامة الإسلامية بأنها امة الوسط اى الاعتدال قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

– والاعتدال فى الإسلام مطلوب على كل حال وفى كل امر وفى كل حين، والتطرف والإفراط والتفريط والإهمال مثالب أخلاقية مرفوضة على كل حال كذلك، وقد وجه الرسول ﷺ إلى ترك التشدد واتباع ما هو يسير فى أمر الدين دون ان يشق احد على نفسه، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت:

«ما خُيِّرَ رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه..».

والثانية: شعبة الرذائل التى نهى عنها الإسلام

هذه الرذائل المنهى عنها هى القيم الخلقية الهابطة، وهى كثيرة، تتبع فى كثرتها أنواع الشر العديدة فكل شر رذيلة نهى عنها الإسلام.

– وكل رذيلة إنما يقارفها من يرتكب معصية لله تعالى، فكل معصية رذيلة وكل رذيلة معصية لله تعالى.

- ولا سبيل إلى إحصاء الرذائل والمعاصى والآثام، وإنما يجمعها جميعا الشر والإثم والمعصية وكل ما يغضب الله تعالى، وكل ما يناقض فطرة الإنسان السوى التى فطره الله عليها، وكل ما نهى الله عنه.
- غير أننا نستطيع أن نشير إليها فى رءوس موضوعات يدخل تحت كل منها ما لا حصر له من الرذائل والشرور، وهذه الموضوعات أو رءوس الرذائل هى:

– كل خلق نهى الإسلام عن الاتصاف به.

– وكل خلق يترتب عليه فقد الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين.

– وكل خلق يترتب عليه الإساءة إلى الإسلام والمسلمين.

– وكل خلق يترتب عليه التشدد والتنطع فى الدين.

– وكل خلق يترتب عليه التساهل والتسيب فى أى أمر من أمور الدين.

وليست هذه الموضوعات بحاجة إلى تحليل ما يندرج تحتها فهى واضحة من جانب وكثيرة من جانب آخر.

جـ – الآثار التى تترتب على الالتزام بأخلاق الإسلام

لا شك فى أن آثاراً عظيمة النفع سوف تكون نتيجة للتمسك بالقيم الخلقية الإسلامية، كما أن آثارا أخرى لا تقل أهمية عن تلك سوف تكون نتيجة لاجتناب ما نهى عنه الإسلام من رذائل وآثام ومعاص.

هذه الآثار بنوعيها سوف تترك أثرها فى الفرد وفى الأسرة وفى المجتمع والأمة والدولة.

ولو شئنا أن نتتبع كل أثر من هذه الآثار لما وسعتنا هذه الصفحات، ولكننا نشير إشارات عابرة ونترك التفصيل لذكاء القارئ وقدرته على التحليل والاستنتاج ونكتفى فى هذه الإشارات بما يتصل بالفرد، لأن الأسرة والمجتمع والأمة والدولة تتكون من أفراد..

ومن هذه الآثار فى مجال التمسك بالقيم الخلقية الفاضلة:

- تقوية عزيمة الفرد وتعزيز إرادته فى أن يقبل على طاعة الله تعالى فى امتثال أمره واجتناب نهيه، وإذا وصل الفرد إلى هذا المستوى فإن الأسرة والمجتمع والأمة والدولة سوف تسود فيها الفضائل فيتعاون الناس بل يتعاطفون فيما بينهم، بل يتكافلون، وفى هذا ما فيه من خير للناس جميعا.

- وإكساب الفرد أسلوبا صحيحا فى التعامل مع الناس بما يرضى الله تبارك وتعالى، وهذا الأسلوب الصحيح فى التعامل سيبدأ بالتعامل مع الأسرة ثم مع المجتمع قضاياه، ثم مع قضايا الأمة الإسلامية، وينعكس ذلك بالضرورة على الدولة حكومة ونظما وقوانين وحقوقا وواجبات، وعندئذ تستقر الأسرة ويأمن المجتمع ويطمئن، وتفيد الأمة والدولة من هذا الخلق القويم على كل مستوياتها.

- وإكساب الناس إحساسا بهموم الآخرين وظروفهم، والتعامل مع هذه الهموم والظروف بالأسلوب الذى تلزم به الأخلاق الفاضلة.

وإذا تم ذلك فإنه يؤدى إلى التراحم والتكافل بين الناس وهو هدف النظم الاجتماعية فى الإسلام، وعندئذ يفهم الناس عمق التوجيه النبوى وفاعليته فيما أوصى به النبى الخاتم ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». ورواه البخارى وأحمد وغيرهما.

وروى مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

● وعندما يحدث ذلك فإن الفرد والمجتمع سوف يدركون بدقة معنى قول الله تعالى:
﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

● وإذا تمسك الناس بالفضائل الخلقية فقد ابتعدوا عن الرذائل والمآثم والمعاصى، غير أن لهذه المعاصى تأثيراً كبيراً على معظم الناس، لذلك لم يكتف الرسول ﷺ بأمر الناس بالتمسك بالفضائل ولكن نهاهم عن الوقوع فى الرذائل نهيا صريحا فى أكثر من مائة وخمسين حديثا صحيحا[1].

ومما نحب أن نشير إليه من آثار فى اجتناب ما نهى الله عنه ما يلى :

- التغلب على همزات الشياطين وتزيينهم للشر والرذيلة، ومن تغلب على شيطانه فقد انتصر فى أكبر معركة، وفتح الطريق أمام نفسه للانتصار على أى عدو، لأنه انتصر على أعدى الأعداء.

- والرفض البات للتعاون مع أحد على الإثم والعدوان، وإذا تم هذا فقد انحسر الشر العام وانحسرت الاتفاقات الجنائية وهى أسوأ ما يصيب المجتمع من شر، وبذلك يضيق الخناق على أهل الشر والضلال والفساد والإفساد، وهذا أمان للفرد وللمجتمع وبث للطمأنينة فى النفوس.

- ومحاربة الرذيلة فى أى صورة من صورها، لأن كل الرذائل صغيرها وكبيرها مما حرم الله ومما نهى عنه رسول الله ﷺ، ومحاربة الرذيلة حصار لأهلها وإجبار لهم على تركها.

- وباجتناب ما نهى الله عنه تطهر القلوب من الآثام والمعاصى، وتستعد للإقبال على البر والطاعات، وبهذا يتخلص الفرد والأسرة والمجتمع من اللاهين العابثين الذين يتهاونون فى تطهير قلوبهم من الشر والمعصية.

وطهارة القلب فى حد ذاتها تعقب فى الفرد والأسرة والمجتمع عفه وتنزها فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن والمنكح وكل ما يتصل بحاجات الإنسان.

إن المجتمع عندئذ يصبح مجتمع الطهارة المادية والمعنوية، وهذا أسمى ما يصل إليه المجتمع من صفات.

وبعد هذا الحديث عن الدعامة الخلقية من دعائم التربية الإسلامية، نتحدث عن الدعامة الثالثة من دعائمها وهى الدعامة العقلية والله المستعان.

---

(١) انظر فى ذلك : باب المناهى فى الجامع الصغير للسيوطى وزياداته تحقيق محمد ناصر الألبانى - نشر المكتب الإسلامى ببيروت الطبعة الثالثة : ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

الدعامة الثالثة :

الدعامة العقلية

إنما قامت التربية الإسلامية على الدعامة العقلية، لأن هذه التربية تهتم بتحرير إرادة الإنسان من كل إكراه، ومن كل تزييف لهذه الإرادة، بل من كل تقليد يحجب العقل عن الرؤية الصحيحة للمواقف والأحداث .

● إن التربية الإسلامية تربية خاتم الأديان وأكملها وأتمها، لابد أن تربى إرادة الإنسان وحرية اختياره، أى تربيه ليختار ما يريد . وهى تفعل ذلك دائما وفى ظل أى ظروف، وفى كل المواقف ما كان منها خطيرا وهاما وما كان أقل خطرا وأقل أهمية .

● إن الإيمان نفسه فى ظل التربية الإسلامية يجب أن يكون اختيارا لا مجرد ميراث عن الآباء والأجداد، ويؤيد ذلك عدد من آيات القرآن الكريم ومن ذلك :

– قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴾ [الكهف : ٢٩]

– وقوله جل شأنه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير : ٢٧–٢٨] . والحديث فى هذه الآية عن القرآن الكريم أى منهج الإسلام فى الحياة، والتخيير فيها بين إرادة الاستقامة وتحرى الحق والصواب، وبين ترك ذلك باتباع الهوى وعدم الاستقامة، وترك الانشغال بتحرى الحق والصواب .

– وقوله جل وعلا : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الزمل : ٩] وجاءت فى [الإنسان : ٢٩] .

والتخيير فى هاتين الآيتين الكريمتين – على الرغم من وجود المنهج والقدرة على فهمه والأخذ به بين الانتفاع بهذا المنهج واتخاذ السبيل إلى الله بتقواه وخشيته بعد الاقتناع، وبين ترك ذلك كله .

– أبعاد الدعامة العقلية :

ولكى نوضح أبعاد هذه الدعامة العقلية نحتاج إلى الحديث عن نقاط ثلاث :

- حماية الإسلام للعقل من كل ما يشينه.

- ومدى احترام الإسلام للعقل.

- ووسائل تربية الإسلام للعقل.

البعد الأول:

حماية الإسلام للعقل من كل ما يشينه

وما يشين العقل ويعيبه أمور كثيرة يجلبها الإنسان لعقله، دون وعى منه ودون إعمال للإرادة والاختيار، أو يقلد فيها سواه، أو يسيطر عليه خوف يسلبه حرية اختياره أو غيرها من العيوب القادحة فى سلامة العقل كسوء الاختيار، أو القادحة فى قوة العقل كالكسل والعزوف عن التفكير والتأمل والنظر والتدبر.

● وأهم ما يعيب العقل أو يشينه فيشل إرادته وحقه فى حرية الاختيار، أمور ثلاثة:

أولها:

تقليد السابقين فيما دانوا به دون تفكير أو تدبر، وهذا التقليد لا يليق بالإنسان الذى منحه الله عقلا وقدرة على التفكير والنظر بل جعل هذا العقل مناطا للتكليف.

وقد وبخ القرآن الكريم هؤلاء المقلدين، ونعى عليهم أنهم لا يستعملون عقولهم، ولا يتدبرون فى أحوال من قلدوهم، حتى لو كان هؤلاء السالفون لا يعقلون فيما دانوا به، ولا يهتدون إلى الحق والصواب.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٧٠].

ففى الآية لوم وتوبيخ لهؤلاء المقلدين لآبائهم فى العقيدة والعمل إذ على الرغم مما للآباء من منزلة فى نفوس الابناء، فإن هذه المنزلة ما ينبغى ان تجعل الابناء يأخذون عن الآباء دون تفكير وحرية اختيار، بل إن لهم ان يرفضوا ما كان عليه الآباء عندما يختارون ما هو خير منه.

وثانيها:

الاغترار بأصحاب السلطة الدينية، وتصور وجوب اتباعهم دون تفكير وتدبر لما يتبعونهم فيه!!

وأصحاب السلطة الدينية ما لم يكونوا أنبياء من عند الله، فهم الذين نصبوا أنفسهم هذه المناصب جريا وراء مكاسب مادية أو معنوية، وهم بكل تأكيد ليسوا معصومين كالأنبياء حتى يُتبعوا، وحتى اتباع الأنبياء المعصومين يجب أن يكون بعد تفكير وحرية اختيار. قال الله تبارك وتعالى ينعى على هؤلاء إلغاءهم لعقولهم وتنازلهم عن حرية اختيارهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١]. تنعى عليهم الآية الكريمة أنهم اتخذوا أربابا من دون الله كالأحبار والرهبان والمسيح عليه السلام، في حين لا يستحق العبادة في حكم الشرع والعقل إلا الإله الواحد سبحانه وتعالى.

وثالثها:

الخوف من أصحاب السلطة الزمنية الدنيوية من حاكم ظالم أو طاغية مستبد، وهذا الخوف يؤدي إلى الاستسلام لهم فيما يريدون دون تفكير أو تدبر، ودون خشية لله فيما قاموا به من عمل لا يرضى الله تعالى خوفا من سطوة الحكام، ولو تعامل هؤلاء الخائفون من السلطة الزمنية مع عقولهم واحترموا ما منحهم الله من إرادة وحرية اختيار لما أطاعوا هؤلاء الطواغيت فيما يغضب الله، ما يستثنى من ذلك إلا المستضعفون.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٩٧ - ٩٩].

والبعد الثاني:

احترام الإسلام للعقل وتقدير مكانته

تقوم التربية الإسلامية - وهي جزء من منهج الإسلام في الحياة - على احترام العقل أي تكريمه أو إكرامه، وإنما كرم الإسلام العقل لأنه مناط التكليف وبه يعرف الله تعالى ويعبد، وبه يكون الإيمان وبه يتحمل الإنسان مسئولية نفسه ويتحمل جزاء مخالفاته ومعاصيه ولتوضيح ذلك نقول:

أ- معرفة الله وتوحيده إنما يكون بالعقل.

وقد قام الدين الإسلامي في جوهره على توحيد الله تعالى بالعبادة وهذه المعرفة لا تكون

إلا بالعقل، إذ المعرفة عموما هي الإدراك بتفكر وتدبر، وهي أخص من العلم، فالإنسان يعرف الله تعالى بتدبر آثاره ويفكر فيها، وهذه المعرفة تؤدي إلى التوحيد، والتوحيد تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام وعن كل ما يتخيل في الأوهام والأذهان، أي معرفة الله تعالى بالربوبية والإفراد له بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة.

وكل ذلك لا سبيل إلى الوصول إليه إلا بالعقل، لأنه الذي يفكر ويتدبر ويقيم الدليل، لهذا ولغيره من فوائد العقل؛ كرم الإسلام العقل.

● ومن فقد العقل لأي سبب زال عنه التكليف والحساب والعقاب وكان كالطفل والمجنون وأمثالهما.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤] وقال جل شانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال جل وعلا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ب- والإيمان نفسه لا يهتدى إليه إلا بالعقل.

من احترام الإسلام للعقل أن جعله شريكا للوحي في الاهتداء إلى الإيمان، بل سمى العقل نورا يمشي به صاحبه في الناس، وهذا العقل بمعاونة الوحي حين يهدي صاحبه إلى الإيمان، يدله على أن الإيمان لا يعبر عن وجوده إلا بالعمل الصالح مستعينا في ذلك بالوحي.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الانعام: ١٢٢]

وهذا احترام للعقل ببيان حال من كان كالميت في ضلاله ومن أنار الله بصيرته بالهداية وجعل له نورا من عقله يهديه إلى الحجج البينات فيمشي في الناس على هذا الضوء.

أي أن العقل بالتفكير والتدبر يخرج الناس أو يخرج صاحبه من الكفر إلى الإيمان.

وقال بعض المفسرين: إن النور في هذه الآية هو القرآن الكريم ونعم ما قالوا، لكن القرآن الكريم لا يهدى قارئه إلى الإيمان إلا بعد تفكر وتدبر، وإعمال للعقل وأخذ للعبرة.

فكيف لا تحترم التربية الإسلامية العقل وتكرمه وهو الطريق الأوحد إلى الإيمان عموما، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر على وجه الخصوص؟

جـ- والعقل هو الذى يجعل الإنسان مسئولا عن نفسه ومتحملا لنتائج عمله

من المؤكد أن الإنسان لا يتحمل المسئولية والجزاء إلا إن كان عاقلا، ولا أحد بغير مسئولية ولا أحد فوق الجزاء إن أخل أو أهمل أو عصى الله، والعقل أساس ذلك كله.

قال الله تعالى: ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة: ١٤-١٥]. أى أن عقل الإنسان حجة عليه واضحة الدلالة تلزمه بما يجب أن يفعل وبما يجب أن يترك، ومهما قدم من معاذير لمخالفته فلن تجدى شيئا.

وقال جل شانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقد روى ابن أبى الدنيا[1] فى مؤلفه: «كتاب العقل وفضله» بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «.. ولا يعجبنكم إسلام امرئ حتى تعرفوا معقود عقله».

وتقدير الإسلام للعقل تقوم عليه شواهد وبراهين، منها:

- أن العقل واحد من المقاصد الخمسة التى أوجبت الشريعة الإسلامية الحفاظ عليها، وجرمت أى عدوان عليها وفرضت على من اعتدى عليه عقوبة، وتلك المقاصد الخمسة للشريعة هى:

الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

- وأن الإسلام قد فتح أمام العقل باب الاجتهاد بكل أبعاده، والاجتهاد عمل عقلى يقوم على التفكير والتدبر والنظر والقياس، ويتوخى الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع،

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى الأموى البغدادى حافظ الحديث مؤدب الخليفة المعتضد العباسى (٢٠٨-٢٨١هـ) مولده ووفاته ببغداد، وهو غير ابن أبى الدنيا الموصوف بأنه كذاب المتوفى سنة ٣٢٧هـ.

وكل هذا لا يعرف ولا يتوصل إليه إلا بالعقل.

- وأن الإسلام فتح أمام العقل باب الشورى، والشورى والتشاور والاستشارة كلها أعمال عقلية.

والشورى صفة من صفات المؤمنين امتدحها الله تعالي فيهم وجمع بينها وبين طاعة الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة في آية واحدة قال الله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

بل جعل الإسلام الشورى ملزمة لكل مسئول عن أى عمل يتطلب استشارة وتداولا للآراء وشورى بها، قال الله تعالى في خطاب نبيه الخاتم وتعليما للمسلمين من بعده: ﴿.. فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ..﴾ [آل عمران: ١٥٩] بمعنى أن التوكل على الله مع الشورى وقبلها وبعدها، فهو الذى يمنح العون والتوفيق.

والبعد الثالث:

وسائل تربية الإسلام للعقل

لكى تكون الدعامة العقلية للتربية الإسلامية صحيحة وسليمة كان لابد من تربية العقل تربية هادفة تمكنه من التفكير الصحيح والنظر السليم والتعامل الصائب مع المواقف والأحداث ومع الناس والأشياء؛ لذلك كانت للتربية الإسلامية وسائل جيدة لتربية العقل، ومعنى جودتها هو قدرتها على أن تمكن العقل من التفكير الصحيح والتدبر السليم والاستنتاج والتحليل وتصور الحلول المناسبة لكل مشكلة من مشاكل الحياة.

- ونستطيع أن نذكر بعض هذه الوسائل فيما يلى:

أ- تزويد العقل بالعلم الموثق والمعرفة الصحيحة:

إذا زود العقل بالعلم الموثق استطاع أن يزداد علما وأن يتفقه فى أمور دينه ودنياه، فليس كالعلم والمعاناة فيه شيء يفتق الذهن ويشحذ الفكر، ويهيئ من القدرة على التحليل والاستنباط.

فإذا أعطى الإنسان علما موثقا فقد انفتح أمامه باب العلم فى المجالات كلها.

- والعبرة فى العلم الموثق بمصادره، وأوثق المصادر فى الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية

المطهرة، لذلك حرصت التربية الإسلامية على أن يكون الزاد العقلى للمسلم هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قبل غيرهما.

فالقرآن الكريم مستودع كل علم، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وروى الدارمى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجبا» وهو الذى من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم..».

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «من أراد العلم فليثوِّر(١) القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين. رواه البيهقى وقال: أراد به أصول العلم».

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه: «جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى».

والقرآن كما قال أكثر من واحد من العلماء هو الجامع للحقائق كلها.

فالعلم الموثق حق التوثيق فى الكتاب والسنة، وهو العلم النافع المثقِّف الهادى إلى سواء السبيل.

والعلم فى القرآن الكريم جاء أحيانا عن طريق القصص، أو عن طريق الأمر والنهى، أو عن طريق وجوب النظر والتأمل فى المخلوقات والكون وسير الأولين، وكل أنواع العلم فى القرآن داعية إلى الهدى، وما تختلف السنة النبوية عن القرآن الكريم فى الهداية.

وأما المعرفة الصحيحة، فإنما وسيلتها أيضا التأمل والنظر والتدبر فيما يحيط بالإنسان من مخلوقات، عندئذ يعرف الإنسان ما يحيط به من مفردات المخلوقات وبخُلُق الإسلام يستطيع أن يتعامل معها أحسن وأنفع أنواع التعامل.

---

(١) يثور: يُنقِّر ويفتش.

● وإذا كان الإنسان عندما نظر وتأمل وتعامل مع الأدلة والشواهد والبراهين قد عرف الله تعالى فآمن؛ أفلا يستطيع عند النظر والتدبر فى الكون وما فيه من مخلوقات على قمتها الإنسان أن يهتدى إلى المعرفة الصحيحة لمفردات الكون؟

إن القراءة الواعية المتأملة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لتمد الإنسان بمزيد من المعلومات عن مفردات الكون التى تهيئ له المعرفة الصحيحة.

هذه إحدى وسائل التربية الإسلامية لتربية العقل وهى تزوده بالعلم والمعرفة.

ب- وحث العقل على التفكير والنظر والتدبر.

وهذا الحث وسيلة تربوية فى شحذ العقل وإزالة أسباب الكسل والفتور عنه، وهو تقوية له ومعونة، بل تدريب مستمر على وجوب السير فى الأرض والنظر فى سير الأولين وأخذ العبرة مما جرى من المؤمنين والكافرين، ومما جرى لهم.

إن السير فى الأرض تدريب مستمر للعقل على أن ينظر ويتدبر وآيات القرآن الكريم تجعل ذلك من قبيل الأمر فى كثير منها، ومن ذلك:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقوله جل شانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم: ٤٢-٤٣] والأمر بالسير فى الأرض جاء فى خمس آيات أخرى غير هاتين الآيتين الكريمتين.(١).

والتعجب من عدم سير الناس فى الأرض والتأمل فى تاريخ المرسلين ومن أرسلوا إليهم، جاء كذلك فى سبع آيات قرآنية كريمة وهذا التعجب من عدم السير أو إنكاره على من فعله إنما يؤكد لمن كان له قلب وعقل أن هذا السير فى الأرض هو وسيلة مثلى فى حث العقل على التفكير والتدبر والنظر(٢).

---

(١) هى الآيات: ١١ من سورة الأنعام، و ٣٦ من سورة النحل، و٦٩ من سورة النمل، و٢٠ من سورة العنكبوت و١٨ من سورة سبأ.

(٢) وهذه الآيات الكريمة هى: ١٠٩ من يوسف، و٤٦ من الحج و٩ من الروم و٤٤ من فاطر، و٢١ من غافر، و٨٢ من غافر أيضا و١٠ من محمد.

جـ- ودعوة العقل إلى نبذ ما يتوصل إليه بالظن

التربية الإسلامية للعقل تعتمد الأدلة والبراهين وإقامة الحجج فى عمل العقل، وفيما يجب أن يصل إليه العقل من تحليل واستنتاج وحكم على الأحداث. وهى فى الوقت نفسه ترفض أن يعتمد العقل على الظن والتخمين فيما يتوصل إليه.

● ومعنى ذلك أن التربية الإسلامية ترى وجوب اهتداء العقل إلى الحق وإلى المعرفة من خلال الأدلة وليس من خلال التخمينات، بل لا نبالغ إن قلنا: لا علم – فى الإسلام – دون دليل أو برهان؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨].

● وإذا اعتمد العقل الأدلة والبراهين، فقد نفى عن نفسه الهوى واتباع الشهوات.

والعدو اللدود للعقل هو الهوى، والهوى مُفْضٍ إلى اتباع الشهوات، وكل ذلك يؤدى إلى الجور على العقل وصرفه عن النظر الصحيح والتدبر والتأمل الواعيَيْن، ولقد عبرت الآية القرآنية الكريمة عن ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وبعد: فأرجو الله أن أكون قد وفقت فى توضيح هذه الدعامة العقلية من بين الدعائم التى تقوم عليها التربية الإسلامية، وإلى الحديث عن الدعامة العلمية والله المستعان.

الدعامة الرابعة:

الدعامة العلمية

أقام الإسلام بناءه الحضارى كله على العلم، اعترافا منه بما للعلم من أهمية فى حياة الإنسان.

ويمكن القول بإن الإنسان بغير علم لا يسلم له دين ولا دنيا، وكيف يسلم له شىء من ذلك وهو جاهل، والجاهل غالبا ما يضر نفسه بجهله وكثيرا ما يضر غيره.

- والتربية الإسلامية بوصفها جزءا من بناء الحضارة الإسلامية لابد لها أن تعتمد التعلم والعلم والتعليم وسائل هامة فى بناء الإنسان، وبناء الحضارة الإنسانية.

- أبعاد الدعامة العلمية:

- والدعامة العلمية تشارك الدعامة الروحية والدعامة الخلقية والدعامة العقلية فى إسهامها فى بناء الإنسان المسلم، وهذه الدعامة العلمية لها أبعاد ومضامين ودلالات تكونها، وهى فى تصورنا متمثلة فى نقاط ثلاث:

- أهمية التعلم والعلم والتعليم، وفقه ذلك.
- والحرية التى أتاحها الإسلام للعلم.
- ونتائج حرية العلم فى الإنسان.

البعد الأول:

أهمية التعلم والعلم والتعليم وفقه ذلك:

طريق العلم هو التعلم، والإنسان بغير علم يكتنفه النقص، ويحيط به القصور، وتمر عليه الايام والليالى فتزيده بؤسا وتعاسة، وسريعا ما يعجز الإنسان الذى لم يحصل علما عن ممارسة الحياة الإنسانية الكريمة.

ولا قيمة للعلم فى المجتمع ما لم ينشر فى الناس، ويقوم على نشره العلماء والدعاة إلى الله ليكون الناس فى مأمن من أن يصلهم العلم على أيد أمينة تخاف الله.

- ولهذه الثلاثية: التعلم والعلم والتعليم مجتمعة متكاملة أهمية قصوى فى حياة

الإنسان، ولأن الإسلام هو الدين الخاتم التام الكامل كان اهتمامه من خلال كلمات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بهذه الثلاثية وسيلة لتنوير المجتمع وتطويره نحو الأحسن والأرضى لله تعالى.

● والتربية الإسلامية، لا تجد وسيلة للتعبير عن نفسها فيمن تربيهم مثل ما تربيهم على التعلم والعلم والتعليم.

ولكل طرف من أطراف هذه الثلاثية حديث:

أ- التعلم:

وهو مطلب شرعي في الإسلام دعت إليه آيات الكتاب وكلمات السنة النبوية المطهرة، والتعلم هو: طلب العلم.

وطلب العلم واجب على كل مسلم - كما سنوضح ذلك فيما بعد - كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال القرطبي رحمه الله: «هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم..» وبمثل قوله قال معظم المفسرين.

ومن قوله جل وعلا: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

وأهل الذكر هم أهل العلم، وسؤالهم واستفتاؤهم واجب على طالب العلم.

وروى ابن ماجه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم..»

● والتعلم أي طلب العلم تعتريه احكام شرعية عديدة:

- منها:

● أن يكون فرض عين على طالبه، وذلك كتعلم الصلاة والصوم والزكاة ونحوها فهي فرض على كل مسلم، وفي ذلك جاء الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

● أو أن يكون فرض كفاية؛ إذا قام به بعض المسلمين وتحققت بقيامهم المصلحة والكفاية

سقطت فرضيته عن سائر المسلمين، وذلك مثل: تحصين الحصون، وإقامة حدود الله وتطبيقها على كل من اعتدى عليها، كل حد حسب جريمة الجانى، وكالفصل بين الخصوم، ونحو ذلك.

● أو أن يكون مندوبا أى ندب إليه الشرع وحبب إلى الناس القيام به، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم..»

وروى ابن عبد البر - فى كتابه: «جامع بيان العلم وفضله» - بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا فى طلب العلم صلَّت عليه الملائكة، وبورك له فى معيشته، ولم ينقص من رزقه، وكان عليه مباركا».

هذا عن النقطة الأولى وهى: التعلم أحد ثلاثة الأطراف التى ذكرنا آنفا.

أما الطرف الثانى من هذه الأطراف فهو:

ب- العلم:

أى تحصيله والتمكن منه، فهو منزلة رفيعة عند الله تعالى وعند الناس بكل تأكيد.

وهذا العلم نوعان:

- علم بأمور الدين:

أى علم ما يصح به التدين، ومصادره القرآن الكريم، والسنة النبوية، والسيرة النبوية العطرة.

ومراجعه كثيرة أهمها: كتب فقه العقيدة، وكتب فقه العبادات، وكتب فقه المعاملات، وكتب الأخلاق فى الإسلام.

وهذا العلم واجب شرعا على كل مسلم، لأن المسلم مطالب بأن يكون تدينه صحيحا، وكذلك عقيدته وعبادته ومعاملته وأخلاقه، وذلك أن التدين الصحيح فى هذه المجالات يقتضى العلم بها أولا ثم تطبيقها والالتزام بها.

● أما التبحر فى هذه العلوم التى تتصل بأمور الدين فليس واجبا على كل مسلم، وإنما هو واجب على فئة معينة من المسلمين يتفقهون فى أمور الدين، لينذروا قومهم ويعلموهم

ويهدوهم إلى سواء الصراط، وهؤلاء هم الدعاة إلى الله، وهم كل مسلم قادر على أن يدعو إلى الله على بصيرة.

– وعلم بأمور الدنيا:

وهذا العلم بأمور الدنيا فروع تتزايد في كل حين عما كانت عليه من قبل، ويتجدد كل فرع منها حسب ما يُعطى من اهتمام الباحثين بل تكتشف فروع من هذه العلوم على قدر ما يهتم الباحثون في تلك المجالات.

وقد قسم بعض العلماء هذه العلوم التي تتصل بأمور الدنيا وحياة الناس إلى عشرة علوم رئيسة تحت كل علم منها عدد كبير من العلوم الفرعية، بل تحت هذه العشرة ما لا يتناهى من العلوم، وتلك العلوم الرئيسة هي:

١– العلوم التي تتصل ببدن الإنسان، وتحتها كل علوم الطب وكل علوم الأمراض وكل علوم الأدوية وما لا أستطيع حصره في هذه السطور، بل يدخل فيها كل ما يتصل بعلوم النفس وتحت علم النفس ما يقرب من عشرين علما.

٢– والعلوم التي تتصل بعقل الإنسان وثقافته، وتحت ذلك ما لا يحصى من العلوم كعلم المنطق وعلم الحساب وعلم الهندسة وعلم الحركة، وتحت كل علم من هذه العلوم عشرات العلوم ولا يزال البحث مستمرا، ولا زلنا نرى في كل يوم جديدا من هذه العلوم!!

٣– والعلوم التي تتصل بالنظام الاقتصادي للإنسان، وتحت هذا العلم اليوم أكثر من اثنى عشر علما كالاقتصاد الاجتماعي والاقتصاد السياسي، واقتصاد السوق والاقتصاد الصناعي والاقتصاد الطبيعي، واقتصاد الوفرة، والاقتصاد المنزلي، والاقتصاد القياسي.. وغيرها.

٤– والعلوم التي تتصل بالسياسة بمعناها العام، إذ تحتها عدد من العلوم كل يوم في ازدياد، ولا تقل علوم السياسة في عددها عن علوم الاقتصاد وفروعه، وبحسبها اليوم أن لها كليات تدرس فروعها وعلومها، وتستطيع السياسة أن تدخل في كثير من العلوم التي لم تتفرع عنها، وما ذلك إلا لمداخلات السياسة غير المحدودة في كثير من فروع المعرفة.

٥– وعلوم الأرض وجغرافيتها «جولوجيا» وما في الأرض من معادن ونبات وحيوان وجماد،

إذ كل واحد من هذه الأمور له علم أو علوم كثيرة لا نستطيع إحصاءها فى هذه الصفحات.

٦- والعلوم التى تتصل بالبحار والمياه وما فى البحار، وبالحركة فى الماء من تأثير فى البحار، وما فيها من أحياء، كل ذلك له عشرات العلوم التى تتفرع عن هذا العلم.

٧- وعلوم الفضاء، وقد أصبح لها اليوم مفهوم مخالف لما كان يعرفه الناس أو يتبادر إلى أذهانهم عندما يسمعون كلمة «فضاء»، أصبح اليوم للفضاء علوم عديدة تبلغ عشرات إن لم يكن مئات، وحسبك تنوعا ما حدث من ارتباط بين علوم الفضاء وعلم الفلك وعلوم الحرب وغيرها.

٨- والعلوم التى تتصل بالنظام الاجتماعى للإنسان، وقد انشغل علماء الاجتماع فى دراساتهم وبحوثهم بأكثر من عشرين علما من علوم الاجتماع، وهو عدد قابل للازدياد يوما بعد يوم.

٩- وعلوم تاريخ الإنسان، وهى علوم تناولت كل ما يتصل بحياة الإنسان، وتاريخ الإنسان حافل إذ قد تفرع إلى أكثر من عشرة علوم كلها تتصل بتاريخ الإنسان على هذه الأرض.

١٠- وعلوم الترفيه عن الإنسان، وهى كثيرة، يعرف منها المسلمون ركوب الخيل والسباق بها ورياضة السباحة والرمى وغيرها، وقد توسع فيها أهل الغرب فجعلوا منها كل نشاط يمارسه الإنسان ليروح بها عن نفسه كالهوايات العديدة التى يمارسها الإنسان، وكل نوع من أنواع الترويح له قواعده التى يضمها علم من العلوم، كعلم الرياضة البدنية، وعلم السباحة، وعلم الموسيقى وغيرها.

● وعند النظر فى مجموع هذه العلوم نجدها غير متناهية فى العدد، إذ يضاف إليها فى كل يوم جديد، ويحسب منها، تلك هى العلوم الدنيوية، وهى لازمة للإنسان لكى يعيش حياته الإنسانية الكريمة.

● وهذه العلوم الدنيوية كلها تعد من فروض الكفاية، بمعنى أنه لابد من ان يقوم بها بعض الناس، وتحدث بقيامهم بها الكفاية التى تمكن الإنسان من التعامل الجيد مع مفردات الكون كله.

● وإذا لم يقم بها أحدا اثم جميع المسلمين.

هذا عن العلم وتحصيله وهو الطرف الثانى من الأطراف الثلاثة التى تقوم عليها التربية الإسلامية للعقل والعلم.

أما الطرف الثالث من هذه الأطراف، فهو:

جـ- التعليم:

وهو نشر العلم فى الناس وإذاعته.

وهو رفض كتمانه عموما وعمن يسأل عنه على وجه الخصوص، وهذا وذاك واجبان شرعا كما يفهم ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة، بل من المقرر بين علماء المسلمين وعامتهم أنه لا قيمة لعلم لا يتبعه تعليم الناس بنشر العلم فيهم.

● ففى وجوب التعليم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

– والذين أوتوا الكتاب هم: اليهود والنصارى والمسلمون، فقد أوتى كل منهم كتابا من عند الله تعالى، كان خاتمها وأتمها هو القرآن الكريم.

والذين أوتوا الكتاب من المسلمين عليهم واجبان:

الأول هو: نشر العلم بين الناس بإرشادهم إلى الأخذ بما فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من أحكام وأخلاق وآداب.

والآخر هو: دعوة غير المسلمين إلى الدخول فى الدين الخاتم دين الإسلام، دعوتهم إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

● روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩–١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق فى الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ لشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون»؛ فأبو هريرة رضى الله عنه يرى أن نشر العلم برواية الأحاديث النبوية واجب شرعى، يستدل عليه بآيتين من كتاب الله

تعالى، ويرى لنفسه العذر فى أنه أكثر من نشر العلم بإكثاره من رواية الحديث النبوى، بينما كان عدد كبير من الصحابة مشغولين عن نشر العلم برواية الأحاديث النبوية بسعيهم على كسب الرزق.

غير أن جُلَّ الصحابة أسهموا فى نشر العلم برواية الأحاديث النبوية وتعليم القرآن الكريم وتبسيط العلم للناس بما كانوا ينشرون فيهم من فقه بأمور الدين.

وبعد:

فهذا عن النقطة الأولى من نقاط الدعامة العلمية للتربية الإسلامية - وهى: أهمية التعلم والعلم والتعليم وفقه ذلك.

أما النقطة الثانية من تلك النقاط الثلاث التى ذكرتها فهى:

البعد الثانى:

الحرية التى أتاحها الإسلام للعلم

من خلال ما يتاح فى مجتمع ما من حرية فى العلم، تستبين قيمة هذا المجتمع فى مجال دعم تكريم الإنسان ومساعدته فى الوصول إلى أحسن مستويات الحياة الإنسانية.

- والإسلام بوصفه الدين الخاتم التام الكامل قد أتاح للإنسان الحرية فى أن يتعلم ويَعْلم ويُعَلِّم، فقد ندب الإسلام وشجع على حرية العلم والبحث فى كل مجال من المجالات التى تعود على الإنسان بالنفع فى دينه ودنياه، فإن لم تجلب له نفعا أو تدفع عنه ضررا فلا قيمة لهذا العلم، بل قد يكون العلم غير جائز شرعا إن كان فيما يجلب الضرر للناس فى دينهم أو دنياهم.

- وحرية العلم فى الإسلام مرتبطة بحرية الفكر فيه، وقد أوجب الإسلام حرية الفكر وحرية الإرادة وحرية الاختيار - كما أوضحنا ذلك ونحن نتحدث عن الدعامة العقلية للتربية الإسلامية - إذ قد فتح الإسلام الباب واسعا للعقل والعلم، بل جعله من أنواع العبادة التى يتوجه بها الإنسان إلى الله تعالى، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى فى خطاب رسوله الخاتم ﷺ وخطاب المسلمين جميعا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فهذا الدعاء إلى الله بالازدياد فى طلب العلم هو الترجمة الحقيقية لحرية العلم، لأن الدعاء لابد أن يكون مصحوبا بعمل وجهد ومعاناة فى طلب العلم والازدياد منه.

● ولقد أكد تفوق العرب العلمي عدد كبير من العلماء عربا وغير عرب، ولولا إتاحة حرية العلم والبحث ما وصل المسلمون إلى شيء من ذلك.

– يقول في تفوق العرب «المستشرق الفرنسي لوى سيديو» (١٨٠٨– ١٨٧٥م) في كتابه تاريخ العرب: «إن نتاج أفكارهم الغزيرة ومخترعاتهم النفيسة، تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الأشياء».

ويقول «كاجورى»: «إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر، وهم أول من أطلق لفظ جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم، وعنهم أخذ الإفرنج هذه اللفظة Algebra وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة، وأول من ألف فيه: محمد بن موسى الخوارزمي في زمن المأمون، فلقد كان كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة منهلا نهل منه علماء الغرب وأوروبا على السواء واعتمدوا عليه في بحوثهم وأخذوا عنه كثيرا من النظريات، وقد أحدث أكبر الأثر في تقدم علم الجبر كما أحدث كتابه في الحساب، بحيث يصح القول بأن الخوارزمي وضع علم الجبر وعلّمه، وعلم الحساب، للناس أجمعين»(١)

● ولقد سبق المسلمون في علم الكيمياء إلى الالتجاء إلى التجارب ليتحققوا من صحة بعض النظريات وإليهم يرجع الفضل في استحضار كثير من المركبات التي تستعمل حتى الآن في صنع الصابون والورق والحرير والمفرقعات والأصبغة والسماد الاصطناعي..

● وقد اشتهر من علماء الأمة العربية الإسلامية «أبو الريحان البيروني» في تفوقه ببحوثه النادرة في الرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا، حتى توصل «سخاو» كارل إدوارد (ت١٣٤٩م) بعد دراسة حياة البيروني واطلاعه على مؤلفاته إلى اعتراف بالغ الأهمية إذ قال: «إن البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ».

● وفي تفوق المسلمين في الفلك يقول: الدكتور ماكس مايرهوف (١٨٧٤–١٩٤٥م) وهو مستشرق ألماني طبيب: «إن العرب أسدوا جليل الخدمات إلى هذا العلم الذي تتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الإسلامي».

● وابن الهيثم معدود لدى الباحثين الأوروبيين والعرب من عباقرة العالم الذين قدموا خدمات جليلة للعلوم، وفي دائرة المعارف البريطانية أن كتابات ابن الهيثم في الضوء

---

(١) مقدمة: «كتاب الجبر والمقابلة» للخوارزمي، قدمه وعلق عليه الأستاذان مشرفة ومحمد مرسي أحمد.

أوحت اختراع النظارات.

ويقول قدرى حافظ طوقان(١) : «إن الأمة العربية من الأمم التى خلفت آثارا جليلة فى ميادين المعرفة، عادت على الحضارة بالتقدم والارتقاء، وقد لا يكون هناك أمة لها ما للأمة العربية من تراث خالد، وأثر بليغ فى سير العلوم، فلولا نتاج القريحة العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون».

● وإن الحرية التى منحها الإسلام للعلم والعقل والبحث، هى التى مكنت مشاهير علماء الإسلام أن يشيدوا هذه الصروح العلمية فى مختلف المجالات التى خاضوا غمار البحث فيها.

● ولقد كان البدء بتلك الجهود العلمية المضنية التى بذلها كثير من العلماء لجمع أحاديث الرسول ﷺ بعد وفاته بمائة عام تقريبا ليضعوها فى كتب، وكانت من قبل قد كتب بعضها فى صحائف مبعثرة هنا وهناك، وكان كثير من الأحاديث النبوية فى صدور الرجال من التابعين وتابعيهم، وبعض الصحابة الذين عاشوا طويلا رضى الله عنهم، فجمعت السنة النبوية بجهود علمية نادرة المثال، كموطأ مالك ومسانيد أبى حنيفة والشافعى وأحمد رحمهم الله، ثم توالى تاليف الكتب فى السنة فجاء على رأسها صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

● ثم كان من ثمرة حرية العلم والفكر التى كفلها الإسلام للناس أن أتيح لأئمة المذاهب أن يؤسسوا مذاهبهم بناءً على اجتهاد كل منهم فى فهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حدث ذلك دون أن يعترض أحد على ممارستهم لحرية العلم والفكر فى تأسيس مذاهبهم، ولقد عرف مذهب الإمام مالك، ومذهب أبى حنيفة، ومذهب الشافعى، ومذهب أحمد ابن حنبل رحمهم الله تعالى، وتداول المسلمون كتبهم وفقههم حتى يومنا هذا.

● وتلك الحرية فى العلم والفكر هى التى جعلت علماء المسلمين يبرزون فى مختلف مجالات العلم مثل: العقيدة وعلم الكلام - التوحيد - والفلسفة والتاريخ والجغرافيا التى كان لهم فيها أشهر كتاب وهو : تقويم البلدان للحموى، حتى إن بعض الباحثين الأوروبيين قالوا: إن هذا الكتاب ليس له نظير حتى عهده فى كل بلدان العالم. وكذلك كانت أعمال ابن حوقل (ت ٣٩٧هـ) والإدريسى ت ٥٦٠هـ وغيرهما رائدة فى مجالها.

---

(١) قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك نشر دار الشروق - دون تاريخ.

● وحرية العلم والبحث التى أتاحها الإسلام هى التى أتاحت لعلماء المسلمين التفوق والسبق فى علوم الحساب والجبر والهندسة والفلك والطب البشرى والبيطرى والادوية، والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم.

● إن جميع هذه العلوم التى برز فيها علماء الإسلام، إنما كان التفوق فيها نتيجة لحرية الرأى وحرية التفكير وحرية البحث العلمى، ومعنى ذلك أنها كانت حرية واسعة المدى، لا تعرف الحظر ولا المصادرة إلا فى أحوال نادرة هى أن يكون البحث العلمى وحرية الفكر فيه مؤدية إلى إلحاق ضرر بالناس فى دينهم أو دنياهم.

● بل لقد وضع الإسلام قواعد وآدابا للبحث العلمى وحرية العلم نشير منها إلى نقاط:

١- اتباع خطوات المنهج والبحث العلمى المعروفة من:

تقصى الحقائق عن ظاهرة أو مشكلة بطريقة منهجية، ثم تبويب هذه الحقائق وتقسيمها، ثم تحليل كل حقيقة، ثم وضع الحلول الملائمة للظاهرة أو المشكلة.

٢- وابتغاء مرضاة الله فى البحث بالالتزام بالأخلاق الإسلامية فيه من: إخلاص فى العمل، وتجويد له، وصدق وأمانة فى إجرائه، واتباع للوسائل المشروعة في التوصل إلى نتائجه واستهداف صالح المسلمين فى دينهم ودنياهم.

٣- والتزام الحياد والموضوعية فى إجراء البحث، اى الابتعاد المطلق عن التعصب والهوى(١).

هذا عن النقطة الثانية التى تقوم عليها الدعامة العلمية للتربية الإسلامية وهى الحرية التى أتاحها الإسلام للعلم والفكر، وتبقى النقطة الثالثة وهى:

البعد الثالث:

نتائج حرية العلم فى الإنسان

لابد أن تترك هذه الحريةُ للعلم والفكر آثارا عميقة فى الإنسان بل فى المجتمع الذى يعيش فيه.

● وقبل أن نوضح هذه الآثار، نجد من اللازم توضيح ارتباط حرية العلم فى الإسلام بحرية الفكر فيه، وارتباط ذلك بحرية التعبير.

---

(١) للتوسع فى منهج البحث الإسلامى، انظر لنا كتاب: نحو منهج بحوث إسلامى -نشر دار الوفاء بالقاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

أ- حرية العلم وحرية الفكر :

● ترتبط حرية العلم فى الإسلام ارتباطا وثيقا بحرية العقل وحرية التفكير وحرية التعبير، إذ قد كفل الإسلام حرية العقل حينما طالب الإنسان بالبحث العلمى والتحرر من التقاليد -فى حدود إمكاناته- لكى يصل من خلال هذا البحث الحر من كل قيد إلى الإيمان بالله تعالى، وتوحيده بالعبادة بعد معرفته سبحانه وتعالى.

وكذلك أباح الإسلام للإنسان -من أجل الوصول إلى توحيد الله تعالى أن يفترض تعدد الآلهة، ليصل من خلال هذا الافتراض والبحث العلمى الحر إلى أن الله تعالى إله واحد، وأن صلاح الكون يقتضى إلها واحدا.

● ومع حرية العقل فى التفكير تأتى حرية العلم والبحث، ونتيجة لذلك تأتى حرية التعبير والإعلان عما توصل إليه الإنسان من نتائج وقضايا ومسائل ومكتشفات ونحوها، دون إن تكون هناك أى قيود أو محاذير تفرضها سلطات الإعلام -لأنه ليس فى الإسلام سلطة أو وزارة إعلامية تكمم أفواه الناس أوتحملهم على أن يقولوا ما يرضى السلطة بغض النظر عن أن يكون ذلك نابعا من اليقين والإيمان!!

● بل أباح الإسلام حرية العقل والفكر والعلم فى فهم مصدرى الإسلام الرئيسين؛ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وترك الباب مفتوحا على مصراعيه فيما وراء هذين المصدرين دون قيود إلا القيود التى يفرضها العقل السليم أو العلم المنهجى، وتلك تصدر عن الإنسان لا عن الإسلام.

ففى مجال الفقه واستنباط الأحكام الشرعية أطلق الإسلام حرية الفكر وحرية العلم ليصل الفقيه إلى ما يريد مما يمليه عليه علمه وثقافته.

وأوسع أبواب حرية الفكر وحرية العلم هو باب الاجتهاد أى بذل الوسع العقلى والعلمى فى سبيل الوصول إلى الحكم الشرعى بعد الاستدلال عليه.

● وكل القيود التى وضعها الإسلام على حرية العقل وحرية العلم هى: التجرُّد من الهوى الشخصى، والابتعاد عن إلحاق الضرر بالنفس أو بالغير.

● وحرية العلم فى الإسلام تعنى حرية عقل الإنسان وحرية إرادته واختياره، وهذه الحرية من شأنها أن تكشف عن تفاضل الناس بعضهم على بعض أمام التكاليف الشرعية التى أمرهم الله تعالى بها أو نهاهم عنها.

ب- نتائج حرية العلم وحرية الفكر :

وتلك النتائج حاسمة وصارمة بحيث لا يعيش الإنسان حياته الإنسانية الكريمة التى أرادها له الله تعالى إلا بها، وهذه النتائج أو الآثار كثيرة ومتنوعة، ولكنها جميعا ضرورية للإنسان، وسوف نذكر منها ثلاثة آثار هى :

- المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

- وتحمل كل إنسان مسئوليته عن عمله .

- واحترام صاحب الرأى الآخر وحسن التعامل معه .

ولبيان ذلك نقول، والله المستعان :

- إن المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات هى أولى دعائم حرية العقل وحرية العلم والبحث العلمى المنهجى، إذ لا وزن ولا قيمة لأى حرية فى ظل تفاوت الناس فى حقوقهم وواجباتهم .

● وممارسة الناس الحق فى حرية الفكر وحرية العلم يجب أن تكون مكفولة للناس جميعا دون تمييز بينهم لأى سبب من الأسباب، إذ كل من مارس حقه يجب أن يؤدى واجبه، وما لم يكن ذلك كذلك اختلت معايير الحرية واختل نظام المجتمع، ما يجادل فى صحة ذلك إلا مكابر معاند، أو جاهل بحقيقة الحياة الإنسانية التى قد تنهار بوجود التفاوت بين الناس فى الحقوق والواجبات .

● ومما لا يحتاج إلى جدل أو اختلاف أن المساواة بين الناس فى حرية الفكر والعلم المؤدية إلى المساواة فى الحقوق والواجبات، لا تعنى المساواة بينهم فى القدرات والمواهب أو الذكورة والأنوثة مثلا -كما يهرف بذلك الذين لا يعرفون- وذلك أن التفاوت بين الآحاد من الناس والطبقات منهم حقيقة واقعية لا سبيل إلى إنكارها، وما ينكرها إلا غافل أو مضلل .

● ومهما يكن هذا التفاوت فى غير الحقوق والواجات، فما ينبغى أن يكون سببا فى الظلم الناتج عن التخلى عن المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

- وإن تحمل كل إنسان مسئوليته عن أقواله وأعماله، بل عمَّن يلى أمره من الناس، وعما يليه ويقوده من أعمال، هى من صميم العدل على المستوى الفردى، والاجتماعى، بل من صميم الممارسة الحقة للحرية .

● وقد أوجب الإسلام هذه المسئولية وألزم بها كما يفهم ذلك من قول الله تعالى : ﴿ بَلِ

﴿الإنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة : ١٤ – ١٥].

- وهذه المسئولية الشخصية فى الإسلام مقترنة بل ملازمة لمسئوليته عن اداء التكاليف الشرعية، وهى مسئولية تتوافق مع حرية إرادته وحرية تفكيره واختياره، فمن كان حراً في ذلك كان مسئولا عما يفعل، ومن لم يكن حراً أو مختارا فليس بمسئول عما أكره عليه، يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ [النجم : ٣٩ – ٤١].

- وهناك حقيقة أخرى تتعلق بالمسئولية والجزاء، هى ان أحداً من الناس ليس مسئولاً عن أحد من الراشدين، لان ذلك لو جاز لترتب عليه خلل وظلم بان يخطىء إنسان ويتحمل آخر جزاء خطئه، فضلا عما فى ذلك من اضطراب فى المجتمع يؤدى إليه ذلك الخلل إذ يخطىء من يشاء ثم يجد نفسه غير مسئول عن خطئه وإنما تحمله عنه سواه من الناس!!

- إن المبدأ العام الذى أقره الإسلام ودعا إليه بل ألزم به هو ان أحدا لا يحمل خطيئة أحد، كما يفهم ذلك من قوله الله تبارك وتعالى : ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر : ١٨].

– واحترام صاحب الرأى الأخر وحسن التعامل معه :

احترام صاحب الرأى المخالف، هو احترام لإنسانية الإنسان، واحترام لحقه فى أن يكون حرَّ التفكير حرُّ الرأى يدين بما يعتقد أنه الصواب.

- ومن هذا الباب المؤدى إلى احترام صاحب الرأى الآخر شرع الإسلام الشورى، وطالب كل مسلم بأن يستشير وأمر كل مستشار بالإخلاص والأمانة وأوجب عليه ان يكون على مستوى حسن الظن به عند استشارته، بحيث يشير بما يرضاه لنفسه.

- ومن أجل دعم الشورى واحترام المشاورة حَرَّم الإسلام على كل مسلم أن يستبد برأيه فى الناس مهما كان أميرا عليهم أو رئيساً لهم أو مسئولا عنهم.

- ولكى يُعلِّم الله المسلمين ما للشورى من أهمية فى حياتهم وما للاستبداد بالرأى من أضرار وأخطار، خاطب رسوله الخاتم المعصوم ﷺ، والخطاب من بعد ذلك موجه إلى كل مسلم، فى قوله تبارك وتعالى : ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق : ٤٥] والمعنى فى الآية –والله أعلم بما يريد– أن الرسول ﷺ ليس له أن يجبر الناس على ما يريد، وإنما هو منذر لهم يذكرهم ويدع لهم حرية الإرادة وحرية الاختيار.

● ولكى يحرض القرآن الكريم المسلمين على احترام كل منهم لرأيه الحر وعدم خضوعه لأى سلطة تسلب منه حريته، لذلك رفض القرآن الكريم منطق فرعون فى أن يلغى حق الناس فى التفكير وأن يفكر هو لهم، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]

فمنطق فرعون ونظرائه هو منطق المستبد الذى يحرم الناس من حرية التفكير ونعمة العقل، وهو منطق مرفوض إسلاميا وإنسانيا، وفى كل زمان ومكان.

● وما لم يُحترَم صاحب الرأى الآخر، فإن المجتمع كله يخسر رأيا قد يكون فيه نفع للناس، وإن المجتمع يكون قد ارتكب خطأً فادحا فى مصادرة حرية الإنسان وإرادته، وهذا ظلم لا يرضاه شرع ولا عقل ولا عرف.

● ومن أقوى الأدلة على أن الإسلام يحترم صاحب الرأى الآخر، ما رواه البخارى بسنده عن مروان، والمسور بن مخرمة أخبرا عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما(١) أن رسول الله ﷺ جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «معى مَنْ ترون، وأَحَبُّ الحديث إلىّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السَّبى وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم»

وكان رسول الله ﷺ قد أنظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سَبْيَنا.

فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعدُ فإن إخوانكم قد جاءوا تائبين، وإنى رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يطيِّب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل»

فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لا ندرى من أذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم».

---

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام رضى الله عنه من مشاهير التابعين فى المدينة المنورة، توفى سنة ١٠٥ هـ وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما.

فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا».

وفى هذا الحديث الشريف درس عميق فى حرية الرأى واحترام إرادة الإنسان واختياره.

وفيه إقرار لمبدأ الشورى وتحوط شديد فى أن يعبر كل منهم عن رأيه بصدق وصراحة ومن خلال إخبار عرفائهم عنهم.

وهكذا يعيش الناس فى المجتمع المسلم يحترمون صاحب الرأى الآخر ويحسنون التعامل معه كما أمرهم بذلك الإسلام.

وبعد.. فهذا عن الدعامة العلمية من دعامات التربية الإسلامية وهى مكملة للدعائم الثلاث التى سبقتها.

وإلى الحديث عن الدعامة الخامسة من دعائم التربية الإسلامية وهى: دعامة احترام حقوق الإنسان.

الدعامة الخامسة:

دعامة احترام حقوق الإنسان

التربية الإسلامية تقوم على التعريف بحقوق الإنسان، وعلى احترام هذه الحقوق وتقديرها حق قدرها، وجعل التعريف بهذه الحقوق وبيان أهميتها من بين أهدافها.

● وكل تربية صحيحة للإنسان لابد أن تعرف بحقوق الإنسان وتقدرها حق قدرها، وذلك أن الإنسان الذى لا يعرف حقوقه فى المجتمع ولا يعترف له المجتمع بهذه الحقوق، قلما تجدى معه أى تربية، لأن من لم يعرف حقوقه على المجتمع أجدر ألا يعرف واجباته، ومن لم تحترم حقوقه فقلما يؤدى هو واجباته نحو المجتمع.

● ولسنا نبالغ فى شىء إن قلنا: إن الإسلام يقوم على احترام حقوق الإنسان وحرياته، لما بين ذلك من ارتباط مع التكاليف الشرعية كلها، فكيف يقوم بأداء التكاليف الشرعية من كانت حقوقه ضائعة أو منتقصة؟

– وتقرير الإسلام لحقوق الإنسان وحرياته وارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وجاءت السيرة النبوية لكى تكون تطبيقا عمليا لهذه الحقوق والحريات.

– ومن بعد رسول الله ﷺ كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على احترام حقوق الإنسان وحرياته، وكذلك كان التابعون وتابعوهم إلى نهاية القرون الثلاثة الأولى خير القرون كما أخبر ذلك المعصوم ﷺ.

– وصيانة هذه الحقوق والحريات للإنسان لم تكن منحة أو تكرما من أى حاكم مسلم اختاره المسلمون ليحكمهم، وإنما كانت واجبا عليه، يبذل كل ما فى وسعه لصيانة حقوق الإنسان، واحترامها، فإن قصَّر فى ذلك أو أخل به فقد قصر أو أخل فى واجباته.

أ- حقوق الإنسان فى الإسلام:

● وحقوق الإنسان وحرياته فى الإسلام كثيرة ومتنوعة ولكن يساند بعضها بعضا وقد لا ينفك بعضها عن بعض.

– ومن أجل تقريب الصورة والميل إلى الايجاز الملائم للكتاب نكتفى بذكر عدد من هذه الحقوق والحريات والله المستعان.

أولا :

حقه في الحياة، بحيث لا يحرمه منه أحد إلا في قصاص أو حد من حدود الله .

ثانيا :

حقه في الحرية، أي أن يعيش حرا، فليس لأحد أن يسلبه هذا الحق أو جزءاً منه فيستعبده أو يسخره أو يكرهه على التنازل عن حرياته .

ثالثا :

حقه في المساواة مع الناس في الحقوق والواجبات، دون تمييز أو تفرقة بين إنسان وآخر مهما كانت أسباب التمييز.

رابعا :

حقه في التملك والاقتناء والحيازة، سواء أكان وحده أو معه سواه، وسواء آل إليه هذا الملك عن طريق الميراث أو الهبة بحيث لا يجوز تجريده مما يملك ما دام قد تملك بوسيلة مشروعة.

خامسا :

حقه في اختيار الدين الذي يدين به، وأن يتدين كما يشرع له الدين، لأنه لا إكراه في الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

سادسا :

حقه في حرية التفكير وحرية الرأى وحرية التعبير عن هذا الرأى بالوسائل التي لا تضر به أو بغيره من الناس .

سابعا :

حقه في احترام خصوصياته وأسراره وكل ما يريد أن يخفيه عن الآخرين كظروف حياته ونحوها، فليس لأحد أن يتجسس عليه أو يتابعه أو يراقبه هو وأسرته وكل من في ولايته .

ثامنا :

حقه على الدولة في أن يتعلم ويحصّل من العلم ما يشاء، وحقه في أن يعلم أولاده ويربيهم ويلي أمرهم ويشارك في اختيار ما يتعلمون، وليس لأحد أن يسلبه هذه الولاية على أسرته وأبنائه .

تاسعا :

حقه على الدولة فى أن تحميه من البطالة والخوف والحاجة، وأن تهيئ له فرصة العمل التى تمكنه من العيش وممارسة الحياة الكريمة.

عاشراً :

حقه على الدولة فى أن تحمى مصالحه المادية والأدبية، وتكفل له حرية التنقل داخل وطنه أو خارجه.

● كل هذه الحقوق وغيرها مما لم نذكره هنا قد كفلها الإسلام بل أمر بالمحافظة عليها وحرم انتهاكها أو شيئا منها، وجعل للاعتداء على هذه الحقوق والحريات عقوبات مقدرة سماها «الحدود» وأوجب على الحاكم صيانتها وعقاب من انتهكها.

● وجاءت التربية الإسلامية لتعتمد الوسائل والآليات التى تكفل للناس هذه الحقوق والحريات وتعلمهم كيف يمارسونها وكيف يقومون بواجباتهم فى مقابل ممارستهم لحقوقهم.

ولنضرب بعض الأمثلة لما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية عن تقرير هذه الحقوق ووجوب احترامها، ومن ذلك :

حق الإنسان فى الحياة :

الحياة منحة من الله تعالى للإنسان وإن جعل من أسبابها التزاوج بين الأبوين، منحة منه تعالى من يوم أمر بنفخ الروح فى الإنسان وهو جنين فى بطن أمه، وما دامت الحياة منحة من الله تعالى فليس لأحد أن يحرم أحدا من هذه المنحة، حتى الإنسان نفسه لا يجوز له أن ينهى حياته بيده، لأن هذا الإنهاء حق الواهب وحده سبحانه وتعالى.

وآيات القرآن الكريم الدالة على ذلك كثيرة، نذكر منها :

– قوله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٣١]

– وقوله جل شانه : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾

[الأنعام : ١٥١]

- وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] .
- وقوله جلّ وعلا : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾ [الانعام : ١٥١] .
- وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا .. ﴾ [النساء : ٩٢] .
- وقوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

ففى هذه الآيات الكريمة تقرير حرمة النفس وحرمة الاعتداء على حياة الإنسان، وتتضح العقوبات المهولة لمن حرم أحد الناس حياته بغير حق، من الجزاء فى جهنم ومن غضب الله فلعنته وإعداده العذاب العظيم لهذا الذى اعتدى على حياة الإنسان .

ومن عظم حق الإنسان فى الحياة عند الله تبارك وتعالى أن جعل من اعتدى على حياة الإنسان فقتله فكأنما قتل الناس جميعا، ومن تسبب فى حياته فكأنما أحيا الناس جميعا .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ .. مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .. ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وأما الأحاديث النبوية الدالة على حق الإنسان فى الحياة وتحريم قتل النفس إلا بالحق فكثيرة نذكر منها :

- ما رواه أبو داود بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قتل مؤمنا فاغتبط(١) بقتله، لم يقبل الله منه صرفًا(٢) ولا عدلا(٣)» .

- وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجا بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحسّاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا» .

ورواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وهذا الحديث الشريف يؤكد أن حق الإنسان فى الحياة لا يملك الإنسان نفسه أن يعتدى

---

(١) اغتبط بقتله أى رضى بذلك وفرح به .
(٢) أى لا يقبل منه حيلة فى صرف نفسه عن العذاب .
(٣) أى لا يقبل منه فداءً يفدى به نفسه من هذه الجريمة النكراء .

عليه، ولو فعل فجزاؤه جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا.

– وما رواه أحمد والنسائى بسنديهما عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قتل نفسا معاهدة بغير حلِّها، حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها».

وحق الإنسان فى الحرية:

الحرية كلمة لها سحرها فى نفوس الناس وعقولهم، وللناس بها تعلق يشبه تعلقهم بالحياة نفسها.

وكل إنسان يُعتدى على حريته أو على شئ منها يشعر أنه قد اعتدى على حياته نفسها، فالحياة بغير حرية أبعدما تكون عن الحياة الإنسانية، إذ الحرية هى تخلص حياة الإنسان من الرق أو من الشوائب التى تقلص من الحرية.

● ومما يجب أن أسجله هنا – والتاريخ يشهد به ويؤيده – أن دين الإسلام الخاتم سبق جميع الأديان والنظم والنظريات التى تحدثت عن الحرية أو الحقوق العامة للإنسان.

– فقد قرر ذلك دين الإسلام فى القرن السادس الميلادى.

أ – حقوق الإنسان وحرياته فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأحداث سيرة الرسول ﷺ.

– قرر الإسلام ذلك بينما لم يعرف فى تاريخ الإنسانية وثيقة تقرر للإنسان حقوقه وحرياته إلا فى القرن الثالث عشر الميلادى وبالتحديد سنة ١٢١٥م فيما يعرف بوثيقة «الماجناكرتا[١]» وهى وثيقة تضمن للبارونات وللفرسان والنبلاء ورجال الكنيسة حماية لحقوقهم من اعتساف الملك يوحنا ملك بريطانيا.

– ثم الثورة الامريكية التى عرفت بحرب الاستقلال عن بريطانيا التى تكونت على اثرها جمهورية الولايات الأمريكية، ١٧٧٥–١٧٨٣م.

– ثم الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٩٨م وما أعلنته من حقوق الإنسان والمواطن.

– ولكن لم تتضح أبعاد حقوق الإنسان وحرياته بصراحة إلا على لسان فرانكلين روزفلت فى يناير ١٩٤١م فى حديثه عن الحريات التى يجب أن تؤمن لكل مواطن وهى:

حرية التعبير: الكلام والكتابة والصحافة والنشر.

---

(١) magna Carta: وهى شرعة فى الحقوق الشخصية فى القرون الوسطى.

وحرية العبادة أو العقيدة.

وحرية التحرر من الحاجة.

وحرية التحرر من الخوف.

– ثم كانت الوثيقة التى أصدرتها هيئة الأمم المتحدة باسم:

الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى ديسمبر من عام ١٩٤٨م.

● وهذا الاستعراض لجهود البشرية فى حقوق الإنسان وحرياته يؤكد أن المجتمع العالمى تأخر عن الاعتراف بحقوق الإنسان سبعة قرون بعد أن أقرها الإسلام فى الكتاب والسنة.

ب – المبادئ التى تقوم عليها حقوق الإنسان:

● وأوضح ما تكون حقوق الإنسان وحرياته فى إقرار الإسلام لمبادئ ثلاثة تقوم عليها حقوق الإنسان وحريته.

هذه المبادئ هى:

١– مبدأ المساواة بين الناس جميعا فى الحقوق والواجبات.

٢– ومبدأ مسئولية كل إنسان عن عمله بحيث لا يحمل أخطاء الآخرين.

٣– ومبدأ قيام الحكم فى الإسلام على الشورى وعلى دستور معلوم.

● هذه المبادئ التى تشكل حقوق الإنسان قررها الإسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية قبل أن يفكر فيها الناس عموما بما يقرب من سبعة قرون.

● ونصوص القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية وأحداث سيرة الرسول ﷺ كثيرة نذكر منها:

أولا:

فى المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات:

– جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

– وقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

[النساء : ١].

– وجاء قول النبى ﷺ فيما رواه أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقى، وفاجر شقى، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعَنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن ».

– وقوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم : ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم. وهم يد على من سواهم، يرد مُشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم .. ».

هذه النصوص من الكتاب والسنة عن المبدأ الذى يدعم حقوق الإنسان وحرياته وهو المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

ثانيا :

فى تحمل كل إنسان مسئولية نفسه :

من حقوق الإنسان الا يُسأل عن عمل غيره، ومن واجبه ان يتحمل المسئولية عن عمله وعمل من يليه، وهذا المبدأ هو الذى يؤكد حقوق الإنسان وحرياته.

● وقد جاء فى تقرير هذا المبدأ آيات من القرآن الكريم وكلمات من السنة النبوية ومواقف من السيرة النبوية، ومن ذلك ما نذكر بعضه فيما يلى :

– قال الله تبارك وتعالى : ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ [القيامة : ١٤ – ١٥].

– وقوله جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم[1] مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١].

– وقوله جل شانه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨].

– وقوله جل وعلا : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ – ٩٣].

---

(١) ألتناهم : نقصناهم.

- وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم : ٣٨ - ٤١]

- وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] و[الأنعام : ٦٤]، و[فاطر : ١٨]، و[الزمر : ٧]

● ومن أقوال الرسول ﷺ في تقرير هذا المبدأ :

- ما رواه النسائي بسننه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى ليسأل الرجل عن أهل بيته » .

- وما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

- وما رواه الترمذي بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم » .

ثالثا :

قيام الحكم على الشورى وعلى دستور معلوم .

وهذا هو المبدأ الثالث الذي يعزز حقوق الإنسان وحرياته، والشورى كما قال المفسر ابن عطية[1] : « والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه »[2] .

● ومن الآيات القرآنية التي تقر مبدأ الشورى وتثني على من اتصف به من المؤمنين :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ

---

(١) ابن عطية : هو عبد الحق بن غالب الأندلسي (٤٨١ - ٥٤٢ هـ) من كبار المفسرين، ومن علماء الفقه والحديث، وهو مجاهد غاز في سبيل الله له كتاب : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عشرة أجزاء .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٤٩١ ط الشعب مصر بدون تاريخ .

يغفرون ﴿٣٧﴾ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴿٣٨﴾ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ [الشورى: ٣٦-٣٩].

- وقوله عز وجل: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله.. ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

● ومن أقوال الرسول ﷺ في الشورى:

- ما أخرجه الخطيب البغدادي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، الأمر ينزل بعدك لم ينزل فيه قرآن، ولم يسمع منك فيه شيء؟ قال: «اجمعوا له العابد من أمتي، واجعلوه بينكم شورى، ولا تقضوا برأي واحد».

- وما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم، وأمركم شورى بينكم؛ فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

وبعد: فلنكمل الحديث عن حقوق الإنسان وحرياته بذكر أمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة النبوية العطرة تقر نوعا من حقوق الإنسان وحرياته وهو:

حق الإنسان في أن يعيش آمنا في بيته:

وربما كان إحساس الإنسان بالأمن هو أهم حقوقه، لأن فقد الأمن أو فقد الإحساس به يدمر إنسانية الإنسان ويفقده حقوقه وحرياته جميعا(١).

● والاحساس بالأمن على النفس والعرض والمال والأبناء حق أساسي من حقوق الإنسان كفله له الإسلام كفالة لم يعرفها الناس من قبل، ولا من بعد، فقد كفل الإسلام للإنسان إحساسه بالأمن على نفسه وذويه وماله؛ إذ حرم الظلم وحرم التجسس والغيبة والاستماع إلى من يغتابون سواهم وحرم النميمة، ونهى عن نقل الحديث دون تثبت. وحرم سب

(١) قد يقوم ظالم مستبد بالعدوان على أمن المواطن بحجة تأمين نفسه وبطشه متوهما أنه المنقذ!! ولا يدري أنه بعدوانه على إحساس المواطن بالأمن يرتكب أفحش الكبائر وأفدح الأخطاء وأكبر الجرائم التي لا يزول أثرها من نفوس الناس عشرات السنين فيصبون عليه اللعنات ثم ينتظره عند الله العذاب الذي توعد الله به الظالمين.

المسلم وعده فسقا[1] وعاقب عليه، وحرّم الإيذاء بكل أنواعه بل حرم الإسلام مجرد سوء الظن بالمسلم وحرم احتقاره أو الشماتة به، وغير ذلك من محرمات كثيرة يستهدف تحريمها تحرير الإنسان من الخوف وإقرار حقه في الأمن وفي الإحساس به، كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية.

- ومن عجب أن الدول التي تدعي التحضر والتقدم وتسمي نفسها الدول الغنية أو الصناعية أو الرأسمالية في أوروبا وأمريكا تفتات على حقوق الإنسان وحرياته على الرغم من صدور وثيقة حقوق الإنسان، ولو شئنا أن نضرب على ذلك الأمثال ما وسعتنا الصفحات ولا الكتب، وحسبك ما جرى في هيروشيما وناجازاكي وكوريا والفلبين والولايات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وما يحدث الآن في الشيشان وما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفا وافغانستان، أما ما قامت به الدول المتحضرة في إفريقيا منذ أكثر من مائة عام فلا تزال آثاره في الأفارقة حتى اليوم، مهما عقدوا من مؤتمرات مصالحة أو اعتذار أو استجداء.

- إن الغرب مزق إفريقيا وكتب عليها الإحساس بفقد الأمن في المستقبل، ولا يزال يكيد لها بحكام يصطنعهم لينالوا هم الثراء الفاحش، وينال الغرب ما يريد من ثروات إفريقية اليوم وفي المستقبل، إنه يفتت إفريقيا بأيدي أبنائها الذين سيطروا على عقولهم وثقافتهم وبهروهم بما بهروهم به من متاع الدنيا، ثم يدعي الغربيون في غير خجل أنهم دعاة ديمقراطية ودعاة حقوق الإنسان!!

- ومن الآيات الكريمة الدالة على صيانة الإسلام لحق الإنسان في الإحساس بالأمن على نفسه وذويه وعرضه وماله:

– قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

– وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

---

(١) أين هذا مما تمارسه أجهزة ما يعرف بأمن الدولة في كثير من البلدان المسلمة في العالم الثالث اليوم؛ من اعتقال تعسفي وتعذيب وإهانة بالغة للإنسان والعدوان على ماله وعرضه وإنسانيته، إلا ما أقبح ما يفعله زوار الفجر من ترويع، وعدوان على المعتقل أمام ذويه ثم الذهاب به إلى ما يقال له: وراء الشمس، وأعجب من ذلك دعواهم أنهم في عصر الديمقراطية!!!.

مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

– وقوله جل شانه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]

– وقوله جل وعلا: ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [ن: ١٠–١١].

– وقوله: ﴿ .. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

– وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

● ومن الأحاديث النبوية الدالة على صيانة الإسلام لحقوق الإنسان وحرياته وأمنه على نفسه وذويه وماله وعرضه:

– ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أى المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

– وما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك».

– وما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

وما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: إنهما يعذبان، وما يعذبان فى كبير، بلى إنه كبير؛ أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله».

– وما رواه أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

يبلّغني احد من أصحابي عن احد شيئا، فإني احب ان اخرج إليكم وانا سليم الصدر».

– وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع».

– وما رواه أبو داود بسنده عن رجال ان رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يُرَوِّع مسلما».

– وما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُشِرْ احدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار».

– وما رواه أحمد بسنده عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عباد الله، وضع الله الحرج، إلا من اقترض عرض امرئ مسلم ظلما، فذلك الذي حَرِج وهلك».

– وما رواه الترمذي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

– وما رواه أحمد بسنده عن نعيم بن هزّال عن ابيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا هزال لو سترته بثوبك كان خيرا لك».

– وما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

– وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

– وما رواه الترمذي بسنده عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك».

● وأختم هذه الأحاديث النبوية الشريفة بحديثين شريفين يتبين منهما حرمة حق الإنسان في الا يطلع عليه احد وهو في بيته إلا بإذنه، وما حق من انتهكت خصوصياته.

- روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه».

- وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن رجلا اطلع عليك بغير إذن فحذفته[1] بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح[2]».

● من خلال هذه الآيات الكريمة وتلك الأحاديث النبوية الشريفة ندرك أن الإسلام قد حفظ لكل إنسان حقه فى أن يعيش آمنا فى بيته بل فى وطنه كله، آمنا على نفسه أن يصيبها أى أذى مهما كان ضئيلا، وعلى ذويه وعلى عرضه وماله وكرامته الإنسانية، ومن عبث بشىء من تلك الحقوق فقد ارتكب جريمة حرمها الله تعالى وتوعد من يرتكبها بعذاب أليم يوم القيامة.

وبعد:

فقد كنا نرجو أن نستدل على كل حق من الحقوق التى ذكرنا للإنسان بآيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة ولكنا خشينا الإطالة والتوسع.

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإلى الدعامة السادسة من دعائم التربية الإسلامية والله المستعان.

---

(١) حذفته: أى قذفته.

(٢) جناح: أى حرج أو إثم.

الدعامة السادسة :

دعامة النزعة العالمية فى التربية والدعوة
والحركة بالإسلام فى الناس والآفاق

العالمية صفة ملازمة للإسلام تميزه عن الأديان التى سبقته إذ كان الرسول عليه السلام يبعث إلى قومه خاصة وبعث النبى الخاتم ﷺ إلى الناس كافة .

- وعالمية الإسلام اقتضاها العقل والمنطق إذ كانت الأديان التى سبقته فى الظهور أديان رسل جاء بعدهم رسل ليكملوا، فى حين جاء الإسلام دينا خاتما وكان رسوله خاتم الأنبياء والمرسلين .

- وكما اقتضاها العقل اقتضتها حاجات الإنسانية أن كانت على عهد النبى الخاتم قد بلغت من النضج والرشد ما يجعلها فى حاجة إلى دين كامل ومنهج متكامل يأخذ بيد الإنسانية إلى ما يصلح لها أمور دينها ودنياها .

- وعالمية الإسلام والدعوة إليه اقتضتها الحاجة النفسية للمجتمع البشرى فى زمن نزول الإسلام، حيث كان كثير من المجتمعات قد جاءتها أديان وأنظمة لم تستطع أن تشفى النفس الإنسانية من أمراض الصراع والإحباط والكبت وسائر أسباب الفشل، فكان من رحمة الله بالناس أن جاء إليهم بدين تام كامل يخلصهم من كل هذه الأمراض النفسية، إذ ليس كالإسلام دين أو منهج أو نظام يحقق للنفس أمنا واطمئنانا وبعدا عن الأمراض النفسية .

- والعالم الذى جاء إليه الإسلام كانت تتنازعه قوتان : الروم والفرس وكان الناس على الرغم منهم منقسمين متعادين من أجل ضرورة الانحياز إلى إحدى هاتين القوتين .

وما كان أحوج الناس إلى الراحة من هذا الصراع وهذا الانقسام والتحيز بين قوى لا تستهدف صالح الناس وإنما تستهدف صالحها هى . فجاء الإسلام ليجمع الناس على دين عادل ومنهج لا يعرف التمييز بين الناس باللون أو الجنس أو غيرهما، فكان هذا العالم يحتاج إلى دين عالمى النظرة للإنسان وعالمى التوجه بالعبادة لله وحده .

- ولا يزال العالم اليوم فى بدايات القرن الحادى والعشرين بحاجة إلى الإسلام ليجتمع على عقيدته وعباداته وأخلاقه ليتخلص من الصراع بين العولمة ومصالح الشعوب الضعيفة،

ومن الصراع الجائر بين دول الشمال بمالها وسلاحها ومصانعها ودول الجنوب الفقيرة المستغَلّة أسوأ أنواع الاستغلال، بل التي احتلت عسكريا ولا تزال كثير منها محتلة احتلالا غير منظور!!

● وعالمية الإسلام دلت عليه آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة بل كلمات التوراة والإنجيل(١).

● بل إن المبادئ التي جاء بها الإسلام والأنظمة التي قررها كل تلك مبادئ وأنظمة عالمية:

فالنظام التربوى فى الإسلام نظام عالمى.

والنظام الاقتصادى نظام عالمى.

وكذلك النظام الاجتماعى والنظام السياسى.

● والارتباط بين التربية الإسلامية والدعوة إلى هذا الدين الخاتم، والحركة به فى الناس والآفاق ارتباط وثيق، يكاد يكون ارتباطا منطقيا كالارتباط العضوى بين المقدمة والموضوع والنتيجة؛ فالتربية الإسلامية إذا تحققت أهدافها باجتماع وسائلها والقيام على خطواتها بإخلاص وتجرد، وطبقت مناهجها ونجحت مؤسساتها من للبيت والمسجد والمدرسة فى أداء وظائفها، إذا حدث ذلك وهو يسير إذا أخلص المسلمون لربهم، فإنها تربى إنسانا صالحا فى المجتمع العالمى لا المحلى فحسب، صالحا للتعامل مع نفسه، ومع الآخر، لما أحدثته فيه التربية الإسلامية من تكوين قلب كبير رحيم، وعقل ذكى مفتوح على المعارف الإنسانية، يحترم كل رأى ويناقشه مهما اختلف مع رأيه، كما تكون التربية الإسلامية للإنسان علما نافعا يستطيع توظيفه لصالح دينه ودنياه، وحاضره ومستقبله، بل توجب عليه التربية الإسلامية أن ينشر علمه فى الناس.

هذا الإنسان الذى انصلح أمره بهذه التربية عليه أن يتوجه إلى غيره من الناس ليصلحهم وينقلهم من الباطل إلى الحق ومن الضلال إلى الهدى وهذا جوهر الدعوة إلى هذا الدين والحركة به فى الناس والآفاق – كما سنوضح هذا بعد قليل من الصفحات.

● إن الدعوة إلى هذا الدين الخاتم والحركة به حيث الناس والمكان هى نتيجة للتربية الإسلامية كما سنوضح أيضا.

وبعد: فإن علينا الآن أن نوضح النزعة العالمية فى التربية الإسلامية، وفى الدعوة إلى هذا الدين، وفى التحرك به فى الناس والآفاق، والله المستعان.

---

(١) انظر للمؤلف: عالمية الدعوة الإسلامية ط خامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م نشر دار الوفاء بمصر.

عالمية التربية الإسلامية

هذه العالمية للتربية الإسلامية حتمها أنها تربية تنبع من قيم دين عالمي وفلسفة عالمية، فالدين الإسلامي ينظر للناس جميعا مؤمنهم وكافرهم على أنهم أبناء رجل واحد، ومن رحم واحدة من أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، وبهذه الصلة يجب أن يتعاونوا ويتراحموا ويعين قويهم ضعيفهم، وهذه النظرة نظرة إنسانية عالمية خالية من أى شائبة من شوائب التعصب والتمييز بين الناس، وهذه من أساسيات تميز التربية الإسلامية عن غيرها من أنواع التربية.

أ- عالمية التربية الإسلامية:

- كما أن النزعة العالمية فى التربية الإسلامية مستمدة من الثوابت التى جاء بها الإسلام أكمل ما تكون وهى العقائد والعبادات والأخلاق، فالجميع يعرفون بل يوقنون - مسلمين كانوا أو غير مسلمين ولكنهم منصفون - بأن العقيدة الإسلامية فى الإله الواحد وفى الملائكة والكتب والرسل عليهم السلام، وفى اليوم الآخر والقضاء والقدر، هى العقيدة الصحيحة الملائمة لاحتياجات الإنسان العقلية والنفسية والاجتماعية. وهم كذلك يقرون أن العبادات التى جاء بها الإسلام هى أفضل العبادات التى تنقى قلب العابد من القلق والتردد والاضطراب، وتنقى عقله من الشك والحيرة وسوء التقدير، ما ينكر ذلك إلا مغالط أو جاهل بالإسلام.

وأما الأخلاق فى الإسلام فإن جميع الناس مسلمين وغير مسلمين - حتى من يوصفون بأنهم أصحاب مذهب التطور الحديث فى الغرب - يؤمنون بأن الأخلاق فى الإسلام وهى ترسم للإنسان حدود السلوك الشخصى والسلوك الاجتماعى، وقيم العدل والحرية والصدق والوفاء والأمانة والعفة وغيرها من القيم، إنما هى فى ذلك كله أكثر سموا وأحسن كمالا مما جاء فى المدنية الغربية وغيرها من المدنيات، باعتراف الغربيين أنفسهم.

- وحسب التربية الإسلامية مكانة فى زرع الوئام بين الناس أن الإسلام الذى تنبع منه أبطل العصبية العرقية أو ما نسميه الحقد الجنسى، شاقا طريقه إلى الإخاء الإنسانى المجرد عن الهوى والمكاسب المادية، بينما لا تزال المدنية الغربية وغيرها فى عجز عن أن تنظر إلى ما وراء ذلك الأفق الضيق من العداء الجنسى والعرقى الذى تقوم عليه المدنية الغربية حتى اليوم أدلة وبراهين واضحة فيما مارسته فى معظم قارة إفريقيا وفى أوسع مدى وصلت إليه من قارة آسيا، بل مارسته فى أوروبا نفسها فى الأندلس قديما وفى البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان حديثا، لا ينكر ذلك إلا من أصم أذنيه وأعمى عينيه وران على قلبه الحقد الدفين.

– إن الدين الإسلامى لم يعرف فى تاريخه الطبقات الاجتماعية ولا حروب تلك الطبقات وصراعاتها الظاهرة أو المضمرة، وبالتالى فإن التربية الإسلامية تربى المسلمين ابعد ما يكونون عن التفكير فى هذه الطبقات وصراعاتها، فى الوقت الذى نجد فيه التاريخ الأوروبى كله – منذ أيام الرومان واليونان – غارقا حتى أذنيه فى الكفاح الطبقى والعداء الاجتماعى، حتى ما كان يعرف بالشيوعية إنما قامت على الصراع بين الطبقات وأذكتها وأججت نارها وأهلكت فى هذه الصراعات ألوف الناس بل ملايينهم!!

● إن العالم اليوم أو العولمة يزعم دعاتها انهم يحاولون إيقاظ العالم من غفوته وغفلته وهدايته إلى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، بل إن المنظمات العالمية تدعى ذلك وتنادى به، وما نجح نظام فى الوصول بالناس إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وإلى احترام الإنسان وتقدير حقوقه وواجباته كما نجح المنهج الإسلامى فى ذلك، لان منهجه ظاهر واضح عام شامل قادر على تربية الفرد تربية إسلامية تتميز بأنها تربية عالمية ترفض عزل الإنسان الذى ربته عن غيره من الناس، كما ترفض تبنى التمييز الجنسى أو القومى أو حتى الاعتراف به، فالإنسان الذى ربى تربية إسلامية جزء إيجابى فاعل من العالم كله، لا العالم الإسلامى وحده.

● ومما يدعم النزعة العالمية فى التربية الإسلامية أنها تنظر إلى من تربيه لا على مجرد أن يكون جزءاً من العالم كله، وإنما تؤهله لأن يكون صالحا للتعامل مع العالم كله مؤمنيه وكفاره، وأجناسه وألوانه، وزمانه ومكانه، لأنها التربية النابعة من الدين الذى جاء لكل زمان ومكان.

● إنها التربية التى استمدت أهدافها ومنهجها ونظامها من القرآن الكريم وهو عالمى التوجه، ومن السنة النبوية وهى التى خاطب بها الرسول ﷺ العالم كله.

قال الله تبارك وتعالى عن القرآن الكريم: ﴿ .. إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ(١) ﴾

[يوسف: ١٠٤]. أي أن الأخذ به والتمسك بمنهجه شرف للعالمين جميعا.

وقال جل شأنه عن الرسول الخاتم ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]

وقال سبحانه وتعالى عن رسالة النبى ﷺ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(١) تكرر هذا التعبير القرآنى فى سور [ص: ٨٧] و[القلم: ٥٢].

قال ابن كثير في تفسيره: «هذه الآية خطاب للحمر والسود والعرب والعجم، إني رسول الله إليكم جميعا، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ لأنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة».

● أما كلمات السنة المطهرة التي تؤيد عالمية الإسلام وعالمية التربية الإسلامية وتكوين الإنسان الذي يحسن التعامل مع العالم كله يدعوه إلى الحق ويتحرك إليه بمنهج الدين ويربيه على قيم الدين وأخلاقه. فمنها:

- ما رواه البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي؛ نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

- وما رواه أحمد بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بي من أمتي من يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة».

- وروى أحمد بسنده عن سلمان رضي الله عنه قال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «أيما رجل من أمتي سببْتُه سبة في غضبي أو لعنته لعنة فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة».

● إن التربية الإسلامية تقوم في أهدافها ومناهجها ووسائلها على توجه عالمي مؤيد بالكتاب والسنة وأعمال الرسول ﷺ وأعمال خلفائه الراشدين، وأعمال الصالحين الملتزمين من أمراء المسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي.

● ومن أجل هذه العالمية في توجه التربية الإسلامية عمدت إلى تربية الإنسان الصالح - لا المواطن المحلي الإقليمي فقط - وإن كانت لم تهمل تربية إنسان يقوم بأداء واجباته نحو وطنه وإقليمه بإخلاص لا يتعارض مع تربيته الإنسانية العالمية.

● ومن هذا التوجه العالمي للتربية الإسلامية جاء منهج هذه التربية عاما شاملا عالميا يتناول الكون كله والناس أجمعين، فالمنهج لا يغفل ما تقتضيه القوميات من مراعاة، لكنها جميعا يجب أن تصب في العالمية التي جاء بها الإسلام، حتى القومية العربية التي جاء القرآن الكريم بلغتها ولسانها وكان الرسول ﷺ ينتمي إليها، فإن لها في منهج الإسلام أهمية ورعاية، لكن بحيث لا تتعارض مع الإسلامية العالمية.

● ومن أجل هذه العالمية اتجهت التربية الإسلامية ومناهجها إلى فتح الطريق واسعا أمام العقل

ليختار بعد التفكير والنظر والتدبر، وحرية العلم والبحث العلمي، ليقول العقل كلمته ويختار من بين ما رجحه ما يراه ملائما له حتى لو كان موضوع التفكير هو الإيمان نفسه ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

● ومن أجل ذلك فتحت التربية الإسلامية الباب واسعا أمام العلم والبحث العلمي ليرى الإنسان آيات الله تعالى في نفسه وفي الآفاق من حوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..﴾ [فصلت: ٥٣].

● ومن أجل ذلك أوجبت التربية الإسلامية على المتربي من خلالها أن ينظر في التاريخ نظر الباحث عن الدرس والفائدة ليبلغ من خلال هذا النظر رشده الاجتماعي والسياسي والنفسي والعقلي، تجاوبا مع أمر الله تعالى للمسلمين بالسير في الأرض والنظر في العواقب: ﴿.. فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، إن النظر في عواقب من آمنوا وصدقوا ومن كفروا وكذبوا هي التي تبلغ بالإنسان مرحلة النضج التي تحدثنا عنها آنفا.

● ومن أجل هذه العالمية اتجهت مؤسسات التربية الإسلامية من بيوت ومساجد ومدارس وجامعات تستحث المتعلمين على أن يجدوا في مجالات العلم ويكتشفوا ويبتكروا، حتى كانت المحصلة عددا كبيرا من أفذاذ علماء المسلمين في كل مجالات المعرفة، كانوا - ولم يزالوا - روادا في مجالات علمهم ومكتشفاتهم، كما شهد بذلك الغرب والشرق وكما سجلوا على أنفسهم اعترافات بأن الحضارة الغربية مدينة في نهضتها الحديثة إلى علماء المسلمين ومكتشفاتهم مما أشرنا إليه أو إلى بعضه ونحن نتحدث عن الدعامة العلمية للتربية الإسلامية.

● ومما يسجل للتربية الإسلامية وللإسلام عموما أنه لم يحجر على فكر، ولم يحل بين عقل وبين أن يبحث ويبتكر حتى لو وصل الباحث إلى خطأ أو إلى أمور لا يرتضيها الدين، وإنما كان الحوار والمناقشة، حتى يتبين الحق.

وعندما نجد في تاريخ الفكر الإسلامي أو التربية الإسلامية أو التاريخ الإسلامي عموما ما يشير إلى مصادرة فكر أو عقاب مفكر أو حظر على عمل العقل، فإن ذلك لم يكن من عمل الإسلام ولا من أهداف التربية الإسلامية، وإنما كان من عمل بعض المسلمين الذين لا يعلمون، حتى ولو كانوا حكاما أو ممن ينتسبون إلى القادة والرؤساء!!

وبعد:

فهذه ثمرات النزعة العالمية في التربية الإسلامية، يمكن أن نجملها فيما يلي:

– سعة فى الأفق ونظر فى النفس وفى الآفاق كلها بحثا عن الحق.

– وحرية فى العلم والفكر والبحث، حتى ولو كان فى اختيار الإيمان أو الكفر وافتراض الباطل ليظهر الحق.

– واعلام مبرزين من العلماء فى كل مجالات العلم والمعرفة سبقوا فى تلك المجالات علماء العالم وقدموا لهم الطريق إلى العلم والبحث معبدة معروفة المعالم.

وأسماء هؤلاء العلماء الأفذاذ أكثر من أن تحصى فى هذه الصفحات من هذا الكتاب.

وبعد: فهذا عن التربية الإسلامية ذات النزعة العالمية.

أما عن:

ب- عالمية الدعوة الإسلامية:

فالحديث ذو شجون وشئون وأصول وفروع وأبواب وفصول ما أوسعها وما أرحب ميادينها(١)، لكننا سنقتصر هنا على رءوس أقلام، وعلى الحديث عن النزعة العالمية فيها والله المستعان.

● النزعة العالمية فى الدعوة إلى الله نتيجة لأن الدين نفسه دين عالمى – كما أوضحنا ذلك آنفا – ولأن تبليغ الدين للناس جميعا واجب شرعى، وبالتالى فإن الدعوة إلى هذا الدين دعوة عالمية(٢) كالدين الذى تدعو إليه.

● ودلائل عالمية الدعوة إلى الله أكثر من أن نحصيها هنا، ولكننا نكتفى بالإشارات إلى ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة العطرة.

– أما آيات القرآن الكريم فمنها:

قوله تبارك وتعالى يأمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى هذا الدين دون تقيد بزمان بعينه ومكان بذاته ولا بمدعوين ينتمون إلى جنس أو لون: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

– فهذه الآية الكريمة تجعل الدعوة إلى الله واجبا على كل مسلم يملك البصيرة بما يدعو إليه، بمعنى أن الداعى إلى الله مهما كان حظه من العلم بأموره وقضاياه ضئيلا فإن الواجب

---

(١) انظر فى ذلك للمؤلف: موسوعة فقه الدعوة إلى الله فى أكثر من ألف صفحة. نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

(٢) انظر للمؤلف فى ذلك: عالمية الدعوة الإسلامية نشر دار الوفاء فى طبعته الخامسة سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

عليه أن يدعو الناس إلى ما كان له به بصيرة من أمور الدين، وأن يشجعهم على التمسك به والالتزام.

● وبكل تأكيد ليست الدعوة إلى الله مقصورة على العلماء المتخصصين فى علوم الإسلام، وإنما هى واجب على كل مسلم ومسلمة بشرط واحد هو أن يكون على بصيرة بما يدعو إليه. ولا يوجد قيد آخر على زمان الدعوة أو مكانها أو من توجه إليهم من الناس، لأن الدعوة إلى هذا الدين واجب كل مسلم ومسلمة إلى أن تقوم الساعة، وهذه الدعوة يجب أن تبلغ كل مكان من أقصى الأرض إلى أقصاها، وأن تصل إلى جميع الناس بكل ألوانهم وأجناسهم وأقاليمهم التى يعيشون فيها، وإنما هى الدعوة إلى الدين الذى يصلح للناس معاشهم ومعادهم.

وقوله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذه الآية الكريمة توضح للدعاة إلى الله وسائل الدعوة إلى هذا الدين الخاتم وأساليبها.

وهى وسائل وأساليب قد تأثرت بالنزعة العالمية للدعوة، ولبيان ما تضمنته هذه الآية الكريمة نقول:

- الهدف من الدعوة هدف عام أو عالمى وهو سبيل الله، والله تعالى رب العالمين ورب الناس ورب الخلق أجمعين، وسبيله لابد أن يكون ملائمًا ونافعًا لكل مخلوقاته وبخاصة الناس. وسبيل الله هو: الطريق، وهو المنهج الذى تضمنه الدين الخاتم ولا شك أن التمسك به يحقق النفع للعالمين.

- والوسائل وهى: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن، وسائل غير مقيدة بدعاة بأعينهم ولا بمدعوين بذواتهم. فهى وسائل - كما سنوضح - عامة صالحة لكل زمان ومكان ولكل إنسان، ومن هنا كانت عالميتها.

أما الحكمة:

فهى الكلمة الحكيمة اللينة الهادئة، المنطقية التى تعيها عقول الناس أجمعين، وكما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق الناس بها».

والكلمة الحكمة عند التعامل بها مع المدعو غير مقيدة بزمان ولا بمكان، ولا بمدعوين

بأعينهم، وإنما نتعامل بها مع المسلم الكافر ومع أهل كل زمان وأهل كل مكان، وتلك نزعة عالمية فى التعامل بالحكمة مع كل أحد.

وأما الموعظة الحسنة:

فهى وسيلة عامة من وسائل الدعوة إلى هذا الدين الخاتم.

والموعظة عموما هى التذكير بالخير، فيما يرق له القلب.

وهى أيضا الزجر المقترن بالتخويف.

فإذا قيدت الموعظة بأنها حسنة فهى: تذكير بالخير فيما يرق له القلب بشرط أن يكون هذا التذكير خاليا من أى عنف أو لوم أو نحوهما.

وأى خير أعظم من أن يهتدى الموعوظ إلى دين الحق وإلى الصراط المستقيم، وإلى ما ينفعه فى دنياه وأخراه؟

والعظة تذكر من نسى وتعلم من فاته التعليم. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]

والعظة هى القرآن الكريم، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

والعظة تشفى ما فى الصدر من هم وقلق واضطراب وضيق، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وليس يجلب للإنسان الهدى والرحمة والنفع مثل الموعظة فهى تذكر وترقق وتهدى، ولا أدرى كيف يتحدث بعض الناس عن الموعظة فيعيبونها ويحذرون منها؟

الذى يذهب حيرتى أن أقول: إن هؤلاء الذين يعيبون الموعظة أو يحذرون منها لم يعرفوا ما جاء عنها فى الكتاب والسنة النبوية المطهرة، أو أنهم يقلدون بغير وعى كراهية الغربيين للموعظة التى كانوا يسمعونها من دور عباداتهم، لما عانوا من الكنيسة ورجالها من متاعب وتناقضات.

وأما الجدال بالتى هى أحسن:

فهو وسيلة عامة من وسائل الدعوة إلى هذا الدين الخاتم، والجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

وقيل: أصل الجدال الصراع وإلقاء أحد الخصمين خصمه على الجدالة وهى الأرض.

غير أن الآية الكريمة قيدت الجدال بأنه بالتى هى أحسن، والمعنى: أن الطريقة عند المسلمين هى الطريقة الأحسن فى الجدال، أى أحسن فى ذاتها بحيث لا تتضمن إساءة أو كلمة نابية غليظة، وأحسن بمن يجادل فهى أليق به وبإنسانيته وكرامته، وأليق بالمجادَل إذ يجب أن تكون هذه الطريقة فى الجدال، لا تحرجه ولا تتوجه إليه بإساءة، وأن تكون ملائمة لفكره وعقله وحالته النفسية والاجتماعية والمزاجية، لأن هدف المسلم وهو يجادل ليس غلبة من يجادله أو إحراجه بإبطال حججه، ولكن هدفه هو إقناع من يجادله بالحق ليدخُل فيه وفى الدين بعد فكر وتروٍّ، هذا الدين الذى يجب على البشرية كلها أن تتخذه دينًا بعد أن تعقله وتختاره بإرادتها الحرة.

● وإنما كان الجدال بالتى هى أحسن أصلا من الأصول فى الدعوة إلى الدين الخاتم، لأن ذلك متجاوب تمامًا مع قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فكيف يكره على الدخول فى الدين من كان الجدال معه بالتى هى أحسن.

● ولقد علمنا القرآن الكريم درسًا بالغًا فى أدب التعامل مع المدعو، حتى لو كان هذا المدعو طاغية أو جبارًا فى الأرض، وخلاصة هذا الدرس هو التلطف والرفق فى التعامل مع المدعو، وذلك عندما طالب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وهو يتعامل مع فرعون رمز الطغيان والغرور، بأن يكون معه فى غاية اللطف واللين لعله يهتدى، فقال تعالى يخاطب نبيه موسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ١٧ – ٢٠].

وذلك أن الدعوة إلى الله فى محصلتها النهائية هى إقناع بالانحياز إلى جانب الحق، واستمالة الناس إلى ذلك، وليس هناك ما هو أروع فى الوصول إلى ذلك من:

الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

جـ- أما عن عالمية الحركة الإسلامية

فإن الأدلة على عالميتها أكثر من أن تحصى، وهذه العالمية للحركة واضحة أشد الوضوح لكل من نظر فى كتاب الله وسنة رسوله وسيرته ﷺ.

● والحركة هي: التغيير المتصل، التغيير الشديد الذى يحدثه العمل بالإسلام والدعوة إليه والحركة به فى الناس وفى الآفاق.

● والإسلام حركة اجتماعية حمله المسلمون الدعاة ونظموا أنفسهم من أجل نشره، والدعوة إليه والجهاد فى سبيله عند الحاجة إلى الجهاد لإحداث تغيير اجتماعى فى الناس لنقلهم من الكفر إلى الإيمان، ومن العناد والمكابرة؛ إلى الإسلام لله رب العالمين.

● الإسلام حركة اجتماعية متكاملة، توفر لها وللقائمين بها وضوح الهدف ومشروعية الوسيلة وقوة التنظيم، والالتزام والإخلاص، والاستمرار.

● ولقد نجح المسلمون فى هذه الحركة الاجتماعية بهذا الدين ومنهجه، حتى إنهم قد نقلوه إلى ما يقرب من نصف العالم المسكون آنذاك فى أقل من نصف قرن من الزمان!!! واحدثوا به تغييراً جذرياً فى نفوس الناس وعقولهم ونظمهم الاجتماعية، ورفعوا به الظلم عن المظلومين.

● ثم جاءت سنة الرسول ﷺ لتؤكد وجوب الحركة بهذا الدين فى الآفاق كلها، وكان تحرك الرسول ﷺ بالدين إلى آفاق قريبة منه ثم بعيدة عنه، فقد كانت حركته به فى مواسم الحج، وكانت حركته به إلى الطائف، ثم إلى المدينة المنورة فيما عرف باسم الهجرة النبوية، ثم كانت حركته به على حدود نفوذ الروم.

ثم وضع للمسلمين اللبنات الأولى فى وجوب التحرك بالإسلام إلى الناس والآفاق برسله الذين ارسلهم إلى مَنْ يدعوهم إلى الإسلام فى أطراف الجزيرة العربية وخارجها، ومعهم كتب منه ﷺ يدعوهم فيها إلى الإسلام.

● فقد ذكرت كتب السيرة النبوية ان الرسول ﷺ - بعد عودته من الحديبية - خرج على اصحابه رضوان الله عليهم يومًا فقال لهم: «أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة، فلا تختلفوا علىَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم» قال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم؟ قال: دعاهم إلى ما دعوتكم إليه، فاما مَنْ بعثه مبعثًا قريبًا فرضى وسلم،، واما من بعثه مبعثًا بعيدًا فكره وجهل وتثاقل» واخبرهم منذ ذلك الوقت انه مرسل إلى كسرى وهرقل والنجاشى والمقوقس ... إلخ.

● ثم كتب رسول الله ﷺ كتبه، ووجه رسله بهذه الكتب إلى مناطق فى داخل الجزيرة العربية وفى أطرافها وإلى خارج الجزيرة العربية.

● وسوف نذكر بعض هذه الكتب التى بعث بها إلى كثير من الملوك والرؤساء والأمراء، مما يؤكد عالمية الحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق، ويؤكد أن التربية الإسلامية تقوم فى جوهرها على هذه النزعة العالمية.

أولاً:

كتابه ﷺ إلى هرقل ملك الروم:

وقد أرسل هذا الكتاب مع مبعوثه دحية الكلبى رضى الله عنه وجاء فى الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثانياً:

كتابه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس:

وقد أرسله مع مبعوثه عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه، وقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس».

ثالثاً:

كتابه ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية:

وقد أرسله مع مبعوثه حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه، وقد جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد بلغ عدد كتب رسول الله ﷺ مع مبعوثيه إلى من أراد أن يتحرك الصحابة رضى الله عنهم إليهم، أكثر من خمسين كتابًا، سردها ابن سعد فى كتابه «الطبقات الكبرى»[١].

كانت هذه سياسة رسول الله ﷺ فى عالمية الحركة بالإسلام إلى الناس والآفاق.

ثم كانت هذه سياسة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، فكانت عالمية الحركة عملهم الدائب وشغلهم الشاغل، بل كان التحرك بالإسلام فى الناس والآفاق قد أدَّى إلى فتح كثير من هذه الآفاق فاقبل الناس والبلدان يدخلون فى دين الله أفواجًا، واتسعت رقعة الأرض الإسلامية فشملت الشام وكثيراً من البلدان التى كانت فى حكم دولة الروم، وشملت العراق الفارسى ومعظم بلاد فارس، وشملت مصر وكثيراً من بلدان شمالى إفريقية.

وظل الأمر كذلك بعد الخلفاء الراشدين، يتحرك المسلمون بالإسلام فى الناس والآفاق، لا يشغلهم عن ذلك إلا ما كان يشغل بعضهم من خلاف أو صراع سياسى، يعوق الحركة الإسلامية حينًا ثم ينطلق المسلمون بدينهم يتحركون به من جديد.

وظل أمر عالمية الحركة بالدين هكذا فى كل العصور حتى وصل الإسلام إلى أقصى الشرق فى الصين، وإلى أقصى الغرب فى الأندلس، وإلى الشمال فى كثير من بلدان أوربا وإلى الجنوب حتى وصلت إلى أقصى بلدان إفريقية.

● ومما هو جدير بأن يلحظ أن هذه الحركة بالدين لم تكن تحملها الجيوش ولا القوى التى ترغب فى استغلال البلاد التى يصل إليها الدين الخاتم، وإنما كانت الحركة على أيدى دعاة مسالمين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وكان كثير من هؤلاء الدعاة يشتغلون بالتجارة ولكنهم يؤمنون بوجوب الدعوة إلى الله ووجوب الحركة بالدين فى كل مكان يمكنهم أن يصلوا إليه.

وبعد: فهكذا تقوم التربية الإسلامية على دعامة النزعة العالمية فى التربية، وفى الدعوة إلى الله، وفى الحركة بالدين فى الناس والآفاق.

وإلى الحديث عن الدعامة السابعة الأخيرة من الدعائم التى تقوم عليها التربية الإسلامية.

---

(١) وقد ذكرت معظمها فى كتابى: عالمية الدعوة الإسلامية المشار إليه فيما مضى. وسأذكر طرفًا منها فى الباب الثالث من هذا الكتاب.

الدعامة السابعة :

دعامة وجوب نقل الناس من الضلال إلى الهدى

تقوم التربية الإسلامية على هذه الدعامة كما قامت على الدعائم الست التى ذكرنا، ومن مجموع هذه الدعائم السبع تكون التربية الإسلامية أقوى أنواع التربية وأقدرها على الاستمرار فى الزمان والمكان والبشر، بل أقدرها على تكوين الإنسان الصالح القادر على التعامل مع الناس جميعاً مهما اختلفت أديانهم أو أجناسهم أو لغاتهم أو ألوانهم، وليست هذه القدرة لتربية أخرى غير التربية الإسلامية، وهذا بسبب معروف وهو أنها تستمد كيانها وأهدافها وقيمها ووسائلها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أى من مصدرين أوحى بهما الله تعالى إلى خاتم رسله ﷺ .

أما دعامة وجوب نقل الناس من الضلال إلى الهدى، فحديثنا عنها يقتضى أن نوضح كلمات ثلاثة هى :

الوجوب

والضلال

والهدى .

أ- معنى الوجوب :

- فالوجوب يعنى شغل الذمة بعمل من الأعمال، كما قال بذلك الفقهاء، وهدف هذا الوجوب هو نقل الناس من الضلال إلى الهدى أو من الظلمات إلى النور، أو من الكفر إلى الإيمان، أو من المعصية إلى الطاعة .
- وهذا الوجوب نوعان :

- وجوب شرعى :

أى أوجبه الإسلام على القادرين من المسلمين، بحيث يجب عليهم العمل على نقل الناس من الضلال إلى الهدى ما وسعهم، ومن ترك ذلك منهم كان عاصياً يستحق العقاب .

- ووجوب عقلى :

أى أوجبه العقل، أى أن المسلم عندما يفكر تفكيراً سليماً، وقد أنعم عليه بنعمة

الإسلام يلزمه عقله بأن يعمل على أن يشاركه فى نعمة الإسلام كل الناس الذين يستطيع أن يصل إليهم.

● وهذا الوجوب بنوعيه الشرعى والعقلى لنقل الناس من الضلال إلى الهدى، إنما يتوافق مع صفتين فى الأمة الإسلامية وصفها الله بهما وأرادهما لها، وهما:

– أنها خير أمة أخرجت للناس بإيمانها وبأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والمعنى: أن الأمة الإسلامية خير أمة خلقها الله تعالى لنفع الناس، لأنّ أمْرها بالمعروف ونهيها عن المنكر هو أقصى أنواع النفع للناس فى دينهم ودنياهم.

– وأنها الأمة الوسط، فوجوب نقلها الناس من الضلال إلى الهدى متوافق مع جَعْل الله تعالى أمة المسلمين أمةً وسطا، والوسطية صفة فى الأمة ترفع من قدرها بين الأمم، وما لم تكن الوسطية مستوجبة على الأمة نقل الناس من الضلال إلى الهدى فماذا تكون؟ بل لماذا تكون لهذه الأمة هذه المكانة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ [البقرة: ١٤٣].

● وهذا الوجوب لنقل الناس من الضلال إلى الهدى، ليس واجبًا على كل أحد، وإنما هو واجب على القادرين من المسلمين يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. والمعنى: أن السبيل إلى معرفة الحق والتواصى به والتواصى بالصبر على القيام به فى ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هو أن يكون من المسلمين جماعة أو جماعات يدعون إلى الخير وإلى ما فيه صلاح الناس فى دينهم ودنياهم، أى نقل الناس من الضلال إلى الهدى.

– وما لم تقم جماعة أو جماعات بنقل الناس من الضلال إلى الهدى فقد أثم المسلمون جميعًا وعصوا ربهم واستحقوا العقاب، أى أنه وجوب من باب فرض الكفاية.

● هذا الوجوب على المسلمين لنقل الناس من الضلال إلى الهدى هو إذن دعامة قوية من الدعامات التى تقوم عليها التربية الإسلامية.

لكن لابد لنا من التعريف فى هذا المجال بمصطلحات ثلاثة هى :

- الضلال الذى يجب أن ينقل عنه الناس؛ ما هو؟

- والهدى الذى يجب أن ينتقل إليه الناس؛ ما هو؟

- والذين يقومون بنقل الناس من الضلال إلى الهدى؛ من هم؟

ب- معنى الضلال الذى يجب أن ينتقل الناس عنه.

ما هو الضلال الذى يجب ان ينقل الناس عنه؟

هذا الضلال أو الضلالة هو: سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، او فَقْد ما يوصل إلى المطلوب.

أو هو: العدول عن الطريق المستقيم.

أو هو: العدول عن منهج الله عمداً كان هذا العدول أو سهواً، يسيراً كان هذا العدول أو كثيراً.

- والمطلوب الذى يجب أن يصل إليه الإنسان أو الطريق المستقيم أو المنهج، هو معرفة الله وتوحيده، ومعرفة النبوة وطاعة النبى، لان وظيفته الأساسية هى نقل الناس من الضلال إلى الهدى، ووظيفة المسلمين القادرين على ذلك.

وهذا الضلال نوعان:

الأول: ضلال فى العلوم النظرية. كالضلال فى معرفة الله تعالى ووحدانيته، ومعرفة ملائكة الله وأنبيائه وكتبه واليوم الآخر، وذلك الضلال هو المشار إليه بقول الله تعالى: ﴿... وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء:١٣٦].

وهذا النوع من الضلال هو الذى يجب على المسلمين أن ينقلوا الناس عنه إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فتلك هى الهداية.

والآخر: ضلال فى العلوم العملية، كالضلال عن معرفة الاحكام الشرعية التى هى العبادات بأنواعها العديدة، وهؤلاء بجهلهم لهذه الاحكام ضالون أيضاً، وواجب المسلمين هو نقلهم من هذا الضلال إلى هدى المعرفة بالاحكام الشرعية فى العبادات ونحوها.

● هذا عن الضلال بنوعيه وهو ما يجب ان تتصدى له التربية الإسلامية مَنْ خلال من تربيهم من المسلمين.

● والإضلال هو حمل الناس أو خداعهم ليسيروا فى طريق الضلال، والإضلال أصلاً هو فعل الشيطان، كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿ ... وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠]. أو هو الاستجابة للهوى كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ [ص: ٢٦].

● وبين الإضلال والضلال تبادل للمواقع فقد يكون كل منهما سببًا فى الآخر.

فقد يكون الإضلال سببًا فى الضلال كما يزيّن الشيطان للناس الباطل فيمارسونه، فالتزيين إضلال وممارسة الباطل ضلال.

وقد يكون الإضلال نتيجة للضلال أى الضلال سبب فى الإضلال مثل أن تقول: أضللت كذا أى ضل عنى وضاع، فالإضلال هنا نتيجة للضلال الذى حدث لهذا الشىء الذى ضل وضاع، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وإضلال الله الظالمين حق وعدل، لأن الله تعالى حكم عليه بالإضلال بعد أن ضل وخالف أمر الله على الرغم من أن الله تعالى قد بيّن له ما يجب عليه، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥].

● وفى جميع أنواع الضلال والإضلال فإن واجب المسلم أن يهدى هؤلاء الضُّلال إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم، وإلى أن يكونوا مع الحق حيث كان.

● إن الضلال إثم ومعصية ومخالفة للمنهج الذى اختاره الله تعالى لعباده، وإن إخراج الناس من الضلال إلى الهدى هو دائمًا وظيفة النبى ﷺ ومن آمنوا معه، وخروج الناس من الضلال إلى الهدى هو واجبهم بعد أن بيّن الله لهم الحق وطريقه، فقد قال الله تعالى: ﴿ ... يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال جل شأنه: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ [إبراهيم: ١]؛ فليس لأحد من الضالين حجة فى أن يبقى على ضلاله بعد أن بيّن له ما يجب عليه أن يقوم به من أعمال، وهيَّأ الله له وسائل الهدى، وضمّن كتابه الخاتم كل الأسباب التى تيسر للضال أن يخرج من ضلاله.

وبعد : فهذا عن الضلال الذى يجب أن يُنقل الناس منه إلى الهدى الذى جاءهم فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فماذا عن الهدى الذى يجب أن ينتقلوا إليه؟

جـ- معنى الهدى الذى يجب أن ينتقل الناس إليه :

ما هو الهُدى الذى يجب أن ينتقل الناس إليه؟

الهدى هو : الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، أو إلى الطريق المستقيم .

والهداية هى : سلوك طريق يوصل إلى المطلوب .

وهناك نوعان من الهدى أو الهداية :

- هداية الله تعالى للإنسان .

- وهداية الإنسان للإنسان .

ولكل منهما تفرع ومضمون .

النوع الأول :

هداية الله تعالى للإنسان :

وهذه الهداية على أربعة أوجه .

الوجه الأول : هو الهداية التى عَمَّ بجنسها كلَّ مكلف، وهى العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى أعطى منها بحكمته كل شىء ما يناسبه، كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ ... رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] .

والوجه الثانى : هو الهداية التى جعلها الله للناس إذ دعاهم على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام إلى الهداية، وانزل عليهم القرآن الكريم يهديهم، كما يفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] وقوله جل شانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾ [الإسراء : ٩] .

والوجه الثالث : هو الهداية بمعنى التوفيق الذى يختص الله به من اهتدى، وهو المعنى بقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد : ١٧]، وقوله جل وعلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [يونس : ٩] .

والوجه الرابع: هو الهداية في الدار الآخرة إلى الجنة، وهذا النوع من الهداية هو المعنى بقول الله تعالى: ﴿ ... سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٥، ٦]. وقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهدايات الأربع التى يهديها الله تعالى للإنسان مترتبة بحيث لا تحدث الثانية منها إلا بعد الأولى ولا تحدث الثالثة منها إلا بعد الثانية ولا الرابعة إلا بعد الثالثة، لكن قد تحدث الأولى ولا تحدث الثانية، وتحدث الأولى والثانية ولا تحدث الثالثة، وتحدث الثلاثة الأولى ولا تحدث الرابعة، وما أسعد من حدثت له الرابعة فإنه قد نال الثلاثة التى قبلها.

والنوع الثانى:

هداية الإنسان للإنسان:

وهذه الهداية على وجهين:

الوجه الأول: هداية الإنسان للإنسان عن طريق الدعاء له بأن يهديه الله، وبخاصة إذا كان هذا الدعاء بظهر الغيب - كما سنوضح بعد قليل - وهذا الدعاء إنما يصدر عن حب للإنسان وحب الخير له، وكل هذه المشاعر أو الأعمال يثاب عليها الإنسان الداعى، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وما أعظم ثواب من يدعو لغيره بالهدى.

والوجه الثانى: هداية الإنسان للإنسان بتعريفه طريق الخير والحق وطاعة الله تعالى، ونفهم ذلك فى القرآن الكريم عندما يخاطب الله تعالى خاتم رسله ﷺ ومن معه من المؤمنين بقوله تبارك وتعالى: ﴿ ... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وقوله جل شأنه: ﴿ ... إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

- وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبى ﷺ فهى منفية عن سائر الناس، لأنها ليست إلا لله تعالى وحده كإعطاء الإنسان عقلاً وفطنة، وتوفيقاً، وإدخاله الجنة، ويفهم ذلك من آيات قرآنية كثيرة منها:

قوله تبارك وتعالى فى خطاب النبى ﷺ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ... ﴾ [البقرة:٢٧٢]. وقوله جل شانه فى خطابه ﷺ ايضًا: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ... ﴾ [القصص:٥٦].

● وهداية الله تعالى للإنسان بان عَرَّفه طريق الخير والشر، وطريق الثواب والعقاب وطريق الطاعة والمعصية، وقد جاء هذا التعريف عن طريق الشرع فى الكتاب والسنة، وعن طريق العقل والمنطق والتفكر والتدبر.

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ان الله تعالى قد هدى الإنسان إلى ذلك، من هذه الآيات الكريمة:

– قوله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ٨ – ١٠].

– وقوله جل وعلا: ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ⑪⑦ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨].

– وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

● وهداية الإنسان للإنسان أو تعليمه إياه ما ينفعه فى دينه ودنياه لا يتم إلا بامرين:

– تعريف من المعرِّف، اى بذل مجهود فى هذه السبيل.

– وتعرُّف من المعرَّف، اى قبولٌ للهداية.

وعندما يحصل البذل من المعرِّف ولا يحصل القبول من المعرَّف نستطيع ان نقول إن المعرِّف قد هَدَى المعرَّف وعلَّمه فادَّى ما وجب عليه، ولا يشترط ان يقبل المعرَّف ويستجيب، وعندئذ لنا ان نقول إنه هُدِىَ فلم يهتد، وعُلِّم فلم يتعلم والإثم عليه فى عدم الاستجابة للهدى والعلم.

فهداية الإنسان للإنسان علم مشترك بينهما لا يتم إلا ببذل وقبول او هدى واهتداء او تعليم وتعلم.

وكل من الهادى والمهتدى مسئول بين يدى الله عما قام به من عمل، ومثاب إن عمل، ومعاقب إن أهمل.

● والتربية الإسلامية من وراء هذا التفاعل بين الهادى والمهدى توضح المعالم وترسم الحدود والابعاد، وتربى الهادى أو الداعى على ان يؤدى واجبه على خير وجه، وليس هو مسئولاً عن قبول المدعو أو رفضه، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢]. ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]. ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢١، ٢٢].

هذه قواعد صارمة فى هداية الإنسان للإنسان تطبق على النبى ﷺ، يدعو ويهدى ويتوقف عمله عند هذا الحدّ، أما الانتقال إلى الهدى فمسئولية المدعو.

● ولكن ليس معنى ما قدمنا أن الداعى أو الهادى يؤدى واجبه فى التعريف ثم ينصرف متعللاً فى انصرافه بان المدعو لم يقبل وإنما على الداعى أو الهادى أن يقوم بعمليه الرئيسين خير قيام، وهما:

- الدعاء للمدعو.

- وتعريفه الطريق.

ولكل من هذين العملين الجليلين حديث يشرح ويوضح والله تعالى هو المستعان على كل حال.

● **أما الدعاء:**

فهو دعاؤه الله تعالى والتضرع إليه سبحانه ان يوفق المدعو إلى الخير الذى يدعوه إليه، وإلى الإقبال على الدين الخاتم الذى جاء من عند الله، وإلى المِلّة التى أوضح الرسول ﷺ أبعادها، بل إلى أى حق فى مذهب ذهب إليه أحد المسلمين المجتهدين.

- وهذا الدعاء والتضرع إلى الله وسيلة كل مؤمن فى بلوغ هدفه وهو إرضاء الله تعالى عنه وعن عمله بالإخلاص فيه وبذل الجهد من أجله.

وفى أهمية الدعاء ومكانته روى أبو داود بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة».

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء».

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّه ان يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكُرَب فليكثر الدعاء في الرخاء».

وروى الترمذي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحب ان يُسأل، وافضل العبادة انتظار الفرج».

● وأفضل الدعاء ما كان بظهر الغيب، وهو أقرب إلى الإجابة فقد روى مسلم بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لاخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه مَلَك مُوكَّل به، كلما دعا لاخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل».

● وللدعاء آداب كثيرة يجب ان تراعى لانه كلام موجه إلى الله تعالى ومصحوب بالضراعة والخشوع والرجاء، بل مصحوب باليقين بالإجابة، وبالصبر إلى ان يستجاب، حتى لا يعجل الداعي فيحرم الإجابة.

ومن هذه الآداب:

- اختيار أشرف الأوقات له مثل يوم عرفة ويوم الجمعة وغيرهما من الأيام والساعات الفاضلة.

- واختيار الحال الشريفة الكريمة على الله تعالى كحال زحف الصفوف للقتال في سبيل الله تعالى.

- وان يكون الداعي مستقبلاً للقبلة وهو يدعو الله لان استقبال القبلة فرض في الصلوات ومستحب في أحوال كثيرة منها الدعاء، ويسنّ له ان يرفع يديه وهو يدعو كما كان يفعل النبي ﷺ، لان الاقتداء بالنبي مطلوب على كل حال.

- وان يخفض صوته بالدعاء، لان رفع الصوت او الجهر بالدعاء غير مطلوب، فقد نهى الرسول ﷺ عن رفع الصوت بالدعاء قائلاً لهم: «... إنكم ليس تدعون اصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا منكم وهو معكم» جزء من حديث رواه مسلم بسنده عن ابي موسى رضي الله عنه.

- وان لا يتكلف او يتقعر في اختيار الكلمات التي يدعو بها وبخاصة السجع وما اشبهه.

- وان يتضرع إلى الله اي يظهر ضعفه وحاجته إليه سبحانه وتعالى، وان تخشع جوارحه وهو

يدعو، وقد قال أسلافنا عليهم رحمة الله: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح.

- وأن يوقن الداعي بالإجابة، فيجزم دعاءه، وقد كره العلماء للداعي أن يقول - مثلاً - اللهم اغفر لي إن شئت.

- وأن يلح في الدعاء ويكرره، فذلك المأثور عن النبي ﷺ إذ كان يكرر ثلاثًا في كثير من المواقف ومنها الدعاء.

- وأن يفتتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله الخاتم ﷺ، وأن يختمه بالصلاة على النبي ﷺ.

- وأن يجدد التوبة ويرد المظالم لأصحابها [1].

● والأمر الثاني الذي يطالب به المسلمون وهم ينقلون الناس من الضلال إلى الهدى - بعد الدعاء - هو: تعريف المدعو الطريق إلى الله.

● وتعريف الداعي للمدعو بالطرق، يعني طرق الخير والهداية. وهي في جملتها: كل ما يوصل إلى الله وإلى الحق وإلى الدين الخاتم وإلى ما ينفع في الدنيا والآخرة.

● وأما تفصيل الطرق ففيه شعب عديدة وفروع كثيرة منها:

١- وصل المدعو - أي الذي ينقل من الضلال إلى الهدى - بالله تعالى، أي بكتابه الخاتم وسنة رسوله الخاتم وسيرته ﷺ، وتيسير وصولها إليه وإعانته على القراءة فيها والتدبر وأخذ العظة.

وتلك هي مصادر الإسلام الموثقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهي قدوة المسلمين في كل قول وصمت، وكل عمل وتَرْك.

وكل من تدبر هذه المصادر، وأخلص التدبر وأقبل عليها بقلب خال من الشوائب وعقل خال من الشطحات، فإن الهداية تكون منه على مقربة.

٢- ولَفْتُ نظر المدعو إلى التأمل والتدبر في سِيَر الأولين ممن أطاعوا رسل الله وآزروهم، أو عصوهم وعاندوهم، وحاربوهم.

والمصدر الموثوق لهذه السِّيَر هو القرآن الكريم، فهو حافل بسِيَر الأولين وقصصهم، فقد

---

(١) آداب الدعاء: عدها الإمام الغزالي في كتابه: إحياء علوم الدين في عشرة وتوسع في الحديث عنها وأيد كل أدب منها بآية قرآنية أو حديث شريف. ١/ ٢٧٤ الطبعة الأولى العثمانية بمصر ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

قصَّ الله تعالى فى القرآن الكريم على النبى ﷺ أحسن القصص بما أوحى إليه هذا القرآن الكريم، وجعل فى قصص الأولين وسِيَر أنبيائهم عبرة لأولى الألباب.

● ومثل القصص القرآنى فى الثقة وفى أخذ العبرة القصص الذى ورد فى السنة النبوية المطهرة وهو كثير، يلتمس فى كتب السنة المطهرة.

● أما القصص فيما عدا هذين المصدرين فيحتاج إلى تمحيص وتدقيق، وتلك مهمة الدعاة إلى الله الذين وجب عليهم نقل الناس من الضلال إلى الهدى.

٣- وتشجيع المدعو إلى الطريق على القراءة والتزود بالعلم النافع لأن ذلك يكون له ثقافة تمكنه من المعرفة عمومًا، ثم تمكنه من التحليل والاستنتاج، والحكم على المواقف والناس والأشياء حكمًا صائبًا.

وهذه القراءة والثقافة تحرر عقل المدعو من الجمود والتزمت، والنظر الضيق، وتباعد بين عقله والضحالة المعرفية والسطحية الثقافية.

وهذه القراءة الواعية المستأنية تؤهل المدعو لأن يكون موضوعيًا، يناقش مع نفسه من خلال تفكيره الحر الآمن السليم من الشطحات والشذوذ، يناقش قضايا الإيمان ومفرداته، فيختار لنفسه وبملء إرادته ما يهديه إليه عقله دون ضغط أو إكراه، فيؤمن إذ يؤمن عن بيِّنة ويتحرر فى فكره من الجمود والتقليد.

٤- وعقد صلة بين المدعو الذى يراد هدايته وبين الصالحين من أهل العلم عمومًا وأهل العلم بالإسلام خصوصًا.

بالاستئذان فى زيارتهم وتحديد الوقت المسموح له به معهم، وطرح الأسئلة عليهم فيما يجرى على ساحة الوطن أو الأمة الإسلامية من قضايا وما يثار فى هذه الساحات من مسائل ليتعلم منهم كيف تكون الإجابة.

ولزيارة العلماء وسؤالهم آداب يعرفها المسلمون، يجب أن يلتزموا بها، حتى لا يقعوا فى مخالفات شرعية.

٥- وعلى الداعى أن يحبب المدعو فى الخير وفى تقديمه للناس، فالله تعالى طالب المسلمين جميعًا بفعل الخير فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

وفعل الخير نحو الناس واجب شرعى، لما بين الناس من وشائج أقرها الإسلام ودعا إلى رعايتها وتوثيقها ولا يوثقها شيء مثل فعل الخير وتقديمه للناس، فبين المسلمين وشيجة الأخوة فى الدين، ووشيجة الجوار، ووشيجة طلب العلم، وفوق كل ذلك وشيجة الالتزام بمنهج الإسلام، ووشيجة تقوى الله وطاعته، والحرص على التمسك بأخلاق الإسلام. إن الداعى وهو يغرس حب الخير فى المدعو يعينه بذلك على الانتقال من الضلال إلى الهدى.

٦- وعلى الداعى أن يشجع المدعو على العبادة؛ فرائضها ونوافلها، وأن يحثه ويشاركه فى أداء بعض النوافل تقربًا إلى الله تعالى.

إن الطريق إلى الله يسهل وتنال غايته بالإقبال على الله بالطاعات مع الكف عن المعاصى، ومن تقرب إلى الله بالنوافل أحبه، ومن أحبه الله وفقه وأعانه وكان سمعه وبصره ويده ورجله كما جاء فى الحديث الشريف..

وإن كان للمدعو أسرة وأبناء شجعه الداعى على نقل أسرته من الضلال إلى الهدى، بأن يتحمل مسئوليته فى رعاية أسرته وتيسير الالتزام بمنهج الإسلام أمامها فى المسكن والملبس والمطعم والمشرب والأخلاق والسلوك.

٧- وحثُّ المدعو على التمسك بالقيم الخلقية الإسلامية، فى مجالات: صلة الأرحام، وحسن الجوار، ورعاية اليتامى، والصدق والأمانة والعفة والنجدة والكرم والشجاعة، والصبر، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإقناع الناس بهذا الدين الخاتم ومنهجه وممارسة الدعوة إلى الله فى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن، وممارسة الحركة بهذا الدين؛ أحكامه وقيمه وآدابه ونشر ذلك فى الناس والآفاق، حتى يتمكن هو من نقل الناس من الضلال إلى الهدى.

د- من هم الذين يجب عليهم نقل الناس من الضلال إلى الهدى:

من هم الذين يقومون بنقل الناس من الضلال إلى الهدى؟

إن هؤلاء هم فئات من المسلمين يتفاوتون فيما بينهم فى درجات قيامهم بهذا العمل الجليل كل بحسب قدراته وإمكاناته واجتهاده ودأبه وتجرده فيما يقوم به من أعمال، وما ينصح به من أقوال، وما يستطيع أن يعطيه من نفسه لكل من يراه أو يتعامل معه من قدوة صالحة فى مجال العمل لنقل الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور ومن طرق متفرقة إلى طريق الله الذى يهدى إلى الصراط المستقيم.

● وهؤلاء الفضلاء فئات كثيرة منها :

١- ورثة الأنبياء :

اى العلماء بالإسلام الذين ورثوا رسول الله ﷺ فى العلم .

فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « . . .وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن اخذه اخذ بحظ وافر » .

فهؤلاء واجبهم الاول التبليغ عن رسول الله ﷺ ، وبهذا التبليغ ينقلون الناس من الضلال إلى الهدى .

روى ابن ماجة بسنده عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ بالخَيْف من مِنَى فقال : « نضر الله امرأً أسمع مقالتى فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .

وروى ابن ماجة بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَلَّم علماً، فله اجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل » .

وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « أفضل الصدقة ان يتعلَّم المرء عِلْما ثم يعلمه اخاه المسلم » .

إن واجب ورثة الانبياء واجب كبير فهم يدعون لمن يحاولون نقلهم من الضلال إلى الهدى، ويحاولون تعريفهم الطريق إلى الله على نحو ما أوضحنا، ويزيدون عن غيرهم أنهم يفقهون الناس فى الدين بحملهم الفقه إليهم .

٢- والدعاة إلى الله الذين يحترفون أعمال الدعوة ويقصرون جهودهم عليها بعدما أُوتوا من بصيرة فيما يدعون إليه، فهؤلاء يجب ان يكون همهم نقل الناس من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور .

وعلى قدر جهودهم يكون نجاحهم وتوفيقهم فى عملهم، بل يكون ثوابهم عند الله تعالى[1] .

وهؤلاء الدعاة المحترفون ظاهرة جديدة نِسْبيًّا فى المجتمع المسلم تخصصوا فى الدعوة إلى

---

(١) للتوسع فى معرفة عمل الدعاة إلى الله انظر لنا : فقه الدعوة إلى الله . مرجع سابق .

الله بعد شيوع الفساد والإلحاد، وتعالى أصوات الحاقدين على الإسلام الذين يكيدون له، بل يقعدون له فى كل مرصد يشوهون ويفترون ويلصقون التهم بالدين وأهله، فكان عليهم أن يردوا هذه الشبهات ويدحضوا تلك المفتريات، وبذلك ينقلون الناس من الضلال إلى الهدى.

ومن الجديد كذلك على العالم الإسلامى أن أصبح فى جامعاته كليات تخرج الدعاة إلى الله تسمى كليات الدعوة أو كليات أصول الدين والدعوة بعد أن كانت أقسامًا علمية فى بعض الكليات.

وتلك ظاهرة حسنة وسنة هادية وللجامعة الأزهر فيها نصيب موفور وجهد مشكور وعمل مذكور، وكثير من الجامعات فى العالم الإسلامى حذت حذو الأزهر فى تخريج الدعاة إلى الله بعد تكوينهم تكوينًا علميًا جيداً.

٣- والحركيون الذين يتحركون بالإسلام؛ عقائده وعباداته وأخلاقه ومعاملاته فى الناس والآفاق.

وهؤلاء فى أغلب الأحوال ليسوا متفرغين للحركة وليسوا محترفين للعمل فيها، ولكنهم يتحركون بالإسلام من خلال أعمالهم ووظائفهم، ويسهمون حقًا فى نقل الناس من الضلال إلى الهدى. وقد أثار هؤلاء الحركيون غيظ أعداء الإسلام فخصوهم بصفات من تُهَمٍ وافتراءات مثل وصفهم بأنهم يتعاملون بالعنف أو أنهم إرهابيون، أو رجعيون إذ يتحركون فى الناس بدين مضى عليه أكثر من أربعة عشر قرنًا، وما إلى ذلك من أباطيل، إذ كيف يوصف بهذه الصفات من كان يحاول نقل الناس من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور؟

- إن الحركيين دائمًا قَذًى فى أعين الحكام الظالمين أو العلمانيين الذين يعطلون الدين، وشجًى فى حلوق أعداء الدين من غير المسلمين، وهؤلاء وأولئك يتواصون دائمًا بحظر عمل الحركيين وإلصاق التهم بهم وسجنهم وتعذيبهم، وتحدى إرادة الناس عندما يختارونهم ليعبروا عنهم فى المجالس النيابية، حيث يلغون الانتخابات كما حدث فى الجزائر، أو ينزلونهم من فوق سدة الحكم التى وصلوا إليها من خلال صناديق الاقتراع كما حدث فى تركيا، أو يلفقون التهم لهم ويحاكمونهم محاكمات ظالمة شكلية كما يحدث فى كثير من بلدان العالم الإسلامى التى نعجز عن حصرها لكثرتها.

● والحركيون أكثر إصراراً على التحرك بالإسلام في الناس والآفاق مهما حاق بهم من ظلم ومهما وُجهوا بالقهر، لأنهم مؤمنون بأن العاقبة للمتقين.

٤- والتربويون الذين يمارسون التربية في المدارس والمعاهد والجامعات.

أو أولئك الذين يمارسون التربية الإسلامية في كل من يحيط بهم في البيت، أو في المسجد أو في النادي، أو في أماكن العمل وتجمع الناس.

وهؤلاء يعملون بجد وإصرار على نقل الناس من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور.

● وهؤلاء التربويون غُصَّة في حلوق أعداء الإسلام من العلمانيين والملحدين والشيوعيين والرأسماليين؛ بل وعند أدعياء الديمقراطية وأدعياء الحرص على حقوق الإنسان، وذلك أن هؤلاء التربويين يعملون في دأب وإصرار، ومن خلال الجهود الفردية على تربية الناس تربية إسلامية تحفظ لهم حقوقهم وحرياتهم، وهؤلاء المعادون لا يتيحون للتربويين المسلمين فرصة وضع منهج ولا فرصة إشراف على إعداد مدرس مسلم، بل كثيراً ما يتهمونهم بالتطرف ويعزلونهم عن وظائف التدريس إلى العمل الإداري حيناً وإلى الفصل من العمل في بعض الأحيان.

ولا أنسى أن إحدى الدول وقد نجح فيها الإسلاميون في الانتخابات وشُكلت الحكومة ثم أعيد تشكيلها من جديد حتى لا يتولى وزارة التربية فيها إسلامي حركي يمثل ثقلاً سياسياً أمام انتخابات غير مزورة!!!

● ومهما يفعل أعداء الإسلام الظاهرون الجبارون أو أعداؤه الذين يضمرون عداءهم، فإن المقالة الصادقة دائماً أبداً هي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

٥- الوالدان في الأسرة المسلمة:

وعليهما عبء التربية الإسلامية كاملاً منذ نعومة الأظفار ولا يعفيان من المسئولية إذ كل منهما قد استرعاه الله هؤلاء الأبناء.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تُنْتَجُ البهيمة

جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه: واقرأوا إن شئتم:
﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ...﴾ الآية.

● والأبوان مطالبان بنقل أبنائهما من الضلال إلى الهدى، ومن الضياع والتسيب والبعد عن الإسلام إلى الالتزام بالدين وقيمه وأخلاقه ومعاملاته.

● والأبوان المسلمان فى صراع دائم مع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، فهذه الوسائل تبذل ما فى وسعها لتحول بين الصغار بل والكبار وبين الإسلام ومنهجه ونظامه وقيمه وآدابه، حيث يتوهم القائمون على هذه الوسائل أن الدين رجعية وأن التمسك بقيمه جمود، وأن من الخير لهم ولما ينشرون من فساد وانحلال وعلمانية ولا دينية أن يكون الصغار والكبار بعيدين عن الدين والتدين!!!

ألا ساء ما يقدّرون وساء ما يحكمون، ولذلك كان الصراع مستمراً مع الأبوين المسلمين والأسرة المسلمة الملتزمة ومع وسائل الإعلام، لأنها ضالة مضلة، وعلى الآباء أن ينقلوا أبناءهم من الضلال إلى الهدى.

٦- والزملاء فى العمل والرفقاء فى الطريق أو فى السفر، فهؤلاء جميعًا يجب عليهم أن يتذكروا أنهم مطالبون دائماً بأن ينقلوا الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن لم يقم منهم بهذا العمل ما وسعه فقد خالف وأثم، ومن قام بذلك احتساباً لوجه الله تعالى فهو كما قال الرسول ﷺ مفتاح للخير مغلاق للشر، وله عند الله تعالى أجر عظيم، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنّ مِنَ الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن مِنَ الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه».

● وذلك أن المسلمين القادرين على الدعوة إلى الله بما يملكون من البصيرة لما يدعون إليه، مطالبون على وجه الدوام بأن يعملوا على نقل الناس من الضلال إلى الهدى، وعليهم أن لا يبالوا بما يضعه أعداء الإسلام أمامهم من عراقيل أو من كلمات تثبط الهمم وتفتر العزائم، فإن الذين يطلقون هذه الكلمات شياطين يزينون الباطل ويصرفون عن الحق، والشيطان - كما وصفه الله تعالى - عدو مبين للإنسان، وهو ذئب الإنسان الذى تعهد أمام خالقه أن يضل الإنسان، إن صراع هؤلاء المسلمين الحقيقى هو مع الشيطان لا مع من

يحاولون نقلهم من الضلال إلى الهدى، مهما غلبت عليهم اهواؤهم وشهواتهم، إن على المسلمين ان يرددوا دائمًا قوله الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

٧- الرؤساء والأمراء والقادة، وكل من كان له ولاية على غيره من المسلمين.

وهؤلاء أهل سطوة ونفوذ، ويستطيعون بسلطانهم ونفوذهم أن يسهموا في نقل الناس من الضلال إلى الهدى بأسرع وقت ممكن، لان الناس لهم تبع، ولأن الناس على دين ملوكهم، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

● وهؤلاء لهم على الناس الطاعة ما داموا لم يامروا بمعصية الله، فلو استغلوا هذه الطاعة في ان أمروا الناس بالتزام الدين لكان لهم في ذلك السبق والفوز العظيم، وكان لهم عند الله تعالى الأجر العظيم.

● وهؤلاء الرؤساء والأمراء والقادة يتخذهم كثير من الناس قدوة لهم، فلو كانوا قدوة حسنة في الالتزام بالدين، لاقتدى بهم الناس في الالتزام بالدين ولخرجوا بذلك عن الضلال إلى الهدى، وفارقوا المعصية إلى الطاعة، فكان لهؤلاء الرؤساء والأمراء والقادة أجرهم وأجر من عمل بعملهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أجرهم شيئًا.

● وكل مقصِّر من هؤلاء فإنما عليه إثم تقصيره أولاً، ثم عليه إثم من قصَّر مقلدا له او مقتديًا به، وذلك انه قصَّر في حق نفسه، وفي حق من استرعاه الله عليهم من ناس كان يجب ان يخلص النصح لهم وان يعمل جاهدًا على نقلهم من الضلال إلى الهدى. وفيما رواه أصحاب السنن وذكرناه آنفًا ان رسول الله ﷺ قال: «الإمام راع ومسئول عن رعيته...» وفي خاتمة الحديث الشريف: «وكلكم راع ومسئول عن رعيته» متفق عليه بين البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى.

وبعد:

فإن هؤلاء السبعة الاصناف المطالَبين بنقل الناس من الضلال إلى الهدى، كل واحد منهم أو كل فئة حسب اهميته وسلطانه وفئته التي ينتمي إليها.

ومن الواضح أن أكثرهم مسئولية هم الرؤساء والقادة والأمراء بوصفهم أصحاب سلطان وكلمة مسموعة، وهكذا الابوان والمربون والدعاة والحركيون.

● وهؤلاء جميعًا السبعة الأصناف وسائلهم إلى نقل الناس من الضلال إلى الهدى معروفة وهى :

– الدعاء للناس بالخير والهدى .

– وتعريف الناس بالطريق إلى الله وإلى الحق .

ولو فعلوا فلا عليهم أن يهتدى الناس أو يظلوا على ضلالهم – كما أوضحنا ذلك آنفا .

● غير أن أصنافًا ثلاثة من هؤلاء السبعة الأصناف عقوبتهم أشد إن قصروا، هؤلاء الثلاثة هم :

– الرؤساء والأمراء والقادة .

– والعلماء .

– والدعاة إلى الله الذين يحترفون الدعوة إلى الله .

فهؤلاء الثلاثة يملكون من السلطة والنفوذ، واحترام الناس لهم وتقديرهم إياهم، ما يمكنهم من أن يقولوا فيسمع لقولهم، وأن يأمروا فيطاعوا، وأن ينصحوا فيستجاب لهم .

● فإن لم يفعل هؤلاء الثلاثة ذلك فقد قصروا، ومعنى تقصيرهم أنهم رضوا أن يظل الناس على الباطل، وأن لا يخرجوا من ظلمات الجهل والمعصية لله تعالى، ومن رضى للناس ذلك وهو قادر على هدايتهم كان حسابه عند الله عسيرا .

● وليس معنى ذلك أن الأربعة الأصناف الأخرى لا يحاسبون إن قصروا فتوقفوا عن نقل الناس من الضلال إلى الهدى، إنما معناه أن حسابهم أقل من حساب من يملكون السلطة والنفوذ ومحبة الناس إياهم، ففى الحديث الشريف : « وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

وفى آخر هذا الباب الثانى من الكتاب، أحب أن أؤكد أن التربية الإسلامية تتخذ من الدعامات السبع التى تقوم عليها طريقًا إلى بناء مجتمع مسلم ملتزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مجتمع قادر على التقدم والرقى والعمل وفق ما يرضى الله تبارك وتعالى، مجتمع يتعامل مع سائر المجتمعات التى لا تدين بالإسلام المعاملة الإسلامية النبيلة التى ترفض الظلم حتى لو وقع على غير المسلمين .

وإلى الباب الثالث الأخير من الكتاب وهو :

التربية الإسلامية كما مارسها الرسول ﷺ والله المستعان

الباب الثالث

التربيـة الإسلاميـة

كما مارسها الرسـول ﷺ

تمهيد لهذا الباب:

في ممارسة الرسول ﷺ التربية للمسلمين، أي مزاولته إياها وعلاجها.

اشتملت تربيته للمسلمين على جوانب ثلاثة لابد منها لكل مسلم يمكن أن يقال إنه ربي تربية إسلامية، وهذه الجوانب هي:

١- تعليمهم ما يحتاجون إليه من أصول الدين وفروعه وأحكامه وأخلاقه، وكل ما يتصل بالدين من أمور معاشهم ومعادهم.

٢- وتزكيتهم أي تطهيرهم من العقائد الفاسدة، والضلالات، والأخلاق الذميمة.

٣- ووجوبُ التَّعلم، والعلم، والتعليم عمومًا ولكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على وجه الخصوص.

● وقد دلَّتْ على هذه الجوانب لتربية الرسول لله للمسلمين آيتان كريمتان في القرآن الكريم:

إحداهما:

قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[آل عمران: ١٦٤].

والأخرى:

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

● وهذه الجوانب الثلاثة تفهم من الآيتين الكريمتين على نحو ما سنوضح الآن، والله المستعان.

● وباجتماع هذه الجوانب الثلاثة تتكامل عملية التربية بمفهومها الواسع الدقيق الذى أوضحناه آنفًا (١)، والذى سوف نزيد مفهومه إيضاحًا وتشعبًا فى هذا الباب الأخير من الكتاب.

● ومن خلال هاتين الآيتين الكريمتين اللتين تحدثتا عن عمل الرسول ﷺ ووظيفته، نستطيع أن نقول:

١ - تعليمه ﷺ للناس أمور دينهم:

وهذا يفهم من قوله تعالى عن رسوله الخاتم الذى مَنَّ الله به على المؤمنين: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾.

وتلك هى أولى خطوات التربية الإسلامية، كما أنها أول تبليغ الدعوة إلى الله بإبلاغ وَحْيه تعالى إلى عباده.

وهذه التلاوة لآيات الله تعالى هى: بيانٌ وإعلام وقراءة أولية لآيات الله تعالى لعرضها على الناس.

● وآيات الله لها معانٍ عديدة مقبولة كلها فى هذا المجال الذى نتحدث فيه، ومن هذه المعانى:

- أنها آيات القرآن الكريم وهى كل جملة من القرآن الكريم دالة على حكم من الأحكام أو معنى من المعانى.
- أو أنها: العلامات الظاهرة.
- أو أنها: الدلائل والبراهين.
- أو هى: العِبَر والعظات.
- أو هى: المعجزات.

وبكل معنى من هذه المعانى تلا رسول الله ﷺ على الناس آيات الله تعالى وأحاطهم بمحتواها، وعلمهم من خلالها أمور دينهم، وما فرض الله عليهم، وما حرم عليهم، وما أحل لهم، وما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم.

---

(١) عند حديثنا عن مفهوم التربية الإسلامية فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

٢ - وتزكيتهم من العقائد الفاسدة، والضلالات:

وهذه التزكية أو التطهير لنفوس الناس وعقولهم، تفهم من قوله تعالى مخبراً عن بعض عمل الرسول ﷺ: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.

● والتزكية خطوة تالية للتلاوة، وذلك أن تلاوة آيات الله كما أوضحنا، تؤدى إلى العلم والمعرفة والإحاطة بما تُلى، أما التزكية فهى إحدى نتائج التلاوة والفهم لما تُلى، لأنها تعنى التطهر من الرجس مادياً كان أو معنوياً أى القذر، والشرك.

- فالتطهر من الرجس المادى - وهو ما يستقذر - شرع له الإسلام الاغتسال والوضوء وتقليم الأظافر وحلق العانة والسواك، وسائر سنن الفطرة، وشرع النظافة عموماً.

- والتطهر من الرجس المعنوى وهو الشرك شرع له وجوب التفكر والتدبر وإعمال العقل، ورفض التقليد، ليكون إيمان المؤمن اختياراً منه وانحيازاً حرًّا لجانب الإيمان.

● وإذا تطهر الإنسان من الرجس المادى والمعنوى - كما أوضحنا - أصبح مؤهلاً لأن يكون إنساناً صالحًا على مستوى تكريم الله إياه وتفضيله على كثير من خلقه.

- فالتزكية تطهير وإصلاح.

- والتزكية نمو وزيادة.

- والتزكية ممارسة للفضائل واجتناب للرذائل.

وكل هذه المعانى يشملها مفهوم التربية - كما أوضحناه - وهى بمعنى آخر زيادة فى قدرات الإنسان أو حسن توجيه لها، فى الجسم والعقل والخُلُق.

٣ - ووجوب التعلم والعلم والتعليم:

خطوة تالية للتزكى والتطهر والنمو.

- والتعلُّم: طلب العِلْم.

- والعلم: معاناة عقلية وتحصيل.

- والتعليم: نشر العلم فى الناس بعد تحصيله.

وكل هذه الثلاثة أوجبها الإسلام على المسلمين القادرين على ذلك، وهى مرتبة على نحو ما ذكرنا. فمن واجب المسلم أن يتعلم ليعرف من خلال ما تعلم ما له وما عليه، ولا

يقبل منه عذر في أن يظل جاهلاً ما دام بدار الإسلام أو بين مسلمين في أى دار، وإذا تعلم كان عليه أن يحصل قدراً من العلم يمكنه من معرفة واجباته الشرعية والاجتماعية.

وإذا عَلِم وجب عليه - بوصفه فرداً في مجتمع مسلم متعاون متكافل - أن يعلم غيره من الناس مما علمه الله تعالى.

● والذى عَلّمه رسول الله ﷺ للناس هو: الكتاب والحكمة: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾.

- والتعليم هنا غير التلاوة هناك، فتعليم الكتاب، وهو القرآن الكريم يعنى توضيح مقاصد القرآن ومعانيه، وقد أمر الرسول ﷺ بذلك كما علمه الله تعالى في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

● وتعليم الناس القرآن:

وتلك خطوة تالية لتزكية النفوس وتطهيرها، والتعليم لابد أن يسبقه التعلُّم والعلم.

والإسلام يوجب على المسلم هذه الثلاثة: التعلم - أى طلب - العلم - والعلم أى تحصيله - والتعليم - أى نشر العلم - بعد طلبه وتحصيله - كما قلنا - لكن الجديد هنا أن تعليم الناس القرآن يتطلب ممن يُعلمه بيان منهج القرآن ونظامه، وتوضيح حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وتفسير ما جاء فيه من حكم وأمثال وقصص وأخبار، وآداب وأخلاق.

وكل هذا التعليم للقرآن الكريم هو في الأصل عمل الرسول ﷺ، وقد قام بها على أكمل وجه وأحسنه، واقتدى به في ذلك علماء المسلمين في كل عصر ومصر، وسوف يستمر هذا إلى أن يقوم الناس لرب العالمين بعون من الله وتوفيق.

● ويرى بعض العلماء أن قول الله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ أن الكتاب هنا هو الكتابة والخروج من الأمية إلى المعارف والعلوم وأصول المدنية كلها، ويعززون رأيهم بأن الرسول ﷺ شجع على تعلم الكتابة ودعا إليها، فقد روى الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» بسنديهما عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قيِّدوا العلمَ بالكتاب» أى بالكتابة، كما قبل رسول الله ﷺ من بعض أسْرى المشركين بعد معركة بدر أن يفتدوا أنفسهم من الأسر بأن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة.

«والحكمة»:

وهى سنة الرسول ﷺ القولية والفعلية، فكما يعلمهم الكتاب - وهو القرآن - يعلمهم الحكمة وهى سنته ﷺ.

● والسنة النبوية من أكبر نِعَم الله تعالى على الإنسان، إذ هى وحىٌ من الله تعالى إلى رسوله الخاتم ﷺ، علَّمه بها ما لم يكن يعلم، كما يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ...وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣]. أى أطلعك الله على أسرارهما وحقائقهما مع أنك ما كنت قبل ذلك عالمًا بشىء منها.

● وتعليم الرسول ﷺ الناس الكتاب والحكمة يقتضى أمورًا لحظها العلماء فى عمل الرسول ﷺ وذكروها، ومنها:

– أنه ﷺ أورد عليهم وجوه الدلائل ونَقَّحها وأوضحها، وكلما خطر على قلوبهم خاطر شك أو شبهة عمل على إزالته؛ لأن الناس فى عمومهم مجبولون على النقص، وقلة الفهم والدراية، فعلمهم وأقنعهم.

– وأنه ﷺ وضَّح لهم كيف يعبدون الله أنواع العبادة التى أوجبها الله عليهم، كل عبادة بأحكامها وآدابها وأوقاتها، وشروطها؛ وذلك أن الناس لم يكونوا على علم بهذه العبادات ولا بكيفية أدائها، فعلمهم ورباهم.

– وأنه ﷺ رغَّبهم، ورهَّبهم، رغبهم فى الطاعات وخوَّفهم من المعاصى، وذلك أن الناس فى عمومهم جبلوا على الكسل، والملل والغفلة، فأضاء لهم الطريق وهداهم.

– وأنه ﷺ عرَّفهم كيف ينتقلون من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن التخلف إلى التقدم، ومن البداوة إلى الحضارة، ومن الحمق والسفه إلى الأناة والتعقل، ومن الحال التى كانوا عليها إلى أن يصبحوا خير أمة أخرجت للناس؛ لأن الناس فى معظمهم فى حاجة مستمرة إلى هذا الهدى والاستقامة على منهج الحق، وقد قام الرسول ﷺ بذلك خير قيام، ورسم فى ذلك معالم طريق لكل من جاءوا بعده من السائرين على دربه المتمسكين بهديه.

وبعد هذا التمهيد نقول:

إن ممارسة الرسول ﷺ لتربية الناس كانت ذات جانبين:

– نظرى: تمثل فى آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية.

– وعملى: تمثل فى أعماله التى قام بها وطالب المسلمين بالقيام بها.

وهذا ما سنوضحه فيما يلى والله المستعان.

أولاً :

الجانب النظرى من تربية الرسول ﷺ للناس

- المقصود بالجانب النظرى:

المقصود بذلك - فى تصورنا - هو الجانب الفكرى الذى يقوم على التوضيح والتفسير والتفصيل، من خلال آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية .

وقد قامت التربية الإسلامية النظرية على مبادئ معروفة هى :

- عبادة الله وحده خالق كل شىء .
- وطاعة الله ورسوله الخاتم ﷺ .
- والالتزام بالمنهج الذى جاء به القرآن الكريم وفسرته السنة النبوية المطهرة، وتفصيلات هذا المنهج من الكثرة والتنوع بحيث تتناول كل شعب الحياة الإنسانية، بحيث يستطيع الناس بالتزامهم به أن يحققوا صالح معاشهم ومعادهم .

● وهذه المبادئ كلها وما ينطوى تحت كل واحد منها من تفصيلات، لا يمكن إدراكها ولا معرفة أهدافها إلا من خلال طلب العلم، وتحصيله، ثم تعليمه للناس - أى التعلم والعلم والتعليم - لذلك قامت التربية الإسلامية كلها عليها، بل تقوم عليها أى حضارة إنسانية راشدة تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

● وآيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية الداعية إلى التعلم والعلم والتعليم هى الجانب النظرى الفكرى - فى تصورنا واصطلاحنا فى هذا الباب من الكتاب - الذى مارسه الرسول ﷺ فى الناس، وأعلنه فيهم وطالبهم بالالتزام به .

● وليس المقصود بالجانب النظرى من تربية الرسول ﷺ - كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان - مجرد الكلام ومجرد الإبلاغ، ولكن مع الكلام والإبلاغ مطالبة بالعمل والتنفيذ .

- والمقصود بالجانب العملى:

هو كما سنوضحه فيما بعد، عمل الرسول ﷺ الذى يجب أن يقتدى المسلمون به فيه .

- فى الجانب النظرى :

١ - كلمات من الكتاب والسنة فى الحث على طلب العلم «التعلم»

أ- من القرآن الكريم :

مما يؤكد اهمية طلب العلم فى الإسلام، بل يرفع من شانه وشان طالب العلم ان أول كلمة نزلت من القرآن الكريم على خاتم الرسل ﷺ هى : «اقرأ».

وتلك دعوة للقراءة اى التعلم لم تسبقها دعوة إلى شىء آخر، وذلك ان القراءة مفتاح العلوم والمعارف كلها، بل بها تنضبط وتتواصل ويعم نفعها.

والقراءة قرينة الكتابة، وهى - فى معاجم اللغة - : الجمع والضم اى جمع الحروف لتصير كلمة، وجمع الكلمات لتصير جملة ومعنى، ومن ذلك سمى آخر الكتب المنزلة من الله تعالى «قرآناً» لانه جمع بين ثمار كتب الله جميعاً، وجمع ثمار العلوم كلها، إذ فيه تفصيل كل شىء وتبيان كل شىء.

● والقرآن الكريم هو المنزل على محمد ﷺ المكتوب فى المصاحف المنقول عن الرسول ﷺ نقلاً متواتراً لا شبهة فيه.

- والقرآن عند أهل الحق [١] وهم أهل السنة هو : «العلم اللّدُنّى الإجمالى الجامع للحقائق كلها» [٢].

١- قال الله تبارك وتعالى فى أول ما نزل من القرآن الكريم - كما يرى ذلك معظم علماء التفسير - : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١-٢].

والقراءة مفتاح التعلم فالعلم فالتعليم.

٢- وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢].

فالآية الكريمة تخبر ان الله تعالى جعل القرآن عربياً اى انزله بلغة العرب، لكى يفهموه

---

(١) يقابلهم اهل الاهواء وهم : الجبرية، والقدرية، والرافضة، والخوارج، والمعطلة، والمشبهة وكل منهم اثنتا عشرة فرقة، فصار عددهم : اثنتين وسبعين فرقة - كما جاء ذلك فى الحديث الشريف.

(٢) الجرجاني علي بن محمد الشريف الجرجاني (٧٤٠ - ٨١٦هـ) كتاب التعريفات ط مكتبة لبنان ١٩٧٨م.

ويتعقلوا فيه، والمسلمون مطالبون بذلك التفهم والتعقل، وهذا تعلم اى طلب علم.

٣- وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٣ - ٤٤].

وهاتان الآيتان الكريمتان تتضمنان أمرين:

- أن الجاهل بشيء يسأل عنه أهل الذكر اى أهل العلم.
- وأن الله تعالى أنزل على نبيه القرآن ليبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ويدعوهم إلى التدبر والتفكر رجاء أن يتعظوا وتستقيم أمورهم، وذلك تعلم اى طلب للعلم.

٤- وقال جل شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥]. فالله سبحانه يضرب الأمثال للناس ليعملوا عقولهم فيتعظوا وهذا الإعمال للعقول مطلب وهو تعلم يؤدى إلى الاتعاظ بما تعلمه الإنسان من هذه الأمثال.

٥- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢١٩].

وهذه الآية الكريمة توضح ما فى الخمر والميسر من آثام أكبر بكثير مما قد يعود على بعض الناس من نفع فيهما كالتجارة والربح السهل، وهذا التوضيح والتبيين من اجل ان يتفكر الناس فيما ينفعهم فى الدنيا والآخرة، وهذا التفكر تعلم يؤدى إلى الاستفادة.

٦- وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الرعد:١٩].

بمعنى ان الذى لا يعلم ان ما انزل على محمد ﷺ هو الحق الذى ينقذ الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور هو المقبل على الضلال كأنه أعمى لا يبصر ما وراءه، وأن الذى يعلم ذلك هو المقبل على التعلم والاستفادة الذى يعد من أصحاب العقول.

٧- وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي

الدين وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وهذه الآية الكريمة توجب طلب العلم المتخصص والتفقه على طائفة من المسلمين، ليكونوا بهذا الطلب للعلم علماء ينفعون أقوامهم بعلمهم، وهي آية كريمة تعلم فقه الموازنات بين ما هو مطلوب عمومًا ومطلقًا، وما هو مطلوب على وجه الخصوص وفي ظروف بعينها.

ب- من السنة النبوية المطهرة:

١- روى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلَّموا القرآن واقرأوه، وارقدوا (١)، فإن مثل القرآن ومن تعلمه فقام به كمثل جراب محشوا علمًا يفوح ريحه كل مكان، ومَثَل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي(٢) على مسك».

ففي الحديث أمر بتعلم القرآن الكريم.

٢- وروى ابن ماجة بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعَلَّمه».

٣- وروى ابن ماجة بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ...».

٤- وروى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلَّمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره».

٥- وروى البيهقي في «شعب الإيمان» بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ورواه ابن عبد البر بنفس السند عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

- وبعض العلماء يشككون في هذا الحديث، غير أن معناه وارد في أكثر من حديث صحيح، ومن هذه الأحاديث ما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) وارقدوا: أي لا مانع لقارئ القرآن من أن يقرأ ويرقد أي يستريح من القراءة ما دام عاملاً بما في القرآن.

(٢) الوكاء: خيط تُشد به الأوعية.

قال رسول الله ﷺ : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها».

فهذا الحديث يعطى نفس المعنى، إذ قد لا يجد المسلم هذه الكلمة الحكمة إلا فى الصين أو اليابان أو استراليا مثلاً.

٦- وروى ابن عبد البر فى كتابه : «جامع بيان العلم وفضله» بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر».

٧- وروى البيهقى فى : «الشُّعَب» بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم، والله يحب إغاثة اللهفان».

٨- وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «. . . ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده».

٩- وروى ابن ماجة بسنده عن صفوان بن غسان المرادى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع».

١٠- وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين إحداهما يقراون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلَّمون ويُعَلِّمون، فقال النبى ﷺ : «كل خير، هؤلاء يقراون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلما، فجلس معهم».

١١- وروى ابن ماجة بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يرفع، وجمع بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام ثم قال : العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ولا خير فى سائر الناس».

١٢- وروى الترمذى بسنده عن كثير بن قيس قال : قدم رجل من المدينة على أبى الدرداء - وهو بدمشق - فقال : ما أقدمك يا أخى؟ قال : حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ.

قال أبو الدرداء: أما جئتَ لحاجة؟

قال: لا.

قال: أما قَدِمْتَ لتجارة؟

قال: لا؛ ما جئت إلا فى طلب هذا الحديث.

قال أبو الدرداء: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سلك طريقًا يبتغى فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَنْ فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر».

جـ- الحكم الشرعى لطلب العلم:

إذا كان التعلّم أو طلب العلم بهذه الأهمية فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة، وإذا كانت بعض الأحاديث النبوية قد صرحت بأنه فريضة على كل مسلم، فلابد لنا من توضيح حكم هذه الفريضة.

● طلب العلم أو التعلم قد يكون فرضًا عينيًا، وقد يكون من فروض الكفاية.

- طلب العلم الذى يعد فرضًا عينيًا:

أجمعت جمهرة العلماء والمحققين منهم على أن طلب العلم يكون من فروض العين فى كل ما لا يجوز للمسلم أن يجهله، ومن جملة هذه الفرائض ما نذكره فيما يلى:

- الشهادة بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الشهادة باللسان والإقرار بالقلب، بأن الله واحد لا شريك له ولا شبيه له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق كل شىء وإليه مرجع كل شىء، الحى الذى لا يموت وهو المحيى المميت.

وأنه سبحانه وتعالى لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، وهو على العرش استوى.

- والشهادة بأن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله وخاتم أنبيائه حقٌ، وأن البعث بعد الموت للمجازاة عن الأعمال والخلود فى الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة فى الجنة حق، ولأهل الشقاوة بالكفر والمعصية فى السعير حق.

وأن القرآن الكريم كلام الله وما فيه حق يجب الإيمان بجميعه، واستعمال محكمه.

وأن الصلوات الخمس فرض، وأن المسلم يلزمه من علمه فريضة الصلاة علمه بما لا تتم إلا به من الطهارة واستقبال القبلة والقراءة وسائر الأحكام المتعلقة بها.

وأن الصوم في شهر رمضان فرض، ويلزم كل مسلم علم ما يفسد صومه، وما لا يتم الصوم إلا به.

وأن الحج لبيت الله الحرام فرض على المسلم المستطيع مرةً واحدة في دهره حتى يموت.

وأن الزكاة فرض على المسلم الذي يملك النصاب فما فوقه، وعليه أن يعرف أحكامها كلها.

– وكل الأحكام والأمور التي يلزم المسلم علمُها، ولا يعذر بجهلها فإن تعلُّمها فرض عين عليه، ولذلك أمثلة عديدة منها:

- تحريم الخمر والخنزير والميتة والأنجاس، وكل ما يسكر، وكل ما يلحق ضرراً بالعقل أو بالبدن بالنفس أو بالغير.
- وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق، والاعتداء على المؤمن ماديًا كان هذا الاعتداء كضربه وتعذيبه، أو معنويًا كإهانته وسبِّه وتعييره واغتيابه.
- وتحريم الزنا عمومًا، بل تحريم دواعيه.
- وتحريم نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر المحرمات اللاتي حرم الله نكاحهن في القرآن الكريم أو على لسان رسوله ﷺ.
- وكل ما كان مثل هذه الأمور مما حرمه الله في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة.

فكل ذلك وأشباهه تعلُّمه وعلمه فرض عين على كل مسلم.

– وطلب العلم الذي يعد فرض كفاية:

هو تعلُّم العلم الذي يلزم الجميع فرضُه، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين.

ومن أمثلة ذلك:

- **طلب العلم في غير ما ذكر في فرض العين كالشهادتين ... إلخ.**
- **والمتفقه في هذا العلم وتعليم الناس إياه، وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم.**

– ولا خلاف بين العلماء في أن هذا النوع من العلم فرض كفاية، وحجتهم في ذلك قول

الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ففي هذه الآية الكريمة: فرض الله النفير على بعض المسلمين «طائفة» لا على جميع المسلمين، والطائفة في اللسان العربي تعني: الواحد فما فوقه.

● والجهاد في سبيل الله، فهو فرض كفاية، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[النساء: ٩٥-٩٦].

ففي هاتين الآيتين؛ فضل الله المجاهد، ولم يذم القاعد عن الجهاد.

- ولكن الجهاد في سبيل الله يصبح فرض عين يلزم كل مسلم، حينما يعتدى عدو على بلدة من بلدان المسلمين، عندئذ يصبح الجهاد فرض عين على أهل هذه البلدة وكل من يجاورونهم ويتمكنون من نصرتهم.

- وكذلك يصبح الجهاد في سبيل الله فرض عين عند النفير العام، أي أن حاكم المسلمين يطلب منهم التوجه لجهاد الأعداء[1].

ومن فروض الكفاية:

● ردّ التحية على من بدأ بها، لأن الردّ فرض فإذا قام به واحد من الذين ألقيت عليهم تحية الإسلام، فقد سقط الفَرْض عن الباقين.

● وتغسيل موتى المسلمين وتكفينهم والصلاة عليهم ومواراتهم.

● وأداء الشهادة عند الحكام.

فإذا كان الشاهدان عَدْلَيْن ولا شاهد سواهما، أصبح أداء الشهادة فرض عين على هذين الشاهدين.

---

(١) حلّ محل هذه الأحكام الشرعية في جعل الجهاد في سبيل الله فرض عين حينًا وفرض كفاية حينًا قوانين وضعية منها قانون التجنيد الإجباري في السلم وفي الحرب!!

وللإمام جعفر الصادق رحمه الله فى التعلم أو طلب العلم الذى لابد منه للمسلم كلمة يقول فيها:

« وجدنا علم الناس كله فى أربع:

أولها: أن تعرف ربك.

والثانى: أن تعرف ما صَنَع بك.

والثالث: أن تعرف ما أراد منك.

والرابع: أن تعرف ما تخرج به من دينك ».

وقال بعض العلماء فى الرابع: أن تعرف ما يخرجك من دينك.

وكلمة الإمام جعفر الصادق رحمه الله في طلب العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم. وهى كلمة جامعة.

٢- كلمات من الكتاب والسنة فى فضل العِلْم وقيمته

أ- من القرآن الكريم :

للعلم فى الإسلام مكانة كبيرة [١]، وللعلماء مكانة مماثلة، ولقد هيأ الله تعالى رسله وأنبياءه ومن اصطفاهم من أوليائه بالعلم الذى أوحاه إليهم، ودلهم عليه أو أطلعهم، حتى يستطيع هؤلاء الأنبياء والرسل أن يوجهوا الناس إلى عبادة الله وتوحيده وإلى ما ينفعهم فى معاشهم ومعادهم.

وطالب الله بالعلم كل من يتصدى للتبليغ عنه أو الدعوة إليه ليكون على بينة مِمَّا يأمر الله تعالى به وما ينهى عنه.

● وفى مجال العلم وردت آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن نوعين من العلم :

- علم من عند الله تعالى يمنحه لمن يشاء من عباده، اصطلح العلماء على تسميته بالعلم « اللَّدُنّى » أى من لدن الله تعالى.

- وعلم يستطيع الإنسان أن يكتسبه إذا طلب وجدَّ فيه واجتهد، وهو نافع للمسلم فى دينه ودنياه.

● ففى العلم الذى منحه الله للناس، جاءت الآيات الكريمة التالية :

١- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الاعراف: ٥٢ - ٥٣].

والمعنى : ان الله تعالى اعطى هؤلاء الناس كتابًا مبينًا مفصلاً مشتملاً على العلم النافع فى كل مجال من مجالات حياتهم، وفى هذا الكتاب من العلم :

كل ادلة التوحيد.

---

(١) اوضحنا ذلك فى الباب الثانى من هذا الكتاب عند حديثنا عن الدعامة للتربية الإسلامية، وتوسعنا فى ذلك فى كتابنا « التربية العقلية » الحلقة الثالثة من هذه السلسلة.

وكثير من آيات الله فى الكون.

والشريعة التى أراد لهم أن يتعاملوا بأحكامها.

وتحديد المعالم لطريق الحق وللصراط المستقيم والهداية.

وهذا الكتاب - وهو القرآن الكريم - لو اتبعوه لكان رحمة بهم، وإنقاذاً لهم من أى معاناة، ولكنهم لم يؤمنوا به وماتوا على كفرهم فانتظرهم المآل الذى ينتظر كل كافر بالله معرض عن كتابه، يومئذ لا يجدون من يشفع لهم ولا يستطيعون العودة إلى الدنيا ليبدلوا أعمالهم من الكفر إلى الإيمان.

وهذا العلم الذى اشتمل عليه القرآن الكريم من عند الله تعالى.

٢- وقال جل شانه: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ [طه:٩٩-١٠١].

فهذا الذكر أى القرآن هو من عند الله ومن علمه الذى منحه لمن أراد من عباده أن يهتدى بعلم الله تعالى وحكمة رسوله ﷺ، أما من أعرض عن ذلك العلم فإن مصيره معروف حيث يخلد فى نار جهنم.

٣- وقال جل وعلا فى خطاب رسوله الخاتم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦].

والمعنى: أن كل ما فى القرآن الكريم حق وصواب ونافع للناس فى معاشهم ومعادهم، لأنه موحى به من عند مَنْ لا يُدانَى فى حكمته، وقد أحاط بكل شىء علمًا، وكان المراد بعد هذا الإخبار أن يقول: فما لهم لا يؤمنون بما أنزله الحكيم العليم؟

٤- وقال عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

والمعنى: أن القرآن الكريم كتاب أنزلت آياته محكمة أى لا باطل فيها ولا شبهة، وهو واضح بَيِّن، وفُصِّلَتْ فيه الأحكام تفصيلاً يمكن الناس من فهمه والعمل بما فيه، وهو من عند الله الذى يعلم كل شىء ويضع الأمور كلها فى مواضعها الملائمة.

٥- وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٥-٨٢].

وهذا العبد الصالح الذى وجده موسى عليه السلام وفتاه حين قفلا عائدين حيث نسيا الحوت، هذا العبد الصالح قد اعطاه الله الحكمة وعلمه من عنده سبحانه علماً غزيراً، بدليل ما قام به من اعمال لم يستطع موسى عليه السلام ان يجد لها تبريراً؛ لانه لم يؤت ما أوتى العبد الصالح فى ذلك الوقت من حكمة وعلم. وهذه الاعمال هى: خرق السفينة وهى فى الماء، وقتل الصبى، وإصلاح الجدار وترميمه خشية ان ينقضّ!!!

لكن الله اعطى لهذا العبد الصالح من العلم بمستقبل الاحداث ما جعله يقوم بهذه الاعمال ويشرح لموسى عليه السلام مبرراته فى القيام بها، فهذا علم لا يكون إلا من الله ولا يستطيع إنسان مهما اوتى من العلم ان يكتسبه.

● وفى العلم الذى يستطيع الإنسان ان يكتسبه لو طلبه، جاءت الآيات الكريمة التالية:

١- قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ

﴿ ... يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

فالسير فى الأرض يؤدى إلى علم يكتسبه الإنسان من سيره وتأمله وتدبره فى عواقب الذين كانوا من قبل، ثم يصل به علمه إلى معرفة حقيقة هامة هى أن الدار الآخرة خير للذين اتقوا ..

ولقد تكررت فى القرآن الكريم الآيات التى تطالب الناس باكتساب العلم عن طريق السير فى الأرض والتفكر فى عواقب المؤمنين والكافرين الذين مضوا، وسنذكر بعض هذه الآيات:

٢- قال الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٢١-٢٢].

٣- وقال جل وعلا: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨].

٤- وقال جل وعلا: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

٥- وقال عز من قائل: ﴿ ... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

هذه الآيات الكريمة وغيرها فى القرآن الكريم كثير، توضح للناس ضرورة طلب العلم وتحصيله والاستفادة منه، سواء أكان علماً لدُنِّياً منحه الله لمن شاء من عباده أو علماً يستطيع الإنسان أن يحصله بجهده وفكره وتدبره، والتعامل معه بحواسه التى منحه الله إياها من عقل وسمع وبصر وشم وذوق ولمس، فهذه الحواس وسائل للحصول على العلم.

● والعلم على كل حال بحر بغير سواحل، وعلى الإنسان العاقل أن يظل مبحراً فيه حتى يحصل منه ما ينفعه فى دينه ودنياه، ولا يشبع من العلم عاقل، ولا يتوقف عن البحث فيه راشد، وحسبنا فى الدليل على أن الاستزادة من العلم مطلب إنسانى متحضر، قول الله

تعالى لنبيه الخاتم ﷺ: ﴿ ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، وقول الرسول ﷺ فيما رواه البزار فى مسنده بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «منهومان (١) لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا».

ب- من السنة النبوية المطهرة:

الأحاديث النبوية التى جاءت فى فضل العلم ومكانته وقيمته فى حياة الناس كثيرة نكتفى منها بالقدر الذى يلائم هذا الباب من الكتاب، سائلين الله التوفيق، ومن ذلك:

١- روى الديلمى فى مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «احبسوا على المؤمنين ضالتهم؛ العلم» (٢).

ورواه ابن النجار فى تاريخه عن أنس رضى الله عنه أيضا.

٢- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

٣- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ولكل شىء عماد، وعماد هذا الدين الفقه، وما عُبد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

٤- وروى ابن سيرين بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حَضْر الجواد - أى عدو الفرس - المضمر سبعين سنة».

٥- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو معلم أو متعلم».

٦- وروى ابن ماجة بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

---

(١) المنهوم هو: من أفرط فى شهوة الشىء أو بالغ فى الرغبة فيه، ويقال: نَهِم فى العلم ونَهِم فى الطعام.

(٢) مسنده هو مسند الفردوس، ويُتهم هذا الحديث بالوضع، وربما كان الوضع فى ألفاظه، أما معناه فهو قريب من الحديث الذى ذكرناه آنفًا وهو: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ....» والكلمة الحكمة هى: العلم.

٧- وروى ابن الجوزى بسنده (١) عن النعمان بن بشير الانصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء، ودم الشهداء».

٨- وروى البيهقى فى كتابه «شعب الإيمان» بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء علماً إذا عَبَد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، وإنما الناس رجلان عالمٌ وجاهل، فلا تُمَارِ العالم، ولا تحاور الجاهل».

٩- وروى الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد: ادخل الجنة وتنعم بعبادتك، وقيل للعالم: قف هنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لاحد إلا شُفِّعْتَ، فقام مقام الأنبياء».

١٠- وروى الطبرانى «فى الأوسط» بسنده عن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتَسَب مكتَسِب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هُدًى، أو يردُّه عن ردًى، ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله».

١١- وروى أبو نعيم فى «الحلية» بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلا وعلى بابه ملكان، فإذا خرج قالا: اغدُ عالمًا أو متعلمًا، ولا تكن الثالث».

١٢- وروى البيهقى فى كتابه: «السُّنَن» بسنده عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «مَنْ طلب علمًا فادركه كان له كفلان من الأجر، ومن طلب علمًا فلم يدركه كتب له كفل من الأجر».

١٣- وروى الديلمى فى الفردوس بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «خُيِّرَ سليمان بين المال والمُلك والعلم، فاختار العلم، فاعطى المُلك والمال، لاختياره العلم».

١٤- وروى الديلمى بسنده عن أم هانئ رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: «العِلمُ ميراثى وميراث الأنبياء من قبلى».

١٥- وروى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وقِّروا مَنْ تُعَلِّمون منه العلم، ووقروا من تعلِّمونه العلم».

---

(١) هو عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى علامة عصره فى الحديث والتاريخ (٥٠٨-٥٩٧هـ) والكتاب المشار إليه هو: «جامع المسانيد والألقاب» لا يزال مخطوطا.

١٦- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميِّز العلماء فيقول: يا معشر العلماء: إني لم أضع فيكم علمي وأنا أريد أن أعذبكم، اذهبوا فقد غفرتُ لكم».

١٧- وروى أبو نعيم في «الحلية» بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يرفع الله بهذا العلم أقواماً؛ فيجعلهم قادة يقتدى بهم في الخير، وتُقْتَصّ آثارهم، وترمق أعمالهم، وترغب الملائكة في حِلَقهم، وبأجنحتها تمسحهم».

١٨- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن ثعلبة بن الحَكَم اللَّيْثي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلاّ وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي».

١٩- وروى الحكيم الترمذي [١] في كتابه «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» - ﷺ - بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك خصلات ينفعك الله تعالى بهن؛ عليك بالعلم فإنّ العِلْم خليل المؤمن، والحِلْم وزيره، والعقل دليله، والعمل قَيِّمه، والرفق أبوه، واللِّين أخوه، والصبر أمير جنوده».

٢٠- وروى ابن النجّار [٢] بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم يُحْيِي به الإسلام؛ لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة في الجنة».

٢١- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «مجالس العلم».

وفي رواية للترمذي: «حِلَق الذكر» بدل مجالس العلم، والمعنى متقارب.

٢٢- وروى الطبراني في الكبير بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه، كان له كأجر معتمر، ومن

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبد الله الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ) صوفي عالم بالحديث والفقه وأصول الدين، من أهل ترمذ، اتهم في حياته باتباع طريقة صوفية في الإشارات ودعوى الكشف فطرد من ترمذ فذهب إلى بَلْخ فأكرمه أهلها وكان عمره حينئذ تسعين سنة. له عديد من المؤلفات أغلبها لا يزال مخطوطا ولكن كتابه: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ مطبوع.

(٢) هو محمد بن محمود بن الحسن هبة الله بن النجار (٥٧٨ - ٦٤٣هـ) مؤرخ حافظ للحديث من أهل بغداد، مولده ووفاته بها، رحل إلى الشام ومصر والحجاز وفارس وغيرها، له مؤلفات عديدة من أشهرها كتابه: «الكمال في معرفة الرجال» في التراجم وغيره.

راح إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه فله أجر حاجٍّ تامٍّ الحجة».

غدا: سار إلى المسجد صباحًا.

راح: سار إلى المسجد عشيًا أى من زوال الشمس إلى المغرب أو من المغرب إلى العَتَمة.

● وقد حذّر رسول الله ﷺ من أمور تفسد طلب العلم بل تفسد العلم نفسه.

أ- فحذّر من عدم الإخلاص فى طلب العلم:

١- روى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «مَنْ تعلَّم العلْم ليباهى به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم».

٢- وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «من تعلم علما لغير الله فليتبوأ مقعده من النار».

٣- وروي أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «مَنْ تَعَلَّم حَرْف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا».

٤- وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عوضًا - وفى رواية - عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة».

ب- وحذّر من العلم بغير عمل:

١- روى الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «العالم والعلم والعمل فى الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم، كان العلم والعمل فى الجنة وكان العالم فى النار».

٢- وروى أبو الشيخ (١) فى العظمة بسنده عن عبادة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «العلم خير من العبادة، وملاك الدين الورع، والعالم مَنْ يعمل بعلمه».

٣- وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ويل لمن لا يعلم، وويل لمن علم ثم لا يعمل».

٤- روى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله: من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟».

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهانى (٢٦٤ - ٣٦٩هـ) محدث فقيه من مؤلفاته: «أخلاق النبى ﷺ» والتفسير، والأحكام، والعظمة، وغيرها كثير.

جـ - وحذَّر من حمل العلم مع الفسق:

١ - روى الطبراني بسنده - في الكبير - عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «الزبانية إلى فسقة حملة القرآن أسرعُ منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم «كمن لا يعلم».

٢ - وروى الديلمى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «شرار الناس فاسق قرأ كتاب الله، وتفقه فى دين الله، ثم بذل نفسه لفاجر إذا نشط تفكَّه بقراءته ومحادثته، فسيطبع الله على قلب القائل والمستمع».

٣ - وروى الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كلُّ شيء، وإذا أراد به أن يكثر الكنوز، هاب كلَّ شيء».

٤ - وروى السمعانى[١] بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «الطمع يذهب الحكمة من قلوب العلماء».

د - وحذَّر ﷺ من خيانة العلم:

أى خيانة الأمانة العلمية:

١ - روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «ناصحوا - أى أخلصوا - فإن خيانة أحدكم فى علمه أشد من خيانته فى ماله، وإن الله سائلكم يوم القيامة».

٢ - وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «يؤتى بصاحب القلم يوم القيامة فى تابوت من نار مقفل عليه بأقفال من نار، فَيُنْظَر قلمهُ فيما أجراه، فإن كان أجراه فى طاعة الله ورضوانه فُكَّ عن التابوت، وإن كان أجراه فى معصية الله هَوَى التابوتُ سبعين خريفًا، حتى يأوى القلم ولائق[١] الدواة».

---

(١) هو محمد بن منصور بن عبد الجبار التميمى السمعانى المروزى (٤٦٦ - ٥١٠ هـ) فقيه محدث من الوعاظ المبرزين، له كتب فى الحديث والوعظ، ومن كتبه: «الأمالى» مائة وأربعون مجلسًا، مولده ووفاته بمرو وسمع بنيسابور وبغداد وهمذان وأصبهان ومكة المكرمة وغيرها.

(٢) لائق الدواة هو الذى يصلح مداوها.

٣ – وروى ابن النجار بسنده عن ابى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيُقْذفون فى نار جهنم فيدور أحدهم فى جهنم بقُصبه[١] كما يدور الحمار بالرحى، فيقال له: ويْلك، بك اهتدينا فما بالك؟ قال: إنى كنت أخالف ما كنت أنهاكم عنه».

(١) قُصبه أى: أمعاؤه.

جـ - فى مكانة العلماء

من البدهى ان كل مكانة للمعلم اكدّناها واصّلْناها بالآيات القرآنية الكريمة وبالاحاديث النبوية الشريفة، تتضمن تقديراً واحتراماً للعلماء؛ لانه لا علم بغير علماء.

غير اننا نحاول فى ختام هذه النقطة من الحديث عن العلم وفضله وقيمته، ان نذكر نصوصاً نؤصل بها الحديث عن مكانة العلماء فى هذا الدين الخاتم، الذى اقام للعلم اكبر وزن، وجعله مع الوحى فى طريق واحد، يؤديان إلى سعادة الدنيا والآخرة.

● فمن آيات القرآن الكريم الدالة على مكانة العلماء وفضلهم وقدرتهم على الفهم والإدراك الصحيح، والإشادة بعلمهم، وبانهم اجدر الناس بخشية الله عز وجل، ما نذكره فيما يلى:

١ - قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧ - ٣٠].

ففى هذه الآيات امور هى:

● ان العلماء هم الاقدر على التدبر وإدراك أسرار صنع الله.

● وان العلماء لما أوتوا من قدرة على التفكر والتدبر هم الذين يخشون الله تعالى.

● وان الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة.. هم من العلماء ماداموا كذلك، هم بهذه الصفة يرجون مع الله تجارة رابحة، وان الله تعالى سيوفيهم اجورهم بل يزيدهم عليها تكرّماً منه وتفضلاً فهو الغفور الشكور.

٢ - وقال جل شانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٧].

- ففى هذه الآيات الكريمة تدليل وإقناع بصدق القرآن الكريم، بدليل أنه نزل من رب العالمين، وأنه أنزله جبريل على قلب النبى الخاتم ﷺ ليكون به من المنذرين باللسان العربى المبين، وأنه معروف فى الكتب السماوية التى سبقته فى النزول، وأن مشركى قريش لو لم يكونوا معاندين لآمنوا بالقرآن؛ لأن لديهم على صدقه حجة وهى علم علماء بنى إسرائيل بالقرآن كما جاء تلك فى كتبهم.

● فالعلماء هم الذين لديهم العلم بصحة القرآن وصدقه، حتى لو كانوا غير مسلمين بل من بنى إسرائيل.

٣ - وقال جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فالله تعالى يضرب الأمثال ويسوق العبر والعظات من تاريخ الأولين، ولا يعقل هذه الأمثال ولا يدرك قيمة هذه العبَر والعظات إلا العلماء لأنهم يفكرون ويتدبرون، وتلك من أبرز صفات العلماء.

● ومن الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على مكانة العلماء وفضلهم وما ينتظرهم عند الله من أحسن الجزاء، وما تخسره الأمة حين تفقد بعض علمائها، وما يجب أن يتمتع به العلماء عند الناس من حب واحترام وتقدير وطاعة، من هذه الأحاديث الشريفة ما يربو على خمسين حديثًا شريفًا فى حدود ما بحثت ونقّبت ولكن أكتفى منها بما يلى:

● ففى مكانة العلماء، جاءت الأحاديث التالية:

١ - روى الديلمى بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «العلماء أمناء أمتى».

٢ - وروى ابن النجّار - فى تاريخ بغداد(١) - بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «العلماء قادة، والمتقون سادة، ومجالستهم زيادة».

أى زيادة فى الخير والاستفادة العلمية منهم.

٣ - وروى ابن عبد البر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) تاريخ بغداد: كتاب جامع فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وهو من أجمع الكتب فى التاريخ وأوثقها والبغدادى محدث.

«فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة».

٤ - وروى الديلمي بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ذو السلطان وذو العلم أحق بشرف المجلس».

٥ - وروى الخطيب بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «خيار أمتى علماؤها، وخيار علمائها رحماؤها، الا وإن الله تعالى ليغفر للعالم اربعين ذنباً؛ قبل ان يغفر للجاهل ذنباً واحداً، الا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء؛ يمشي فيه ما بين المشرق والمغرب، كما يضيء الكوكب الدرى».

٦ - وروى الخطيب بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: «المتقون سادة العلماء، والفقهاء قادة أُخِذ عليهم اداء مواثيق العلم، والجلوس إليهم بركة، والنظر إليهم نور».

٧ - وروى البيهقى فى «شعب الإيمان» بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «مَنْ غدا يريد العلم يتعلمه لله، فُتح له باب من الجنة، وفَرَشَتْ له الملائكة أكنافها، وصَلَّتْ عليه ملائكة السماء، وحيتان البحور، وللعالم على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على أصغر الكواكب فى السماء، والعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمَن اخذه اخَذَ بحظه، وموت العالم مصيبة لا تُجبر، وثُلمة لا تُسَدّ، وهو نجم طُمس، وموت قبيلة ايسر من موت عالم».

٨ - وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: «ثلاثة لا يَسْتَخِفّ بهم إلا منافق: ذو الشيبة فى الإسلام، وذو العلم، وإمام مُقْسِط».

٩ - وروى الديلمي بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «جالِسْ العلماءَ، تُعرَف فى السماء، ووقِّر كبير المسلمين تجاورنى فى الجنة».

● وفى صفات العلماء جاءت الأحاديث التالية:

١ - روى الديلمي بسنده عن أبى بن كعب(١) رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: «ينبغى

---

(١) هو أبى بن كعب بن قيس من بنى النجار صحابى أنصارى كان من كتاب الوحى وقال عنه النبى ﷺ: «أقرأ أمتى أبى بن كعب»، وأمره عثمان بجمع القرآن فاشترك فى جمعه، له فى كتب السنة ١٦٤ حديثاً توفى سنة ٢١ هـ.

للعالم أن يكون قليل الضحك، كثير البكاء، لا يمازح ولا يصاحب، ولا يماري، ولا يجادل، إن تكلم تكلم بحق، وإن صمت صمت عن الباطل، وإن دخل دخل برفق، وإن خرج خرج بحلم».

٢ - وروى الديلمي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اتَّبعوا العلماء، فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة».

- وروى الديلمي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش الناس به، ورجل عاش الناس به وأهلك نفسه، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به غيره».

● وفي عمل العلماء وأهميته جاءت الأحاديث التالية:

١ - روى الديلمي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل الجهاد وأهل العلم، لأن أهل الجهاد يجاهدون على ما جاءت به الرسل، وأما أهل العلم فدلُّوا الناس على ما جاءت به الرسل».

٢ - وروى الحاكم بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يرثُ هذا العلم من كل خَلفَ عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

٣ - وروى الديلمي بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ساعة من عَالِم مُتكئ على فراشه ينظر في علمه، خير من عبادة العابد سبعين عامًا».

٤ - وروى العقيلي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان، ويداخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل؛ فاحذروهم».

● وفي أجر العلماء عند الله تعالى؛ جاءت أحاديث نبوية منها:

١ - روى الطبراني في «الكبير» بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء: إني لم أضع فيكم علمي وأنا أريد أن أعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم».

٢ - وروى البيهقي في «شعب الإيمان» بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«يُبعَث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبتْ حتى تشفع للناس، كما أحسنت أدبهم».

٣ – وروى الطبراني في «الكبير» بسنده عن ثعلبة بن الحَكَم الليثي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي».

● وفي الخسارة التي تلحق الأمة بموت العلماء جاءت أحاديث نبوية شريفة منها:

١ – روى البزار في مسنده بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «موت العالِم ثُلْمة في الإسلام لا تُسَدّ ما اختلف الليل والنهار».

٢ – وروى البزار في مسنده بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «يوشك بالعلم أن يرفع – وردها ثلاثًا – فقيل: وكيف يرفع وهذا كتاب الله قد قرأناه ويقرأه أبناؤنا؟ فقال: يا زياد، وإني كنتُ لأعُدُّك من فقهاء المدينة، أو ليس هؤلاء اليهود عندهم التوراة والإنجيل؟ فما أغنى عنهم، إن الله ليس يذهب بالعلم رفعًا يرفعه، ولكن يذهب بحَمَلته، ولا يذهب عالِم من هذه الأمة إلا كان ثغرة في الإسلام لا تنسد إلى يوم القيامة».

٣ – وروى الطبراني في «الكبير» بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يأيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يُقْبَض، وقبضه ذهاب أهله، وعليكم بالعلم وإن أحدكم لا يدري متى يُفتَقر إلى ما عنده، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق[1] فإنه سيجيء قوم يتلون كتاب الله ينبذونه وراء ظهورهم».

٤ – وروى الطبراني في الكبير بسنده عن وحشي بن حرب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يوشك العلم أن يختلس من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء، فقال زياد: وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن وأقرأناه أبناءنا؟ فقال: ثكلتك أمك، وهذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ما رفعوا بها رأسًا».

وبعد: فهذا ما أردت قوله في النقطة الثانية من هذا الباب وهي: كلمات من الكتاب والسنة في فضل العلم وقيمته، أرجو أن أكون قد وفقت فيها وفيما أصلتها به من آيات كريمة من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة.

---

(١) العتيق: القديم وهو القرآن الذي يعتق الناس من النار.

٣ - كلمات من الكتاب والسنة في الحث على التعليم

أوجب الله تعالى على كل من آتاه علما أن يبينه للناس، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾ [آل عمران: ١٨٧].

● ولقد آتى الله تعالى العِلْم لكل من آتاهم من كتبه المنزلة، ولكل من أرسل إليهم رسولا يأمرهم وينهاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويعلمهم ما لا يعلمون.

● والمسلمون بوصفهم أمة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، ومن أنزل إليهم آخر الكتب السماوية وأكملها وأتمها؛ مطالبون في هذه الآية الكريمة بأمرين:

الأول: تبيين ما أورثهم الله من الكتاب والسنة، وما علمهم من علوم استلهموا فيها الكتاب والسنة، تبيين ذلك للناس حسبة لوجه الله تعالى. أى نشر العلم وإذاعة الدعوة إلى الله والانطلاق بالحركة الإسلامية إلى الناس والآفاق.

والآخر: تحريم كتمان العلم عن الناس، وبخاصة من سأل منهم عن شيء من العلم النافع في الدين والدنيا.

ومن خالف ذلك أوقع نفسه في عقاب الله تعالى، كما نفهم ذلك من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

● فهاتان الآيتان الكريمتان تضمنتا وجوب التعليم على كل من عَلِم شيئًا من هذا الدين ليصلح به معاشهم ومعادهم.

وسوف نجمع في هذه النقطة من الكتاب ما يوفقنا الله تعالى إليه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية نؤصل بها وجوب التعليم ونشر العلم على كل من آتاه الله علمًا، والله المستعان.

أ – من القرآن الكريم :

١ – قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ولاشك أن الدعوة إلى الله على بصيرة نشر للتعليم، وهو واجب أوجبه الله على كل من آتاه الله علماً.

٢ – وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وعبارة : « دَعَا إلى الله » التى هى أحسن القول تعنى تعليم الناس ونشر العلم بينهم، إذ الدعوة إلى الله عبادة له سبحانه وتعالى.

٣ – وقال جل وعلا : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

والدعوة إلى سبيل الله نشر للعلم بين الناس؛ العلم الذى ينفع الناس فى دنياهم وأخراهم. من أجل نشر هذا العلم لابد من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى احسن.

٤ – وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

بمعنى أن من الضرورى اللازم فى الأمة الإسلامية أن يكون جانب من المسلمين يقومون بتعليم الناس دينهم ونشر العلم بينهم، فإن لم يكن فيهم هؤلاء الذين يعلمون وينشرون العلم فقد أثموا جميعاً وتعرضوا بإثمهم هذا لعقاب الله.

٥ – وقال جل ذكره : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ . . . ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وجميع أنواع الأمر بالمعروف نشر للعلم بين الناس وتعليم لهم، وكذلك الشأن فى جميع أنواع النهى عن المنكر.

فالأمة الإسلامية نالت هذه الخيرية فكانت خير أمة أخرجت للناس بنشرها العلم وقيامها

على تعليم الناس أنواع المعروف ليمارسوه، وأنواع المنكر ليكفوا عنه.

٦ - وقال عز من قائل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ... ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

- وأخذ الميثاق تعهد والتزام ممن أخذ عليهم الميثاق وآخذ الميثاق هو الله تعالى.

- والذين أوتوا الكتاب هم اليهود أهل التوراة والنصارى أهل الإنجيل، والمسلمون أهل القرآن، غير أن أهل القرآن قد أورثهم الله القرآن فكانوا خاتمة الأمم بخاتم الكتب وخاتم الرسل ﷺ، فكانوا بهذا الميراث أكثر التزامًا بنشر علم هذا القرآن وتعليمه للناس.

- لتبيننه للناس: هذا أمر واجب التنفيذ للناس الذين ورثوا القرآن الكريم أى كانوا أهله، وقد تركه رسول الله ﷺ مع السنة ولن يضلوا ما تمسكوا بهما وعلموهما الناس عمومًا دون احتكار ودون خصوصية.

- ولا تكتمونه: هذا نهى واضح عن كتمان العلم بعدم نشره فى الناس أو التوقف عن تعليمهم إياه.

● وهذا التبيين للكتاب والسنة، يتناول نوعين من العمل، كلا منهما تعليم ونشر للعلم، وهما:

- دعوة غير المسلمين للدخول فى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن دون إكراه، وهذا تعليم للناس ونشر للعلم فيهم، العلم الذى ينقلهم من الضلال إلى الهدى.

- ودعوة المسلمين للالتزام بما فى الكتاب والسنة من أحكام وآداب وعلوم نافعة للناس فى دنياهم وآخرتهم.

٧ - وقال جل وعز: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

- فى هاتين الآيتين تهديد ووعيد لكل من كتم البينات والهدى من بعد ما مَنَّ الله على

الناس بهما إذ أنزلهما فى القرآن الكريم (وهذه البينات والهدى هى رسالة محمد ﷺ أى القرآن والسنة) وكان اليهود قد كتموا ذلك مع علمهم به فى كتبهم فاستحقوا لعنة الله وغضبه ولعنة الملائكة ولعنة مؤمنى الثقلين الإنس والجن، إلا من تاب منهم وآمن بمحمد وعمل صالحًا.

- غير أن هذا الحكم فى كتمان ما يعلم الإنسان من حق وهدى وحجبه عن الناس وكتمانه أى عدم نشره فيهم، هذا الحكم مستمر إلى أبد الآبدين؛ لأن العبرة فى آيات القرآن الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قرر ذلك أسلافنا من علماء الإسلام.

ب - من السنة النبوية المطهرة

السنة النبوية دائمًا تدور مع آيات القرآن الكريم تفسر وتشرح وتفصل ما أجمل، وترسم الحدود والمعالم والتفصيلات لكل ما جاء فى القرآن الكريم.

ومن الأحاديث النبوية التى جاءت فى وجوب نشر العلم وتعليم الناس ما فى الكتاب والسنة(1):

● ففى وجوب التعليم ونشر العلم عمومًا جاءت الأحاديث النبوية التالية:

١ - روى أبو نعيم فى «حلية الأولياء» بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آتى الله عالمًا علمًا إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه».

٢ - وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما يعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها: نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

وكانت منها أجاد أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا.

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل ما بعثنى الله تعالى به فَعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلتُ به».

٣ - وروى الطبرانى فى «الكبير» بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «يا على، لأن يهدى الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس».

---

(١) وهذا الموضوع ألفت فيه كتب قائمة بذاتها لأهميته فى تاريخ الأمة الإسلامية وتاريخ ثقافتها، ومن تلك الكتب:

- جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر. ت ٤٦٣ هـ.
- وتعليم المتعلم طريق التعلم: للزرنوجى. ت ٦٤٠ هـ.
- وتذكرة السامع والمتكلم فى أدب العلم والمتعلم: لابن جماعة. ت ٧٣٣ هـ

٤ – وروى أحمد بسنده عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له: «لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها».

٥ – وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فإنى امرؤ مقبوض».

٦ – وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ارجعوا إلى أهليكم فكونوا فيهم وعَلّموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتمونى أصلى، فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم».

٧ – وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموه الناس، أوشك أن يأتى على الناس زمان يختصم فيه الرجلان فى الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما».

– ففى هذه الأحاديث الشريفة دلالة على أن تعليم العلم ونشره فى الناس واجب شرعى على كل قادر عليه، وقد يكون فرض عين أو فرض كفاية على حسب الظروف والملابسات التى تحيط بمن يتعلمون، وقد أوضحنا ذلك فى حديثنا عن طلب العلم.

– وقد وردت أحاديث نبوية شريفة فى موضوعات تتصل بنشر العلم والتعليم ليست بالقليلة عدداً ونوعاً، فهناك أحاديث فى آداب المعلم وآداب التعليم، وأخرى فى فضل التعليم ومكانته بين أنواع العبادة، وأحاديث فى صفات المعلمين وما يجب أن يكونوا عليه، وأحاديث فى أجرهم عند الله، وأحاديث فى تحريم كتمان العلم. وسنذكر من هذه الفئات من الأحاديث الشريفة ما نستدل به على ما ذكرنا من هذه الأنواع، والله المستعان.

● ففى آداب المعلّم وخلقيات نشر التعليم جاءت الأحاديث النبوية التالية:

١ – روى الديلمى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خصَّ العالمُ بالعِلْم طائفة، لم ينتفع العالم ولا المتعلم».

٢ – وروى الديلمى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم، ولينُوا لمن تعلمونه ولمن تعلمتم منه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلُكم علمكم».

٣ – وروى ابن عدى – فى الكامل – بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم كل اثنين وخميس، فإنه ميسر لمن طلَبَ، فإذا أراد أحدكم حاجة فليبكر إليها، فإنى سألت ربى أن يبارك لأمتى فى بكورها».

٤ – روى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «كونوا للعلم رُعاة ولا تكونوا له رواة».

٥ – وروى ابن لال بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ابن آدم عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمتَ مَجانًا».

٦ – وروى الديلمى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «العالِم عالِمان: عالِمٌ طلب بعلمه الله لم يأخذ عليه طمعًا ولم يشتر به ثمنًا، وعالِمٌ طلب بعلمه الدنيا، اشترى به ثمنًا وأخذ عليه طمعًا، بخل به على عباد الله، يلجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، فينادى عليه ملك من الملائكة: ألا إن هذا فلان بن فلان، آتاه الله فى دار الدنيا علمًا، فاشترى به ثمنًا، وأخذ عليه طمعًا، فلا يزال ينادى عليه حتى يفرغ من الناس، ثم يصنع الله به ما أحَبّ».

٧ – وروى أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن شبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فلا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به».

● وفى فضل التعليم ومكانته فى الإسلام وردت أحاديث نبوية كثيرة منها:

١ – روى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مَثَل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تَضِل الهداة».

٢ – وروى البيهقى – فى شعب الإيمان – بسنده عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أهْدَى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بهما هُدًى، أو يرده عن رَدًى».

٣ – وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدَّق الناس بصدقة أفضل من علم ينشر».

٤ – وروى ابن النجار بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين، ونصيحة للمسلمين».

٥ – وروى الديلمى بسنده عن البراء رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «من تعلّم حديثين ينفع بهما نفسه، ويعلمهما غيره وكان ينتفع به، كان خيراً له من عبادة ستين سنة».

٦ – وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم أربعين حديثًا ابتغاء وجه الله ليعلم به أمتى فى حلالهم وحرامهم حشره الله يوم القيامة عالمًا».

٧ – وروى الديلمى بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تعلّم لله، وعَلّم لله، كتب فى ملكوت السموات عظيماً».

● وفى صفات المعلّمين التى لا ينبغى أن يفارقوها، جاء عدد كبير من الأحاديث النبوية، نذكر منها ما يلى:

١ – روى أبو يعلى بسنده – فى مسنده – عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن أجود الأجواد؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدى؛ رجل عَلِمَ علماً فنشر عِلمْه يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل».

ورواه الطبرانى فى الكبير بسنده عن سلمان رضى الله عنه.

٢ – وروى ابن عبد البر – فى جامع بيان العلم وفضله – بسنده عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من الصدقة أن يتعلم الرجلُ العلمَ، فيعمل به، ثم يُعلّمه».

٣ – وروى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلّموا ويسروا ولا تعسروا...».

٤ – وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم، تُعلّمها إياه، تعدل عبادة سنة».

٥ – وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم».

٦ – وروى ابن عساكر بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

٧ – وروى الخطيب فى: «كتابه: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع»[1] بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «تواضعوا لِمَن تُعَلِّمون منه، وتواضعوا لِمَن تُعلِّمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء».

وزاد فيه أبو الشيخ الأصبهانى بسنده عن أبى هريرة أيضًا «فيغلب جهلُكم علمكم».

● وفى عظيم الأجر على نشر التعليم جاءت أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها:

١ – روى ابن ماجة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن علَّم عِلمًا فله أجر ذلك ما عمل به عامل، لا ينقص من أجر العامل شيء».

٢ – وروى الديلمى «فى مسند الفردوس» بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تعلَّم بابا من العلم ليعلِّم الناسَ؛ أعطى ثواب سبعين صديقًا».

٣ – وروى أبو نعيم فى «حلية الأولياء» بسنده عن أبى البخترى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم بعثتم هداة، ولم تبعثوا مُضِلين، فكونوا معلمين، ولا تكونوا معنِّتين...».

٤ – وروى الطبرانى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمها إياه».

٥ – وروى ابن عساكر فى تاريخه بسنده عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمةُ الله على خلفائى، قيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتى ويعلمونها الناس».

٦ – وروى الديلمى فى مسنده بسنده عن أبى ذَرّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إذا تعلمتَ بابا من العلم كان خيرًا لك من أن تصلى ألف ركعة تطوعًا متقبلة، وإذا عَلَّمتَ الناس عُمِلَ به أو لم يعمل به فهو خير لك من ألف ركعة تصليها تطوعًا متقبلة».

---

(١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطًا فى عشرة مجلدات. توفى البغدادى ٤٦٣ هـ.

٧ – وروى ابن عساكر بسنده عن أبى أمامة وواثلة، قالا: قال النبى ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال: إنى لم أستودع حكمتى قلوبكم وأنا أريد أن أعذبكم، ادخلوا الجنة».

٨ – وروى الطبرانى فى: «الأوسط» بسنده عن على رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «اللهم ارحم خلفائى الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى ويعلمونها الناس».

٩ – وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا نَشَره، وولدا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه أو مسجداً بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقه بعد موته».

١٠ – وروى ابن النجار بسنده عن أبى هريرة رضىَ الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منْ رجل يُعَلِّم كلمة أو كلمتين، أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا مما فرض الله تعالى ورسوله، فيتعلمهن ويُعلِّمهن إلا دخل الجنة».

١١ – وروى ابن عساكر بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عَلَّم آية من كتاب الله أو بابا من العِلْم أنْمَى الله أجره إلى يوم القيامة».

١٢ – وروى ابن لال بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ عَلَّم آية من كتاب الله كان له مثل أجر من تعلمها ضعفين».

وفى رواية لابن لال عن أنس: «... كان له ثوابها ما تُلِيَتْ».

١٣ – وروى أبو نعيم فى الحلية بسنده عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ومَنْ عَلَّم رجلاً فى سبيل الله آية من كتاب الله، أو كلمة من سُنَّة، حَثَى(١) الله له من الثواب يوم القيامة، حتى لا يكون شىء من الثواب أفضل مما حَثَى الله له».

● وفى تحريم كتمان العلم عن الناس، جاءت أحاديث نبوية كثيرة، نذكر منها:

١ – روى القضاعى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «أىّ شىء لا يحل منعُه؟ ذلك العلم لا يحل منعه».

---

(١) حَثَى: أعطى.

٢ - وروى أبو نعيم فى « الحلية » بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ :
« تناصحوا فى العلم ولا يكتم بعضكم بعضًا، فإن خيانة فى العلم أشد من خيانة فى المال ».

٣ - وروى ابن الجوزى[١] بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ :
« كاتم العلم يلعنه كل شىء حتى الحوت فى البحر والطير فى السماء ».

٤ - وروى ابن الجوزى فى « العلل » بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبىُ ﷺ :
« ما آتى اللهُ عالما علمًا إلا اخذ عليه الميثاق ألاّ يكتمه ».

ورواه ابن نظيف فى جزئه عن أبى هريرة أيضًا - رضى الله عنه.

٥ - وروى ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من رجل حفظ علمًا فكتمه، إلاّ أتى اللهَ يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار ».

٦ - وروى ابن عساكر فى « تاريخه » بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « لا أعرفَنَّ رجلاً منكم علم علمًا فكتمه فرقًا[٢] من الناس ».

٧ - وروى ابن ماجة بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ كتم علمًا مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

● وتحريم التعليم بغير علم، أو الإفتاء بغير علم، وكل ذلك خيانة للعلم، وللحق، وغش، وسبب من أسباب ضلال الناس وهلاكهم، وقد وردت فى ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها:

١ - روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالِمًا اتخذ الناس رؤساء جُهالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ».

---

(١) فى كتابه : العِلَل.
(٢) فرقًا : خوفًا.

٢ – وروى الطبرانى فى «الأوسط» بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ:
«إن الله لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا ولكن يقبض العلماء بعلمهم، ويبقى جُهَّال فيُسْألون فيفتون فيضلون ويضلون».

ويلحق بتحريم التعليم بغير علم، كل غش أو خداع، وقد ورد فى ذلك عشرات الأحاديث النبوية، بل مئاتها.

جـ - فى قيمة المعلّم والتعليم فى الحياة الإسلامية

تنبثق قيمة المعلم فى أى مجتمع إنسانى من قيمة الوظائف التى يؤديها فى المجتمع.

● والمجتمع المسلم يهيئ طلب العلم ويوجبه فى كثير من الأحيان ولا يتقاضى عليه أجرًا لأنه من واجبات الحكم والنظام.

فإذا تهيأت فرص طلب العلم، فتعلم الناس وصار بعضهم من العلماء، فقد أوجب الإسلام على العلماء نشر العلم فى الناس وتعليمهم حسبة لوجه الله تعالى.

● والوظائف التى يقوم بها معلّم الناس وناشر العلم فيهم ذات أهمية كبيرة فى الحياة الإنسانية عمومًا والحياة الإسلامية على وجه الخصوص. وهذه الوظائف - فى تصورى - ثلاثة:

الوظيفة الأولى:

الالتزام بالقرآن الكريم عِلْمًا وعملاً، أى لزومه دائمًا، بوصفه المصدر الموثوق للعلم والمعرفة وللخلق والسلوك، وبوصفه مرجعًا للحلال والحرام، وموئلاً للتقرب إلى الله بصالح الأعمال وبتلاوته الدوريّة بحيث يختم تلاوة متدبرة كل شهر قمرى.

● وأوجب ما يجب على المعلمين وناشرى العلم فى الناس أن يدوروا مع القرآن حيث دار، فإذا اختلف السلطان أو الحكم مع القرآن فليكونوا مع القرآن لا مع السلطان، لأن القرآن الكريم هو الأصل الذى يستنبط منه دستور الحياة ونظامها. منهجها فى التعامل اليومى مع مفردات الحياة؛ لما فيه من تفصيل كل شىء وبيان ما ينفع الناس فى معاشهم ومعادهم.

● ومن العقيدة الصحيحة للمسلم أن القرآن الكريم والعمل به عصمة من كل زيغ وضلال، ونجاة من كل إثم ومعصية.

فقد روى الطبرانى فى «المعجم الكبير» بسنده عن معقل بن يَسَار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعملوا بالقرآن؛ أحلُّوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشىء منه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله عز وجل، وإلى أولى العلم من بعدى كما

يخبروكم، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتى النبيون من ربهم. وليسعكم القرآن بما فيه من البيان، فإنه شافع مُشَفَّع، وما حِلٌ[1] مصدَّق.

الا وإن لكل آية نوراً يوم القيامة.

الا وإنى أُعْطِيتُ سورة البقرة من الذكر الاول.

وأُعْطِيتُ طه والواسين من الواح موسى.

وأُعطيتُ فاتحة الكتاب وخواتيم القرآن من كنز من تحت العرش، واعطيت المفصل نافلة».

ورواه الحاكم والبيهقى فى السنن وابن عساكر فى تاريخه كلهم أسنده إلى معقل بن يسار رضى الله عنه.

والوظيفة الثانية:

العكوف على السنة النبوية والتزام ما جاء فيها، ولزوم كل ما أمرتْ به أو نهت عنه فهى تفصيل لما أُجمل فى القرآن الكريم وذلك معناه الاقتداء برسول الله ﷺ لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وذلك أن الرسول ﷺ هو المعصوم الموحى إليه من ربه، وهو الذى شرع للمسلمين كل ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة.

ونشر العلم وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم هو النافع لهم فى الدنيا والآخرة، وهذا عمل العلماء.

وإذا كان المسلمون جميعًا مطالبين بالاقتداء برسول الله ﷺ، فإن العلماء ناشرى العلم والتعليم أولى بهذه القدوة به ﷺ، فعليهم أن يقتدوا به فى مجال عملهم فيما يلى:

١ - فى الا يأخذوا أجراً على تعليمهم الناس، وإنما يَحْتَسِبون أجرهم فى ذلك عند الله وذلك فعل الأنبياء جميعًا، فكلهم قال لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ

(١) ماحل: أى أنه الناسخ للكتب التى سبقته قاض عليها ليحل محلها، وهو مصدِّق فى ذلك.

الْعَالَمِينَ ﴾(١).

وأما مقولة محمد خاتم النبيين ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧].

٢ – وأن يكون العلماء الناشرون للعلم فى الناس بمثابة الوالد لولده حبا وإشفاقًا ورغبة من إنقاذهم من كل شر، فقد كان الرسول ﷺ كذلك. فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده...».

٣ – وأن يقتدوا برسول الله ﷺ فى أن يقصدوا بعملهم وجه الله وحده، لا ليباهوا ولا لينافسوا ولا ليجمعوا الناس من حولهم، فقد قال الله تعالى على لسان رسوله الخاتم ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

٤ – وأن يكونوا عاملين بما علموا، فلا ينشرون فى الناس علمًا يتناقضون معه فى سلوكهم، فقد نهى الله تبارك وتعالى عن ذلك فى قوله تعالى ينعى على بنى إسرائيل موقفهم فى عدم الالتزام بما يأمرون به: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] وقد روى ابن حبّان بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملاً».

٥ – وأن يلتزموا فى نشرهم للعلم وللدين فى أن يأمروا الناس بمكارم الأخلاق وينهوهم عن رذائلها، فقد كان ذلك شأن رسول الله ﷺ فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا». وروى الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الناس قد مرجتْ عهودهم، وخفت أماناتهم وكانوا هكذا – وشبك بين أصابعه – فالزم بيتك، وامسك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة».

---

(١) جاءت هذه الآية على لسان نوح عليه السلام فى الآية: ١٠٩ من سورة الشعراء، وعلى لسان هود عليه السلام فى الآية: ١٢٧ من نفس السورة، وعلى لسان صالح عليه السلام فى الآية: ١٤٥ من نفس السورة، وعلى لسان لوط عليه السلام فى الآية: ١٦٤ من نفس السورة، وعلى لسان شعيب عليه السلام فى الآية: ١٨٠ من نفس السورة.

٦ – وألا يوئسوا الناس من رحمة الله إذا أذنبوا فإن رحمته وسعت كل شيء، وباب التوبة جعله مفتوحًا، وليس هناك من ذنب عدا الشرك بالله إلا أن يغفره الله إن شاء، فمن أيأس الناس من رحمة الله فهو من الغالين، وقد روى النسائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إيّاكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغُلُوّ في الدين».

والوظيفة الثالثة:

الإخلاص في العمل والجدية فيه، فالإخلاص مُخّ كل عبادة، فقد روى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمَرّ من الصبر، إيّاي يخادعون، وبي يستهزئون، لأفتحنّ لهم فتنة تذر الحليم حيرانًا».

وبعد فهذه صورة مجملة عن التربية الإسلامية كما مارسها الرسول ﷺ في الناس من جانبها النظري الذي تمثل في ثلاث نقاط:

– كلمات من الكتاب والسنة في الحث على طلب العلم والتعلم.

– وكلمات من الكتاب والسنة في بيان فضل العلم وقيمته في حياة الناس.

– وكلمات من الكتاب والسنة في الحث على تعليم الناس ونشر العلم النافع فيهم.

ولعلي بذلك قد بلغتُ وما قصدت بذلك إلا وجه الله، والله سبحانه هو الذي وفق وأعان.

وإلى الجانب العملي من ممارسة الرسول ﷺ للتربية الإسلامية في الناس. والله المستعان.

ثانيًا : الجانب العملي من التربية الإسلامية التي مارسها الرسول ﷺ في المسلمين

من يوم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر : ١-٧]، منذ ذلك اليوم، وهو يوم مبكر جداً في تاريخ الإسلام(١)، أي منذ الشهور الأولى من إيحاء الله تعالى إليه، منذ ذلك اليوم والرسول ﷺ يمارس التربية لنفسه بالتزام ما أمر به ويمارسها في بيته مع زوجته وأبنائه، وابن عمه علي بن أبي طالب ومولاه آنئذ زيد بن حارثة.

وفي هذه الآيات الكريمة :

- أمْرٌ من الله تعالى لنبيه بأن ينذر بعذاب الله لمن لم يؤمن بما جاء به ﷺ، وتلك تربية للنفس الإنسانية بإنذارها بالعذاب إذا لم تؤمن وتتجه نحو توحيد الله تعالى أي نحو الحق والصواب الذي تهتدي إليه العقول الصحيحة.

- وأمَره تعالى بأن يكبر الله أي يخصه وحده بالتعظيم، وأن يطهر ثيابه من النجس ونحوه ومن كل خبث مادي أو معنوي، وفي ذلك تربية للرسول ولمن آمن معه على توحيد الله وتعظيمه، وتطهير الثياب أي النظافة المادية والمعنوية.

وقد مارس الرسول ﷺ هذه التربية في أهله وفي كل من آمن به.

- وأمره بأن يعلم الناس أن يَدَعوا كل ما يؤدي بهم إلى عذاب الله من الكفر به سبحانه واتخاذ آلهة أخرى من صنم ووثن ونحوه. وأن يتركوا كل ما لا يرضى العقل الصحيح من القبائح كلها.

وتلك تربية للنفس الإنسانية تخلصها من ضلالة الكفر والفسوق عن الاستقامة.

---

(١) كان ذلك بعد نزول قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » كما ذكر ذلك علماء تفسير القرآن الكريم وعلماء أسباب النزول حيث جاء جبريل إلى رسول الله بعد أن رآه عند نزول سورة العلق إذ ذهب الرسول إلى أهله فقال : دثروني دثروني، فأنزل الله عز وجل : « يأيها المدثر ... » وفي رواية أنه ﷺ قال : زملوني زملوني، فأنزل عز وجل « يأيها المزمل ... ».

- ونهاه ان يعطى فيتبع العطاء مَنًّا وأذًى، وإنما الاصل ان يكون العطاء لوجه الله تعالى.

وتلك تربية للنفس على محامد الافعال ونبيل الأعمال وخالص المقاصد لوجه الله تعالى.

- وأمره بالصبر أى اصبر على ما يصيبك من أذًى فى ذات الله تعالى، وما أشق الصبر على الأذى فى الله، لكن ما أعظم أجره عند الله، واصبر على تحمل أعباء الأمر والنهى.

وهذه تربية للنفس رفيعة عالية الشأن لا يستطيعها إلاَّ من رَوَّضَ نفسه على الصبر والطاعة، والصبر من أهم القيم الخلقية التى تكشف عن المعادن النفيسة للرجال.

هكذا ربَّى رسول الله ﷺ نفسه من أول أمر الرسالة وربَّى من آمن بالله معه.

- ثم استمر نزول القرآن على الرسول ﷺ وكلما نزلت عليه آية أخذ نفسه ومَنْ آمن معه بما تطالبه به هذه الآية الكريمة، وفى كل يوم كانت تتسع دائرة التربية أمام الرسول ﷺ بازدياد عدد من آمنوا بالله وصدقوا رسوله.

وكانت تربيته العملية لمن آمن بالله معه، تتناول:

- تلاوة القرآن وفهم معانيه ومراميه، حتى لقد أجاد بعض الصحابة رضوان الله عليهم التلاوة حتى كانوا بتلاوتهم يجمعون عليهم المشركين ويسحرون ألبابهم، كما كان شأن أبى بكر الصديق حتى استغاث المشركون من تلاوته خوفًا على أنفسهم من الفتنة بجمال التلاوة وجمال ما يتحدث عنه القرآن الكريم!!!

- وتعليمهم العبادات التى نزلت عليه كالطهارة، طهارة البدن والثوب والمكان، وطهارة القلب بترك الغل والحسد وشهوة الانتقام.

- وتعليمهم ترك كل عمل يؤدى إلى إغضاب الله تعالى، فنبذوا كل أعمال الجاهلية الراذلة، فمنهم من لم يسجد لصنم قط حتى عرف بذلك قبل إسلامه، ومنهم من لم يشرب الخمر حتى قبل أن تحرم، وكلهم كان عفيفًا غضيض البصر، سمحًا كريمًا وما كان منهم ذلك إلا لان الرسول ﷺ رباهم عليه.

- وتعليمهم الصبر على أذى المشركين ومعاداتهم للإيمان واهله، وكان تحمله ﷺ لاذى المشركين له درسًا عمليًا افاد منه عمار بن ياسر وأبوه وامه عليهم رضوان الله، كما افاد منه بلال وكثير من الصحابة الذين ابتلوا فأُوذوا فى سبيل الله، فصبروا واعرضوا عن المشركين.

● وكان الرسول ﷺ وصحابته فى هذا الزمن المبكر من تاريخ الإسلام - السنوات الثلاث الأولى من الدعوة - يركزون على دعائم ثلاث :

- الإيمان بالله وحده لا شريك له ونبذ أى إله غيره، وفى سبيل هذا الإيمان صبروا واحتملوا وكانوا فى ذلك أئمة، لأن الصبر فى ذات الإله أعلى درجات الصبر.

- وتصديق الرسول ﷺ فيما بلغه عن ربه، وفى سبيل ذلك التصديق تحملوا قطيعة الأهل والولد والوالد، ومقاطعة العشيرة والقبيلة والجوع والعرى والحبس، وهجرة الأهل والوطن، وما ضعفوا من ذلك كله ولا استكانوا، وإنما كانوا أمثلة ونماذج رفيعة القدر فى اقتدائهم بالمعصوم ﷺ فى كل ذلك.

- والدعامة الثالثة هى الإيمان باليوم الآخر؛ البعث والحشر والحساب، والجنة لمن أطاع والنار لمن عصى.

● وقد أكدَ الرسول ﷺ هذه الدعائم أو تلك المبادئ منذ أن نزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقوله جل شأنه: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، عند ذلك صعد الصفا - كما تذكر كتب التفسير وكتب السيرة النبوية - وجمع الناس وخطب فيهم خطبته المشهورة التى أعلن فيها: توحيد الله، وأنه رسول الله إليهم خاصة وإلى الناس عامة، وأنهم يبعثون ويحاسبون وأنها الجنة أبداً أو نار أبداً.

● وكان رسول الله ﷺ يعلم المسلمين ويربيهم على كل ما ينزل عليه من أحكام وآداب ونظم، وظل كذلك حتى اكتمل الدين بنزول قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وهذه الآية الكريمة نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر، والنبى ﷺ بعرفات على ناقته العضباء.

تلك كانت تربية الرسول ﷺ للمسلمين فى صورتها العملية التى نحب أن تتضح تفصيلاتها فى أذهان المشغولين بالتربية الإسلامية، وسوف نزيدها إيضاحاً فى مفردات هذا الجانب العملى من تربية الرسول ﷺ للمسلمين.

المقصود بالجانب العملي من تربية الرسول ﷺ للمسلمين

نقصد بالجانب العملي من التربية الإسلامية، سيرة الرسول ﷺ، حيث نرى فيها بوضوح تلك التربية العملية التي مارسها رسول الله ﷺ في المسلمين.

● ومما لا يحتاج إلى تأكيد القول بأن سيرة الرسول ﷺ هي التطبيق العملي للإسلام كله؛ عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا، وذلك في مجموعه هو التربية الإسلامية للإنسان من أجل أن يتكامل بناؤه الروحي والعقلي والخلقي والاجتماعي...

● وعند النظر والتأمل والتدبر في سيرة النبي الخاتم لابد من إدراك أن حياة الرسول ﷺ اليومية وسني عمره كلها منذ أن نبّأه الله تعالى بأن أنزل الوحي إليه وإلى أن لقي ربه؛ كانت - بكل معيار من معايير التربية - تربية للمسلمين على هدى الكتاب والسنة، وسيرة النبي ﷺ التي ترجمت الكتاب والسنة بصورة عملية.

● وقد تناولت هذه التربية توجيها وإصلاحًا لكل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية للناس.

- فقد حَرَّرَتْ العقيدة من الشرك، والزيغ والانحراف.

- ورَسَمَتْ للناس أخلاقًا تحررهم من الإذعان لغير الله.

- وعَمَدَتْ إلى تحرير العقل من الخرافة وعلمته كيف يفكر ليهتدي إلى الإيمان، وتركت له حرية أن يبقى على الكفر إن أراد.

- وأوْضَحتْ له أن التدين فطرة في الناس، وأن الدين الصحيح - بما يشتمل عليه من حق ومعروف - هو الذي يجب أن يتدين الناس به، وأن يدعوا غيرهم إليه لأنه دين الحق.

- وألْزَمَتْ هذه التربية كل إنسان بالمحافظة على بدنه صحيحًا نظيفًا موظفًا فيما خلق من أجله.

- وَعَلَّمتْ الإنسان كيف يكسب المال من حلال وكيف ينفقه فيما أوجب الله وأحل، وذلك جوهر الحياة الاقتصادية للإنسان.

- وعرَّفته بحقوقه على غيره من الناس حكامًا ومحكومين، وأوجبت عليه أداء واجباته نحوهم، وهذا لب الحياة السياسية للإنسان.

- وشرحت له مكانه ومكانته وحقوقه وواجباته فى المجتمع الذى يعيش فيه بدءاً من أسرته ومروراً بمجتمعه المحلى، فمجتمعه الإسلامى، فمجتمعه العالمى، وهذا صلب الحياة الاجتماعية للإنسان.

- وحَتَّمتْ عليه أن يدافع عن نفسه وعرضه ودينه وماله، وأن ينشر دينه فى الناس، وأن يحول بين الأعداء وبين منع الناس من سماع كلمة الإسلام كلمة الحق والهدى، حَتَّمتْ عليه فيما عرف فى الإسلام بالجهاد فى سبيل الله ذروة سنام الإسلام.

- وهذَّبتْ مشاعره وغذَّتها بما ينميها من الإحساس بالحب والجمال والنظام والنظافة، لكل ما يحيط بحياته من مفردات، ليعيش حياته جميلاً مقدراً للجمال على إذاعته فى الناس وتلك هى التربية الجمالية[1].

● وحياة الرسول ﷺ وسيرته كلها - كما قلنا - هى الجانب العملى من هذه التربية الإسلامية، إذا اعتبرنا كلامه ﷺ على هدى ما أوحى الله إليه من الكتاب والحكمة هو الجانب النظرى من هذه التربية، ومن أجل ذلك فَضَّلنا أنْ نُوَصِّل الجانب النظرى من التربية الإسلامية بآيات من القرآن الكريم، وبأحاديث من السنة النبوية المطهرة.

● أما هذا الجانب العملى من التربية الإسلامية فقد فَضَّلنا أن نُوَصِّله بأحداث السيرة النبوية ومواقف الرسول ﷺ من الناس والأحداث والأشياء، على أن هذه المواقف قد تساندها آيات من القرآن الكريم، وإلا فهى من وحى الله لرسوله أن يفعل أو لا يفعل إزاء الأحداث.

● والجانب العملى من حياة الرسول ﷺ قد أمرنا الله تعالى أن نقتدى به فى مواقفه كلها فى آيات قرآنية كريمة، منها:

- قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ [الأحزاب: ٢١].

- وقوله جل شأنه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) هذه النواحى العشرة من حياة الإنسان هى التى سميناها: مُفردات التربية الإسلامية، وكتابنا هذا هو الحلقة الرابعة منها. «التربية الدينية» وقد صدرت الحلقات الثلاث الأولى، وإذا أذن الله وأعان واصلنا إصدار الحلقات الست الباقية.

- وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٣١].

- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومعنى الاقتداء به ﷺ أن يأخذوا القدوة في أقوالهم وأعمالهم من سيرته ﷺ، سيرته في تعامله مع أهله وأقربائه وأرحامه، وفي تعامله مع أصحابه رضوان الله عليهم ومع سائر من لقيهم من الناس، ومع أهل الأديان الأخرى، ومع المشركين ومع أعدائه جميعًا، يأخذوا القدوة ممن لم يكن ينطق على الهوى، ولا يستطيع الشيطان أن يتلبس به فيضله عن شيء أي شيء، إذ هو المعصوم عن الهوى والضلال.

- وهذه القدوة بسيرته ﷺ هي التربية العملية التي يفيد منها المسلمون لدينهم ودنياهم، يفيدون منها في حياته مادام بينهم، وبعد مماته من سيرته، مستمرين على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- وهذا الاقتداء به ﷺ واجب شرعًا لما قدمناه من آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك؛ كما يلي:

- فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليقتد به.

- ومن أراد أن يطيع الله فليأخذ ما جاء به الرسول ﷺ ولينته عما نهاه عنه، أي يقتدي به.

- ومن أراد أن يحبه الله ويغفر له فليتبع الرسول ﷺ، واتباعه ﷺ قدوةٌ به.

- ومن أراد أن يكون مؤمنًا فليرض بما حكم به رسول الله ﷺ فيما يشجر من خلاف بين الناس دون حَرَجٍ وأن يسلم له ﷺ تسليمًا، وتلك هي القدوة به.

- بل إن الاقتداء بالرسول ﷺ هو الدين نفسه، وتَرْكُ الاقتداء به كفر وخروج من الدين ومن التبعية له ﷺ؛ لقوله ﷺ - الذي سنذكره بعد قليل - «... فمن اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني...».

- وهذا الاقتداء الواجب شرعًا لا يكون واجبًا إلا عند الاقتداء بالرسول ﷺ وحده دون سواه.

أما الاقتداء بغيره من قائد أو رئيس أو زعيم فليس بواجب شرعا، وإنما هو جائز فقط

بشرط أن يكون القائد أو الزعيم أو الرئيس ملتزما بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومقتديا بهديه وسيرته.

فقد روى مسلم بسنده عن رجل من الأنصار رضى الله عنهم، أن رسول الله ﷺ عندما أخبر أن مولاة لبنى عبد المطلب تقوم الليل وتصوم النهار، قال: «لكنى أنا أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، فمن اقتدى بى فهو منى ومن رغب عن سنتى فليس منى..».

وقال الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه: «وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السُّنة، لم يتعدوه إلى غيره، اقتداء بالنبى ﷺ..»[1]

وكلمة البخارى كلمة إمام شغلت عليه السنة النبوية عقله وقلبه وعلمه وجهده، حتى كان كتابه: صحيح البخارى أصح كتاب فى السنة النبوية على كثرة ما ألف فيها من كتب وما ألّف فيها من أئمة أفذاذ!!

أما الصحابة رضى الله عنهم فلهم المكانة الرفيعة فى الإسلام مما جاء على لسان رسول الله ﷺ من وصفه إياهم بأحسن الأوصاف والثناء عليهم والدعاء لهم، ولهم فى نفوس المسلمين وعقولهم وقلوبهم أكرم المنازل، فهم الذين حملوا إلينا علم رسول الله ﷺ، ونقلوا إلينا هديه فى كل الأمور، وهم الذين حكوا لنا سيرته وأثبتوها وتحروا الدقة فيها – على اعتبار أنها جزء من السنة النبوية – ولهم بذلك كله فى عنق كل مسلم حق كبير فى الحب والاحترام، ومن الذنوب العظيمة سب أحد منهم مهما كان من خلاف بينه وبين آخر منهم.

هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم يعتبر الاقتداء بهم جائزا، لا واجبا شرعيا كالاقتداء بالرسول ﷺ.

وفى وجوب احترامهم وتقديرهم روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «.. لا تسبوا أصحابى، لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبا ما أدرك مُدَّ[2] أحدهم ولا نصيفه».

وبعد فهذا هو المقصود بالجانب العملى من تربية الرسول ﷺ للمسلمين.

---

(١) الإمام البخارى: صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قوله تعالى: وأمرهم شورى بينهم.
(٢) المد: مكيال، والنصيف: النصف. أى هم لا يدركون فى الفضل.

١ - تعليم الثوابت الإسلامية بأسلوب عملي على يد الرسول ﷺ

- الثوابت والمتغيرات:

الثوابت: جمع ثابتة، وهي كل أمر ثابت ومستقر ولا يحتمل زواله بتشكيك من يشكك فيه.

ويقابل الثوابت المتغيرات.

والمتغيرات: جمع متغيرة، وهي المسألة أو القضية التي تنتقل من حالة إلى حالة أخرى؛ تبعا لتغير ما يحيط بها من زمان أو مكان أو ظرف معين يقتضي التغيير.

- وهذا التعبير: الثوابت والمتغيرات شاع استعماله في الثقافة المعاصرة للدلالة على الثبات لأمر ما أو تغيره، ولا بأس من أن نعترف بهذا التعبير في ثقافتنا مهما كان وافدا علينا من آخرين، إذ الثقافة لا ترفض ما يدخل عليها إلا لسبب يضرُّ بها.

وهذا المصطلح يمكن أن نتعامل به بغير حرج ولا خوف من ضرر، فالمؤمنون بدين الإسلام لا يغلقون عقولهم أمام ما يفد عليهم بلفظه أو بمعناه، وإنما لديهم من المرونة العقلية ما يمكنهم من التعامل معه وفق معاييرهم وثوابتهم.

- وبناء على ذلك الانفتاح يمكن أن نقول إن دين الإسلام؛ - منهجه ونظامه - يمكن أن نقسمه بغير أدنى حرج إلى:

ثوابت ومتغيرات:

- فالثوابت في دين الإسلام ومنهجه ونظامه هي: القواعد الثابتة المستقرة التي لا تحتمل الإزالة أو التغيير لأي سبب من الأسباب، إذ لها صفة الثبات والاستقرار والاستمرار مهما تغير من حولها الزمان والمكان والناس والظروف المحيطة بهم، وتلك الثوابت هي إجمالا: العقيدة والعبادة والخلق، وسنفصل القول فيها بعد قليل.
- والمتغيرات هي ما لا يقبل الثبات والاستقرار والاستمرار، لأنه يتغير بتغير الزمان والمكان والناس والظروف المحيطة بالناس، وهي كل ما عدا الثوابت التي أجملناها.

● وعند النظر والتأمل فى دين الإسلام؛ منهجه ونظامه، نجد الثوابت فيه متمثلة - على نحو من التفصيل - فيما يلى :

أ- الإيمان بكل مفرداته :

والإيمان اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وهذا الإيمان أنواع :

- إيمان بالله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما وردت فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة.
- والإيمان بالملائكة، كما وصفهم القرآن الكريم وكما تحدثت عنهم السنة النبوية المطهرة.
- والإيمان بالكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله عليهم السلام، وهى الكتب التى ذكرت فى القرآن والسنة النبوية المطهرة، الإيمان بأنها من عند الله تعالى، وبأن ما جاء فيها حق، وذلك قبل أن يدخلها التحريف.
- والإيمان برسل الله وأنبيائه عليهم السلام جميعًا، الذين ورد ذكرهم أو قصصهم فى القرآن الكريم، أو تحدثت عنهم السنة النبوية المطهرة.
- والإيمان باليوم الآخر، وذلك يتضمن الإيمان بالموت بعد الحياة وبالبعث بعد الموت، وبالنشر والحشر والحساب والصراط، والجزاء، أى الجنة للطائعين، ونار جهنم للعاصين.
- والإيمان بالقضاء والقدر بحيث لا يمنع ذلك من وجوب الأخذ بالأسباب، وبأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

● فالإيمان بأنواعه الست التى سأل عنها جبريل عليه السلام وأجاب عن سؤاله الرسول ﷺ فى الحديث المعروف الذى جاء فيه جبريل عليه السلام يسأل والرسول ﷺ يجيبه ليعلم الناس أمور دينهم، إذ كانوا يهابون أن يسألوا رسول الله ﷺ، هذا الإيمان من الثوابت التى لا تقبل تغييرا ولا تبديلا إلى يوم القيامة.

ب- والإسلام بكل أركانه :

والإسلام إذعان لله وخضوع له، وعبادة تؤدى إليه سبحانه وتعالى لوجهه، ولكى يؤدى

الإنسان وظيفته التى خُلق من أجلها ومُنح الحياة؛ هى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه الأركان - كما أوضحها نفس الحديث الذى جاء جبريل من أجله يعلم الناس أمور دينهم، وهي أركان خمسة هى :

- النطق بالشهادتين والعمل بهما :

شهادة أن لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها أى توحيد الله تعالى وعبادته وفق ما شرع والتلقى عنه وحده، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة التى شرعها، وحب لقائه سبحانه وتعالى.

وشهادة أن محمدا رسول الله، والعمل بمقتضاها أى الإيمان بأنه رسول من عند الله وبأنه خاتم المرسلين فلا نبى بعده، وبأن الله تعالى أوحى إليه القرآن، وعصمه فلا ينطق عن الهوى، وأعطاه منهجا تاما كاملا واجب الاتباع، وأن طاعته فى كل ما أمر به، وما نهى عنه واجبة.

- وإقام الصلاة، كما كان رسول الله ﷺ يؤديها، وكما حدد أوقاتها وعدد ركعاتها وأذانها وإقامتها والقراءة فيها وشروطها وآدابها، وركوعها وسجودها وما فيها من تسبيح وتحميد وتكبير وتسليم.

- وإيتاء الزكاة، كما شرعها القرآن وكما أوضحتها السنة النبوية من حيث نصابها وأنواعها، وشروط هذا النصاب، ومقدار الزكاة ووقت إخراجها، ومن أصحاب الحق فيها، وسائر أحكامها وشروطها وآدابها كما أوضحها الرسول ﷺ، وكما علمها للصحابة رضى الله عنهم.

- وصوم شهر رمضان كاملا من يوم دخول هلاله، إلى أن يدخل هلال شهر شوال، وكيفية الصوم وشروطه، ومعرفة مفطراته وما يجب فيه وما يحرم، وقضاؤه والكفارة على من تجب عليه، كما أوضح ذلك ﷺ فى أحاديثه وفى أفعاله ﷺ.

- وحج بيت الله الحرام مرة فى العمر لمن استطاع أن يوفر متطلبات الحج من زاد وراحلة وقدرة، وكيفية أداء مناسكه، كما تحدث عنها رسول الله ﷺ وكما فعلها ورآه المسلمون، يوم قال لهم : « خذوا عنى مناسككم » فى حجة الوداع.

● فهذا الإسلام بتلك الأركان الخمسة - كما ذكرها رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام - من الثوابت التى لا تقبل تغييرا ولا تبديلا، مهما تغير الزمان والمكان والناس.

جـ- الأخلاق الحسنة بكل مفرداتها :

وكل ما جاء به الإسلام من أخلاق فهو حسن، وهو قيم تستهدف الحق والعدل والاستقامة والخير، وذلك نافع للفرد وللمجتمع كله، بل نافع للناس فى كل الأزمان وكل الأمكنة وكل الظروف.

وهذه الأخلاق الحسنة النافعة اشتمل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهذه الأخلاق من الثوابت التى لا تقبل التغيير مهما اختلف الزمان والمكان والناس.

● وهذه الأخلاق نتيجة للعقيدة ولعبادة الله، فالعقيدة الصحيحة أو الإيمان عموما والإسلام خصوصا يؤدى إلى أن تكون أخلاق الإنسان حسنة، وكذلك العبادة لله تعالى وفق ما شرع تؤدى إلى محاسن الأخلاق، فالصلاة - مثلا - تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة طهرة للإنسان وللمال، والصوم جنة أو وقاية من الوقوع فى السوء والفحشاء، والحج تخلص من الذنوب والآثام.

● ومن زاوية أخرى لنا أن نقول :

- إن العقيدة الصحيحة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ما لم تجعل المؤمن ذا أخلاق حسنة، فهى عقيدة فيها خلل وقصور، وإيمان فيه نقص واضطراب، فالإيمان حسن الخلق.

- وكذا العبادات كلها ما لم تؤد إلى محاسن الأخلاق فهى عبادات منقوصة، أو فارغة من الإخلاص وقصد وجه الله تعالى، فالإسلام حسن الخلق.

● وحسن الخلق فى كلمات وجيزة هو التمسك بما جاء فى القرآن الكريم من مفردات هذه الأخلاق الحسنة، ومن ذلك :

- وقول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١١] ويسمى بعض العلماء من كانت هذه أخلاقهم: المؤمنون المفلحون.

- وقوله عز وجل: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦] ويسمى بعض العلماء من كانت هذه أخلاقهم: عباد الرحمن.

- وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ويسمى بعض العلماء من كانت هذه أخلاقهم: أصحاب الدرجات.

- وقوله جل جلاله: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا

﴿٢٥﴾ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ﴿٢٦﴾ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴿٢٧﴾ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ﴿٢٨﴾ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴿٢٩﴾ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴿٣٠﴾ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴿٣١﴾ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴿٣٢﴾ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴿٣٣﴾ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴿٣٤﴾ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴿٣٥﴾ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴿٣٦﴾ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴿٣٧﴾ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ﴾ [الإسراء: ٢٢ - ٣٨] وبعض العلماء يسمي من كانت هذه أخلاقهم: السائرين إلى الله.

- وقوله جل وعلا : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴿٩٠﴾ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴿٩١﴾ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴿٩٢﴾ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴿٩٣﴾ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴿٩٤﴾ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٩٥﴾ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٦﴾ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل: ٩١ - ٩٧].

وبعض العلماء يسمى من كانت هذه أخلاقهم : أهل الوفاء بالعهد .

– وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج : ١٩–٣٥] . وبعض العلماء يسمي من كانت هذه أخلاقهم : المصلين الدائمين على الصلاة .

إلى غير هذه الآيات من آيات كريمة أخرى تتحدث عن المتصفين بمحاسن الأخلاق ممن يسميهم بعض العلماء :

– بالمتوكلين على الله فى الآيات من : ٣٦– ٤٣ من سورة الشورى .

– وأهل الوصايا العشر فى الآيات من : ١٥١ –١٥٣ من سورة الانعام .

– وأهل البر فى الآية ذات الرقم : ١٧٧ من سورة البقرة .

– والمتذكرين أولى الألباب فى الآيات من : ١٩–٣٥ من سورة الرعد .

– والمحسنين إلى غيرهم فى الآية ذات الرقم : ٣٦ من سورة النساء .

– والذين باعوا أنفسهم فى الآية ذات الرقم : ١١٢ من سورة التوبة .

بل فى القرآن أكثر من هذا بكثير لمن قرأ وتدبر .

● وقد لخص الرسول ﷺ الأخلاق الحسنة عندما سئل عن حسن الخلق، بقول الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الاعراف : ١٩٩] ثم قال : «هو أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» رواه ابن مردويه فى مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عندما سئل : أى المؤمنين أفضل إيمانا؟ قال : «أحسنهم خلقا» .

وروى البخاري - في كتابه الأدب المفرد - بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

ومعنى: أتمم: أن الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام قد جاءوا أقوامهم بمكارم الأخلاق، ولكن بقيت بعدهم بقية، فبعث الله محمداً ﷺ، بما كان مع الأنبياء من مكارم الأخلاق، وبعثه بإكمالها وإتمامها.

- ويدخل في مكارم الأخلاق ومحاسنها كل خير وكل صلاح وكل مروءة وكل إحسان، وكل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم.

- ومفردات هذه الأخلاق أكبر من أن تحصى في هذا الكتاب(١)، وكلها من الثوابت التي لا تقبل التغير مهما تغير من حولها الزمان والمكان والناس.

● وبعد:

فهذه هي الثوابت في الإسلام: العقائد والعبادات والأخلاق كما أوضحنا.

وهذه الثوابت وردت بها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية كما ذكرنا آنفا.

● والذي أحب أن أنبه إليه هنا، أن رسول الله ﷺ علم المسلمين هذه الأمور تعليما عمليا تطبيقيا. أي رباهم عليها تربية عملية، ونضرب على ذلك بعض الأمثلة بما يلي:

١- أنه ﷺ جاءه جبريل عليه السلام في السنوات الأولى من بعثه ﷺ فعلمه الوضوء، وعلمه الصلاة، فذهب رسول الله ﷺ إلى بيته فعلم خديجة زوجه، وعليا بن أبي طالب ابن عمه، ومن كان يربيه في بيته، علمهما عمليا: الوضوء والصلاة. كما ثبت ذلك في السنة النبوية المطهرة.

وصلى النبي ﷺ وخديجة وعلي قبل أن يصلي المسلمون، كما حكى ذلك علي رضي الله عنه.

- وكثير من الأحاديث النبوية التي جاءت في كتب السنة تصف وضوء النبي وصلاته، ويروى أنه قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

٢- وأنه ﷺ علمهم الصوم، نيته وإمساكه والفطر منه، وشروطه وأحكامه وآدابه ومفطراته

---

(١) أفردنا للأخلاق أو للتربية الخلقية الحلقة الثانية من هذه السلسلة: التربية الخلقية وصدر عن دار التوزيع والنشر الإسلامية سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

وإباحة فطره عند الضرورة، وقضاءه من غير كفارة وقضاءه بالكفارة.

٣- وأنه ﷺ علمهم الزكاة، وكل ما يتصل بها من نصابها وعلى من تجب ومقدارها وأنواع المال الذى تجب فيه، وعلمهم أنها طهرة لهم ولأموالهم.

٤- وأنه ﷺ علمهم الحج، مواقيته وإحرامه ومناسكه كلها، وما يبطله وما يجوز فيه، وقرنه بالعمرة، وإفراده أو التمتع بينه وبين العمرة، والهدى، والنحر والطواف والسعى ورمى الجمار، وفى كل ذلك أفعال مأثورة عن النبى ﷺ، فقد كان يؤدى حجة الوداع - ولم يحج بعدها - ويقول لهم: «لتأخذوا عنى مناسككم» أو «لتأخذ أمتى مناسكها» أو «خذوا عنى مناسككم».

٥- وعلمهم عمليا كل ما له صلة بأمور العبادات كلها فتلك وظيفته التى بعثه الله تعالى من أجلها.

ولقد كان من هديه ﷺ ضرب الأمثال لتكون حاضرة أمامهم وموضع التفكير من عقولهم، ليأخذوا ما تدل عليه مأخذ التنفيذ والتطبيق.

● ونحاول هنا - فى اختصار وإيجاز - أن نذكر ببعض المواقف العملية فى تربية الرسول ﷺ للمسلمين عن طريق العمل والحدث ووجوب التدبر فى هذا الحدث، والله سبحانه هو الموفق المعين.

أولاً:

التربية العملية فى العقائد «الإيمان»

تمثلت تربيته العملية ﷺ للمسلمين فى العقيدة بأن أعطى من نفسه وسلوكه الأسوة والقدوة، فى الصبر على ما لحقه من المشركين من أذى على إيمانه بالله الواحد الأحد، وتركه آلهتهم الباطلة، بل تعرضه لهذه الآلهة بالكشف عما يحيط بها من ترهات وأكاذيب ودعاوى باطلة يدعونها لهذه الآلهة، كما أعطى للمسلمين الأسوة والقدوة فى تحمل المتاعب والمشاق التى تعرض لها من المشركين، والتعامل معهم بروح التسامح بل الإشفاق عليهم من عذاب الله لرفضهم العقيدة الصحيحة والإيمان بالله الواحد الأحد.

- لقد كان رسول الله ﷺ يقول للمسلمين بلسان الحال: اصبروا على ما يلحقكم من أذى المشركين الذين لا يريدون لكم أن تؤمنوا بدين الحق واحتسبوا أجركم فى هذا عند الله، وتسامحوا مع هؤلاء المشركين القساة لعل الله أن يهديهم فيخرجوا من الكفر إلى الإيمان، وهو ﷺ إمامهم فى هذا الصبر والتسامح ومواقفه وأعماله دروس عملية يتعلمون منها فى تحمل أعباء الإيمان.

- ولقد كان المؤمنون فى السنوات الأولى من بعثة الرسول ﷺ التى امتدت ثلاث عشرة سنة فى مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة، كانت هذه السنوات سنوات اختبار صبر المؤمنين على إيمانهم وتحملهم من أجله، وقدوتهم فى ذلك التحمل هو الرسول الخاتم ﷺ.

- فى هذه السنوات كان المؤمنون الذين يعذبون من أجل إيمانهم يسامون سوء العذاب، ويشتط معهم معذبوهم حتى يخرجوا بذلك عن كل ما هو إنسانى فى اضطهاد إنسان لإنسان مثله، حتى بلغت الوحشية بأبى جهل لعنه الله أن يقتل سمية أم عمار وزوج ياسر قتلا مهينا ينم عن مهانته وحقارته إذ يطعنها بحربة فى قُبُلها فيقتلها فتكون أول شهيدة فى الإسلام، وتنال هى هذه الدرجة عند الله، ويموت هو على الكفر!!!

- ولابد أن نعرض بعض هذه النماذج الإيمانية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام لتكون نبراسا للمؤمنين اليوم الذين يتعرضون للتعذيب والاضطهاد من أجل إيمانهم على أيدى أمثال أبى جهل وأمية بن خلف وأبى بن خلف من الصهاينة والصرب والروس

ووثنيى الفلبين، ولم تكن فعلة أبى جهل بسمية أسوأ من اغتصاب المسلمات فى البوسنة والهرسك وكوسوفا، ومن وراء هؤلاء المجرمين الغرب كله يتشفى فى تعذيب المؤمنين.

وترسل هيئة الأمم المتحدة قوات تحمى المعتدى وتحظر على الضحية أن يحصل على سلاح للدفاع عن نفسه!! يفعلون ذلك ويتشدقون بالديمقراطية وحقوق الإنسان!!

- إن من سنن الله تعالى أن تتصدى الجاهلية للإيمان والمؤمنين فى كل عصر، ومن سننه أيضا أن ينصر المؤمنين وأن يقمع أبا جهل وأمثاله إذا صبر المؤمنون واحتسبوا وأخذوا بالأسباب. تلك سنة الله فى المؤمنين وأعدائهم، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

- وإن المعذَّبين من أجل دينهم فى مكة ما لبثوا بعد الهجرة إلى المدينة أن ذاقوا حلاوة إيمانهم وصبرهم نصراً وظفراً، ودولة قوية فتية عادلة رحيمة تستطيع أن تمد يد العدالة والرحمة إلى ما يقرب من نصف سكان الأرض آنذاك فى أقل من نصف قرن من الزمان!!

● ومن هؤلاء المعذبين من أجل دينهم الذين صبروا واحتسبوا ونجحوا فى الاختبار وكانوا علامات تهدى المؤمنين فى طريق الإيمان على مر العصور، آخذين الدرس العملى فى صبرهم واحتسابهم من المعصوم ﷺ، نذكر بعضهم فى السطور التالية:

١- عمار بن ياسر وأبوه وأمه وأخوه عبد الله:

وكان أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى هو الذى يعذب هذه الأسرة كلها، لأنهم مستضعفون لا يجدون من يقف فى وجه أبى جهل، وما بقى من هذه الأسرة المؤمنة سوى عمار بن ياسر رضى الله عنه.

روى البلاذرى بسنده عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها: أن عمار بن ياسر وأباه ياسرا وأخاه عبد الله وأمه سمية كانوا يعذبون فى الله، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» فمات ياسر فى العذاب وأغلظت سمية لأبى جهل فطعنها فى قُبُلها فماتت، ورمى عبد الله فسقط.

٢- بلال بن أبى رباح رضى الله عنه:

وكان يعذبه أمية بن خلف ومعه بنو جمح، وقد اشتط فى عذابه على أن يترك دينه ويكفر بمحمد وبما جاء به، فما كان بلال يزيد على أن يقول: أحد.. أحد، ويظل صابرا محتسبا يتحمل ما لا طاقة لغير المؤمنين به، حتى رآه ورقة بن نوفل على تلك الحال،

فقال له: أحد أحد والله يا بلال، ثم أقبل ورقة على أمية بن خلف وبنى جمح فقال لهم: أحلف بالله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا»[1].

٣- وحمامة أم بلال رضي الله عنهما:

وكان يعذبها أمية بن خلف وبنو جمح.

● وقد اشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالا وأمه واعتقهما.

٤- وخباب بن الأرت رضى الله عنه:

وكان تعذبه مولاته أم أنمار، فتأخذ الحديدة وقد أحمتها فتضعها على رأسه، وشاركها فى تعذيبه عتبة بن أبى وقاص.

وفى خباب وغيره من المعذبين، روى البخارى بسنده عن خباب رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ - وهو متوسد برده فى ظل الكعبة - ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت: يا رسول الله ألا تدعو لنا؟ فقعد محمرا وجهه فقال: «إن كان مَنْ كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيُشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه».

٥- عامر بن فهيرة التميمي رضي الله عنه:

وكان من المستضعفين، وكان يعذبه الطفيل بن عبد الله بن سخبرة، وكان يعذبه حتى لا يدرى ما يقول، كان يعذب حتى يرجع عن دينه، ويهجر إيمانه، ولكنه صبر واحتسب.

● وقد اشتراه أبو بكر الصديق من الطفيل واعتقه. وقد استشهد عامر بن فهيرة مع شهداء بئر معونة.

٦- أبو فكيهة أفلح بن يسار رضى الله عنه:

وكان عبدا لصفوان بن أمية، وكان أبو فكيهة قد أسلم حين أسلم بلال رضى الله عنه.

وكان يعذبه أمية بن خلف وأخوه أُبى، وزادا فى عذابه، حتى دلع لسانه، وظل كذلك حتى ظنوا أنه مات، فصبر على العذاب صبر المؤمنين المحتسبين.

---

(١) حنانا أى قبرا ومسكنا ومسترحماً.

● وقد اشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه .

٧- صهيب بن سنان بن مالك - الرومي - رضي الله عنه :

وهو عربي من أسرة عريقة ولكن سَبَتْه الروم في صغره، فنشأ بين الروم فكان لسانه الكن، وقد أسلم في الوقت الذي كان فيه رسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ويقال إنه تقدمه في الإسلام بضعة وثلاثون رجلا .

وكان مستضعفا يُعَذَّب في الله، وكان عبد الله بن جدعان قد ابتاعه من آسريه، ثم أعتقه .

٨- لبيبة جارية ابنى عمرو بن المؤمل بن حبيب رضى الله عنها : وكانت مستضعفة يعذبها مالكوها، وشارك عمر بن الخطاب في جاهليته قبل أن يسلم في تعذيبها، وكان معذبها يخنقها حتى تسترخي يداها فيظن أنها قد ماتت .

● وقد اشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها .

٩- زنيرة الرومية رضى الله عنها :

وكانت مستضعفة يعذبها أبو جهل، وقد عذبت حتى عميت فقال أبو جهل : إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين . فقالت وهي لا تبصر : وما تدرى اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربى قادر على أن يرد بصرى، فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها، فقالت قريش : هذا من سحر محمد ﷺ .

● وقد اشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها .

١٠- أم عبيس رضى الله عنها :

وكانت مستضعفة أسلمت أول الإسلام فعذبها المشركون . قال البلاذرى : كانت أم عبيس أمة لبنى زهرة وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها .

● وقد اشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها .

هؤلاء المعذبون من المؤمنين رأوا من رسول الله ﷺ قدوة ومثالا في الاعتزاز بالإيمان والتمسك به مهما كان العناء والتعذيب، ولا شيء يشجع على الاحتمال مثل العقيدة، ولا تضحية مقبولة مثل التضحية من أجل الإيمان .

● والتربية العملية الصادرة منه ﷺ تعني عدم اليأس، وعدم التراجع عن الإيمان وعن الحق

مهما كثر الأعداء ومهما زاد بطشهم وتحديهم للمؤمنين، ومهما امتدت ألسنة لهب العداوة لتصل وراء المؤمنين إلى مهاجَرهم فى الحبشة، عندما أرسلت قريش رسولين إلى النجاشى ملك الحبشة يغريان الملك بطرد المسلمين وتسليمهم لذويهم؛ بادعاءات باطلة وافتراءات ظالمة ألصقوها بالمسلمين وبدينهم، ولكن الله أنجى المؤمنين من كيد المشركين ورفض النجاشى أن يتخلى عن ضيوفه.

- فالمضى على طريق الإيمان يجب أن يستمر دون فتور.

- والدفاع عن الحق بإبطال حجج الباطل بحب أن يتصدى له المؤمنون - كما حدُث من جعفر بن أبى طالب أمام النجاشى.

- والتحمل للمتاعب يجب أن يستمر مصاحبا لاحتساب الأجر عند الله تعالى فى الآخرة دار الجزاء.

- والثقة فى نصر الله تعالى يجب أن تملأ العقول والقلوب وأن يستيقن منها المؤمنون فى كل حين ومع أى ظروف.

● وإزاء هذه الأحداث الجسيمة كان موقف النبى ﷺ وعمله هو المزيد من الحرص على نشر الدين مهما كانت العقبات والعراقيل، لكى يتعلم المسلمون أن ذلك هو عملهم الدائب الذى لا تراجع عنه، وفى سبيل الاستمرار والتوسع فى نشر الدين اتخذ الرسول ﷺ الخطوات العملية التالية:

- عرض الرسول ﷺ الإسلام على القبائل خارج مكة، ممن كانوا يفدون على مكة لأداء الحج وليشهدوا منافع لهم، من هذه القبائل - وكان ذلك فى ذى القعدة من سنة عشر(١)ـ :

١- بنو عامر بن صعصعة حيث دعاهم إلى الإسلام وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه، ثم ندموا لما عادوا إلى ديارهم واستشاروا أحد أشياخهم.

٢- بنو كلب، حيث دعاهم وعرض عليهم نفسه، فلم يقبلوا منه.

٣- بنو حنيفة حيث جاءهم فى منازلهم ودعاهم، فكانوا أقبح ردا عليه من سائر القبائل.

٤- وبنو نصر، وبنو البكاء، وبنو عذرة، والحضارمة، وبنو سليم، وعبس.

٥- ومن الأفراد الذين عرض عليهم نفسه والدين الذى جاء به:

---

(١) أي السنة العاشرة بعد بعثة النبي ﷺ في مكة.

● سويد بن الصامت، وقد هداه الله فأسلم.

● وإياس بن معاذ، وقد هداه الله فأسلم ولكنه كتم إيمانه عن قومه الأوس.

● وأبو ذر الغفارى، وقد هداه الله إلى الإسلام فأسلم.

● وطفيل بن عمرو الدوسى، وقد كان سببا فى إسلام قومه، ووفد على النبى ﷺ بسبعين أو ثمانين بيتا من قومه وقد دخلوا فى الإسلام.

● وضماد الأزدى - من أزد شنوءة باليمن - وقد هداه الله بعد أن سمع كلام الرسول ﷺ فبايعه على الإسلام...، وغيرهم.

٦- بيعة العقبة الأولى وإسلام ستة من الخزرج أهل المدينة:

أسعد بن زرارة - من بنى النجار -.

وعوف بن الحارث بن رفاعة (بن عفراء) - من بنى النجار -.

ورافع بن مالك بن العجلان - من بنى زريق -.

وقطبة بن عامر بن حديدة - من بنى سلمة -.

وعقبة بن عامر بن نابى - من بنى حرام بن كعب -.

وجابر بن عبد الله بن رئاب - من بنى عبيد بن غنم -.

٧- ثم كانت بيعة العقبة الثانية حيث أسلم ودخل فى دين الله سبعون رجلا وامرأتان، وقيل ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، وكانت بنود البيعة كما ذكرها الإمام أحمد بسنده عن جابر رضى الله عنه، قال جابر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال:

- على السمع والطاعة فى النشاط والكسل.

- وعلى النفقة فى العسر واليسر.

وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وعلى أن تقوموا فى الله، لا تأخذكم فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى إذا قدمت إليكم، وتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

٨- وذهابه ﷺ إلى الطائف - وكان ذلك قبل عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل - وقد ظل رسول الله ﷺ فى الطائف عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فلم يستجيبوا وإنما قالوا: اخرج من بلادنا، واغروا به سفهاءهم، فخرج فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة بكلمات نابية، وكان معه زيد بن حارثة يقيه بنفسه وأدموا عراقيبه وشجوا رأسه، ولم يزالوا به حتى ألجاوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة - على بعد ثلاثة أميال من الطائف -وعندئذ رجعوا عنه.

وجلس رسول الله ﷺ يستظل إلى جدار، فلما اطمأن دعا دعاءه المشهور الذى أسف فيه على أنه لم يؤمن بما جاء به أحد من أهل الطائف، وهو قوله: «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس..».

فرقّ له عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وعطفتهما عليه الرحم وأرسلا له قطف عنب مع غلامهما النصرانى عداس، فلما بدأ الرسول ﷺ يأكل قال: باسم الله ثم أكل.. ثم دار حوار بينه وبين عداس، فأسلم عداس فكان إسلامه عزاء للنبى ﷺ عما لقيه فى رحلته إلى الطائف.

٩- وتحمله ﷺ مع المؤمنين، وبنى هاشم وبنى المطلب الحصار الظالم الذى فرضته قريش على المؤمنين فى شعب بنى هاشم، حيث استمر هذا الحصار سنوات ثلاثا، لا يسمحون لهم بالبيع أو الشراء ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، حتى بلغ بالمحاصرين الجهد فأكلوا ورق الشجر.. وكان المشركون قد كتبوا ذلك فى صحيفة ظالمة علقوها فى الكعبة.

وكان رسول الله ﷺ فى الصبر واحتمال التضييق مضرب المثل والقدوة العملية لمن أراد أن يرجو الله واليوم الآخر فيقتدى به ﷺ.

● حدث هذا كله فى مكة المكرمة، فما ضاق به ولا تراجع عن الحق الذى يدعو إليه، وإنما ملأ نفسه وقلبه الصبر والتسامح مع هؤلاء المعاندين، بدليل ما رواه علماء السيرة النبوية وكبار رواة الحديث الشريف وعلى رأسهم الإمام البخارى رحمه الله، فقد روى بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما، أن عائشة[1] رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان

---

(١) عائشة رضي الله عنها خالة عروة بن الزبير فقد كانت امه اسماء بنت ابي بكر الصديق.

أشد ما لقيت منهم ....» وفيه « .. فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد ذلك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت –والأخشبان جبلان يحيطان بمكة – قال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا».

● أما في المدينة المنورة – بعد هجرته ﷺ إليها – فقد كانت تربيته العملية للمسلمين هي أعماله وأفعاله من أجل بناء الدولة الجديدة.

وكان من أبرز هذه الأعمال:

١- بناء المسجد:

وهو مكان عبادة الله سبحانه وتعالى في الصلوات الخمس المفروضة، ولكنه مع ذلك ملتقى المسلمين وهم يتعلمون من النبي ﷺ، ثم يعلمون غيرهم، وهو المكان الذي يتشاور فيه المسلمون في كل ما يتصل بأمور دينهم.(١)

وقد بناه رسول الله ﷺ في المكان الذي بركت فيه ناقته واشترى أرضه من غلامين يتيمين كانا يملكانه وأسهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبن والحجارة، وكان هذا درسا عمليا للصحابة رضوان الله عليهم حتى إن أحد الصحابة كان ينشد:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

٢- والمؤاخاة بين المسلمين:

وهي عمل قام به الرسول ﷺ، والمسلمون في أشد الحاجة إليه، حاجة دينية لتعزيز فكرة أن المؤمنين إخوة، وأخوة الدين أقوى من أخوة النسب، وهي معيار دقيق في تقدير المؤمنين تقديرا صحيحا، لا بأجسامهم ولا بأقوامهم ولا بأموالهم، وإنما بتقواهم لله والتزامهم بدينه وتوكيد معنى الأخوة فيما بينهم.

وقد رحب الأنصار بهذه الأخوة كل الترحيب وأقدموا على حفاوة – لم تعهد من قبل بين الناس – بإخوانهم في الدين، وقصة سعد بن الربيع مع أخيه في الإسلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما لا تنسى في تاريخ الكرم والحفاوة والإيثار، فقد أراد أن يقسم معه ماله، وأن يتنازل له عن إحدى زوجتيه ليتزوجها بعد انقضاء عدتها.

(١) انظر للمؤلف: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي.

وكان الأنصار جميعا أصحاب حفاوة بالمهاجرين، وكان المهاجرون أصحاب مروءة وتعفف، فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قالت الأنصار للنبى ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: فتكفونا المؤونة، ونشرككم فى الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا».

٣- وعَقَد ميثاقا بين المسلمين:

وهذا الميثاق عهد مكتوب رضيه المسلمون والتزموا ببنوده، ونصه:

«هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم:

– إنهم أمة واحدة من دون الناس.

– والمهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون فيما بينهم، وهم يفدون عانيهم(١) بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

– وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرحا(٢) بينهم أن يعطوه بالمعروف.

– وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة(٣) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين(٤).

٤- وعقد ميثاقا مع اليهود:

وهذا الميثاق أو العهد عمل أراد به النبى ﷺ أن يحقق الأمن للمسلمين والسلام للناس جميعا مسلمين وغير مسلمين ومن أهم ما جاء فى هذه المعاهدة.

– إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم؛ مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بنى عوف اليهود.

– وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

---

(١) أسيرهم.

(٢) المفرح: المدين الذي أثقله الدين.

(٣) الدسع: الدفع والمعني اي طلب دفع ظلم.

(٤) انظر الوثيقة كاملة في كل كتب السيرة الجامعة، وفي: حميد الله: الوثائق السياسية في العهد النبوي.

- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

- وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

- وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه . . »(١)

● وكانت تربيته العملية للمسلمين فى العقيدة « الإيمان » هى تعليمهم كيف يحمون هذا الإيمان من أعدائه بالقوة إذا لزمت القوة، حيث شرع الله للمسلمين الجهاد ولم يكن مشروعا لهم وهم فى مكة .

فكانت غزواته ﷺ دروسا عملية فى التربية من أجل الدفاع عن العقيدة ومن أجل أن يصل دين الله إلى عباده دون معوقات .

---

(١) انظر الوثيقة كاملة في كتب السيرة وفي مجموعة الوثائق السياسية - مرجع سابق.

ثانيا:

التربية العملية فى العبادات «الإسلام»

فى مجال العبادات –وهى أركان الإسلام أولا، وخصائصه كلها من بعد – كانت حياة الرسول ﷺ وعمله فى يومه وليلته هى الترجمان العملى لكل عبادات الإسلام وخصائصه.

وهذه الأركان الخمسة قد جاءه جبريل عليه السلام يسأله عنها ويسمع إجابة سؤاله ثم يقول له: صدقت ليعلمها للناس، كما ورد بذلك الحديث الشريف، فعلمها رسول الله ﷺ الناس، ومارسها أمامهم مرات ومرات.

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «.. قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، – وفى رواية وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا..».

- وهذه العبادات كثيرة وهى على كثرتها من أمور الإسلام التى لا يصح الإسلام إلا بها.

وهذه العبادات هى:

– الطهارة بأنواعها وأحكامها وشروط كل منها.

– والنظافة بنوعيها المادية والمعنوية.

– والصلاة بأنواعها وأحكامها وآدابها.

– والصيام فرضه ونوافله.

–والزكاة بنوعيها زكاة المال، وزكاة الفطر، والصدقات بكل أنواعها.

– وحج البيت لمن استطاع إليه السبيل.

– وسائر المعاملات التى شرعها الإسلام ووضع لها أحكاما وشروطا وآدابا.

– وكثير من الأعمال التى يقوم بها المسلم فى يومه وليلته تعد من العبادات إذا قصد بأدائها وجه الله والتقوّى بها على عبادته.

● ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

١ - ففى الطهارة بالماء :

أ- الوضوء : كان رسول الله ﷺ يتوضأ ويعلم الناس الوضوء - كما تعلمه هو ﷺ من جبريل عليه السلام، فى مكة قبل أن تفرض الصلاة المكتوبة - فعلمه الرسول ﷺ لزوجه خديجة ولابن عمه على بن أبى طالب وعلمهما صلاة علمه إياها جبريل عليه السلام، وتلك هى العبادة العملية التى علمها لهما رضى الله عنهما.

● والطهارة من الحدثين الاكبر - الجنابة - والأصغر - ما خرج من السبيلين - واجبة شرعا لاستباحة الصلاة ومس المصحف وسائر العبادات التى تستوجب الوضوء لقول الرسول ﷺ : « لا تقبل صلاة بغير طهور . . » رواه مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما.

والتعليم العملى من الرسول ﷺ للوضوء واضح فيما رواه مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : أنه دعا بإناء، فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما، ثم أدخل يمينه فى الإناء فمضمضة واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يديه ثلاث مرات ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه ».

ب- الغسل :

وهو واجب من الجنابة للطهارة من الحدث الاكبر، وقد علمه الرسول ﷺ عمليا لزوجاته ونقلت بعض زوجاته عنه كيفية الاغتسال، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله، فيغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه فى أصول الشعر، حتى إذا رأى أن قد استبرأ حَفَن على رأسه ثلاث حفنات، ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه ».

٢- وفى الطهارة بالتراب « الصعيد » التيمم :

وهى طهارة معنوية تنم عن الاستجابة لأمر الله وشرعه، وشرع الله كله تيسير على عباده، وما شرع لهم ما يشق عليهم، والدليل على ذلك مشروعية التيمم.

والتيمم هو : مسح الوجه واليدين بالتراب.

روى مسلم بسنده عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال: بعثنى رسول الله ﷺ فى حاجة، فأجنبت، فلم أجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبى ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما يكفيك أن تقول[1] هكذا، وضرب بيديه إلى الأرض، فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه».

٣- وفي النظافة:

والنظافة هى النقاء من الدنس والقذر، والتنظيف: التنقية. ونظف قلبه: صانه عما يدنسه من الشبهات والمحرمات.

ويقال: هو نظيف السراويل: أى عفيف، ونظيف الأخلاق: أى مهذب.

وتنظف: أى ترفع عما يشين ويعيب.

● والنظافة بكل معنى من هذه المعانى مطلوبة شرعا من كل مسلم، لما رواه الترمذى بسنده عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود».

ولا شك أن النظافة جمال لصاحبها، وقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: يا رسول الله إنى ليعجبنى أن يكون ثوبى غسيلا ورأسى دهينا، وشراك نعلى جديدا، وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه أفمن الكبر ذاك يا رسول الله؟ قال: «لا ذاك الجمال، إن الله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من سَفِهَ الحق وازدرى الناس».

ولقد كان رسول الله ﷺ نظيفا في بدنه وثوبه، والمكان الذى يكون فيه، وتحدث بذلك عنه أقرب الناس أزواجه رضى الله عنهن.

ولقد دعا رسول الله ﷺ إلى النظافة وإلى الجمال، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة»[2]: قص الشارب، وإعفاء

---

(١) أي أن تفعل، فتلك من المواقف التي يعبر فيها عن الفعل بالقول.

(٢) من فطرة الإنسان السوي التي فطره الله عليها.

اللحية، والسواك، والمضمضة، واستنثار الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم[1]، ونتف الإبط وحلق العانة، وانتقاص الماء[2]».

٣- والصلاة:

وفى الصلاة وكيفية أدائها، وما تشتمل عليه من تكبير وقراءة وركوع وسجود وجلوس بين السجدتين وتشهد وتسليم، فقد رأى المسلمون رسول الله ﷺ ووصفوا لنا صلاته وصف من رأى رأى العين.

وفى قصة الرجل الذى صلى ورسول الله ﷺ جالس يرى الرجل وهو يصلى، فلما فرغ من صلاته وجاء فألقى السلام رد عليه رسول الله ﷺ ثم قال له: ارجع فصلّ فإنك لم تصل، فرجع فصلى ثم جاء، فقال له للمرة الثانية: ارجع فصلّ فإنك لم تصل، فرجع فصلى ثم جاء، فقال له: ارجع فصل فإنك لم تصل، فقال له الرجل: والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، علمنى، قال: «إذا قمت إلى الصلاة، فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن[3]، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها».

- وقد علم رسول الله ﷺ المسلمين كل أنواع الصلاة:

كصلاة الجمعة.

وصلاة العيدين.

وصلاة الاستسقاء.

وصلاة الكسوف والخسوف.

وصلاة الجنازة.

وصلاة الخوف.

وصلاة الحاجة.

وصلاة القيام فى شهر رمضان.

---

(١) البراجم: جمع برجمة وهى مفصل الإصبع.

(٢) انتقاص الماء: أى الاستنجاء بالماء.

(٣) فى عديد من الأحاديث وجوب قراءة فاتحة الكتاب.

وصلاة قيام الليل.

وصلاة الضحى.

وصلاة الوتر.

وصلاة الشكر

وصلاة السفر

وغير ذلك من الصلوات التى فرضها الله تعالى على عباده أو حببهم فى أدائها نافلة لهم.

- وعلمهم أحكام هذه الصلوات وشروطها وما يفسدها، وما يجعلها متقبلة عند الله تعالى.

- والصلاة أهم العبادات لأنها عمود الدين أو عماده، ولأنها تتكرر فى اليوم والليلة خمس مرات، ولأنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، ولأن الرسول ﷺ قال فيما رواه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة» وقوله لبلال رضى الله عنه: «أقم الصلاة أرحنا بها» وفى رواية لأحمد بسنده عن رجل من أسلم أن النبى ﷺ قال: «يا بلال أرحنا بالصلاة».

هذا هو شأن الصلاة فى الإسلام.

٤- والزكاة:

والزكاة أنواع منها ما هو فرض ومنها ما هو نافلة والواجبة منها نوعان:

أ - زكاة المال بكل أنواعه.

ب - وزكاة الفطر.

وكان الرسول ﷺ يعلم المسلمين كل زكاة منهما ويمارس ذلك، والمسلمون يرون ذلك رأى العين ثم يروونه لنا فيما وجدناه فى كتب السنة والسيرة.

أ- وقد حدد رسول الله ﷺ أنواع المال الذى تجب فيه الزكاة، وحدد مقدارها، فهى لا تجب فيما هو أقل من خمسة أوسق من التمر أو نحوه، ولا فيما هو أقل من خمس أواقٍ من الفضة «الورِق» ولا فيما كان أقل من أربعين شاة.

أما الأرض الزراعية: فما سقى منها بماء السماء أو بالأنهار ففيها عشر الثمر، وأما ما سقى

بآلة ففيها نصف العشر. وفي الإجمال والتقريب فإن قدر الزكاة في الأموال السائلة هو ربع العشر ٢,٥٪ شرط أن يبلغ المال نصابا وأن يحول عليه الحول، فائضا عن حاجات المزكى الأساسية من مسكن ومطعم ومشرب وكسوة ونفقة عيال.

● ولا تجب الزكاة على المسلم فيما يملك من عبد أو فرس.

● وتعطى الزكاة لمستحقيها ممن حددتهم آية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وللزكاة أحكام عديدة وشروط كثيرة تلتمس في كتب الفقه.

ب- وزكاة الفطر:

وهي واجبة من أجل صيام شهر رمضان وتجب على المسلم أن يخرجها عن نفسه وعن كل من يعوله ويلي عليه، وأقصى موعد تؤدى فيه هو قبل صلاة عيد الفطر ويمكن أن تؤدى قبل ذلك.

● ومقدارها صاع من تمر أو شعير أو من زبيب، أو نصف صاع من بُر «قمح» وهي واجبة على الذكر والأنثى والصغير والكبير.

هـ- والصدقات المندوب إليها:

وقد ندب الرسول ﷺ المسلمين وكان قدوتهم في التصدق، حتى وصف بأنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة حتى إنه ﷺ ما كان يبيت وفي بيته ما يمكن أن يتصدق به إلا أن يتصدق به.

- ومن الصدقة التي يثاب المتصدق عليها نفقة المسلم على عياله وأهله وأقاربه وأرحامه، وموتاه.

ويجب أن تكون الصدقة من الكسب الطيب لأنها حقيقة موجهة إلى الله تعالى لأيدي عباده، والله وتعالى طيب لا يقبل من العمل إلا طيبا.

وليس لمسلم أن يمتنع عن التصدق كأن يستقل ما يتصدق به، فشق التمرة ومنيحة العنز مجال للتصدق وللثواب.

وأجر الصدقة ثابت بإذن الله حتى لو وقعت الصدقة في يد من لا يستحقها من غني أو آثم أو نحو ذلك.

وللمرأة أن تتصدق من مال زوجها، وللخازن أن يتصدق من مال سيده بشرط عدم الإفساد، وبشرط الإذن الصريح أو الإذن العرفي من الزوج ومن صاحب المال.

– ويُسَنُّ إخفاء الصدقة.

– ويحرم على المسلم أن يسأل الناس، أو يكره له ذلك أو يجوز حسب ظروفه وأحواله.

– ويجوز إعطاء الصدقة لمن يُخشَى على إيمانه وللمؤلفة قلوبهم.

٦ – والصوم:

وهو نوعان أيضا:

أ – صوم فريضة وهو شهر رمضان المكرم.

ب – وصوم نافلة، وهو ما عدا صوم رمضان.

أ– وقد علم رسول الله ﷺ الناس الصوم عمليا بأن صام، وعلم الناس أحكام الصيام وشروطه وآدابه، وعلمهم أن شهر رمضان يصام بعد رؤية هلاله ولا يجوز تقديمه يوما أو يومين قبله – من باب الاحتياط كما يتوهم بعض الناس – ولكل بلد رؤيتهم للهلال، وإن رأى أهل بلد الهلال فصاموا فإن الصوم لا يلزم أهل بلد بعيدين عن البلد الذى رأى، ولا ضرورة لأن يصوم المسلمون جميعا في يوم واحد، لترامي أطراف العالم الإسلامي، وليس عيبا في التوقيت – كما يهرف بذلك الذين لا يعرفون الدين – أن يصوم بعض المسلمين اليوم وأن يصوم الآخرون غدا أو بعد غد.

ولا يجوز إنهاء الصوم في رمضان إلا برؤية هلال شهر شوال.

● ومما علمه الرسول ﷺ للمسلمين:

تعجيل الإفطار، وسن لهم أن يكون على تمر أو ماء.

وتأخير السحور تأسيا به ﷺ.

● وجزاء الصوم عند الله عظيم كما ورد في عدد من الأحاديث.

– وعلى المسلم قضاء الصوم إن أفطر بعذر من مرض أو سفر، فإن أفطر بغير عذر وجب

القضاء والكفارة.

- ومن لا يستطيع الصوم من المسلمين لمرض مستمر أو شيخوخة فإنه يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا وجبتين مشبعتين من أوسط ما يطعم أهله.

ب - وصيام التطوع:

وهو كثير علمه رسول الله ﷺ للمسلمين ومنه:

- صوم يوم عاشوراء.

- وصوم يوم عرفة لغير الحاج.

- والثلاثة البيض من كل شهر وهي من وسط الشهر.

- والستة البيض بعد اليوم الأول من شوال يوم العيد.

- وصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع.

- وصوم يوم وإفطار يوم. وغير ذلك من نافلة الصوم.

● وعلمهم كراهية صوم أيام بعينها:

- كصوم يوم الجمعة مفردا عن غيره من الأيام، وصوم أيام بعينها.

- والوصال فى صوم التطوع، وغيره.

● وعلمهم آداب الصوم ومعناه وهدفه التربوى، وأوضح لهم أن الصيام كتب على المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم.

٧ - وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا:

وهو ركن من أركان الإسلام، يجب على المسلم المستطيع مرة فى العمر، وتسمى هذه الحجة حجة الإسلام، وما وراء ذلك فهو تطوع ونافلة.

وقد علم رسول الله ﷺ المسلمين الحج عمليا فى حجته المسماة بحجة الوداع،علمهم مناسك الحج ومواقيته، وأركانه وشروطه، وسائر أعماله ابتداء من الإحرام، وإلى طواف الإفاضة، وبين لهم كل أعمال الحج من تلبية وطواف وسعى ووقوف بعرفة ورمى للجمار، ونحر، وحلق أو تقصير، وما يجب أن تكون عليه ملابس الإحرام للرجال والنساء.

● وبين لهم ما يحرم على الحاج وما يبطل حجه، وما يوجب عليه دمًا يجبر به نقصا أحدثه في حجه.

● وأوضح مناسك الحاج المفرد، والقارن بين الحج والعمرة، والمتمتع بالعمرة إلى الحج.

وسَنَّ وحبب في العمرة في شهر رمضان.

وأجاز الحج عن الغير، وعن القاصر، والطاعن في السن، وعن الميت، وصحة حج الصبى دون البلوغ ووقوع الأجر لمن حج به.

وبعد: فإن العبادات في الإسلام مما فرض الله على المسلمين بحر واسع - وكلها من الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الناس، وكلها علمها رسول الله ﷺ للمسلمين ومارسها عمليا.

● فليست العبادات في الإسلام هي أركانه الخمسة وحدها، وإنما يدخل فيها كثير من المعاملات التي وضع الإسلام لها من الضوابط والأحكام والشروط ما يجعلها قادرة على أن تحقق للمتعاملين عدالة ومحافظة على حقوق الأطراف المتعاملة.

● ونستطيع أن نسرد من هذه المعاملات الداخلة في العبادة عقودًا كثيرة فرض الإسلام على المسلمين الالتزام بأحكامها وشروطها مثل:

- عقد النكاح، وعقد الطلاق.

- والرضاع، والنفقات.

- واللعان والظهار، وكل ما يتعلق بالحياة الأسرية.

- وعقود البيع والرهن والإجارة، والاحتكار، والشفعة، والصرف والسَّلَم، والهبة والوصية والنذر، والقسامة، والقصاص والحدود.

- وأنظمة الصيد والذبائح والأضاحي.

- وما يحل من الأشربة وما يحرم، وما يجوز تناوله من الأطعمة وما لا يجوز.

- وما يحل من اللباس والزينة وما يحرم.

- ونظام الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ومتى يكون فرضا عينيا، ومتى يكون فرض كفاية، والجهاد هو ذروة سنام العبادات في الإسلام.

- وما من عمل يمارسه المسلم فى حياته إلا يشترط فيه ان يكون موافقا لاحكام الإسلام وشروطه، وعلى رأس هذه الاعمال سائر الانظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل الأنظمة الرياضية والترفيهية، كل ذلك يجب أن يوزن بميزان الإسلام، ويخضع لمعيار ما أحل الله تعالى وما حرم.

- كل ذلك هو من المفردات التى وضع الإسلام لها حدودا ومعالم، واستهدف بها أن يعيش المجتمع حياة إنسانية كريمة تحترم فيها حقوق الإنسان وحرياته، ويتوافر بها أمنه ورخاؤه، وقدرته على العمل، وعلى الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق.

- وكل هذه الأعمال قد انتقلت إلينا عن الرسول ﷺ من خلال ما رواه الصحابة رضوان الله عليهم من أقواله ﷺ وأعماله، وكلها كما أشرنا من الثوابت الإسلامية التى يجب أن تستمر فى حياة الناس، ما دام الناس يعيشون فى هذا الكون حتى يقوموا لرب العالمين.

هذا عن التربية العملية التى مارسها الرسول ﷺ فى العبادات أى «الإسلام كله».

فماذا عن التربية العملية للرسول ﷺ فى الأخلاق وهى النوع الثالث من الثوابت فى الإسلام؟

ذلك ما نتحدث عنه فى الصفحات التالية والله المستعان.

ثالثا :

التربية العملية للرسول ﷺ في «الأخلاق»

كثيرة جدا هي المواقف التي وقف فيها الرسول ﷺ، فكان أنموذجا عمليا للأخلاق التي جاء بها الإسلام، وأمر الله تعالى بالتزامها، حتى إن حصرها أو استيعابها يحتاج إلى كتاب مستقل[1]، وقد أفرد كثير من العلماء لأخلاق النبي ﷺ كتبا[2].

- وكل كلام يقال عن أخلاق النبي ﷺ هو أقل وأعجز من أن يصف أخلاقه وصفا شاملا جامعا مانعا كما يقال.

- والذي أرجو أن أوضحه هنا أن رسول الله ﷺ لم يكن متشددا مع الناس ولا متجهما، والدليل على ذلك :

– ما رواه أبو الشيخ بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ؛ فما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : لبيك، فلذلك أنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

– وروى أبو الشيخ بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قلنا لزيد بن ثابت : أخبرنا عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقال : عن أي أخلاقه أخبركم؟ كنت جاره، فإذا أنزل عليه الأمر بعث إليَّ فاكتبه، وكنا إذا جلسنا إليه؛ إن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا.

---

(١) من أحسن الكتب في أخلاق النبي ﷺ : كتاب : أخلاق النبي ﷺ للحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ المتوفى سنة ٣٦٩هـ. ط مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٧٢م بتحقيق أحمد محمد مرسي.

(٢) ومن هذه الكتب :
– الشمائل للإمام الترمذي صاحب السنن.
– والشمائل لأبي بكر بن المقرى.
– والشمائل لأبي العباس المستغفري.
– والأنوار في شمائل النبي المختار لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.

– وروى أيضا بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال عندما سئل؛ أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، فيبتسم معهم إذا ضحكوا».

– وروى أبو الشيخ الأصبهانى بسنده أن عائشة رضى الله عنها سُئلت: كيف كان رسول الله ﷺ فى بيته؟ قالت: كان يعمل كعمل أحدكم فى بيته، يخيط ثوبه، ويخصف نعله».

– وروى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين؛ لم يقل لشىء فعلت: لم فعلت؟ ولا لشىء لم أفعله: ألا فعلته، وفى رواية لأنس رضى الله عنه: وكان إذا أنكر الشىء يقول: كذا قُضى».

● وسوف نذكر أمثلة ونماذج من أخلاقه ﷺ، حيث لا نستطيع أن نستقصى ولا أن نستوعب، فكل خلق حسن كان الرسول ﷺ فيه مثالا يحتذى، وأنموذجا يقتدى به.

ومن ذلك:

١ – حلمه ﷺ:

أخرج الطبرانى فى الكبير بسنده عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: إن الله عز وجل لما أراد هُدَى زيد بن سعنة رضى الله عنه، قال زيد بن سُعْنة: ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أخْبرهما منه:

– يسبق حلمه جهله.

– ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يومًا من الحجرات – ومعه على بن أبى طالب رضى الله عنه – فأتاه رجلٌ على راحلته كالبدوى فقال: يا رسول الله: لِى نَفَرٌ فى قرية بنى فلان قد أسلموا ودخلوا فى الإسلام، وكنتُ حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رَغَدًا، وقد أصابتهم سنة[1] وشدة وقحط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشىء تغيثهم به فعلتَ، فنظر إلى رجل إلى جانبه – أُراه[2] عليًا فقال: يا رسول الله ما بقى منه شىء.

قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد: هل لك أن تبيعنى تمرًا معلوما فى

---

(١) أى جدب.

(٢) أراه بضم الهمزة: أظنه.

حائط بنى فلان إلى أجل معلوم، إلى أجل كذا وكذا؟ قال: لا تُسَمِّ حائط[1] بنى فلان.
قلتُ: نعم.

فبايعنى، فأطلقتُ هميانى[2] فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب فى تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا.

فأعطى النبى ﷺ الرجل البدوى المال، وقال له: «اعدل عليهم وأغثهم».

قال زيد بن سعنة: فلما كان قَبْل مَحَلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فى نفر من أصحابه، فلما صلىَّ على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتَيْتُه فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرتُ إليه بوجه غليظ، وقلت له: يا محمد ألا تقضينى حقى؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب إلا مُطَلاً، ولقد كان لى بمخالطتكم علم.

ونظرتُ إلى عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفَلَك[3] المستدير ثم رمانى ببصره، فقال: يا عدُوَّ الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذى نفسى بيده، لولا ما أحاذر فوته[4] لضربتُ بسيفى رأسك، قال زيد بن سعنة: ورسول الله ﷺ ينظر إلىَّ فى سكون وتؤدة، فقال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك، أن تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقَّه وزده عشرين صاعًا من تمر مكان ما رعته[5].

قال زيد: فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعًا من تمر.

فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرنى رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتُك.

قال زيد: وتعرفنى يا عمر؟ قال: لا، قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحَبرْ؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك إلى أن فعلتَ برسول الله ﷺ ما فعلت؟

---

(١) الحائط: البستان. والبيع هنا بيع سلم.
(٢) الهميان: كيس توضع فيه النقود ويشد على الوَسَط.
(٣) الفلك: جمع فلكة وهى الجسم المستدير منه يدور بسرعة.
(٤) ما أحاذر فوته: أى أخشى أن يفوتنى بضرب رأسك قبل أن تؤمن.
(٥) رعته: أفزعته.

قال زيد: وقلت له ما قلتُ. قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُ في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه:

- يسبق حلمه جهله.

- ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيًا، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالاً[1] - صدقة على أمة محمد ﷺ.

قال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم.

قلتُ: أو على بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به، وصدقه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفى في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر، رحم الله زيداً»[2].

وروى ابن ماجة طرفًا من هذا الحديث، وأخرجه ابن حبان وأبو الشيخ الأصبهاني وغيرهم.

٢ - عفوه ﷺ:

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما كان يوم الفتح، ورسول الله ﷺ بمكة؛ أرسل إلى صفوان بن أمية، وإلى أبي سفيان بن حرب، وإلى الحارث بن هشام[3].

قال عمر: فقلتُ: قد أمكن الله منهم لأُعَرِّفَنَّهم بما صنعوا... حتى قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومَثَلكم كما قال يوسف - على نبينا وعليه السلام - لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ[4] عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

---

(١) أكثرها مالاً: أي أكثر اليهود مالاً.

(٢) وكان زيد بن سعنة حبرا من أحبار اليهود وعنده في التوراة علامات النبوة وكان قد عرفها جميعًا في النبي ما عدا ما ذكر، وكانت هذه القصة سببًا في إسلامه رضي الله عنه.

(٣) وكان الثلاثة من ألد أعداء الإسلام قبل فتح مكة وحاربوا رسول الله ومكروا به، وأسلموا بعد فتح مكة.

(٤) التثريب: التقريع بالذنب والتوبيخ.

قال عمر: فافتضحتُ حياءً من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني[١]، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال.

وأخرج البيهقي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكر الحديث، وفيه: «ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: ما تقولون؟ وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم، قال: وقالوا ذلك ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: أقول كما قال يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين، قال: «فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا الإسلام».

وقال البيهقي: وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة: أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: «ما ترون أني صانع بكم»؟ قالوا: خيراً؛ أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

– وروى أبو الشيخ الأصبهاني بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة[٢] فرأوا من المسلمين غِرَّةً فجاء رجل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله. فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذٍ قَدَرَ، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا، غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى سبيله، فجاء الرجلُ أصحابَه فقال لهم: جئتكم من عند خير الناس».

– أخرج الواقدي بسنده عن شرحبيل العبدري قال: كان النضر بن الحارث من أعلم الناس، وكان يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ومَنَّ علينا بمحمد ﷺ، ولم نَمُتْ على ما مات عليه الآباء، لقد كنت أوضع مع قريش في كل وجهة، حتى كان عام الفتح وخرج –أي الرسول ﷺ– إلى حنين، فخرجنا معه، ونحن نريد إن كانت دَبْرة على محمد أن نعين عليه، فلم يمكنا ذلك.

فلما صار بالجعرانة، فوالله إني لعلى ما أنا عليه[٣] إنْ شعرتُ إلا برسول الله ﷺ تلقاني

---

(١) أي بدر مني شيء سمعه رسول الله في توعدي، مع أنه قد عفا عنهم.

(٢) محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، وهذه الغزوة تسمى غزوة محارب خصفة، أو غزوة ذات الرقاع، وسميت ذات الرقاع لأن المسلمين لم يكن لديهم من الدواب ما يكفي فنقبت أقدامهم، فكانوا يلفون على أقدامهم الرقاع الخِرَق.

(٣) والذي كان عليه هو إضمار الشر للإسلام.

بفرحة، فقال: «النُضَيْر».

قلت: لبيك.

قال: «هذا خير مما أردتَ يوم حنين»(١).

قال: فأقبلتُ إليه سريعًا.

فقال: «قد آن لك أن تبصر ما أنتَ فيه».

فقلتُ: قد أرى.

فقال: اللهم زده ثباتًا.

قال النضر: فوالذى بعثه بالحق لكان قلبى حجرًا ثباتًا فى الدين ونُصرة فى الحق، ثم رجعت إلى منزلى فلم أشعر إلاَّ برجل من بنى الدُؤَل يقول: يا أبا الحارث، قد أمر لك رسول الله ﷺ بمائة بعير، فاجزْ لى منها فإن علىّ دينا، قال: فأردت ألا آخذها وقلت: ما هذا منه إلاَّ تألُف، ما أريد أن أرتشى على الإسلام، ثم قلت: والله ما طلبتها ولا سألتها، فقبضتها وأعطيت الدؤلى منها عشرًا».

ورواه ابن حجر فى كتابه: «الإصابة فى تمييز الصحابة» الجزء الثالث ص ٥٥٨ ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م.

٣ - عدله ﷺ:

- أخرج البخارى بسنده عن عروة أن امرأة سرقت فى عهد رسول الله ﷺ فى غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد رضى الله عنهما يستشفعونه.

قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ، وقال: أتكلمنى فى حد من حدود الله تعالى؟ فقال أسامة: استغفر لى يا رسول الله، فلما كان العَشِىّ قام رسول الله ﷺ خطيبًا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد: فإنما هلك الناس قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفسى بيده: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها».

ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسُنَتْ توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة رضى الله عنها: كانت تأتى بعد ذلك فارفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) أى خير من إضماره الشر وعونه العدو على الرسول ﷺ.

ورواه مسلم بسنده عن عائشة، وكذلك رواه الاربعة عنها رضى الله عنها.

– وأخرج ابن عساكر في تاريخه بسنده عن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمى رضى الله عنه، أنه كان عليه ليهودى أربعة دراهم، فاستعدى[1] عليه اليهودى، فقال: يا محمد، إن لى على هذا أربعة دراهم وقد غلبنى عليها.

فقال رسول الله ﷺ لعبد الله: «أعطه حقه» قال: والذى بعثك بالحق، ما أقدر عليها. قال: «أعطه حقه» قال: والذى نفسى بيده، ما أقدر عليها، قد أخبرته أنك تبعثنا إلى خيبر، فأرجو أن تُغْنمنا شيئًا فأرجع فأقضيه، قال: «أعطه حقه»، وكان رسول الله ﷺ إذا قال ثلاثًا لم يُراجَع.

فخرج ابن أبى حدرد إلى السوق وعلى رأسه عصابة وهو مُتَّزِر ببردة، فنزع العمامة عن رأسه فاتزر بها ونزع البردة فقال: اشتر منى هذه البردة، فباعها بأربعة دراهم.

فمرت عجوز فقالت: مالك ياصاحب رسول الله ﷺ؟ فأخبرها فقالت: هادونك هذا البرد لبرد عليها طرحته عليه».

وأخرجه الإمام أحمد

– وروى الطبرانى[2] بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ يتقاضاه دينا كان عليه، فاشتد عليه حتى قال: أُحَرِّج عليك إلا قضيتى، فانتهره أصحاب النبى ﷺ فقالوا: ويحك!! تدرى من تكلم؟ فقال: إنى أطلب حقى، فقال النبى ﷺ: هلا مع صاحب الحق كنتم؟

ثم أرسل إلى خولة بنت قيس، فقال لها: إن كان عندك تمر فاقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك، فقال: نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله، فاقرضته فقضى الأعرابى، وأطعمه[3].

فقال الأعرابى للنبى ﷺ: أوفيت، أوفى الله لك، فقال النبى ﷺ: أولئك خيار الناس، إنه لا قدست أمة لايأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع».

ورواه البزار من حديث عائشة.

---

(١) أى شتكاه لرسول الله ﷺ.

(٢) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير وفى الأرسط، ورواه أحمد بنحوه ورواه ابن ماجة.

(٣) أى زاده فوق حقه.

- وأخرج الطبراني عن خولة بنت قيس -امرأة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما- قالت: كانت على رسول الله ﷺ وسق تمر لرجل من بني ساعدة، فأتاه يقتضيه فأمر رسول الله ﷺ رجلا من الانصار ان يقضيه فقضاه تمرا دون تمره، فأبى أن يقبله فقال الانصاري للرجل: أترد على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ؟ فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بالدموع ثم قال: «صدق، ومن أحق بالعدل مني؟ لا قدّس الله أمة لايأخذ ضعيفها حقه من شديدها، ولايتعتعه» ثم قال: يا خولة: عِديه واقضيه فإنه ليس من غريم يخرج من عند غريمه راضيا إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار[1]، وليس من عبد يلوى غريمه وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إثما».

ورواه أحمد بنحوه عن عائشة رضي الله عنها.

٤ - سخاؤه ﷺ وكرمه:

- أخرج بن عساكر في تاريخه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ[2] صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يأيها الناس، إن الله قد اختار لكم الإسلام دينا، فأحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق. ألا إن السخاء شجرة من الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن كان منكم سخيا لايزال متعلقا بغصن منها حتى يورده الله الجنة. ألا إن للؤم شجرة في النار وأغصانها في الدنيا، فمن كان منكم لئيمًا لايزال متعلقا بغصن منها حتى يورده الله في النار. قال مرتين: السخاء في الله! السخاء في الله!».

- وروى الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه فقال: ما عندي ما أعطيك ولكن ابتع[3] عليَّ شيئا فإذا جاءني شيء قضيته» فقال عمر رضي الله عنه: يارسول الله قد أعطيته، فما كلفك الله ما لاتقدر عليه، فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال رجل من الانصار: يارسول الله أنفق ولاتخش من

---

(١) نون البحار: حيتانها.

(٢) أول خطبة خطبها في المدينة، فأول خطبة له في مكة معروفة يوم نزل عليه: فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين.

(٣) ابتع: أي اشتر على حسابي

ذى العرش إقلالا. فتبسم رسول الله ﷺ، وعرف التبسم فى وجهه لقول الانصارى، وقال: «بهذا أمرت».

وأخرجه البزار وابن جرير والخرائطى فى مكارم الاخلاق.

- وأخرج ابن جرير عن جابر رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى ﷺ، فسأله فأعطاه، ثم أتاه آخر فسأله فوعده، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يارسول الله، سئلت فاعطيت، ثم سُئلت فاعطيت، ثم سئلت فوعدت ثم سئلت فوعدت، فكان رسول الله ﷺ كرهها فقام عبدالله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فقال: أنفق يا رسول الله ولاتخش من ذى العرش إقلالا، فقال: «بذلك أمرت».

- وروى أحمد بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال عمر رضى الله عنه للناس: فَضَل عندنا من هذا المال[١]، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، قد شغلناك عن أهلك وضيعتك وتجارتك فهو لك. فقال: لى؟ ما تقول ياعلى؟ قلت: قد أشاروا عليك، فقال: قل[٢]. قلت: لِمَ تجعل يقينك ظنا؟ فقال: لتخرجن مما قلت[٣]. فقلت: أجل والله لاخرجن منه، أتذكر حين بعثك نبى الله ساعيا، فأتيت العباس بن عبد المطلب، فمنعك فكان بينكما شيء فقلت لى: انطلق معى إلى النبى ﷺ فلنخبره بالذى صنع.

فانطلقنا إلى النبى ﷺ فوجدناه خاثرا[٤] فرجعنا ثم غدونا عليه الغد فوجدناه طيب النفس، فأخبرته بالذى صنع العباسُ، فقال لك: «أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه» وذكرنا له الذى رأينا من خثوره فى اليوم الاول، والذى رأيناه من طيب نفسه فى اليوم الثانى، فقال: «إنكما أتيتمانى فى اليوم الاول وقد بقى عندى من الصدقة ديناران، فكان الذى رأيتما من خثورى لذلك، وأتيتما فى اليوم وقد وجهتهما فذلك الذى رأيتما من طيب نفسى».

فقال عمر رضى الله عنه: صدقت، أما والله لاشكرن لك الاولى[٥] والآخرة[٦].

---

(١) أى بقى منه شيء، فما ترون أن أفعل فيه؟

(٢) أى قل رأيك.

(٣) أى بيِّن دليل قولك.

(٤) أى غير نشيط.

(٥) الاولى: أى يوم ذهبت معى إلى النبى ﷺ.

(٦) والآخرة: أى نصيحتك لى فى إنفاق ما فضل من مال الصدقة.

- وروى البزار بسنده عن عبيد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال لى أبو ذرّ رضى الله عنه: يا ابن أخي: كنت مع رسول الله ﷺ آخذا بيده فقال لى: «يا أبا ذرّ، ما أحب أنّ لى أُحُدا ذهبا وفضة أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت أدع منه قيراطا» قلت: يارسول الله قنطارا؟ قال: «يا أبا ذر أذهب إلى الأقل وتذهب إلى الأكثر، أريد الآخرة وتريد الدنيا، قيراطا» فأعادها علىّ ثلاث مرات.

- وروى أحمد بسنده عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه جاء إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فأذن له -وبيد أبي ذر عصا- فقال عثمان: ياكعب [1] : إن عبد الرحمن مات وترك مالا فما ترى فيه؟.

فقال - أى كعب -: إن كان قضى فيه حق الله فلا بأس عليه، فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب كعبا وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويُتَقَبل منى أذر منه خلفى ستّ أواق» أنشدك الله يا عثمان سمعته ثلاث مرات -قال: نعم.

وفي رواية للبيهقي عن غزوان بن أبي حاتم مطولا، وفيه: فقال عثمان لكعب رضى الله عنهما: يا أبا إسحق: أرأيت المال إذا أدى زكاته هل يخشى على صاحبه فيه تبعة؟ قال: لا. فقام أبو ذرّ رضى الله عنه ومعه عصا فضرب بها بين أذنى كعب، ثم قال: يا ابن اليهودية أنت تزعم أن ليس حق فى ماله إذا أدى الزكاة، والله تعالى يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] والله تعالى يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] فجعل يذكر نحو هذا من القرآن.

وبعد..

فهذه هى التربية العملية للرسول ﷺ فى الأخلاق، والأخلاق -كما أوضحنا آنفًا- من الثوابت فى الإسلام أى لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الناس.

وإلى النقطة الرابعة فى هذا الموضوع وهى تربية الرسول ﷺ العملية فى الرعاية الاجتماعية، والله المستعان.

---

(١) هو كعب الأحبار وكان أصله يهوديا من حمير، وقد أسلم.

رابعا:

التربية النبوية العملية فى الرعاية الاجتماعية

الرعاية الاجتماعية وإن كانت مصطلحا لدى علم الاجتماع -وهو علم حديث نسبيا- إلا أن مفهومها وأهدافها من صميم ما جاء به دين الإسلام، ومن أبرز الأعمال التي مارسها الرسول ﷺ، وأوصى بها.

● بل إن الرعاية الاجتماعية بمفهومها الاجتماعى الذى سنوضحه بعد قليل، تحدثت عنها آيات القرآن الكريم فى مئات الآيات القرآنية التى أَمَنَتْ المجتمع إذ نهت عن الظلم والبخل والعدوان والغش والكذب، والرياء والخيانة والإسراف، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وطالبته بما يضمن استقامته ورعاية من يستحق الرعاية فيه، إذ أَمَرَتْ بالمودة والإخوة والبر والإحسان والتضامن والرفق والرحمة والأمانة والعفة، والعدل، والعفو والتواضع، وسلامة القلب، والصدق، والصبر...

● والأحاديث النبوية التى شرحت وفصلت وما طالبت به هذه الآيات أكثر من أن تحصى، لأنها تكاد تكون معظم السنة النبوية المطهرة.

● هذه الرعاية الاجتماعية يقصد بها -بلغة عصرنا- الخدمات التى تؤدى للفرد فى حالات معينة تقتضى أداء هذه الخدمات.

● وهذه الرعاية أنواع:

رعاية طبية وقائية أو علاجية.

ورعاية للأسرة برعاية الأمومة والطفولة.

ورعاية للمجتمع، برعاية الأحداث والشباب والمعوقين.

وكل هذه الأنواع من الرعاية أوجبها الإسلام على الحاكم المسلم وعلى كل من يلى أمرًا من أمور المسلمين، وعلى رب كل أسرة وعلى كل فرد فى المجتمع، كل أولئك يؤدون هذه الرعاية الاجتماعية لكل محتاج إليها تقربا إلى الله تعالى وطمعا فى ثوابه.

● وقد تكون الرعاية الاجتماعية بمعنى المناصرة والتعاون بين أفراد المجتمع، مناصرة وتعاونا

في مجال الاقتصاد والعمل، أو مجال الثقافة والعلم، أو مجال السياسة والتوعية بالحقوق والواجبات.

وبهذا المعنى للرعاية الاجتماعية جاء الإسلام فيها بما لم يأت به دين سابق فضلا عن نظام يتواضع عليه البشر.

– فقد حرص المنهج الإسلامى على أن لايدع فى المجتمع كله أحدا فى حاجة إلى رعاية اجتماعية إلا أوجب على المسلمين حكاما وغير حكام أن يمدُّوا يد العون والرعاية له، صغيرا كان هذا المحتاج أو كبيرا، رجلا أو امرأة، طفلا أو شيخا، أو خادما أو أجيرا، وذلك أن المجتمع الإنسانى يتكون من هذه الشرائح، وكلها صاحبة حق فى الرعاية الاجتماعية، بمعناها الواسع وكل عليه من الواجبات ما لابد أن يقوم به فى حدود طاقته.

● وأوسع باب دخلت منه الرعاية الاجتماعية هو آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبى ﷺ، ومن ذلك ما نذكره فيما يلى:

١– قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

٢–وقوله جل شأنه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[المائدة: ٢].

٣– وقال عز من قائل: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

٤– وقال جل وعلا: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

[المعارج ٢٤–٢٥].

٥– وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٢– ١٧]

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

٧- وقال جل شانه: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

● وأما الأحاديث النبوية في مجال الرعاية الاجتماعية فكثيرة نذكر منها الآن طرفا، وسوف نذكر طرفا آخر فيما بعد. ومن ذلك:

١- ما روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

٢- وروى مسلم بسنده عن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن امير يلى أمور المسلمين ثم لايجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة».

٣- وروى البخاري بسنده عن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

٤- وروى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومَنْ وَلِي مِنْ أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به».

٥- وروى أبو داود بسنده عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه أنه قال لمعاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ وَلاَّه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة».

٦- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنى إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى، وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون» قالوا: يارسول الله فما تأمرنا؟ قال: «أوفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذى لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

٧- وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار[1] رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال».

● وإنما تتحقق الرعاية الاجتماعية فى المجتمع بغرس روح المحبة والأخوة فى الله بين الناس، وبحضهم على التعاون على البر والتقوى وقضاء حوائج المحتاجين، ودفع الشر والضرر عن الناس، ونصر المظلوم وإغاثة الملهوف، وإلزام المسلمين بسائر القيم الخلقية التى أمر الله بها واجتنابهم ما نهى الله عنه.

- للرعاية الاجتماعية فى الإسلام جانبان:

أ- جانب جلب المنافع للناس.

ب- وجانب دفع المضارّ عنهم.

وكلا الجانبين واجب على كل مسلم قادر عليه، طلبت منه هذه الرعاية أو لم تطلب، مادام ذلك واجبه، حتى إن جلب المنفعة للناس ودفع الضرر عنهم يدخل فيه كل من يعيشون فى كنف دولة الإسلام من أهل الكتاب يهودا أو نصارى.

- ويدخل فى الرعاية الاجتماعية كل أمر بمعروف لأنه يدفع الناس إلى فعل الخير، وكلما زاد فعل الخير فى المجتمع كلما عَمَّتْ الرعاية الاجتماعية واتسع مداها.

- ويدخل فيها النهى عن المنكر، لأن النهى عن الشر، يعصم الناس والمجتمع من الشرور والآثام واتباع خطوات الشيطان، وفى ذلك رعاية وأى رعاية لكل من تحدثه نفسه بالشر، ولكل من يغلبه شيطانه فيزين له الباطل والشر.

---

(١) هو عياض بن حمار بن أبى حمار بن ناجية التميمى المجاشعى، روى له مسلم وأبو داود والترمذى وروى عنه مطرف بن عبد الله وأخوه يزيد والعلاء بن زياد وغيرهم. قال ابن حجر فى الإصابة: وأبوه على اسم الحيوان المشهور وقد صحفه بعض المتنطعين من الفقهاء لظنه أن أحدا لايسمى بذلك.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الواجبات الإسلامية التى أوجبتها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية، وأعمال الرسول ﷺ الثابتة فى سيرته العطرة.

● غير أن الرعاية الاجتماعية بشقيها: جلب المنافع ودفع المضارّ، تكون أوجب ما تكون عندما يكون هناك من هو بحاجة إليها، أو من يطلبها، فضلا عمن لاتقوم حياتهم الإنسانية إلا بها، وهؤلاء غالبا ما يكونون ضعافا أو أهل حاجة، من:

اليتامى والأرامل، والفقراء والمساكين والغارمين والمنقطعين عن أهلهم ومالهم وذويهم -أبناء السبيل والمغتربين وأمثالهم- وأسرى الحرب وكل مظلوم.

وإنما وجبت رعاية هؤلاء لأن الدين الإسلامى دين تكافل وتراحم بين الناس، لأن المجتمع المسلم كالجسد الواحد غنيه وفقيره، وقويه وضعيفه، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ومن مقتضى التكافل أن يحمل منهم القوى من كان ذا ضعف، وأن يعطى منهم من كان عنده فضل من مال أو طعام أو ملبس أو نحو، يعطى من لافضل عنده، فضلا عن أن يكون من أهل الحاجة والسؤال.

● هذه الرعاية أمرت بها آيات القرآن الكريم وكلمات السنة النبوية المطهرة، ومارسها الرسول ﷺ عمليا، وأمر المسلمين بممارستها، على نحو ما سنبين فى الصفحات التالية:

١ - فى البر بالناس عموما وقضاء حوائجهم:

- قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال عز وجل: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

- وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض الدنيا».

- وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامَى الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأُنحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لايؤذيهم فادخل الجنة».

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مَنْ نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه..».

– وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له» فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لاحَقَّ لاحد منا فى فضل(1)».

– وروى البخارى بسنده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم».

– وروى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الثمانية».

٢– وفى بر اليتيم والأرملة ورعايتهما:

اليتيم أضعف إنسان فى المجتمع لانه قد انقطع من ابيه قبل بلوغه،وقبل ان يستغنى عن ابيه وسنده فى الحياة، لذلك أوصى به رسول الله ﷺ ووعد كافله بأن يكون معه ﷺ فى الجنة متلازمين تلازم الإصبعين السبابة والوسطى، وفى الوقت نفسه توعد الذى يسىء معاملة اليتيم.

– قال الله تبارك وتعالى يعلم رسوله ﷺ ويذكره بنعمه عليه ويطالبه برعاية اليتيم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٦– ١١].

(١) الفضل هو: الفاضل عن الحاجة.

بل جعل الله تعالى للمكذب بيوم الدين الجاحد للحق صفات أولها أنه يهين اليتيم ويرده بعنف وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

– وروى البخارى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما».

● والأرملة: هى المرأة التى مات عنها زوجها، وهى ضعيفة لفقد الزوج وتكون أشد ضعفا لو كانت فقيرة، لذلك كانت رعايتها بل السعى عليها من أقرب القربات إلى الله تعالى، فهى تحت مظلة التكافل الذى أوجبه الله على المسلمين فيما بينهم.

– روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو كالذى يقوم الليل ويصوم النهار».

– وروى النسائى بسنده عن أبى شريح خويلد بن عمرو الخزاعى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «اللهم إنى أُحرِّج[1] حق الضعيفين اليتيم والمرأة».

وكانت المرأة قبل الإسلام توأد عند بعض القبائل ولا ترث، بل تورث، ولهذا جاء الإسلام بإنصافها[2].

● وفى تحريم أكل مال اليتيم:

– قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

– وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

– وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»[3] قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

---

(١) أحرِّج: أى ألحق الحرج، والحرج: الإثم: بمن ضيع حق المرأة واليتيم وأزجره.

(٢) انظر لنا: المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله.

(٣) الموبقات: المهلكات.

٣ - وفي رعاية المساكين والفقراء والخدم :

والمسكين من لا يجد قوت يومه ولكنه يتعفف أن يسأل الناس، ولقد أوصى الرسول ﷺ به وبأمثاله، ووصفه أدق وصف في حديثه الشريف.

● ففي الفقراء والمساكين، وردت الأحاديث التالية :

- روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس المسكين الذين يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفْطَنُ إليه فيُتَصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

- وروى أحمد بسنده عن جرير رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مُضَر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقة، قال : فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..﴾ إلى آخر الآية ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾، وقرأ الآية التي في الحشر : ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمرة، حتى قال : ولو بشق تمرة، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه يعني كأنه مذهبة، فقال رسول الله : من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر ما عمل بها بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم شيء».

- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : والله الذي لا إله إلا هو إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع.

ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فَمَرَّ بي النبي ﷺ فتبسَّم حين رآني وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال : «أبا هر» قلت : لبيك يا رسول الله قال : «الحق» ومضى فاتبعته، فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال : «من أين هذا اللبن»؟ قالوا : أهداه لك فلان، أو فلانة قال : «أبا هِرّ» قلت : لبيك يا رسول الله، قال : «الْحَقْ إلى أهل الصفة فادعهم لي» قال أبو هريرة : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا،

وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنتُ أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا وأمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدّ. فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال: «أبا هرّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم» فأخذت القدح فجعلتُ أعطيه الرجل فيشرب حتى يَروى، ثم يرد عليّ القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يردّ عليّ القدح، حي انتهيتُ إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسّم فقال: «أبا هرّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت فقال: «اشرب» فشربت، فمازال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا.

قال: «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسَمَّى وشرب الفضلة».

وفي الخدم سواء أكانوا مماليك أي عبيدا أو أحراراً يقومون بخدمة غيرهم في مقابل، فقد أوصى النبي ﷺ بهم ونهى عن إيذائهم ولو بكلمة يعيره بها فضلا عن كلمة شتيمة أو نحوها، في هؤلاء وردت الأحاديث النبوية التالية:

– روى مسلم بسنده عن المعرور بن سويد رحمه الله(١) قال: مررنا على أبي ذر بالربذة(٢) وعليه بُرْد، وعلى غلامه مثلُه، فقلنا: يا أبا ذرّ: لو جمعت بينهما كانت حُلة، فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني – يقصد خدمي من المماليك –كلام، وكانت أمّهُ أعجمية فعيَّرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ فلقيتُ النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذرّ إنك امرؤ فيك جاهلية» –أي خُلق من أخلاق الجاهلية– قلت: يا رسول الله: مَنْ سَبَّ الرجال سبوا أباه وأمه، قال: «يا أباذرّ إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

---

(١) معرو بن سويد الأسدي تابعي من أهل الكوفة، كان من أصحاب عمر رضي الله عنه، عاش مائة وعشرين سنة وهو من جلة علماء الكوفة.

(٢) قرية على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة المنورة في الطريق إلى الحجاز بها قبر أبي ذرّ رضي الله عنه.

وإن التأمل والتدبر لقوله ﷺ : «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم..» ليدل على كثير من الرعاية الاجتماعية التي أوجبها الإسلام على المسلم في تعامله مع خادمه إذا كان عبداً له، فما بالك بتعامله معه وهو حر مثله؟(١).

– وروي أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا جاء خادم أحدكم بطعامه فليبدأ به فليطعمه أو ليجلسه معه فإنه ولَيَ حرَّه ودخانه».

– وروى أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أصلح خادمُ أحدكم له طعامه فكفاه حرَّه وبرْده ، فليجلسه معه، فإن أبى فليناوله أكله في يده».

– وروى أحمد بسنده عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمتَ ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمتَ زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمتَ خادمك فهو لك صدقة».

● وما أكثر الأحاديث النبوية الشريفة والمواقف النبوية الكريمة التي جاءت في دفع الحاجة عن المحتاج، وفي نصرة المظلوم!!

وبعد: فإلى الحديث عن تعليم النبي ﷺ الناس عمل الدعوة إلى الله والحركة بدينه في الناس والآفاق، والله تعالى المستعان.

---

(١) سنتناول هذه القضية وأمثالها في حلقة التربية الاجتماعية من هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» إذا أذن الله وأعان.

ب – تعليم النبى ﷺ المسلمين أعمال الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق تعليما عمليا

كانت حياة الرسول ﷺ كلها، اقوالا واعمالا، تعليماً للمسلمين فى كل مجال من مجالات حياتهم، وبخاصة فى مجال دعوة الناس إلى الله إلى هذا الدين وحركتهم بهذا الدين فى الناس والآفاق.

عَلَّمهم ذلك منذ أن دخلوا فى هذا الدين، وتعلموه منه حق التعلم، وكان من أسرعهم إلى فهم هذا الدرس هو الصديق أبو بكر رضى الله عنه.

- فانطلق أبو بكر رضى الله عنه يدعو إلى هذا الدين بتجرد وإخلاص، وساعده على ذلك أنه كان مألفا يحب الناس ويحبه الناس، فاستجاب لدعوة أبى بكر رضى الله عنه عدد من كبار الصحابة بل ممن بشروا بالجنة فيما بعد وهم:

– عثمان بن عفان رضى الله عنه الأموى.

– والزبير بن العوام رضى الله عنه الأسدى.

– وعبدالرحمن بن عوف الزهرى رضى الله عنه.

– وسعد بن أبى وقاص الزهرى رضى الله عنه.

– وطلحة بن عبيد الله التَّيْمىّ رضى الله عنه.

ولم يسبق أبا بكر رضى الله عنه أحد من الصحابة فى الدعوة إلى هذا الدين.

- وعلَّمهم رسول الله ﷺ كيف يستمرون على الدعوة إلى الله مهما كثرت من حولهم العقبات، وضرب لهم المثل من نفسه، يوم ذهب وفد من قريش إلى أبى طالب عم النبى ﷺ، فقالوا: يا أبا طالب: إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلَّل آباءنا، فإما أن تكفه عنَّا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردَّهم ردًّا جميلا فانصرفوا عنه، مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه.

- لم يتوقف رسول الله ﷺ عن الدعوة حتى عندما اشتط المشركون فى تحديه وإيذائه، واتخذوا معه أساليب عديدة كلها سيئ وكريه، ومن أمثلة ذلك:

– الاستهزاء به وبما يدعو إليه وتحقير شأنه واتهامه بتهم شنيعة كالجنون والسحر والكذب، وسخروا منه وممن آمن معه، وقد حكى القرآن كل هذه المواقف، ومن ذلك الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٣].

– وصرف الناس وبخاصة الحجيج عن الاستماع إلى النبى، حيث جلسوا للحجيج بكل سبيل يحذورنهم من النبى ﷺ ومما جاء به، مع تخذيل من أسلم لكى يرجع عن الإسلام، فكانوا يتهمون القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين اكتتبها محمد عن غيرهم ثم زعم أنه من عند الله.

– ثم ساوموه على السكوت عن الدعوة وهددوا أبا طالب، فجاءه سادة قريش قائلين له: يا أبا طالب إن لك سنًا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا.. حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

وكان ردُّ الرسول ﷺ على عمه حين أبلغه ما قالته سادة قريش: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

– وكتبوا ضد النبى ﷺ ومن آمن معه، بل وعشيرته كلها وثيقة الظلم والتحدى والمقاطعة وعلقوها فى الكعبة، وحاصروا النبى والمؤمنين وبنى هاشم وبنى عبد مناف، مسلميهم وكفارهم فى شعب بنى هاشم أو شعب أبى طالب ثلاث سنين حتى عرضوهم لمزيد من العنت والإرهاق.

● كل ذلك ورسول الله ﷺ ماض فى الدعوة لا يصرفه عنها صارف، والمسلمون يرون ويسمعون ويتعلمون.

● ولما ضاقت على الرسول ﷺ مكة ومشركوها، اتجه إلى خارج مكة يدعو إلى الله لا يدخر جهدا ولا طاقة فى سبيل نشر دين الله فى عباد الله، فكان أن خرج بالدعوة من مكة فى مجالات عديدة منها:

– خروجه إلى الطائف فى شهر شوال من سنة عشر من النبوة، والطائف تبعد عن مكة قرابة

ستين ميلا ومعه مولاه زيد بن حارثة، ودعا كل قبيلة مرّ بها فى الطريق فلم يستجب له أحد، فاتجه إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، فردوه ولم يقبلوا ما دعاهم إليه.

– وعرض نفسه ودعوته على القبائل والأفراد خارج مكة، وكان ذلك فى ذى القعدة من سنة عشر من النبوة، وما قبلها، ومن هؤلاء:

بنو عامر بن صعصعة، وبنو محارب بن خصفة، وبنو فزارة، وبنو غسَّان، وبنو مُرَّة، وبنو حنيفة، وبنو سُلَيْم، وبنو عَبْس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وبنو كلب، وبنو عذرة، والحضارمة وكندة، فلم يستجب منهم أحد.

ومن الأفراد: سويد بن الصامت، وإياس بن معاذ، وطفيل بن عمرو الدوسى، وغيرهم.

– وفى موسم الحج سنة إحدى عشرة من النبوة، خرج ومعه أبو بكر وعلى رضى الله عنهما ليلا، إلى قبائل ذهل وشيبان، وكانوا فى منازل حجهم، ولكنهم لم يقبلوا وإن ردُّوا رداً لا غلظة فيه.

– ثم مرَّ بعقبة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فاتجه إليهم وكانوا ستَّة من شباب يثرب كلهم من الخزرج، فأجابوه ووعدوه بأن يعرضوا الإسلام على قومهم إذا رجعوا، وقد فعلوا، حتى لم تعد دار بيثرب إلا فيها ذكر الرسول ﷺ.

– وفى موسم الحج من سنة اثنتى عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الأولى، حضر إليه اثنا عشر رجلا، عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، فبايعوه ﷺ.

– وفى موسم الحج من السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية وحضرها من الأوس والخزرج اثنان وسبعون رجلا وامرأتان، وقد بايعوا رسول الله ﷺ وكان لهم اثنا عشر نقيبا تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس.

● ومن كل ذلك تعلَّم المسلمون كيف يكون العمل فى مجال الدعوة إلى الله.

أولا :

بعث الصحابة رضوان الله عليهم لتعليم الناس الدين في ديارهم

الدعوة إلى الله ونشر خاتم أديانه في الناس عمل دائب دائم، لا ينبغي أن يتوقف إلى أن تقوم الساعة، وقد حرص الرسول ﷺ على أن يربى أصحابه على هذا الفقه لتلك الدعوة، ورأوا من سيرته ما يؤكد ذلك ويقوى الإحساس به.

- وقد علَّم الرسول ﷺ أصحابه أن يمارسوا الدعوة إلى الله بأنفسهم، فاستجابوا، وكان أول المستجيبين أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد بَكَّر بدعوة خمسة ممن بُشِّروا بالجنة بعد ذلك.

- بل علم الرسول ﷺ أصحابه أن يمارسوا الدعوة إلى الله، وهم بعيدون عن البلد التى يقيم فيها رسول الله ﷺ فكان ﷺ، يبعث بعض أصحابه لينشروا دعوة الله ودينه بين الناس.

● وكان هؤلاء المبعوثون لتعليم الناس أمور دينهم من خيرة الصحابة رضى الله عنهم، وسنذكر من سيَر بعضهم ما نؤكد به استمرار الدعوة إلى الله على كل حال وفى كل حين وفى كل مكان، إنه ﷺ كان منذ هذا الزمن الباكر من تاريخ الإسلام يشير إلى أن عمل الدعوة إلى الله، لا يحده مكان ولا يحده زمان ولا يجوز أن يتوقف بحال.

ومن هؤلاء المبعوثين لنشر دين الله :

أ - مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي العبدرى[1] وكان رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام، حيث أسلم مبكرا فى مكة، وكتم إسلامه حيناً، فلما علم قومه بإسلامه أوثقوه وحبسوه، فهرب وهاجر مع من هاجر إلى الحبشة.

وكان مصعب رضى الله عنه فتى قريش شبابا وجمالا ونعمة، ولما أسلم زَهِدَ فى هذا التنعم.

- وكان مصعب رضى الله عنه يلقب «مصعب الخير» وفيه وفى عدد من الصحابة كطلحة ابن عبيد الله وأنس بن النضر رضى الله عنهم نزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) العبدرى: المنسوب إلى بنى عبدالدار.

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

- ثم رجع مصعب رضى الله عنه من الحبشة، وهاجر إلى المدينة فكان أول من جمَّع الجمعة فيها قبل مجئ الرسول ﷺ.

- وقد أرسله رسول الله ﷺ إلى المدينة مع من بايعوه بيعة العقبة الأولى، وكانوا اثنى عشر رجلا - كما أوضحنا ذلك من قبل - أرسله ليعلم المسلمين أمور دينهم ويفقههم فيه ويقرئهم القرآن الكريم، حتى عرف بينهم بالمقرئ.

- وقد دخل على يديه الإسلام من أهل المدينة عدد من كبار الصحابة - فيما بعد - مثل: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضى الله عنهما. وكان مصعب رضى الله عنه داعية ذا حكمة وأناة، وله فى الدعوة قصص يهتدى بها الدعاة فى كل عصر.

● ومن قصصه فى الدعوة إلى الله:

- نزل مصعب فى المدينة على أسعد بن زرارة، فخرج به أسعد يوما يريد بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، فدخلا فى حائط بنى ظفر، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مرق. واجتمع إليهما رجال من المسلمين - وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما من بنى عبدالأشهل يومذاك على الشرك - فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتى، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

وأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. وجاء أُسَيْد فوقف عليهما متشتما، وقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب رضى الله عنه: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟

فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب رضى الله عنه بالإسلام، وتلا عليه القرآن، قال: فوالله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم فى إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله!!! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟

قالا له: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق[1] ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبه، وتشهد وصلى ركعتين. ثم قال: إن ورائي رجلا إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن - يقصد سعد بن معاذ -

ثم أخذ أسيد حربته وانصرف إلى سعد بن معاذ في قومه، وهم جلوس في ناديهم، فقال سعد: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به عنكم.

فلما وقف أُسيد على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت.

ثم أراد أسيد أن يحتال على صديقه ليذهب إلى مصعب وأسعد بن زرارة رضى الله عنهما، فقال لسعد: إن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك - ليخفروك، فقام سعد مغضبا للذى ذكر له، فأخذ حربته وخرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين[2] عرف أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منى، تغشانا فى دارنا بما نكره.

وقد كان أسعد قد قال لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد، فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فى إشراقه وتهلله، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالا: تغتسل، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين، ففعل ذلك، ثم أخذ حربته، فأقبل إلى نادى قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذى ذهب به.

فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبدالأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة إلا رجل واحد هو الأصيرم - تأخر

---

(١) أى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

(٢) أى لا أثر عليهما من انزعاج لخروج بنى حارثة إليهما - لأن هذه القصة من احتيال أسيد على سعد ليحضر إلى مصعب وأسعد بن زرارة.

إسلامه إلى يوم أحد، حيث أسلم فى ذلك اليوم وقاتل وقُتل، ولم يسجد لله سجدة، فقال النبى ﷺ: «عمل قليلا وأُجر كثيرا».

● وأقام مصعب فى بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، كان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر - وكانوا يطيعونه - فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة.

وقبل حلول موسم الحج فى السنة الثالثة عشرة من النبوة، عاد مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى مكة يحمل إلى الرسول ﷺ بشائر نجاحه فى الدعوة إلى الله ونشر دين الإسلام فى الناس.

● ثم هاجر مصعب رضى الله عنه إلى المدينة، وشهد بدرا وحمل اللواء فى أُحُد، وأبلى بلاء حسنا، واستشهد فى هذه المعركة، وكانت وفاته سنة ثلاث من الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

ب - طُفَيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه:

هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسى الأزدى، صحابى من الأشراف - فى الجاهلية والإسلام - كان شاعرا، غنيا كثير الضيافة، مطاعا فى قومه، واستشهد فى اليمامة.

● وكان الطفيل قد قدم مكة فى السنة الحادية عشرة من النبوة فمشى إليه رجال من قريش يحذرونه من الاستماع إلى النبى ﷺ، فقالوا له: يا طفيل: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرق جماعتنا، وإنما قوله كالسِّحْر.. وإننا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت على ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت أذنى كُرْسُفا(١).

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة، قال: فقمت قريبا منه، فأبى الله إلا ان يسمعنى بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا، فقلت فى نفسى: واثكل أمى، إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىّ الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أسمع من هذا الرجل ما يقول.. فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل

---

(١) الكرسف: القطن.

بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا... ثم أبى الله إلا أيسمعنيه فسمعته، فاعرض علىّ أمرك، فعرض علىّ الإسلام وتلا علىّ القرآن، فوالله: ما سمعت قولا قط أحسن، ولا أمرا أعدل منه. فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبى الله إنى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع الله لى أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال النبى ﷺ: «اللهم اجعل له آية».

فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بِثَنِيَّة[1] وقع نور بين عينىَّ مثل المصباح، فقلت: اللهم فى غَير وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة[2]. فتحول فوقع فى رأس سوطى، فجعل الناس يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق، وأنا هابط إليهم من الثنية حتى جئتهم، فلما نزلت أتانى أبى - وكان شيخا كبيرا - فقلت إليك عنى يا أبت فلستَ منى ولست منك، قال: ولِمَ؟ قلتُ: أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ﷺ. قال أبى: دينى دينك، فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسلم. ثم عرضت الإسلام على صاحبتى فأسلمت، ودعوت دوْسا إلى الإسلام فابطأوا علىَّ.

ثم جئت النبى ﷺ بمكة فقلت: يا نبى الله. إنه قد غلبنى دوس فادع الله عليهم، فقال ﷺ: «اللهم اهدِ دَوْسًا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم» فرجعتُ فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقضى بدرا وأُحدا والخندق.

ثم قدمتُ على رسول الله ﷺ بمن أسلم معى من قومى، ورسول الله ﷺ بخيبر حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس».

ذكر هذا ابن إسحق رحمه الله

جـ - عمير بن وهب رضى الله عنه:

هو عمير بن وهب بن خلف الجمحى أبو أمية، صحابى من الشجعان أبطأ فى قبول الإسلام وشهد وقعة بدر مع المشركين وأُسِرَ ابنه وهب، فرجع إلى مكة وجلس مع صفوان بن أمية فى الحجر[3]، وكان عمير ممن يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه، فتذاكر هو وصفوان

---

(1) الثنية: الفرجة بين الجبلين.
(2) المثلة: العقوبة.
(3) الحجر: مكان فى الكعبة.

قتلى بدر، فقال عمير لصفوان: والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله. فاغتنمها صفوان فرصة فقال له: دينك عليّ أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا.. فقال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك، قال: سأفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة.. ثم دخل على رسول الله ﷺ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا نبي الله: هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال: «فادخله عليّ» فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّبه[1] بها وقال لمن كان معهم من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل على رسول الله ﷺ فلما رآه وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله ياعمر، ادن ياعمير» فدنا.. فقال له الرسول ﷺ: ما جابك يا عمير؟ قال: جئتُ لهذا الأسير.. قال: «فما بال السيف في عنقك»؟ قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا!!!

قال: «اصدقني ما الذي جئتَ له»؟ قال: ما جئتُ إلا لذلك.

قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر.. وقلت كذا وقال لك كذا للذي دار بينهما. فقال عمير: أشهد أنك رسول الله.. هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني أعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: «فقهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره» ففعلوا.

ثم قال عمير: يا رسول الله إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كانت أوذي أصحابك في دينهم.

فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة.. فلما قدم عمير رضي الله عنه مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديدا..

فأسلم على يديه ناس كثير.

ثم وقف عمير على صفوان بن أمية وهو في الحجر، وناداه فأعرض عنه، فقال له عمير:

---

(١) لبَّبه: أخذ بتلابيبه.

أنت سيد من سادتنا، أرأيت الذى كنا عليه من عبادة حجر وذبْح له؟ أهذا دين؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فلم يجبه صفوان بكلمة.

ثم أسلم صفوان بن أمية بعد فتح مكة وأخذ عمير الأمان له من رسول الله ﷺ.

د - وكذلك بعث البعوث التالية:

- بَعَث خالد بن الوليد داعياً لا مقاتلا إلى بنى جذيمة فى شهر شوال من سنة ٨ هـ.
- وبعث عبدالله بن عَوْسجة داعيا إلى بنى حارثة بن عمرو فى شهر صفر من سنة ٩هـ.
- وبعث أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعيين قبل حجة الوداع سنة ١٠هـ.
- وبعث خالد بن الوليد داعيا إلى بنى عبدالمدان فى ربيع الآخر من سنة ١٠هـ.
- وبعث خالد بن الوليد داعيا إلى همدان باليمن فلم يؤمنوا سنة ١٠هـ.
- وبعث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى همدان فآمنوا فى سنة ١٠هـ.
- وبعث على بن أبى طالب رضى الله عنه داعياً إلى مذحج فى اليمن فلم يؤمنوا فقاتلهم وهزمهم.
- وبعث أبا أمامة صُدىّ بن عجلان إلى باهلة داعيا فى سنة ١٠هـ.

ثانيا:

دعوته ﷺ الملوك والأمراء إلى الإسلام وكتبه إليهم

علّم رسول الله ﷺ المسلمين بعمله وممارساته أن الدعوة إلى الإسلام والحركة به، ما ينبغي أن يحدها زمان ولا يقيدها مكان، أو تتوقف عند أقوام بعينهم لاختلاف لغاتهم أو ثقافاتهم عن لغة مَنْ أنزل عليهم القرآن الكريم وثقافتهم، لأن الإسلام هو وحده الدِّين الخاتم الذى أتمه الله تعالى وأكمله، وجعله للعالمين.

● وكان عمل رسول الله ﷺ مشيرا إلى ذلك وآمرا به، ومؤكدا أن دعوة الإسلام يجب أن تبلغ إلى كل الناس فى كل الأزمان والأمكنة.

- والامتداد الطبيعى للدعوة أن يصل صوتها إلى كل الأرجاء وأن يبلغ أبعد الأمداء، إذ الدعوة إلى الإسلام نقل للناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلم الظالمين إلى عدل الله رب العالمين.

- والامتداد الطبيعى للحركة بالإسلام أن يتفرغ لها رجال قادرون ذوو كفاءات ورغبة فى التضحيات بكل ما يُضَحَّى به من الجهد والوقت والمال والأهل والولد والنفس فى سبيل هذا الدين وتأمين الطريق والطريقة إلى وصوله إلى الناس والآفاق.

- إن الدعوة إلى الإسلام والحركة به فى الناس والآفاق تتطلب رجالا ممن قال الله تعالى فيهم يمتدحهم ويثنى على أعمالهم: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

● وبعد أن دعا رسول الله ﷺ ومعه صحبه رضى الله عنهم معظم أهل الجزيرة العربية، وجه الاهتمام إلى الخروج بالدعوة والحركة إلى خارج الجزيرة العربية، تجاوبا وانسجاما مع طبيعة الإسلام الدين العام الخاتم الموجه إلى الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، إلى كل الناس على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعلى لسان الذين أورثوا العلم من بعده وهم الدعاة إلى الله والمتحركون بهذا الدين فى الناس والآفاق.

- فأخذ رسول الله ﷺ يوسع دائرة الدعوة والحركة بأن يبعث إلى الملوك والرؤساء والأمراء والكبراء يدعوهم إلى الإسلام، عن طريق صفوة من رجال الحركة بالإسلام، يحملون إلى

العالم كله كتب رسول الله ﷺ التى تتضمن كلماته التى لا ينطق فيها عن الهوى، ولا يرغب بها إلا فى إرضاء الله تعالى الذى أمره بالتبليغ وأرسله رحمة للعالمين.

- وقد اختار رسول الله ﷺ رجاله ووجههم بهذه الكتب إلى كل من استطاع أن يصل إليهم من الملوك والأمراء.

ومن هؤلاء ومن كتبه إليهم:

أ- كتابه ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة:

وقد حمل إليه كتاب رسول الله ﷺ الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى - رضى الله عنه.

وقد بعث إليه بهذا الكتاب فى آخر سنة ست من الهجرة أو فى شهر المحرم من سنة سبع.

وبعد طول تأمل فى كتب النبى ﷺ إلى النجاشى أستطيع القول بأنها كتب ثلاثة:

الأول منها: كتاب أرسله مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه عندما هاجر مع جمع من المسلمين إلى الحبشة، وقد رواه الطبري وفى آخره: «وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فاقرهم ودع التَّجبر».

والثانى: ما رواه البيهقى فى الدلائل عن ابن إسحق، ونصه: «من محمد النبى إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فإنى أنا رسوله فأسلم تسلم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٦٤] فإن أبيت فإن عليكم إثم النصارى من قومك».

والثالث: أورده الدكتور محمد حميد الله فى كتابه «الوثائق السياسية فى العهد النبوى».. ونصه: «من محمد رسول الله إلى النجاشى عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده

لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى، وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلَّغتُ ونصحتُ، فاقبل نصيحتى، والسلام على من اتبع الهدى».

وربما كان هذا الكتاب الأخير للنجاشى الذى جاء بعد أصحمة - وقد ردّ النجاشى أصحمة على خطاب النبى ﷺ بكتاب جاء فيه : كما ذكره ابن القيم :

«إلى محمد رسول الله من النجاشى أصحمة، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد : فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروتا، إنه كما قلت . وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين».

- وكان النبى ﷺ قد طلب من النجاشى أن يرسل جعفرا ومن معه من مهاجرى الحبشة، فأرسلهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية الضمرى، فقدم بهم على النبى ﷺ وهو بخيبر.

وتوفى النجاشى أصحمة فى رجب من سنة تسع من الهجرة بعد تبوك، ونعاه النبى ﷺ يوم وفاته، وصلى عليه صلاة الغائب، ولما مات وتخلَّف على عرشه ملك آخر كتب النبى ﷺ كتاباً آخر، ولا يدرى عن هذا الآخر هل أسلم أم لا(١).

ب - كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك مصر :

وقد حمل كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه.

ونص الكتاب هو :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس(٢) عظيم القبط.
سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط. ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ٦٤]

---

(١) يفهم هذا مما رواه مسلم عن أنس.
(٢) تذكر بعض الروايات أن اسمه : جريج بن مَتَّى ، وبعضها يذكر أن اسمه «بنيامين».

● وقد دار حوار بين حاطب مبعوث رسول الله ﷺ والمقوقس ، جاء فيه :

– قال حاطب رضي الله عنه للمقوقس : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر غيرك بك .

– فقال المقوقس : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه .

– فقال حاطب : ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به اللهُ فَقْدَ ما سواه ، إن هذا النبي دعا الناس ، فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، فكل نبي أدرك قوما فهم أمته ، فالحقُّ عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به .

– فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدتُ معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى ، وسأنظر .

ثم أخذ المقوقس كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج ، وختم عليه ، ودفع به إلى جارية لهم ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك :

أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمتُ أنّ نبيًّا بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمتُ رسولك ، وبعثتُ إليك بجاريتين ، لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك » .

ولم يزد على هذا ، ولم يُسلم .

والجاريتان هما : مارية وسيرين ، واتخذ النبي ﷺ مارية سَرِيَّةً له ، وهي التي ولدت له إبراهيم .

وأما سيرين فأعطاها لحسان بن ثابت .

وأما البغلة « دلدل » فقد بقيت إلى زمن معاوية عليه السلام(١) .

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد : ٣/٦٩١ – ٦٩٢ ط مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

جـ - كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين:

وقد حمل كتاب رسول الله ﷺ إليه العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه.

قال الواقدى: بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام(١).

فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ:

أما بعد يا رسول الله: فإنى قد قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلامَ وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضى يهود ومجوس، فأَحْدِثْ إلىّ فى ذلك أمرا.

فكتب إليه فى ذلك رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك. فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أما بعد. فإنى أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وأنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى، ومن نصح لهم فقد نصح لى.

وإن رسلى قد أثنوا عليك خيراً.

وإنى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم.

وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك.

ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»(٢).

● وقد ذكر الدكتور محمد حميد الله(٣) نص الكتاب الذى كتبه الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى ونصه:

---

(١) هذا هو الكتاب الأول الذى أرسله الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى - ولم يذكر نصه فى كتب السيرة - وإنما ذكر الكتاب الثانى الذى أرسله الرسول ﷺ إلى المنذر يرد على كتاب المنذر إليه. وقد أوردنا نص الكتابين.

(٢) وقد ظل العلاء بن الحضرمى [illegible] لرسول الله ﷺ، فقد كتب إليه رسول الله ﷺ: إلى العلاء بن الحضرمى، أما بعد، فإنى قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية، فعجله بها، وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور، والسلام.

(٣) د. محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة.

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني ادعوك إلى الإسلام فاسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم ان دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر».

● وكان رسول الله ﷺ قد قال للعلاء بن الحضرمى رضى الله عنه عندما بعثه إلى المنذر بن ساوى: فإن أجابك فأقم حتى يأتيك أمرى، وخذ الصدقة من أغنيائهم فردها على فقرائهم.

قال العلاء: فاكتب لى كتابا يكون معى فكتب له رسول الله ﷺ فرائض الإبل والبقر والغنم والحرث والذهب والفضة على وجهها».

د- كتابه ﷺ إلى ملكى عُمان جيفر وعبد ابنى الجُلَنْدَى

وقد حمل إليهما كتاب رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضى الله عنه.

ونص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله ورسوله، إلى جَعْفَر، وعَبْدٍ ابنى الجُلَنْدى.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإنى ادعو كما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنى رسول الله إلى الناس كافة، لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن اقررتما بالإسلام ولَّيْتُكما، وإن أبيتما أن يُقرا بالإسلام فإن ملككما زال عنكما، وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما.

● قال عمرو بن العاص رضى الله عنه، فخرجتُ حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدتُ إلى عَبْد – وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا – فقلتُ: إنى رسولُ رسول الله إليك وإلى أخيك، فقال: أخى المقدَّم علىَّ بالسن و الملك.. ثم قال عَبْد لعمرو رضى الله عنه: وما تدعو إليه؟ قلت: ادعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عُبِد من دونه، وتشهد ان محمدا عبده ورسوله...

– قال عبد: فاخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه؟

– قلتُ: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

– قال: ما أحسن هذا الذى يدعو إليه، لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخى اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذَنَباً.

– قلتُ: إنه إن أسْلم مَلّكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم.

– قال: إن هذا الخلق حسن. وما الصدقة؟

– فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات فى الأموال حتى انتهيت إلى الإبل..

ودار حوار طويل بين عمرو بن العاص رضى الله عنه وبين عَبْد أولا وأخيه جيفر بعد ذلك(١).

وقد تردد جيفر بل رفض.

– فقال عمرو رضى الله عنه: إنى خارج غدا.

– فلما أيقن جيفر بمخرجى خلا به أخوه فقال: ما نحن فيما ظهر وكل من أرسل إليه فقد أجابه. فأصبح فأرسل إلىّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدَّقا النبى ﷺ.

وخلَّيا بينى وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لى عونا على من خالفنى(٢).

هـ – كتابه ﷺ إلى صاحب اليمامة، هوذة بن على

وحمل هذا الكتاب إليه سليط بن عمرو العامرى رضى الله عنه ونص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن على – صاحب اليمامة – سلام على من اتبع الهدى، واعلم ان دينى سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحافر، فاسلم تسلم، واجعل لك ما تحت يديك».

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوما، أنزله وحباه، واقترأ عليه الكتاب، فردّ ردًّا دون ردّ، وكتب للنبى ﷺ.

ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكانى فاجعل إلىّ بعض الأمر أتبعك.

وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر.

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد فى هدى خير العباد: ٣/ ٦٩٥ – ٦٩٦.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد – مرجع سابق. وانظر الحوار بطوله وتمامه.

فقدم سليط بهذا على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه، وقال: لو سألني سيابة[1] من الأرض ما فعلتُ، باد وباد[2] ما في يديه.

فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح - فتح مكة - جاءه جبريل - عليه السلام - بأنَّ هوذة مات.

فقال ﷺ: «أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ، يقتل بعدي» فكان كذلك، لأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، فتنبأ مسيلمة الكذاب وقتل: في اليمامة.

فقال قائل[3]: يا رسول الله من يقتله؟ قال أنت وأصحابك:

- وذكر الواقدي أن أركون دمشق - عظيم من عظماء النصارى - كان عند هوذة، فسأله عن النبي ﷺ، فقال: جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام، فلم أجبه.

- قال الأركون: لم لا تجيبه؟

- قال: ضننت بديني، وأنا ملك قومي، ولئن اتبعته لن أملك.

- قال: بلى والله لئن اتبعته ليُمَلكنَّك، وإن الخير لك في اتباعه، وإنه للنَّبيَّ العربي الذي بشَّر به عيسى ابن مريم - عليه السلام - وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله - ﷺ.

● وأركون - كما جاء في كتاب الاستيعاب لابن عبدالبرّ[4] - أدرك الجاهلية، وأسلم على يدىْ خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.

و - كتابه ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني - وكان بدمشق بغوطتها

وقد حمله إليه شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة رضي الله عنه[5].

---

(١) سَيَابَة: أي ناحية أو قطعة من الأرض، وبعض الشراح فَسَّر السيابة بالبلحة، والمعنى قدر بلحة من الأرض ما فعلتُ.

(٢) باد: أي هلك.

(٣) هذا القائل - كما قال الشُّراح - إما أن يكون من الذين اشتركوا في قتل مسيلمة الكذاب، وإما أن يكون خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٤) وجاء ذلك في كتاب الإصابة لابن حجر.

(٥) هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد .. بن خزيمة الأسدي، من السابقين الأولين، أسلم بمكة وهاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة، وشهد بدراً والمشاهد كلها، واستشهد باليمامة، وبعض المؤرخين يقولون: إن الرسول ﷺ أرسله إلى جبلة بن الأيهم. وربما أرسله إلى الاثنين.

ونص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، فإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك مكانك».

وقال الواقدى وابن عائذ: قال شجاع رضى الله عنه:

فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر - وهو - أى قيصر جاء إلى إيلياء شكرا لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس.

قال شجاع: فاقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إنى رسول رسول الله ﷺ إليه، فقال حاجبه: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا.

وجعل حاجبه وكان روميًا اسمه «مرى» يسألنى عنه ﷺ، وما يدعو إليه، فكنتُ أحدثه، فيرقَ حتى يغلبه البكاء، فيقول: إنى قرأت فى الإنجيل، وأجد صفة هذا النبى بعينه، وكنتُ أظنه يخرج بالشام، فأراه خرج بأرض القرظ[1]، فأنا أومن به وأصدقه، وأنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى.

قال شجاع: وكان حاجبه يكرمنى ويحسن ضيافتى، ويخبرنى باليأس من الحارث، ويقول: هو يخاف القيصر، قال: فخرج الحارث يوما فوضع التاج على رأسه، فأذن لى عليه فدفعت إليه الكتاب، فقرأه ثم رمى به، وقال: مَنْ ينتزع منى ملكى؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته. علىّ بالناس، فلم يزل جالسا حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى.

وكتب إلى قيصر يخبره بخبرى، فصادف قيصر بإيلياء[2] وعنده دحية الكلبى رضى الله عنه، وقد بعثه إليه رسول الله ﷺ، فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه: لا تَسِرْ إليه، والْهَ عنه، ووافنى بإيلياء.

قال شجاع رضى الله عنه: ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعانى، وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلتُ: غداً فأمر لى بمائة، ووصلنى حاجبه «مرى» بنفقة وكسوة وقال: اقرأ

---

(١) القَرَظ: شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز وهو نوع من أنواع السنط العربى يستخرج منه صمغ مشهور.

(٢) إيلياء: بيت المقدس.

على رسول الله منى السلام، وأخبره بأنني متتبع دينه، فقدمت فأخبرته ﷺ فقال: باد ملكه، وأقرأته من «مرى» السلام وأخبرته بما قال، فقال: صدق.

ز - كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز بن أنوشروان ملك فارس

وقد حمله إليه عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه، وهو كان قد أسلم قديما، وكان من المهاجرين الأولين، وقيل اختاره رسول الله ﷺ لهذه المهمة لتردده عليه كثيرا، وأمره أن يدفع الكتاب إلى عظيم البحرين المنذر بن ساوى نائب كسرى على البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى.

ونص الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني رسول الله إلى الناس كلهم، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تَسلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس».

فلما قرئ عليه الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مزق ملكه.

● وفي حديث عبدالله بن حذافة: فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه.

وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جَلْدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتيا بخبره، فبعث باذان رجلين بكتاب إلى النبي ﷺ، فقدما المدينة بكتابه، فتبسم رسول الله ﷺ، ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، ثم قال: ارجعا عني حتى تأتياني الغد، فجاءاه الغد، فقال لهما: أبلغا صاحبكما إن ربي قتل ربه في هذه الليلة لتسع ساعات مضت منها - وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مَضَيْن من جمادى الأولى سنة سبع، وإن الله سلَّط عليه ابنه شيرويه فقتله، فانطلقا فأخبراه، فقال باذان: إن يكن كما قال فوالله إنه لنبي، ويأتي الخبر بذلك إليَّ يوم كذا، فأتاه الخبر كذلك، فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى الله ﷺ.

ح - كتابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم

وقد حمله إليه دحية بن خليفة الكلبي، وقد توجه به إلى مكان فيه هرقل، وهو بيت المقدس، وفي البخاري ان الله تعالى لما كشف عن هرقل جنود فارس مشى هرقل من حمص إلى «إيلياء» أي بيت المقدس شكرا لله تعالى.

ونص الكتاب هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله -وفي رواية البخاري- عبدالله ورسوله -إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين -الفلاحين او الحرائين- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

● وروى البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي بأسانيدهم قالوا: قال ابو سفيان[١]: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمِر[٢] أمْر ابن ابي كبشة[٣]، إنه يخافهُ مَلِك بني الأصفر[٤]، فما زلتُ موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام... قال أبو سفيان: قال هرقل: هذا مَلِك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب إلى صاحب له برومية -وكان نظيره في العلم- وسار هرقل إلى حمص فلم يَرِم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافقه رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وهو نبي، فإذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[٥] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا

---

(١) وكان ابو سفيان لا يزال على الكفر بعيد الحديبية اى فى سنة ست من الهجرة عندما قابل قيصر الروم وساله قيصر عن النبي ﷺ.

(٢) أمِرَ: عَظُم.

(٣) ابو كبشة: زوج حليمة السعدية التى ارضعت النبي ﷺ.

(٤) بنو الأصفر هم الروم كما سماهم العرب بذلك.

(٥) الدسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم.

معشر الروم: هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت لكم ملككم؟ فتتابعوا لهذا النبى، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علىّ.

وقال لهم: إنى إنما قلتُ مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت.

فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل».

- بعث أبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن:

وكان ذلك عند انصرافه من تبوك، وقيل بل فى سنة عشر من الهجرة فى ربيع الأول، بعثهما داعيَيْن إلى الإسلام، فأسلم أغلب أهل اليمن من غير قتال.

وبعث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ذلك إلى اليمن:

وكان ذلك فى شهر رمضان من سنة عشر من الهجرة، بعد بعث أبى موسى وأبى ذر رضى الله عنهما، فقاتل من لم يسلم، فهزموا ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا فى الإجابة، فأقام فيهم يقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع، وكتب للنبى ﷺ، فأمره أن يوافيه بالموسم، فقفل على رضى الله عنه ووافى رسول الله ﷺ بمكة فى حجة الوداع.

ط- وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى مسيلمة الكذاب بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام.

وقد أجاب مسيلمة الكذاب على كتاب رسول الله ﷺ بكتاب جاء فيه:

من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله.

سلام عليك، أما بعد، فإنى قد أشركتُ فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون.

فأجاب عليه رسول الله ﷺ بكتاب هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب.

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

ى- وبعث مسعود بن سعد إلى فروة بن عمرو الجذامي -وكان فروة عاملا لقيصر على من يليه من العرب.

فدعاه إلى الإسلام، وكتب إلى النبى ﷺ بإسلامه وبعث فروة إلى النبى ﷺ بهدية مع مسعود بن سعد -وهى بغلة شهباء يقال لها: فضة. وفرس يقال له: الظُّرب وحمار يقال له: يعفور، وأثوابا وقباء سندسيا مذهبا، فقبل هديته.

ووهب فروةُ لمسعود بن سعد اثنى عشر أوقية.

وبعد: فذلك تعليمه ﷺ لأصحابه كيف يقومون بالدعوة إلى هذا الدين والانطلاق به في الناس والآفاق.

ثم لم يكن له ﷺ بُدّ بعد أن أقام دولة فى المدينة أن يزيل من طريق الدعاة إلى الله والمتحركين بالدين فى الناس كل العقبات والعراقيل، سواء أكانت هذه العقبات أفراداً أم قبائل أم دولا وممالك وإمارات، فكان هَدْيه ﷺ فى الجهاد.

ثالثا:

الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا

عندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واستقر بها وأقام دولة عزيزة بالمهاجرين والأنصار، عند ذلك رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وصرحوا بل عملوا على حرب المسلمين وعداوتهم، فاذن الله لرسوله ﷺ وللمسلمين بالقتال -الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

- وكانت أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

كما ذكر ذلك الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه على شرط الصحيحين -البخاري ومسلم.

- ثم فُرِضَ القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

- ثم فُرِضَ على المسلمين قتال المشركين كافة، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

لكن هذا الفرض إما أن يكون فرض عين، أو فرضا على الكفاية.

- وعلى ضوء هذه المشروعية أخذ الرسول ﷺ يوجه المسلمين ويعلمهم الجهاد في سبيل الله ويخرج معهم في الغزوات، بل ربما قاتل بنفسه، أو يخرجهم في السرايا، ليؤمن طريق المؤمنين وليضمن للإيمان أن يمضي في طريقه دون عوائق، لكن في ظل شروط وآداب أوضحها الرسول ﷺ، والزم بها المسلمين، فكان ينهى عن قتل النساء والولدان، وكان منْ توصياته إذا بعث سَرِيَّةً أن يوصيهم بتقوى الله، فيقول لهم -كما روى الإمام مسلم والترمذي وأبو داود بأسانيدهم.

فقد روى مسلم بسنده عن بريدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا

أمَّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولاتقتلوا وليدا...»

● وهكذا شرع رسول الله ﷺ بوحي من ربه الجهاد وسيلة من وسائل نشر الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين في الناس والآفاق، معتمدا كل أنواع الجهاد لكي تصل دعوة الله إلى عباد الله دون عوائق أو عراقيل؛ مما سنوضح في إيجاز بحديثنا عن الغزوات والسرايا، وتأمين دعوة الله في الأرض.

أ- غزوات رسول الله ﷺ

وكانت أهداف هذه الغزوات -بل الغزوات والسرايا معاً- بعد مشروعية القتال ما نلخصه فيما يلى:

- تأمين المدينة المنورة من أعدائها المحيطين بها أو القريبين منها.
- والتعرف على الطرق والقبائل المحيطة بها أو المؤدية إليها.
- وإشعار المشركين واليهود بأن المؤمنين قوة بعد أن شرع الله تعالى لهم الجهاد فى سبيله لتكون كلمة الله هى العليا.
- وإنذار قريش ومن حولها بقوة المسلمين حتى يكفوا عن قتال المسلمين.
- وتأمين طريق الدعوة إلى هذا الدين والحركة به فى الناس وفى الآفاق.

روى ابن سعد عن ابن إسحق، وابن عقبة، وأبو معشر، وعن شيخه محمد بن عمر الأسلمى عن جماعة سماهم قالوا:

كان عدد مغازى رسول الله ﷺ التى غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين، وقيل: هى تسع وعشرون، وقيل: ست وعشرون.

وسرد الصالحى الشامى فى كتابه: «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» ثمانى وعشرين غزوة، وهى:

١- غزوة الأبواء ويقال لها: وَدَّان -وكانت فى صفر سنة اثنتين من الهجرة، وحمل لواءه حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، ولم يلق فيها كيدا.

٢- وغزوة بُواط، وكانت فى ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة وحمل لواءه فيها سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه، وبلغ بُواطا ولم يَلْق كيدا.

٣- وغزوة سَفَوان -وهى بدر الأولى- وكانت فى ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة، وحمل لواءه فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولم يلق فيها كيدا.

٤- وغزوة العُشَيرة، وكانت فى جمادى الآخرة من السنة الثانية من الهجرة، وحمل لواءه فيها حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا.

٥- وغزوة بدر الكبرى، وكانت فى شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة لسبع عشرة خلتْ منه، وحمل لواءه فيها مصعب بن عمير، وقد نصر الله فيها المؤمنين فقتلوا من أعدائهم وأسروا سبعين، ومعركة بدر أشهر من ألخصها هنا.

٦- وغزوة بنى سليم بالكُدر -ويقال لها: قرقرة الكدر، وحمل لواءه فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولم يلق فيها كيدا وإنما غَنِم نعما، فأخرج خِمس المغنم وقسم الأربعة الأخماس على الصحابة رضى الله عنهم، وكانوا مائتين.

٧- وغزوة السويق، وقد خرج لها الرسول ﷺ يوم الأحد الخامس من ذى الحجة فى السنة الثانية من الهجرة فى تعقب لأبى سفيان الذى أغار على المسلمين وقتل رجلين، ثم هرب،وقد تخفف هو ومن معه للهرب فالقوا جُرُب السويق وهى عامة أزوادهم، فأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق.

٨- وغزوة غطفان وهى غزوة ذى أَمَرّ- بنجد، وخرج إليها رسول الله ﷺ فى أربعمائة وخمسين مقاتلا، وهرب الأعداء، وفيها الرجل الذى أخذ الرسول ﷺ غرة وقام على رأسه بالسيف مشهورا قائلا له: من يمنعك منى؟ فقال الرسول ﷺ: الله، فسقط السيف فأخذه رسول الله ﷺ وقال للرجل: فمن يمنعك منى؟ فقال: لا أحد، وأسلم الرجل.

٩- وغزوة الفُرُع من نجران، خرج إليها فى شهر ربيع الآخر من السنة الثانية من الهجرة، ولم يلق كيدا.

١٠- وغزوة بنى قينقاع وهم من اليهود قوم عبدالله بن سلاَّم خرج إليها فى شوال من السنة الثانية للهجرة إلى المدينة، وهم أول اليهود نقضا للعهد يوم بدر، وقطعوا ما بينهم وبين الرسول ﷺ من عهد، وحمل لواءه حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، وانتهت بأن نزلوا على حكم رسول الله ﷺ بأن تنازلوا عن الأموال وأخذوا النساء والذرية، وأجلوا عن المدينة على الرغم من تشفع رأس النفاق عبدالله بن أبى بن سلول لهم كى لا يقتلوا -وكانوا يستحقون القتل لغدرهم.

١١- وغزوة أُحد وكانت فى شوال من السنة الثالثة للهجرة، وحمل لواء المهاجرين مصعب بن عمير ولواء الخزرج لحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد بن حضير، ودارت المعركة وكانت فى أول الأمر لصالح المسلمين، ثم ترك الرماة مواقعهم فهاجم خالد بن الوليد

-وكان على الكفر- المسلمين، ودارت المعركة ضدهم وتفصيل المعركة في كتب السيرة.

١٢- وغزوة حمراء الأسد، وكانت في الثامن من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة.

١٣- وغزوة بني النضير -وكانت في ربيع الأولى من السنة الرابعة من الهجرة النبوية.

١٤- وغزوة ذات الرقاع -نجد- وكانت في جمادى الأولى من السنة الرابعة من الهجرة.

١٥- وغزوة بدر الآخرة -أو بدر الموعد- أو بدر الصفراء- في شوال من السنة الرابعة من الهجرة وقيل في هلال ذي القعدة.

١٦- وغزوة دُوقة الجندل -وهي على طرف الشام حيث الروم وكانت في ربيع الأول من السنة الخامسة من الهجرة.

١٧- وغزوة بني المصطلق -وهي غزوة المريسيع- وكانت في شهر شعبان منالسنة الخامسة للهجرة.

١٨- وغزوة الخندق -وتسمى الأحزاب- وكانت بعد جلاء بني النضير، وكانت في شوال أو ذي القعدة من السنة الخامسة من الهجرة.

١٩- وغزوة بني قريظة، وكانوا قد ظاهروا قريشا والاحزاب على رسول الله ﷺ -على الرغم مما كان بينهم وبينه من المواثيق- وكان جبريل عليه السلام هو الذي أمر الرسول ﷺ بالمسير إلى بني قريظة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ لسبع بقين من ذي القعدة من السنة الخامسة من الهجرة.

٢٠- وغزوة بني لحيْان بن هذيل -وهم الذين قتلوا شهداء بئر معونة غدرا- فخرج إليهم رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة، وقيل: السنة الخامسة، والأول أصح.

٢١- وغزوة الحديبية، وكان القصد منها العمرة، ولكن قريشا صدوه، وكان قد خرج إليها يوم الإثنين لهلال ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة.

٢٢- وغزوة ذي قَردَ -وهي الغابة- حيث اعتدى عيينة بن حصن على لقاح رسول الله وهي ترعى -وقد خرج رسول الله ﷺ غداة الأربعاء من ربيع الأول أو من جمادى الأولى سنة ست من الهجرة.

٢٣- وغزوة خيبر، وقد خرج إليها رسول الله ﷺ في بقية المحرم من سنة سبع من الهجرة وحاصر حصونها حصنا حصنا حتى فتحها الله على المسلمين، وكان ذلك في شهر صفر.

٢٤- وغزوة ذات الرقاع إلى نجد -ولعلها تكررت مرة في السنة الرابعة، وهذه المرة في السنة السابعة، لأن نجداً وقع القصد إليها عدة مرات.

وهذه الغزوة هي غزوة محارب وثعلبة.

٢٥- وغزوة عمرة القضاء -وتسمى عمرة الصلح- وكانت لقضاء عمرة الحديبية التي صد فيها رسول الله ﷺ عن البيت، وكتب مع المشركين صلحا في السنة السابعة.

٢٦- وغزوة فتح مكة المكرمة، وتسمى غزوة الفتح الأعظم، وكانت قريش قد نقضت عهد الحديبية بعدوانها على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ، فخرج إليها في العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

٢٧- وغزوة حنين - وتسمى غزوة هوازن- وكانوا قد تجمعوا لقتال رسول الله ﷺ بعد فتحه مكة، فخرج إليهم في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة.

٢٨- وغزوة الطائف، وكانت في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة.

٢٩- وغزوة تبوك -ويقال لها غزوة العُسْرة، والفاضحة، وكانت لإرهاب الروم، وقد خرج إليها رسول الله ﷺ في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة.

● والغزوات الكبار الأمهات سبع:

بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، والفتح، وحُنين، وتبوك. وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن.

- ففي بدر: كثير من سورة الأنفال.

- وفي أحد: آخر آل عمران من قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال...﴾ إلى قبيل آخرها بيسير.

- وفي قصة الخندق وقريظة صدر سورة الأحزاب.

- وفي بني النضير سورة الحشر.

- وفي قصة الحديبية وخيبر سورة الفتح، وأشير فيها إلى الفتح، وذكر الفتح في سورة النصر.

- وفي تبوك جاء كثير من سورة براءة.

● وكان الفتح في غزوتين: بدر، وحنين.

● وقاتلت معه الملائكة في بدر، وحنين، ويقال: وفي أحد.

● ونزلت الملائكة في يوم الخندق فزلزلوا المشركين وهزموهم ورمى رسول الله ﷺ بالحصباء في وجوه المشركين فهربوا.

● وقاتل بالمنجنيق في غزوة واحدة وهي الطائف.

– وتحصّن في واحدة وهي الأحزاب.

● وجرح رسول الله ﷺ في غزوة أحد فقط.

● وروى مسلم بسنده عن بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال: قاتل رسول الله ﷺ في ثماني غزوات.

● وقال الحافظ أبو العباس الحَرَّاني: لا يفهم من قولهم انه ﷺ قاتل في كذا وكذا أنه قاتل بنفسه، كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله ﷺ، ولا يُعْلم انه قاتل بنفسه في غزوة إلا في أحد فقط، ولا يعلم انه ضرب أحداً بيده إلا ابى بن خلف، ضربه بحربة في يده.

● وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده عن زين العابدين على بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم قال: كنا نُعَلَّم مغازي رسول الله ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن.

● وأول من صنف في المغازي، عروة بن الزبير أحد أئمة التابعين وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه. ت ٩٩هـ ثم تلاه تلميذاه: موسى بن عقبة بن أبي عباس ت ١٤١هـ ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ.

● واجمع ما ألِّف في المغازي، مغازي أبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١ هـ وله: السيرة النبوية، التي رواها عنه ابن هشام. وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من أراد أن يتبحَّر في المغازي فهو عيال على ابن إسحق.

وقد اعتنى بكتاب السيرة النبوية لابن هشام عدد من كبار العلماء منهم:

– الحافظ أبو ذر الخشني.

– والإمام أبو القاسم السهيلي في كتابه: «الروض الأنف».

وقد انشغل بكتاب السهيلي عدد من العلماء.

– والواقدي في كتابه: المغازي.

وعن الواقدي أخذ أبو نعيم الاصفهاني في الدلائل، وأبو بكر البيهقي في دلائل النبوة..

ومالا يحصى من كتب السيرة النبوية في مختلف العصور.

ب - سرايا رسول الله ﷺ

السرايا : جمع سَرِيَّة وهى الطائفة من الجيش يبلغ اقصاها أربع مائة تُبْعث إلى العدو .

وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السَّرِيّ أى النفيس .

● وقد تجمع السرايا مع البعوث .

– قال ابن إسحق : السرايا والبعوث ثمانية وثلاثون .

– وقال ابن عبدالبر : في « الاستيعاب » : سبعة وأربعون .

– وقال الواقدى : ثمان وأربعين سرية .

– وقال المسعودى : في كتابه التنبيه والإشراف : ثلاثة وسبعون .

– وقال الحاكم النيسابورى : إنها فوق المائة .

– وقال محمد بن يوسف الصالحى الشامى : فى كتابه : « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » والذى وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة[1] يزيد على السبعين - كما سيأتى بيانه مفصلا .

● وكان رسول الله ﷺ يبعث سراياه أول النهار ؛ روى الطبرانى بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية أغزاها أول النهار وقال : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » .

● وكان ﷺ يودع سراياه، ويوصيهم، ومما أوصى به قوله فيما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما : « اخرجوا باسم الله تقاتلون فى سبيل الله مَنْ كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الوالدين ولا أصحاب الصوامع » .

● وكان يعتذر عن تخلفه عن صحبة السرايا، فقد روى مالك وأحمد والنسائى، ومسلم والبخارى ورواية البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم ان يتخلفوا عنى، ولا

---

(١) لغير الزكاة : يعنى انه لم يدخل فى حسابه الذين بعثهم رسول الله ﷺ لجمع الزكاة، فهم من البعوث .

أجد ما أحملهم عليه ما تخلفتُ عن سرية تغزو فى سبيل الله، والذى نفسى بيده لوددتُ أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل».

● وهذه السرايا هى :

١- سرية حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر فى رمضان سنة ١ . هـ.

٢- وسرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ فى شوال سنة ١ . هـ

٣- وسرية سعد بن أبى وقاص إلى الخزار فى ذى القعدة سنة ١ هـ.

٤- وسرية عبدالله بن جحش إلى بطن نخلة فى رجب سنة ٢ . هـ.

٥- وسرية عمير بن عدى إلى عصماء بنت مروان فى رمضان سنة ٢ . هـ.

٦- وسرية سالم بن عمير إلى أبى عفك اليهودى فى شوال سنة ٢ . هـ.

٧- وسرية محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف فى ربيع الأول سنة ٣ هـ.

٨- وسرية زيد بن حارثة إلى القَردة فى جمادى الآخرة سنة ٣ . هـ.

٩- وسرية أبى سلمة عبدالله بن عبدالأسد إلى قَطن فى أول المحرم سنة ٤ . هـ.

١٠- وسرية عبدالله بن أُنيس إلى سفيان بن خالد بعرنة فى المحرم سنة ٤ . هـ.

١١- وسرية الرجيع ليأتوه بخبر قريش، وكانوا عشرة رضى الله عنهم، وعدوا منهم سبعة منهم : عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد، وعبدالله بن طارق، وحبيب بن عدى، وزيد بن الدثِنة، وخالد بن البكير، ومُعتَّب بن عبيد، فقتلتهم قريش غدرا بعد أن أمنتهم.

١٢- وسرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة وهى سرية القُراء فى صفر سنة ٤ . هـ.

١٣- وسرية محمد بن مسلمة إلى القُرْطاء بناحية خديّة وكانت لعشر ليال من المحرم سنة ٥ . هـ.

١٤- وسرية عكاشة بن محصن إلى غَمرْ مرزون فى ربيع الأول سنة ٦ . هـ.

١٥- وسرية محمد بن مسلمة إلى بنى مَعْوية وبنى عوال بذى القصة فى ربيع الأول سنة ٦ .هـ.

١٦- وسرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة أيضا فى ربيع الآخر سنة ٦ . هـ.

١٧- وسرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم فى ربيع الآخر سنة ٦ . هـ.

١٨- وسرية زيد بن حارثة إلى العيص، فأخذوا العير وأسروا ناسا منهم أبو العاص بن الربيع، وكانت فى جمادى الأولى سنة ٦ . هـ.

١٩- وسرية زيد بن حارثة إلى الطَّرف فى جمادى الآخرة سنة ٦ . هـ.

٢٠- وسرية زيد بن حارثة إلى جذام وراء وادى القرى فى جمادى الآخرة سنة ٦ . هـ.

٢١- وسرية أبى بكر الصديق - قيل زيد بن حارثة -إلى بنى فزارة بوادى القرى فى رمضان سنة ٦ . هـ.

٢٢- وسرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فى شعبان سنة ٦ . هـ.

٢٣- وسرية زيد بن حارثة إلى مدين فى شعبان سنة ٦ . هـ.

٢٤- وسرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بن بكر فى شعبان سنة ٦ . هـ.

٢٥- وسرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى أيضا فى رمضان سنة ٦ . هـ.

٢٦- وسرية عبدالله بن عتيك إلى أبى رافع سلام بن الحقيق بخيبر وكانت فى رمضان سنة ٦ . هـ.

٢٧- وسرية عبدالله بن رواحة إلى أُسَيْر بن رزام بخيبر فى شوال سنة ٦ . هـ.

٢٨- وسرية كرز بن جابر إلى العرنيين فى شوال سنة ٦ . هـ.

٢٩- وسرية عمرو بن أمية الضمرى ليفتك بأبى سفيان بن حرب قبل إسلامه، فى سنة ٧ .هـ.

٣٠- وسرية أبان بن سعيد إلى نجد فى جمادى الآخرة سنة ٧ . هـ.

٣١- وسرية عمر بن الخطاب إلى تُرْبة فى شعبان سنة ٧ . هـ.

٣٢- وسرية أبى بكر الصديق إلى بنى كلاب بنجد فى شعبان سنة ٧ . هـ.

٣٣- وسرية بشير بن سعد إلى بنى مرة بفدك فى شعبان سنة ٧ . هـ.

٣٤ – وسرية غالب بن عبدالله الليثى إلى الميفَعة فى رمضان سنة ٧ . هـ.

٣٥– وسرية بشير بن سعد إلى يَمُن وجَبَار فى شوال من سنة ٧ . هـ.

٣٦– وسرية الأخرم بن أبى العوجاء إلى بنى سليم فى ذى الحجة سنة ٧ . هـ.

٣٧– وسرية غالب بن عبدالله الليثى إلى بنى الملوَّح بالكويد فى صفر سنة ٨ . هـ.

٣٨– وسرية غالب بن عبدالله إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد وفى صفر سنة ٨ . هـ

٣٩– وسرية شجاع بن وهب الأسدى إلى بنى عامر بالسِّىِّ فى ربيع الأول سنة ٨ .هـ.

٤٠– وسرية كعب بن عمير الغفارى إلى ذات أطلاح فى ربيع الأول سنة ٨ .هـ.

٤١ – وسرية ذات عرق إلى بنى هوازن فى ربيع الأول سنة ٨ .هـ.

٤٢ – وسرية مؤتة بقيادة زيد ثم جعفر ثم عبدالله بن رواحة رضى الله عنهم فى جمادى الأولى سنة ٨ .هـ.

٤٣– وسرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل فى جمادى الآخرة سنة ٨ .هـ.

٤٤– وسرية أبى عبيدة بن الجراح وتعرف بسرية الخَبَط أو سرية سيف البحر، فى رجب سنة ٨ .هـ.

٤٥– وسرية أبى قتادة الأنصارى إلى خَضِرة – وقعة أبى حدرد، فى شعبان سنة ٨ .هـ.

٤٦– وسرية أبى قتادة أيضاً إلى بطن إضَم فى أول شهر رمضان سنة ٨ .هـ.

٤٧– وسرية أسامة بن زيد إلى الحُرقات من جهينة فى رمضان من سنة ٨ .هـ.

٤٨– وسرية خالد بن الوليد إلى هدم العُزَّىٰ لخمس بقين من رمضان سنة ٨ .هـ.

٤٩– وسرية عمرو بن العاص لهدم «سواع» فى شهر رمضان سنة ٨ .هـ. فى غزوة الفتح.

٥٠– وسرية سعد بن زيد الأشهل إلى هدم «مناة» بالمشلَّل، لست بقين من رمضان ٨ .هـ.

٥١– وسرية أبى عامر الأشعرى إلى أوطاس بين غزوة حنين وغزوة الطائف، فقتل دريد بن الصمة وهزم الله أصحابه . فى شوال سنة ٨ .هـ.

٥٢- وسرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى هدم صنم ذي الكفّين في شوال سنة ٨ .هـ.

٥٣ - وسرية قيس بن سعد بن عبادة لصُدَاء ناحية اليمن، فجاء رجل من صداء إلى رسول الله ﷺ - وكان الرجل قد رأى جيش المسلمين - فقال لرسول الله ﷺ : جئتك وافدا على من ورائي فاردد الجيش فأنا لك بقومي. فردهم رسول الله ﷺ فقدم الرجل ومعه خمسة عشر رجلا فأسلموا. في المحرم من سنة ٩ .هـ.

٥٤- وسرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم في المحرم من سنة ٩ .هـ.

٥٥- وسرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم بناحية بيشة قريبا من تربة في صفر سنة ٩ .هـ.

٥٦- وسرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب في صفر سنة ٩ .هـ.

٥٧- وسرية علي بن أبي طالب إلى الفُلْس صنم لطيئ ليهدمه، في ربيع الآخر من سنة ٩ .هـ.

٥٨- وسرية علقمة بن مجزّز المدلجي إلى الحبشة، في ربيع الآخر من سنة ٩ .هـ.

٥٩- وسرية عكاشة بن محصَن إلى الجباب أرض عُذرة وبَلِيّ، في شهر ربيع الآخر من سنة ٩ .هـ.

٦٠- وسرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالملك في شهر رجب من سنة ٩ .هـ.

٦١- وسرية المغيرة بن شعبة وأبي سفيان بن حرب إلى ثقيف لهدم صنم الربّة، في سنة ٩ .هـ.

٦٢ - وسرية المقداد بن الأسود إلى أناس من العرب سنة ١٠هـ.

٦٣ - وسرية بني عبس الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم تسعة فبعثهم سرية لعير قريش في سنة ١٠ . هـ.

٦٤ - وسرية إلى رعية السحيمي الذي رقّع بكتاب رسول الله ﷺ دلوه، فأخذت كل ماله لم يدعوا له سارحة ولا رائحة ولا أهلا ولا مالا إلا أخذوه، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقسم ماله، ورد إليه أهله، جزاء ما رقّع بكتاب رسول الله ﷺ دلوه. في سنة ١٠هـ.

٦٥ – وسرية جرير بن عبدالله البجلى إلى صنم ذى الخَلَصة فى سنة ١٠ . هـ. فهدم الصنم وحرقه .

٦٦– وسرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أُبْنى بأرض الشُّراة بناحية البلقاء فى أربع ليال بقين من صفر سنة ١١ . هـ. وأمر هذه السرية بغزو الروم، وهى السرية التى لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ولم تغادر المدينة، ثم وجهها أبو بكر الصديق إلى حيث أراد رسول الله ﷺ .

● وبعد . . فهذه هى السرايا التى وجهها الرسول ﷺ إلى الأنحاء القريبة والبعيدة تأمينا لحياة المسلمين وإزالة لأى عقبة تقف فى طريق الدعوة إلى الله تعالى .

رابعا :

من نتائج الحركة بالإسلام فى حياة الرسول ﷺ ،

قدوم الوفود عليه ودخول الناس فى دين الله أفواجا

فى حديثنا عن غزوات رسول الله ﷺ وسراياه وبعوثه، أوضحنا أن الهدف من ذلك كان نشر دين الله فى الأرض وتفقيه الناس فى أحكامه وآدابه، وما كان ذلك ليتم إلا بتأمين الطرق أمام الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين وإزالة العقبات والمعوقات التى تحول بين دين الله وعباد الله، حتى يصل دين الله إلى كل الناس وإلى كل مكان.

● وعند استعراضنا لأعمال الرسول ﷺ فى المدينة المنورة على مدى السنوات العشر التى قضاها فيها حتى لحق بربه، لا نجد شهرا من شهور هذه السنين العشر قد مرّ دون أن يكون لرسول الله ﷺ فيه غزوة أو سرية لنشر دين الله فى عباد الله، وتأمين طريق الدعوة من العقبات والعراقيل.

● وبهذه السياسة التى وضع الرسول ﷺ مبادئها وأسسها فى الدعوة إلى هذا الدين والحركة به، ظهرت النتائج ونضجت الثمار بعد زوال الأمراض وانصلاح حال التربة التى غرست فيها أشجار الإيمان فجاءت النتائج وفق ما تقتضيه المقدمات.

– فقد انتشرت الدعوة إلى الله وسمع بها القاصى والدانى.

– وعرف الناس مفردات الإيمان وأركان الإسلام.

– وذاق الناس طعم الأخلاق الإسلامية التى جاء بها الإسلام.

– وسمعوا عن تعامل النبى ﷺ مع أصحابه ومع سائر الناس بأخلاق النبوة.

● فكانت النتيجة أن وفدوا على رسول الله ﷺ يزدادون علمًا بالدين وفقهًا فيه، ويغترفون من معين الصفاء والنبل الذى كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فدخل الناس فى دين الله أفواجًا.

● كانت النتائج هى الوفود التى وفدت على رسول الله ﷺ تعلن دخولها فى الإسلام

وانحيازها إلى الحق والخير والهدى. وكان العام التاسع من الهجرة النبوية بحق هو عام الوفود كما سماه بذلك علماء السيرة النبوية، أى عام النتائج والحصاد لما غرس فى الأعوام التى سبقته من بعثة الرسول ﷺ. ولما بذل فى الدعوة والحركة والجهاد فى سبيل الله تعالى.

- قال ابن إسحق: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك، وأسلمتْ ثقيف وبايعت، ضَرَبَتْ إليه وفود العرب من كل وجه».

- وقال ابن هشام: «حدثنى أبو عبيدة أن ذلك كان فى سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود».

- وقال ابن إسحق: وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمْرَ هذا الحيِّ من قريش وأمْر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ، وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوّخها الإسلام، عَرفَتْ العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا فى دين الله كما قال عز وجل أفواجا إليه من كل وجه».

● وقد نزلت فى ذلك سورة النصر، وهى آخر سورة نزلت كاملة من القرآن الكريم، فقد روى مسلم والنسائى بسنديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: آخر سورة نزلت: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ وعند الطبرانى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

ولا يمنع ذلك أن تكون بعض الآيات من بعض السور قد نزلت بعد، كآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فكم عدد الوفود التى وفدت على رسول الله ﷺ تعلن دخولها فى الإسلام؟

ذلك ما نَسرُده مجرد سرد فى الصفحات التالية:

أ - الوفود أو عام الوفود

١- وفد أحْمسَ على رسول الله ﷺ وعليهم قيس بن غَرْبة الأحمسى فى مائتين وخمسين رجلا، ودعا رسول الله ﷺ لهم فقال: «اللهم بارك فى أحمس وخيلها ورجالها» رواه أحمد.

٢- وفد أزْد شنوءة وعليهم صُرَد بن عبدالله الأزدى فى بضعة عشر رجلا، وقد أمَّره رسول الله ﷺ من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك..

٣- وفد أزد عمان، وفيهم أسد بن بيرح الطاحى، وقد قال فيهم رسول الله ﷺ: «نعم الوفد الأزد، طيبة أفواههم، بَرَّة أيمانهم، نقية قلوبهم».

٤- وفد بنى أسد بن خزيمة، وقدم منهم عشرة رهط، فيهم حضرمى بن عامر، ورسول الله ﷺ فى المسجد مع أصحابه وسألوا رسول الله ﷺ عن الضيافة والكهانة وضرب الحصى، فنهاهم عنها.

٥- وفد أسلم، قدم بهم عمير بن أفصى، وفيهم قال رسول الله ﷺ: «أسلم سالمها الله..» وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فيه ذكر الصدقة والفرائض والمواشى.

٦- وفد أسيد بن أبى أناس - وكان يهجو رسول الله ﷺ فاهدر دمه واحتال أسِيد حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد أهدرتَ دم أسيد؟ قال: نعم، قال: تقبل منه إن جاءك تائباً؟ قال: نعم. فوضع يده فى يد رسول الله ﷺ فقال: هذه يدى فى يدك أشهد أنك رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله».

٧- وفد أشجع، قدموا على رسول الله ﷺ عام الخندق وهم مائة وعلى رأسهم مسعود بن رُخَيْلة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وأمر لهم بأحمال التمر.

ويقال قدمت أشجع بعد ما فرغ رسول الله ﷺ من قريظة، وهم سبعمائة.

٨- وفد الأشعريين، وفيهم أبو موسى الأشعرى، وكان يقودهم رجل صالح هو عمرو بن الحَمِق الخزاعى، وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار مَنْ فى الأرض».

٩- وفد أعْشَى بنى مازن، وقد وفد على رسول الله ﷺ يستعينه على أن يستعيد امرأته

التي هربت منه واستعاذت بمطرِّف بن بهصل، فكتب الرسول ﷺ إلى مطرف فرد عليه امرأته - وكان اسمها معاذة.

١٠ - وفد كندة في ثمانين راكبا عليهم الأشعث بن قيس، وعليهم الحرير، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ألم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقوه منها فألقوه.

١١- وفد بارق، قدموا على رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا، يكرمهم به.

١٢- وفد باهلة، وعليهم مُطرِّف بن الكاهن الباهلي، وقد قدموا على رسول الله ﷺ بعد الفتح، وكتب لهم كتابا يوضح لهم فيه ما لهم وما عليهم، وفيه ما يجب عليهم من الصدقات، وفيه شرائع الإسلام.

١٣- وفد بني البكائي، وفَدَ على رسول الله ﷺ منهم ثلاثة نفر وكان ذلك سنة ٩ من الهجرة، فأمر رسول الله ﷺ بمنزل وضيافة وأجازهم (١) ورجعوا إلى قومهم.

١٤- وفد بني بكر بن وائل، وكان في الوفود بشير بن الخصاصيَّة وعبدالله بن مرثد وحسان بن حوط، وكان حسان بن حوط رسول قومه إلى النبي ﷺ.

١٥- وفد بِلَى، وقد جاء بهم رويفع بن ثابت البلويّ، فلما انتهوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم رويفع فقال رسول الله ﷺ: رويفع؟ فقلت: لبيك قال: من هؤلاء؟ قلت: قومي، قال: مرحبا بك وبقومك، قلت: يا رسول الله قدموا عليك وافدين مقرِّين بالإسلام وهم على من ورائهم من قومهم، فقال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يهده للإسلام».

وأقاموا ثلاثًا، وأجازهم رسول الله ﷺ.

١٦- وفد بهراء، وكانوا ثلاثة عشر رجلا، وقد نزلوا على المقداد أولا، ثم ذهبوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: نشهد أنك رسول الله، فأسلموا وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما، ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ يودعونه فأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهليهم.

١٧- وفد تجيب - وهم من السَّكون - وكانوا ثلاثة عشر رجلا، وساقوا معهم صدقات

---

(١) أي أعطاهم منحًا وجوائز.

أموالهم التى فرض الله عليهم، فسُرَّ بهم رسول الله ﷺ، وأقاموا عنده، فلما انصرفوا أمر لهم بجوائز أرفع مما كان يجيز به سواهم.

١٨- وفد بنى تغلب، وكانوا ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم على ألا يصبغوا أولادهم فى النصرانية وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

١٩- وفد بنى تميم، وقد جاءوا فى سبعين أو ثمانين رجلا، وقدم معهم عيينة بن حصن الفزارى، والأقرع بن حابس، وهؤلاء هم الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات، وقدموا خطيبا يشيد بهم وشاعرا يفخر، فقام خطيب من المسلمين هو ثابت بن قيس، وشاعر هو حسان بن ثابت، فكانت الغلبة للحق، ثم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ.

٢٠- وفد بنى ثعلبة وقد وفدوا على رسول الله ﷺ بالجعرانة سنة ٨ هـ. وكانوا أربعة نفر أقروا بالإسلام، فأقاموا أياما وتعلموا القرآن والسنن وضيافة رسول الله ﷺ تجرى عليهم، ثم جاءوا مودعين فقال رسول الله ﷺ لبلال: «أجزهم كما تجيز الوفود» فأعطى كل رجل خمس أواق من الفضة.

٢١ - وفد ثقيف، وقد أرسلوا إلى رسول الله ﷺ وفدا من ستة رجال من سادتهم - بعد أن كانوا قتلوا عروة بن مسعود - رضى الله عنه - وقد ضرب لهم رسول الله ﷺ قبة فى ناحية المسجد لكى يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا. فأسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا وأمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص، لحرصه على التفقه فى الدين وتعلم القرآن(١).

٢٢- وفد ثُمالة والحدَّان، قدم عبدالله بن علس الثمالى ومسلمة بن هاران الحدَّانى على رسول الله ﷺ فى رهط من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ على قومهم، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا بما فرض عليهم من الصدقة فى أموالهم.

٢٣- وفد الجارود بن المُعَلّى، وسلمة بن عياض الأسدى، قدم الجارود على رسول الله ﷺ ومعه سلمة بن عياض الأسدى وكان حليفاً له فى الجاهلية، وأضمر كل منهما فى نفسه

---

(١) انظر قصتهم فهى طويلة ومعلّمة فى سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى.

أسئلة يوجهها إلى رسول الله ﷺ ليختبر بذلك نبوته، فأخبرهما رسول الله ﷺ بما أضمرا، فقالا: نشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأنك عبدالله ورسوله.

٢٤- وفد جذام، فقد وفد رفاعة بن زيد بن عمير الجذامي على رسول الله ﷺ في الهدنة قبل خيبر، وأهدى له عبدا وأسلم، فكتب رسول الله ﷺ له كتابًا أنه بعثه إلى قومه عامة وإلى من دخل فيهم يدعوهم إلى رسول الله ﷺ، فلما قدم على قومه دعاهم فأجابوه وأسلموا.

٢٥- وفد جَرْم، وقد وفد على رسول الله ﷺ رجلان من جرم يقال لأحدهما الأصقع بن شريح، والآخر هوذة بن عمر بن يزيد، فأسلما وكتب لهما كتابا.

٢٦- وفد جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه، فقد بعث إليه رسول الله ﷺ فجاءه فقال له: ما جاء بك؟ قلتُ: جئتُ لأسلم. فألقى إليّ كِسَاءه وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وقال له: «أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وتصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم شهر رمضان وتنصح لكل مسلم وتطيع الوالي وإن كان عبدا حبشيا».

٢٧- وفد جَعْدة، وفَدَ إلى رسول الله ﷺ الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب، وأعطاه رسول الله ﷺ ضيعة بالفَلَج، وكتب له كتابا.

٢٨- وفد جُعْفِيّ، وكانت جعفي تحرم أكل القلب في الجاهلية فوفد على رسول الله ﷺ رجلان منهم، قيس بن سلمة بن شراحبيل بن جعفي، وسلمة بن يزيد بن مشجعة وهما أخوان لأم، فأسلما فقال لهما رسول الله ﷺ: «بلغني أنكم لا تأكلون القلب» فقالا: نعم، قال: فإنه لا يكمل إسلامكما إلا بأكله» وكتب رسول الله ﷺ لقيس بن سلمة كتابا استعمله فيه على مُرّان وحريم ومواليها والكُلاب ومواليها..

٢٩- وفد جهينة، وقد وفد إلى رسول الله ﷺ عبدالعزى بن بدر الجهني، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو ابن عَمٍّ له، فقال رسول الله لعبد العُزّى: «أنت عبدالله»، ولأبي روعة: «أنت رعت العدو إن شاء الله»، وقال: «من أنتم»؟ قالوا: بنو غيان قال: «أنتم بنو رشدان» وقال لجبلي جهينة: الأجرد والأشعر: «هما من جبال الجنة لا تطؤهما فتنة».

٣٠- وفد جيشان(١)، قدم أبو وهب الجيشاني على رسول الله ﷺ في نفر من قومه، فسألوه

(١) جيشان: مخلاف باليمن.

عن أشربة تكون باليمن ، فسموا له : البتع من العسل، والمرز من الشعير، فقال رسول الله ﷺ : «هل تسكرون منها»؟ قالوا: إن أكثرنا سكرنا، قال: «فحرامٌ، قليلُ ما أسكر كثيره» وسألوه عن الرجل يتخذ شرابا فيسقيه عماله، فقال رسول الله ﷺ : «كل مسكر حرام».

٣١- وفد بني الحارث بن كعب ، وذلك أن خالدا لما انقاد له بنو الحارث بن كعب بنجران كتب إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه الرسول ﷺ أن يقبل ويقبل معه وفدهم، فأقبل خالد بن الوليد ومعه ستة منهم، فقال لهم رسول الله ﷺ : «بم كنتم تغلُبون من قاتلكم في الجاهلية»؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدا، قال: بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم قال: «صدقتم» وأمّر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

٣٢ - وفد الحجاج بن علاط السُّلمي ، وقد وفد على الرسول ﷺ حينما بدتْ له بعض البينات على صدق الرسول ﷺ ، فقد خرج في ركب مع قومه إلى مكة، فلما جَنَّ عليه الليل وهو في واد موحش مخوف، فقال له أصحابه: قم يا أبا كلاب فخذ لنفسك ولأصحابك أمَاناً فقام الحجاج حولهم يكلؤهم ويقول:

أعيذ نفسي وأعيد صحبي

من كل جنّي بهذا النَّقْب

حتى أؤوب سالما وركبي.

فسمع قائلا يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن : ٣٣]. فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشا فقالوا: صبأت والله يا أبا كلاب، إن هذا فيما يزعم محمد أنه أنزل عليه. فقال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي، فسأل عن النبي ﷺ ، فقيل له: بالمدينة ، فأتاه فأسلم.

٣٣- وفد حضرموت، قدم هؤلاء الوفد وهم بنو وليعة ملوك حضرموت على رسول الله ﷺ ، وفيهم: جَمَد، ومِخْوس، ويشْرح وأبضعة فأسلموا، فقال مخوس: يا رسول الله

ادع الله أن يذهب عنى الرُّتة من لسانى، فدعا له وأطعمه من صدقة حضرموت.

٣٤- وفد الحكَمَ بن حَزْن الكُلْفى، قال الحكم: قدمنا على رسول الله ﷺ - سابع سبعة أو تاسع تسعة - فأذن لنا فدخلنا، فقلنا: يا رسول الله أتيناك لتدعو لنا بخير، فدعا لنا بخير، وأمر بنا فأنزلنا وأمر لنا بشىء من تمر، فلبثنا بها أياما فشهدنا بها الجمعة، فقام ﷺ متوكئا على قوس أو عصى، فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال: «يا أيها الناس إنكم لن تطيقوا أن تفعلوا كلَّ ما أُمِرتم به، ولكن سدِّدوا وأبشروا».

٣٥- وفد حمير، روى ابن سعد أن رجلا من حمير أدرك النبى ﷺ ووفد عليه قال: قدم على رسول الله ﷺ مالك بن مُرارة الرَّهَاوى رسولُ ملوك حمير، بكتابهم وإسلامهم، وهم: الحارث بن عبد كُلال، ونُعَيْم بن عبد كُلال، والنُّعْمان قَيْل ذى رعين ومعافر وهمدان، وذلك فى شهر رمضان سنة تسع - مقدم رسول الله ﷺ من تبوك، فأمر رسول الله ﷺ بلالا أن ينزله ويكرمه ويضيِّفه وكتب إليهم كتابا...

٣٦- وفود خُفاف بن نضلة، وقد قدم على النبى ﷺ والنبى فى المسجد مُنصرَفه من الأباطح، فأنشد رسول الله ﷺ شعراً، فاستحسنه وقال: «إن من البيان كالسِّحْر وإن من الشعر كالحِكَمِ».

٣٧- وفد خثعم، وَفَد عثعث بن زحر، وأنس بن مدرك فى رجال من خثعم إلى رسول الله ﷺ، بعد ما هدم جرير بن عبدالله البجلى صنمهم ذا الخلصة وقتل منهم من قتل، فقالوا: آمنا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله فاكتب لنا كتابا، فكتب لهم..

٣٨- وفد خَوْلان، قدم وفد خولان وهم عشرة نفر فى شعبان سنة عشر، فقالوا: يارسول الله نحن مؤمنون بالله ومصدقون برسوله، فأمر بضيافة فأجريت عليهم ثم جاءوا بعد أيام مودِّعين فأمر لهم بجوائز باثنتى عشرة أوقية ونَشًّا(١)، ورجعوا إلى قومهم فهدموا صنم «عم أنس» وحرّموا ما حرّم عليهم رسول الله ﷺ وأحلُّوا ما أَحَلّ.

٣٩- وفد خُشَن، قدم أبو ثعلبة الخُشَنى على رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى خيبر فأسلم وخرج معه إلى خيبر، ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من خُشَن فنزلوا على أبى ثعلبة

---

(١) النَّشُّ: نصف الأوقية.

فأسلموا وبايعوا ورجعوا إلى قومهم.

٤٠- وفد الداريين، قدموا على رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك، وهم عشرة نفر منهم تميم ونعيم ابنا أوس و.... فأسلموا وسمى رسول الله ﷺ : الطَّيِّبَ عبدالله وسمى عزيزاً عبدالرحمن، وأهدى هانئ ابن حبيب لرسول الله ﷺ أفراسا وقباء مذهبا، فقبل الأفراس، وأعطى القباء عمه العباس لينتزع منه الذهب فيحلى به نساءه ويبيع الديباج.

٤١ - وَفْد دوس، قدم على رسول الله ﷺ أربعمائة من دوس، فقال رسول الله ﷺ : «مرحبا أحسن الناس وجوها وأطيبهم أفواها وأعظمهم أمانة».

٤٢ - وفد ذُباب بن الحارث بن سعد العشيرة، لما سمع بنو سعد العشيرة بخروج النبي ﷺ، وثب ذباب بن الحارث إلى صنم لسعد العشيرة يقال له «فرَّاض» فحطمه ثم وفد إلى النبي ﷺ مسلما.

٤٣- وفد الرهاويين، قدم خمسة عشر رجلا من الرهاويين وهم حيّ من مَذْحِج على رسول الله ﷺ سنة عشر، فنزلوا دار رملة بنت الحارث فأتاهم رسول الله ﷺ فتحدث عندهم طويلا.. فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض، وأجازهم كما يجيز الوافد؛ أرفقهم اثنتى عشرة أوقية ونشًا.

٤٤- وفد بني الرُّؤاس، روى ابن سعد عن أبى نُفيع طارق بن علقمة قال: قدم رجل منا يقال له عمرو بن مالك بن قيس على رسول الله ﷺ فأسلم، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام...

٤٥- وفد زُبيد، رأت زبيد قبائل اليمن تقدم على النبى ﷺ فقالوا لخالد بن سعيد بن العاص الذى استعمله رسول الله ﷺ على صدقاتهم: أَوْفِد منا نفرا يقدمون على رسول الله ﷺ ويخبرونه بإسلامنا ويقبسونا منه خيرا، فأجابهم.

٤٦- وفد بنى سحيم، قدم الأسود بن سلمة على رسول الله ﷺ فى وفد بنى سحيم فأسلم فردهم إلى قومهم وأمرهم أن يدعوهم إلى الإسلام، وأعطاهم إداوة ماء قد تفل فيها وقال: «فلينضحوا بهذه الإداوة مسجدهم وليرفعوا رؤوسهم» إذ رفعها الله تعالى، فما تَبِع مسليمةَ منهم رجل ولا خرج منهم خارجى قط.

٤٧ - وفد بنى سدوس، روى البزار عن عبدالله بن الأسود رضى الله عنه قال: كنّا عند

رسول الله ﷺ في وفد بني سدوس فأهدينا له تمرا . . .

٤٨- وفد بني سعد هُذَيم، روى محمد بن عمر الأسلمي عن ابن النعمان عن أبيه قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ وافدا في نفر من قومي . . . فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد، فوجدنا رسول الله ﷺ يصلي على جنازة فقمنا خلفه، ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى نلقى رسول الله ﷺ ونبايعه، ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر إلينا فدعا بنا، فقال: «مِمَّنْ أنتم»؟ قلنا: من بني سعد هذيم، فقال: «أمسلمون أنتم» قلنا: نعم، قال: «فهَلاَّ صليتم على أخيكم»؟ قلنا: يا رسول الله: ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك، فقال ﷺ: «أينما أسلمتم فأنتم مسلمون».

٤٩- وفد بني سلامان، كان مقدمهم في شوال سنة عشر، قال حبيب بن عمر السلاماني: قدمنا وفد سلامان على رسول الله ﷺ ونحن سبعة، فصادفنا رسول الله ﷺ خارجا من المسجد إلى جنازة دعى إليها فقلنا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليكم من أنتم»؟ فقلنا: نحن من سلامان قدمنا إليك نبايعك على الإسلام ونحن على مَنْ وراءنا من قومنا، فالتفت إلى ثوبان غلامه فقال: «أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفد» فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته فتقدمنا إليه فسألناه عن أشياء من أمر الصلاة وشرائع الإسلام وعن الرُّقَى، وأسلمنا، وأعطى كل رجل منا خمس أواقيّ، ورجعنا إلى بلادنا وذلك في شوال سنة عشر.

٥٠- وفد بني سُلَيمْ، قدم على رسول الله ﷺ رجل من بني سليم يقال له: قيس بن نُسَيْبة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه ووعى ذلك كله، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم، ورجع إلى قومه بني سليم فقال: قد سمعتُ برجمة الروم، وهيمنة فارس وأشعار العرب وكهانة الكاهن وكلام مَقَاول حِمْد، فما يشبه كلامُ محمد شيئاً من كلامهم فاطيعوني وخذوا نصيبكم منه.

٥١- ووفد بني شيبان . . .

٥٢- ووفد صُداء . .

٥٣- ووفد الصُيدف . .

٥٤- ووفد أبي صفرة . .

٥٥- ووفد ضمام بن ثعلبة . .

٥٦- ووفد طارق بن عبدالله..

٥٧- ووفد طيئ...

٥٨- ووفد بني عامر بن صعصعة..

٥٩ - ووفد عبدالرحمن بن أبي عقيل..

٦٠- ووفد بني عبد بن عديّ..

٦١- ووفد عبد القيس..

٦٢- ووفد بني عبس...

٦٣- ووفد عدى بن حاتم...

٦٤- ووفد بني عذرة..

٦٥-ووفد بني عقيل بن كعب...

٦٦- ووفد عمرو بن معد يكرب الزبيدى..

٦٧ - ووفد عنزة..

٦٨- ووفد غافق..

٦٩ - ووفد غامد...

٧٠ - ووفد غسان..

٧١- ووفد فزارة..

٧٢- ووفد بني قشير..

٧٣ - ووفد قيس بن عاصم..

٧٤ - ووفد بني كلاب...

٧٥ -ووفد بني كلب..

٧٦- ووفد كندة..

٧٧- ووفد محارب...

٧٨- ووفد مُرَّة...

٧٩ - ووفد مزينة..

٨٠- ووفد مهرة..

٨١- ووفد علماء نجران..

٨٢- ووفد النخع...

٨٣- ووفد بنى هلال بن عامر..

٨٤- ووفد همدان...

٨٥- ووفد وائل بن حُجْر..

٨٦ - ووفد واثلة بن الأسقع..

وأنصح بقراءة قصص هذه الوفود فإنها ذات مقاصد ومرامٍ غاية فى الأهمية لمن يعنيه أمر الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق، ولمن يريد أن يتعلم أن الاستمرار والإصرار على الدعوة والحركة لابد أن يؤدى إلى دخول الناس فى دين الله أفواجا[1] بعون من الله وتوفيق.

---

(١) انظر فى هذه الوفود:
- ابن سعد : الطبقات الكبرى.
- والواقدى : كتاب الوفود.
- والصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرتى خير العباد وهو أجمع كتاب فى ذلك فيما أعلم.

ب - بعث أسامة بن زيد وتأمين الحدود مع الروم

كان بعث جيش أسامة بن زيد آخر البعوث التي وجهها رسول الله ﷺ لمواجهة أعداء الإسلام والمسلمين.

وكانت أعماله كلها ﷺ في غزواته وسراياه من النتائج المرتبة على الاستمرار في الدعوة والحركة، كما كانت الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ إحدى هذه النتائج كما أوضحنا ذلك آنفا.

● وكان بعث جيش إسلامي كبير على رأسه أسامة بن زيد إلى حدود دولة الروم مما يلي العرب من أهم الأعمال لتأمين هذه الحدود ضد دولة متعالية متغطرسة تقتل من يدخل في دين الإسلام من ولاتها في بلدان الحدود العربية معها.

● وكان لهذا البعث أو لتلك السرية أهداف عديدة منها:

- إقناع دولة الروم أن المسلمين لم يضعفوا حين أصيب منهم ثلاثة قواد في معركة مؤتة - زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة - وإنما هم على استعداد للحرب والمناجزة.

- وإرهاب دولة الروم بقوة المسلمين القادرة على الوصول إلى تخوم دولتهم ومنازلتهم.

- وتأمين أطراف البلدان العربية المتاخمة لدولة الروم من أي عدوان يقع على العرب المسلمين المجاورين لتلك الدولة.

- وطمأنة من يدخلون في الإسلام - ويتعرضون بذلك لانتقام دولة الروم - على دينهم وما يعتقدون.

- وإذهاب الخوف من نفوس الذين يهابون دولة الروم، وبث الثقة في نفوسهم.

● لهذه الأهداف وغيرها، فإن الرسول ﷺ ما إن قضى مناسكه في حجة الوداع وعاد إلى المدينة المنورة حتى أخذ يعد العدة لإرهاب دولة الروم وتأمين حدود دولة الإسلام من هذا العدو المتغطرس، فجهز جيش أسامة وكان جيشا كبير العدد والعدة، وبدأ بذلك يوم الاثنين لأربع بقين من شهر صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة لغزو دولة الروم.

وفي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر عام ١١هـ دعا أسامة بن زيد فقال له: «يا أسامة

سرْ على اسم الله وبركته حتى تنتهى إلى موضع مقتل أبيك فاوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش، فاغِرْ صباحا على أهل أُبنى[١] وحرِّق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فاقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء وقدم العيون[٢] والطلائع أمامك».

وفى اليوم التالى الأربعاء ثقل رسول الله، وفى يوم الخميس خَفَّ ونشط فعقد اللواء لأسامة رضى الله عنه، ثم قال له: «اغز باسم الله فى سبيل الله فقاتل من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة، ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم، ولكن قولوا اللهم أكفناهم بما شئت واكفف بأسهم عنا، فإن لقوكم قد جلبوا وضجوا فعليكم بالسكينة والصمت ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وقولوا: اللهم نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تغنيهم أنت، واعلموا أن الجنَّة تحت البارقة».

● فخرج أسامة رضى الله عنه بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب رضى الله عنه، وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب فى تلك الغزوة، منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهم، فى رجال من الأنصار عدة منهم قتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم.. فاشتكى رسول الله ﷺ وهو على ذلك ثم وجد من نفسه راحة فخرج عاصبا رأسه فقال: «أيها الناس انفذوا جيش أسامة» ثم دخل.

وخرج يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فما مقالة قد بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة، ولئن طعنتم فى إمارتى أسامة، لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلىَّ، وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم» ثم نزل فدخل بيته، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ، فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويمضون إلى المعسكر بالجرف.

---

(١) قرية بناحية البلقاء من الشام.

(٢) العيون: الجواسيس.

ودخلت أم أيمن رضى الله عنها – أم أسامة – فقالت : يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم فى معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة إن خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه، فقال : « انفذوا بعث أسامة » فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد .

ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله ثقيل مغمور، فدخل عليه وعيناه تهملان، وعنده الناس، والنساء حوله فطاطأ عليه أسامة فقبله والنبى ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ويضعها على أسامة كأنه يدعو له .

ثم دخل يوم الإثنين وأصبح الرسول ﷺ مفيقا، وجاءه أسامة فقال له : « اغْدُ على بركة الله » فودعه أسامة وخرج إلى معسكره، وركب أسامة إلى المعسكر وصاح فى أصحابه باللحوق بالعسكر، وأمر الناس بالرحيل وقد متع النهار .

فبينا هو يريد أن يركب أتاه رسول أمه أم أيمن يخبره أن رسول الله ﷺ يموت فاقبل إلى المدينة وأقبل معه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، فانتهوا إليه وهو يجود بنفسه، فتوفى رسول الله ﷺ .

ودخل المسلمون الذين عسكروا إلى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب باللواء معقودا فغرزه عند باب رسول الله ﷺ .

● فلما بويع لأبى بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضى لوجهه، وقال لأسامة : انفذ فى وجهك الذى وجهك فيه رسول الله ﷺ ، وأمر الناس بالخروج .

واستأذن أبو بكر أسامة رضى الله عنهما فى أن يترك له عمر، ففعل، ولم يتخلف عن البعث أحد .

وشيع أبو بكر أسامة فى هلال ربيع الآخر فى ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس، وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة ثم قال له : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . .

وسار أسامة حتى و صل وادى القرى ونزل فيها ثم سار إلى أُبْنى فى عشرين ليلة، وعبأ أصحابه ثم شنّ عليهم الغارة ، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم فصارت أعاصير من الدواخن، وأجال الخيل فى عرصاتهم، وأقاموا يومهم هذا فى تعبئة ما أصابوا من الغنائم .

وكان أسامة على فرس أبيه « سَبْحة » وقتل قاتل أبيه فى الغارة وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهم، وأخذ لنفسه مثل ذلك .

● فلما أمسى أمر بالرحيل ، ثم أغَذَّ السير فورد وادى القرى فى تسع ليال، ثم بعث بشيرا إلى المدينة بسلامتهم، ثم قصَد[1] فى السير إلى المدينة ستا حتى رجع إلى المدينة.

ولم يُصَب أحَد من المسلمين.

وخرج أبو بكر ومن معه يتلقونهم سرورا بسلامتهم.

وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة فبعث رابطة يكونون بالبلقاء[2]، فلم تزل هناك حتى قدمت إليها للبعوث إلى الشام فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

● كان بعث جيش أسامة بمثابة رسالة وجهها المسلمون إلى الروم، تعنى أن المسلمين قوة، وأن من دخل فى الإسلام فقُهر بسبب دخوله فيه فسوف يجد من إخوانه من ينصرونه ويؤمنون له حرية العقيدة.

---

(١) قصَدَ فى السير: لم يسرع.

(٢) قرية على حدود الشام.

خامساً : تأمين انتشار الإسلام فى العالم

قد يتصور بعض الناس أنّ تامين انتشار الإسلام فى العالم، إنما قام على أعمال الرسول ﷺ فى الغزوات والسرايا والبعوث العسكرية التى وجهها الرسول ﷺ إلى قبائل أو دول بعينها، ويرون أن نشر الدين الإسلامى قام على هذه الأعمال وحدها.

- وذلك التصور خطأ من جانب وفيه قصور عن إدراك الأبعاد والأسباب والوسائل من جانب آخر، بل فيه اكتفاء بالنظر إلى ظواهر الأمور دون التعمق فيها وفيما تنطوى عليه.

● والحق الذى لا شك فيه أن تامين انتشار الإسلام فى العالم كله قام على أسس ومرتكزات متضامة متشابكة لا يمكن أن يغنى بعضها عن بعض ، وليس الجهاد أو الغزو إلا واحدا من هذه الأسس الكثيرة.

● وهذه الأسس أو المرتكزات التى قام عليها انتشار الإسلام وبلوغه إلى أكثر من نصف سكان الأرض فى أقل من نصف قرن هى أسس كثيرة نذكر منها :

- العقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب والأباطيل فى خالق الكون سبحانه وتعالى، وفى مفردات الكون من مخلوقات عديدة على رأسها الإنسان، فهذه العقيدة الصحيحة بما تتضمنه من إيمان بالله واليوم الآخر.. هى التى تدفع المؤمن إلى العمل والإخلاص فيه، وإلى الجدّ والاجتهاد، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

- والعبادة السليمة الخالية من التُّرهات، المتجهة إلى الله تعالى الذى ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فعبادة الله وظيفة الإنسان فى الحياة بل وظيفته الأولى والأساسية، ومَنْ أدّى وظيفته نحو الله تعالى والدين الخاتم والنبى الخاتم، اندفع بتأثير أدائه لهذه الوظيفة لاستكمال قواعد الإسلام، وأركانه، نحو نفسه وأهله وولده ومجتمعه وأُمّته ووطنه، ومعنى أداء هذه الوظائف هو العمل والإخلاص والجد والاجتهاد، والجهاد فى سبيل الله تعالى.

- والأساس الثالث الخُلُق، فقد جاءت هذه العقيدة بكل الأخلاق الفاضلة النبيلة، التى تُعِفُّ صاحبها عن الحرام، وتبتعد به عن المعاصى والآثام، وتحول بينه وبين الظلم والعدوان

والغدر، وتملأ قلبه وعقله برحمة الصغير والضعيف وذى الحاجة، وتوجب عليه احترام حقوق الإنسان وحرياته كلها، وتلزمه بأداء واجباته كلها، والاستمتاع بحقوقه إن أراد، وتعرفه كيف يتواصى مع غيره بالحق والصبر، وكيف يحب الخير لجميع الناس.

هذه القيم الأخلاقية التى جاء بها الإسلام ليست مجرد كلام أو شعارات أو دعاوَى تُدَّعى، وإنما هى عمل وجد واجتهاد وجهاد فى سبيل الله تعالى.

● تلك هى الأسس أو المرتكزات الثابتة التى لا تقبل تغييرا ولاتبديلا، مهما تغيَّر من حولها الزمان أو المكان أو الناس والأشياء.

وهذه الأسس جميعا لا يمكن أن يؤديها المؤمن إلا بالعمل والاخلاص والجد والاجتهاد، والجهاد فى سبيل الله بكل معنى من معانيه، من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا.

هذا عن الثوابت من هذه الأسس.

● أما المتغيرات من تلك الأسس والركائز فكثيرة نذكر منها:

- الدعوة إلى الله، أى نشر هذا الدين فى الناس بكل وسائل التبليغ، وفق أحكام هذه الدعوة وشروطها وآدابها، ووسائلها ومراحلها وكل ما يتصل بها، بحيث تصل إلى كل من كان بحاجة إليها، أى إلى كل الناس، لأن الناس جميعا بحكم فطرتهم فى حاجة إلى دعوة الله.

- والحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق، والذى يغلب على الحركة هو الانتقال بالدين من مكان إلى مكان، وإعطاء القدوة للناس فى تمثل قيم الإسلام عملا وسلوكا، والتوفر على حب الخير للناس وممارسته فيهم، كل ذلك من خلال ما يمارسه من يتحرك بهذا الدين عالماً أو تاجرا أو صانعاً أو مهنيًا طبيبًا أو مهندسا أو غير ذلك، فهذا هو الذى نشر الإسلام فى معظم بلاد المسلمين من قبل، ولا يزال قادرا على نشره بهذه الحركة اليوم وفى المستقبل.

- والأمر بكل معروف كل أحد، حتى يتعزز الخير فى نفوس الناس، ويشيع البرّ والهدى، والنهى عن كل منكر كل أحد، حتى ينحسر الشر، ويحاصر الأشرار، ويعيش المجتمع أمنا وسلاما وتعايشا إنسانيا كريما.

- والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أنواع - كما أوضحنا أكثر من مرة - والجهاد هو العمل الذى يرسخ فى الناس الاستقامة والالتزام

وحب الناس وحب الخير لهم، لأن من جاهد نفسه وشيطانه وعدوه، فقد استقام على الصراط المستقيم.

- والالتزام بمنهج الإسلام الشامل فى الحياة، التزام على كل مستوى؛ الفرد والأسرة والمجتمع والقوم والأمة والحاكم والمحكوم.

هذا المنهج الشامل الكامل تدعو العقيدة إلى الالتزام به، والتمسك بتطبيق مفرداته، ويعتبر الالتزام به عبادة لله تعالى يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، بل يعد التمسك بمفرداته تمسكا بالأخلاق الفاضلة التى جاء بها الإسلام.

- وأهم المتغيرات التى تخضع لاختلاف الزمان والمكان والناس هو ماتميز به الإسلام من فتح باب الاجتهاد لمواجهة أى متغيرات فى حياة الإنسان.

● الإسلام بهذه الأسس والمرتكزات ثابتها ومتغيرها قوة عالمية تستطيع من خلال هذه الأسس المكينة أن تنتشر بين جميع الناس الذين يتعاملون مع عقولهم فيقبلون هذه الأسس بل يتمسكون بها.

وهذه الأسس ليس فيها ما يتعارض مع إرادة الانسان وحريته فى اختيار ما يتقبله من دين أو نظام دون إجبار أو إرهاب أو إكراه.

● ولسنا بحاجة لأن نؤكد أن الإسلام قوى بهذه الأسس وتلك المرتكزات، فإن التاريخ نفسه والمؤرخين - حتى من كان منهم من غير المسلمين - شهدوا بذلك وبعضهم رآه رأى العين.

قوة الإسلام بمبادئه وأسسه هى التى مكنت المسلمين من مواجهة الفرس والروم فى القرن الأول الهجرى، وكانتا قطبى القوة فى العالم آنذاك، وهى القوة التى أصرَّتْ على طرد الصليبيين من مصر والشام بعد معارك طاحنة - وكانت الحروب الصليبية تشارك فيها دول أوروبا وملوكها وأمراؤها تقودهم الكنيسة، وقد استطاع الصليبيون أن يؤسسوا إمارات وممالك فى الشام، وعندما اجتمع المسلمون حول قيادة مؤمنة استطاعت قوة الإسلام أن تطردهم بعد أن بقوا فى الشام مائتى عام، وذهب الوجود الصليبى إلى غير رجعة.

وتلك القوة للمسلمين هى التى تصدَّت لحملات التبشير، وللدعاية المذهبية، ولحملات الاستعمار التى أخذت شكلا آخر يبسط نفوذه على العالمين العربى والإسلامى فى شكل حماية أو وصاية أو انتداب.

وهذه القوة هى التى واجهت الاستشراق وما يضمره بعض المستشرقين من حقد على الإسلام والمسلمين، وما يصفون به الإسلام من أوصاف يحركها سوء الظن حينا، والجهل حينا آخر ، والحقد على الإسلام فى جميع الأحوال .

وظلت هذه القوة الإيمانية تقاوم حتى ذهب الاستعمار وتعرّى الاستشراق ويئس التبشير فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، حيث تحولت الدعوة إليه إلى موقف الدفاع ضد هذا التبشير وكشفت أقنعته فبدا وجهه الكالح الحاقد الصفيق .

ولقد استطاعت القوة الإيمانية فى الإسلام أن تتصدى بوعى وإصرار لحملات التشويه للإسلام والقرآن والرسول وكبار الصحابة وكبار المصلحين المسلمين[1] .

تلك القوة الإيمانية الكامنة فى ثوابت الأسس الإسلامية ومتغيراتها، ستظل تعمل حتى تحسم موقفها من الصهيونية والنظام العالمى الجديد، وليس ذلك إفراطا فى التفاؤل، بقدر ما هو استقراء لسنن الله فى الصراع بين الحق والباطل على مرّ التاريخ الإنسانى كله، والله من وراء أعداء الإسلام محيط .

وأبرز هؤلاء الأعداء عدوّان :

- الصهيونية التى اغتصبت فلسطين وشردت أهلها وأقامت فى أرضهم دولة تحمل اسم إسرائيل، وباركها فى ذلك ورثة دول الحروب الصليبية أوروبا وأمريكا، ومصدرو الإلحاد والشيوعية والاشتراكية، ورثة العداء التقليدى للإسلام والمسلمين، ورثة الدعاية المذهبية على اختلاف ألوانهم .

- والنظام العالمى الجديد الذى تقوده أمريكا لصالحها ولصالح إسرائيل، وتبشر به حينا باسم العولمة، وحينا باسم العالمية،وتجند له المصارف الدولية، وكثيرا من المجالس التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وكل ذلك هدفه أن تسيطر أمريكا على العالم كله، وبصفة خاصة على دول ما سمته بالعالم الثالث أو النامى أو الفقير أو الجنوبى . . ومن أسف أن بلدان العالم العربى والعالم الإسلامى تقع فى هذا العالم البائس، لكنه بالنسبة لأمريكا سوق كبير للسلاح وللسلع الضرورية، ولترويج تجاراتها وإخمال تجارات هذا العالم الثالث بما تسنه من تشريعات ونظم تربط بها المعونات والقروض وتثبيت كثير من أنظمة الحكم!! وتربطه دائما بتطبيع العلاقات مع إسرائيل وحماية حدودها!!

---

(١) انظر للمؤلف فى ذلك : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، نشر دار عكاظ بالسعودية

إن النظام العالمي الجديد يريد ويخطط لتنفيذ هذه الإرادة؛ أن تكون دول العالم الثالث ذيولا وأتباعا لأمريكا واليهود، كل همها أن تكون في موضع الرضا من هذا وذاك!!

ومن أراد أن يتأبى على هذه التبعية فالويل والمقاطعة الاقتصادية والدسائس والانقلابات، ومنع الطيران، وربما منع الماء والهواء!!!

- إن هذه القوة الإسلامية الكامنة في مبادئ الإسلام وأسسه هي المرشحة لأن تقود هذه المواجهة مع هذين العدوين اللدودين، إن لم يكن اليوم أو غدا فبعد غد بكل تأكيد، ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا.

- إن هذين العدوين ليسا أعتى من الأكاسرة والقياصرة في ذاك الزمان، والمسلمون اليوم مع مبادئ الإسلام وأسسه: ثوابته ومتغيراته ليسوا أقل عددا من مسلمي الأمس، ولكن الله تعالى ينتظر أن نتقدم إليه بالعقيدة والعبادة والخلق والدعاء والإخلاص لينصرنا على هذين العدوين متى شاء وكيف شاء، ولله جنود السموات والأرض، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر.

- وبعد:

فليس الجهاد وحده هو الذي يكفل انتشار الإسلام في العالم، وإنما تضاف إلى الجهاد آليات كثيرة تنبثق من ثوابت الإسلام ومتغيراته - التي ذكرناها آنفا-.

على أن هناك لَبْساً بين مفاهيم الجهاد والغزو والفتح، نرجو أن نوضحه في إلقاء ضوء على مفهوم كل واحد من هذه الثلاثة سائلين الله التوفيق.

أولاً:

بين الجهاد والغزو:

- الجهاد: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، ويكون باليد حينا، وباللسان أحيانا، وبالتخطيط والتدبير في أحيان أخرى.

ومن الجهاد: جهاد النفس وجهاد الشيطان.

ومما يزيد مفهوم كلمة الجهاد وضوحا تتبعها في القرآن الكريم.

- فقد وردت كلمة الجهاد بمعنى: تقوى الله، واتخاذ الأسباب والوسائل، ثم الجهاد بعد ذلك، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

والوسيلة هى صالح الأعمال وفعل الخيرات، وما دامت تسبق الجهاد فلا مانع من أن تكون الأخذ بأسباب الجهاد ووسائله، ومن المسلم به عند أسلافنا رحمهم الله أن المسلمين ينصرون فى معاركهم بشيئين: بطاعتهم لله، وبمعصية عدوهم لله، ومن الراسخ فى عقول المسلمين أن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه.

– ووردت بمعنى: أن الجهاد واجب على حال إن كان هناك نفير عام، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. قال علماء التفسير: الإنسان إما أن يكون خفيفا أو ثقيلا ولا ثالث لهاتين الحالتين.

– ووردت بمعنى أن الجهاد فى سبيل الله واجب حتى يتحقق النصر على الأعداء، ومع استمراره حتى النصر فلا مشقة على المسلمين ولا حرج، يفهم ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج: ٧٨].

أمَّا الغزو: فهو القتال، وهو السَّيْر إلى العدو بقصد قتاله، وهو الطلب للشىء.

– والغزوة: المرة من الغزو.

– والغَزاة: عمل سنة أى غزوة فى سنة.

– والغزو فى الغالب يكون عقابا للعدو على موقف اتخذه ضد المسلمين، كالغدر ونقض العهد والابتداء بالعدوان، كما يفهم ذلك من قول الرسول ﷺ لأبى بكر الصديق رضى الله عنه عندما سأل الصديق رسول الله وهو يتأهب لغزو مكة أو فتحها قائلاً: يا رسول الله كيف نغزوهم، أليس بيننا وبينهم مدة؟ فردَّ عليه قائلاً: «إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم..»(١).

– والغزو يسببه العدوان على العرض أو الشرف أو الوطن، والناس جميعا تفعل ذلك مؤمنهم وكافرهم، وقديمهم ومعاصرهم، والإسلام يزيد على هذه الأسباب للغزو سببا آخر هو نصرة المظلوم، وحماية الضعيف.

---

(١) المقريزى: إمتاع الأسماع.
وغدر قريش ونقضهم العهد أنهم شاركوا بكرا أحلافهم فى الاعتداء على خزاعة أحلاف النبى ﷺ.

● وليس الغزو أو القتال أو الجهاد يبيح لأحد من المسلمين أن يخالف قيَم الإسلام وآدابه وأخلاقه مع عدوه حتى حين ينتصر المسلمون على هذا العدو، إذ من الضرورى أن تظل قيم العقيدة الإسلامية سائدة فى كل حال.

● ولعل فى هذا التوضيح لمعنى الجهاد والغزو - كما قدمنا - مايرد على أولئك الذين يزعمون أن الإسلام قد انتشر بين الناس بالقوة والقهر والإكراه أى بالسيف ، لأن إعمال السيف يلغى إرادة الطرف الآخر ويحرمه من الاختيار بين الدخول فى الإسلام أو البقاء على دينه، والقرآن الكريم ينادى بكل وضوح: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

● وبعد: فلم تكن الغزوات وحدها ولا الجهاد وحده سببا لانتشار الإسلام فى العالم وإنما كان من بين عوامل كثيرة أشرنا إليها آنفا.

ثانيا:

بين الفتح والغزو:

- الفتح: يطلق على النصر المقترن بدخول أرض المطلوب أو بلده، ولم تطلق كلمة فتح على أى انتصار تكون نهايته غنيمة وأسرا دون اقتحام أرض، ولذلك يقال: فتح مكة وفتح خيبر، ولا يقال فتح بدر ولا فتح أُحد.

- والذين يطلقون الفتح على مطلق النصر يتجاوزون الدقة، وذلك أن الله تعالى عطف الفتح على النصر فى قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣].

وعطف الفتح على النصر فى قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١].
والعطف يقتضى التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه كما هو معروف.

- ويطلق الفتح على أعظم النصر، وهو اقتحام أرض العدو وهزيمته.

- ويطلق الفتح على الحكم والفصل فى القضاء، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٨ - ٢٩].

– واستعمال الفتح فى إطلاقه على يوم الحديبية من المجاز المرسل باعتبار أن هذا اليوم وهذه المعاهدة كان مآلها فتح خيبر وفتح مكة المكرمة. أو كان سببا فيهما، كما قال الزهرى: «لقد كان يوم الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبى ﷺ جاء إليها فى ألف وأربعمائة، فلما وقع مشى الناس بعضهم فى بعض أى تفرقوا فى البلاد فدخل بعضهم أرض بعض من أجل الأمن بينهم، وعلموا وسمعوا عن الله تعالى، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة فى عشرة آلاف».

● وفى رواية: «فلما كانت الهدنة أمن الناس بعضهم بعضا فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة، فلم يُكَلَّم أحد يعقل بالإسلام إلا دخل فيه».

● وروى البيهقى بسنده عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال: «أقبل رسول الله ﷺ من الحديبية، فقال رجل من أصحابه: والله ما هذا بفتح، صَدُّونا عن البيت، وصُدَّ هَدْيُنا. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتح، لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح(١) عن بلادهم، ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم الأمان، وقد كرهوا منكم ما كرهوا، ولقد أظفركم الله عليهم وردكم سالمين غانمين ماجورين، فهذا أعظم الفتح. أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولاتلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم؟

أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون؟»

فقال المسلمون: صدق الله ورسوله وهو أعظم الفتوح، والله يا رسول الله ما فكرنا فيما ذكرت، ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا.

– ومن معانى الفتح: فتح الإسلام بالحجة والبرهان أى بالحوار وتقديم الأدلة للإقناع، وإذهاب الشُّبَه للاقتناع.

– ومنه فتح الإسلام بالسيف والسنان عند الضرورة.

وبعد: فمع الأسس الثابتة التى يقوم عليها انتشار الإسلام فى العالم من: عقيدة وعبادة وقيم خلقية فاضلة.

ومع الأسس المتغيرة التى تسهم فى انتشار الإسلام فى العالم من: دعوة وحركة وأمر

(١) أى الأكُف.

بالمعروف ونهى عن المنكر وجهاد فى سبيل الله والتزام بالمنهج الشامل المتكامل الذى ينظم حياة الناس أحسن نظام، مع كل ذلك فإن رسول الله ﷺ أشار منذ زمن باكر من هجرته إلى المدينة المنورة إلى أمور ثلاثة لها أثر كبير فى انتشار الإسلام فى العالم.

هذه الأمور الثلاثة هى:

- التعلم للقراءة والكتابة وتعليمها للمسلمين.
- والتعلم لبعض اللغات الأجنبية التى يحتاج إليها المسلمون وهم ينطلقون بالإسلام فى غير العرب.
- والإعداد لمواجهة الأعداء بمختلف وسائل الإعداد.

وهذه الأمور سنلقى عليها ضوءا مناسبا ونختم بالحديث عنها هذا الكتاب، والله المستعان.

أ - التعلّم والتعليم

التعلّم هو باب العلم، والعِلْم ضرورة دينية دنيوية فى حياة الإنسان، من أجل أن يعيش حياة إنسانية كريمة، كما أراد الله تعالى له، إذ كرّمه وفضّله على كثير من خلقه ورزقه من الطيبات، وإذا حصل العِلْم كان الواجب على المسلم أن يعلّم غيره مما علمه الله تعالى.

● والإسلام - كما هو معروف لدى أوليائه وأعدائه - هو دين التعلم والعلم والتعليم - كما أوضحنا ذلك مفصلا فى هذا الكتاب آنفا - وذلك أن أول آيات نزلت من القرآن الكريم هى الخمس الآيات الأولى من سورة العلق وهى قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

وقول الله تعالى فى هذه الآيات: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ كما قال المفسرون:

المعنيُ: يعلّم بالقلم: أى علّم الخط والكتابة.

فقد روى سعيد عن قتادة قال: «القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، ولولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدلّ على كمال كرمه سبحانه بأنه علّم عباده مالم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى، ولولا الخط والكتابة ما دونتْ العلوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كُتُب الله المنزلة، ولولا الكتابة ما استقامت أمور الدين والدنيا.

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله أأكتب ما أسمع منك من الحديث؟ - وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما كاتبا قارئا -فقال رسول الله ﷺ: «نعم فاكتب فإن الله علّم بالقلم».

● وللعلماء فيمن علّمه الله تعالى بالقلم أولا أقوال:

- قال بعضهم: أول من علمه الله بالقلم آدم عليه السلام، والثانى إدريس عليه السلام، ثم كل من كتب بقلم.

– وقال بعضهم:

الأقلام ثلاثة:

– القلم الأول: الذى خلقه الله بيده وامره ان يكتب.

– والقلم الثانى: أقلام الملائكة جعلها الله بأيديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والأعمال.

– والقلم الثالث: أقلام الناس جعلها بأيديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها مآربهم.

وقال القرطبي: قال علماؤنا[1]: كانت العرب أقل الناس معرفة بالكتاب، وأقل العرب معرفة به المصطفى ﷺ، وقد صرفه الله عن علمه ليكون ذلك أثبت لمعجزته وأقوى فى حجته».

● ولقد دعا رسول الله ﷺ، بل شجع أصحابه رضوان الله عليهم على تعلم القراءة والكتابة، لعلمه بأن ذلك مفتاح العلم والمعرفة.

ولقد كان أوضح مثال على رغبته ﷺ فى تعلم المسلمين القراءة والكتابة، ما رواه العلماء فيما يلى:

● روى ابن سعد فى الطبقات الكبرى[2]: عن جابر رضى الله عنه قال: أَسَرَ رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادى بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء –من الأسرى– دفع إليه عشرة من غلمان المدينة فعَلَّمهم، فإذا حذقوا فهو –أى تعليمه إياهم– فداؤه».

● وروى ابن سعد أيضا فى طبقاته قال: «وبلغ فداء أهل بدر– أى الأسرى منهم– أربعة آلاف فما دون ذلك، حتى إن كان الرجل يحسن الخط فُدِىَ على أن يعلم الخط».

● وروى الطبرانى فى المعجم الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما ناشىء نشأ فى طلب العلم والعبادة حتى يكبر وهو على ذلك كتب الله له أجر سبعين صدّيقا»[3].

---

(١) يقصد علماء الأندلس.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/ ٦١ ط لجنة النشر والثقافة الإسلامية.

(٣) وللتوسع فى ذلك انظر لنا: التربية العقلية –الحلقة الثالثة من هذه السلسلة.

ب - تعلم بعض اللغات الأجنبية

نشر دعوة الله في الناس، والحركة بالدين إلى هؤلاء الناس، يحتاج إلى أن يخاطب الناس بألسنتهم، لأن تلك سنة الله فى إرسال الرسل جميعا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم : ٤] فتلك سنة الله فى إرسال رسله بلغة من أرسلوا إليهم .

قال القرطبى : ولا حجة للعجم وغيرهم فى هذه الآية، لأن كل مَنْ ترجم له ما جاء به النبى ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وقال ﷺ : « أرسل كل نبى إلى أمته بلسانها وأرسلنى الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه »(١) .

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار »(٢) .

ومعنى ذلك أن الدعاة إلى الله عليهم أن يتعلموا لسان من يوجهون إليه الدعوة حتى يفهم عنهم، ويعى ما جاء به الإسلام .

واللغة - أى لغة - هى التى يفكر بها الناس ثم يعبرون بها عما يريدون، فكان من الحتم أن يُدعى الناس إلى الإسلام بلغاتهم .

● ولقد كان ذلك هدى رسول الله ﷺ فى دعاته وفى الخضوع لسنة الله فى الدعوة .

- فقد روى أبو يعلى وابن عساكر بسنديهما عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أُتىَ بى النبى ﷺ مَقْدَمَه المدينة، فقالوا : يا رسول الله : هذا غلام من بنى النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ ، فأعجبه ذلك، فقال : « يا زيد تعَلَّم لى

---

(١) لم أجده بهذه الصيغة وإن كان معناه جاء فى أحاديث عدة .

(٢) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه وهناك أحاديث كثيرة فى عمومية رسالة محمد ﷺ وعالميتها وانظر لنا : عالمية الدعوة الإسلامية .

كتاب يهود[١] فإني والله ما آمن يهود على كتابي[٢]» فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنتُ أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب لهم، وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه.

- وفي رواية لأبي يعلى وابن عساكر وابن أبي داود بأسانيدهم عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية، فإنها تأتيني كتب»؟ قلتُ: لا، قال: «فتعلمها» فتعلمتها في سبعة عشر يوما.

- وفي رواية لابن عساكر وابن أبي داود بسنديهما عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية» -أو قال: السريانية- ؟ فقلتُ: نعم، فتعلمتها في سبع عشر ليلة.

- وأخرجه ابن سعد في الطبقات بسنده عن زيد بن ثابت بنحو هذا.

- وروى المقريزي في كتابه: «إمتاع الأسماع» أن رسول الله ﷺ أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم كتاب يهود -وذكر ذلك المقريزي في أحداث السنة الرابعة من الهجرة النبوية إلى المدينة.

● ولقد أقبل بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى تعلم لغات عديدة غير العربية.

- فقد أخرج الحاكم بسنده، وأبو نعيم بسنده عن عمر بن قيس قال: كان لابن الزبير رضي الله عنه مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، فكنتُ إذا نظرتُ إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر أُخراه، قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين.

---

(١) أي لغتهم التي يكتبون بها كتابهم.

(٢) أي ما أكتب إليهم إذ قد يحرفونه أو يبدلونه، فهذا كان شأنهم حتى مع كتابهم التوراة.

جـ- الإعداد لمواجهة الأعداء

هذا الإعداد واجب شرعي لأن الله تعالى يقول عن أعداء الإسلام آمراً المسلمين بالإعداد لهم: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

- وهذه الآية الكريمة أصل في وجوب الإعداد من أجل هذا الدين، ومن أجل انتشاره في العالم دعوةً وحركةً وتربيةً ونظاماً، وعند التدبر لآية الإعداد هذه نستطيع أن نهتدي في ضوء هذا التدبر إلى كثير من أنواع الإعداد لمواجهة أعداء الله؛ أعداء الإسلام الذين نعلمهم، والذين لا يعلمهم إلا الله[1] ومن ذلك:

- أن الإعداد والاستعداد لمواجهة أعداء الله أعداء الإسلام أمر من الله تعالى واجب النفاذ، لا يعفى منه قادر عليه، وأن كل المسلمين مطالبون به حكاما ومحكومين، وأنه أنواع كثيرة، وأنه سنة من سنن الاجتماع البشري في كل زمان ومكان.

١- «وأعدوا»: الإعداد:

ومن أنواعه:

- إعداد النفوس والعقول والأجسام لخوض المعارك مع أعداء الله؛ والمسلمون على أعلى مستوى في هذه الجوانب.
- وإعداد السلاح وجميع أنواع العتاد والمؤن وكل ما يلزم الحرب لخوض معركة يواجه بها العدو أيا كان استعداده.
- وإعداد الأفراد المقاتلين إعدادا إسلاميا يشعرهم بأن المعركة جهاد في سبيل الله، ولابد فيها من إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة.
- وإعداد المال لمواجهة احتياجات الحرب المنظورة وغير المنظورة من قبل خوض المعركة وفي أثنائها وبعد الانتهاء منها.
- وإعداد القادة القادرين على إدارة رحى القتال، إعدادا شاملا يوقظ فيهم الرغبة -كذلك-

---

(١) توسعت في شرح هذه الآية في كتابي: التربية الإسلامية في سورة الأنفال -وهي الحلقة الخامسة من حلقات سلسلة: التربية في القرآن الكريم -نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

في الحصول على إحدى الحسنيين.

- وإعداد الخطة ومراحلها، وبدائلها إن أصيبت بالفشل في إحدى مراحلها، حتى لا تؤخذ جنود الله على غرة أوتُؤْتَى من قبل القصور أو التقصير في إعداد الخطة أو الخطط.
- وإعداد المجتمع كله للمساندة في قتال الأعداء.

هذا عن «وأعدوا» الإعداد.

٢ - «مِنْ قوة»: القوة

وأنواع القوة كثيرة منها:

- تقوية روح المقاتل بوصله بربه عن طريق برنامج من النوافل.
- وتقوية الخُلق بالالتزام بالأخلاق الإسلامية في كل موقف.
- وتقوية العقل بالعلم والثقافة والتدرب على التفكير الهادف.
- وتقوية البدن بمده بكل أسباب قوته، ومنعه من كل أسباب ضعفه.
- وتقوية الرجال القادرين على حمل السلاح جنودا وقادة.
- وتقوية التسلّح بتطوير الآلة العسكرية علميًا وتقنيا.
- وتقوية القدرة على إجراء البحوث العلمية التي تحتاجها المعركة.
- وتقوية الرغبة في الجهاد في نفوس المقاتلين، وفي نفوس الناس جميعا.

٣ - «ومن رباط الخيل»: المرابطة

وهي أنواع كذلك منها:

- المرابطة العامة للناس جميعا، وخصوصا من يقيمون بالقرب من الأماكن التي يتوقع هجوم العدو منها، فيكونون على استعداد وحذر.
- والمرابطة للجيش أفرادا وقادة، بكل ما يملكون من آلة عسكرية متطورة لحماية الإسلام والمسلمين من أي مباغتة، فرباط الخيل رمز للآلة العسكرية كلها.
- والمرابطة الفكرية والثقافية بل الحضارية عموما لمواجهة وسائل العدو في الحرب النفسية والثقافية وإفشالها.
- والمرابطة بمعنى الالتزام بما أمر الله به وما نهى عنه، لأن أهم عناصر النصر عند المسلمين هو طاعتهم لله، ومعصية عدوهم لله.

● والمرابطة بمعنى طلب المزيد من المعرفة عن العدو، حتى يواجه المقاتلون عدوا معروفا مكشوفا، فيمكن التخطيط لهزيمته.

● والمرابطة بمعنى الثبات على الحق والتواصي به في الجيش وفي المجتمع كله، والثبات على الصبر وعلى متاعب الحرب والتواصي به.

● والمرابطة بمعنى إعداد العدة لغد وما بعد غد، أي الحذر والترقب بعد المعركة نصرا أو هزيمة، فكم من جيش هزم بعد انتصاره لأنه تراخى بعد تحقيق الانتصار!!

٤ - «ترهبون به عدو الله وعدوكم»: إرهاب العدو:

وإرهاب العدو هدف أساسي للإعداد باتخاذ وسائل القوة، والإخلاص في الرباط، ومن أنواع هذا الإرهاب:

● إحداث توعية مستمرة للجيش وللناس عموما، تجعلهم يعيشون في حذر دائم، وتوقع للمباغتة ليأخذوا حذرهم.

● والعمل على إفشال خطة العدو قبل تنفيذها إن أمكن وأثناء تنفيذها بكل تأكيد.
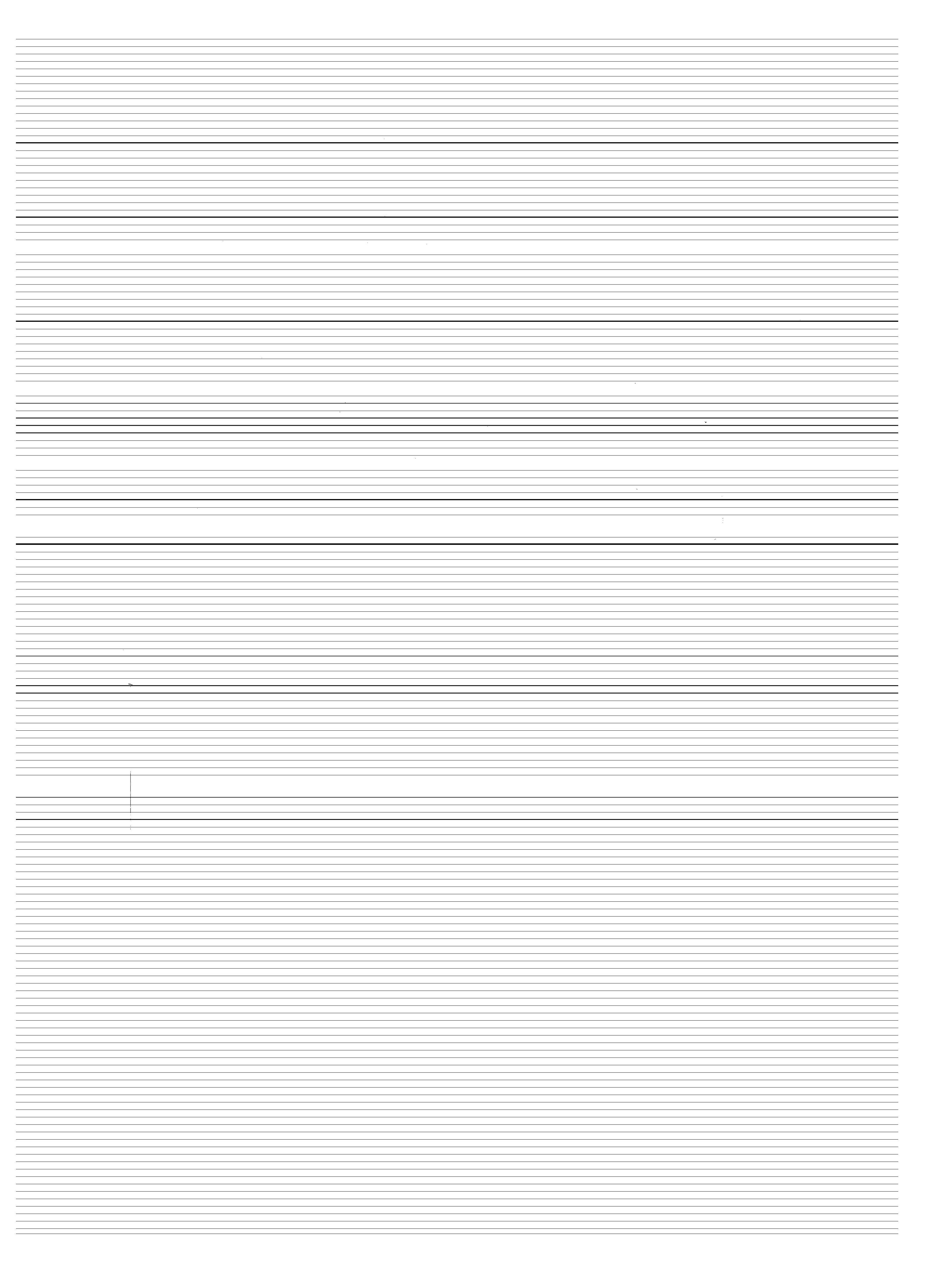
● والتخطيط المضاد للعدو ومباغتته من حيث لا يتوقع.

● «عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» التوقع.

إن على المسلمين أن يتوقعوا أعداءهم المضمرين، أما الصرحاء فقد عبروا عن عداوتهم بصراحة، ولقد شرح رسول الله ﷺ هذا الجزء من الآية فيما رواه ابن العربي بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «أما فارس فنطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها، وأما الروم ذوات القرون فكلما هلك قرن خلفه آخر إلى يوم القيامة» والروم اليوم هم الغرب، أوروبا وأمريكا وهم الاتحاد الروسي، وهم اليهود في كل مكان، فيجب أن نتوقع منهم العداوة لله وللإسلام والمسلمين مهما حاولوا إخفاءها، وإن كانوا اليوم يعلنون مع اليهود عداءهم بكل صراحة.

وبعد: فهذا عن الإعداد لمواجهة الأعداء، وبغير هذا الإعداد لن يستطيع الإسلام أن ينتشر في العالم الإنساني كله، وإذا لم ينتشر فالمسلمون جميعا آثمون.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في إعداده واستعداده، وتوقعه لأعداء الله تعالى وأعداء الإسلام، ومع الأسوة لابد من العمل والإخلاص والتجرد والثبات، والله من ورائنا ومن أمامنا ومعنا ما دمنا مقتدين برسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.



خاتمة الكتاب

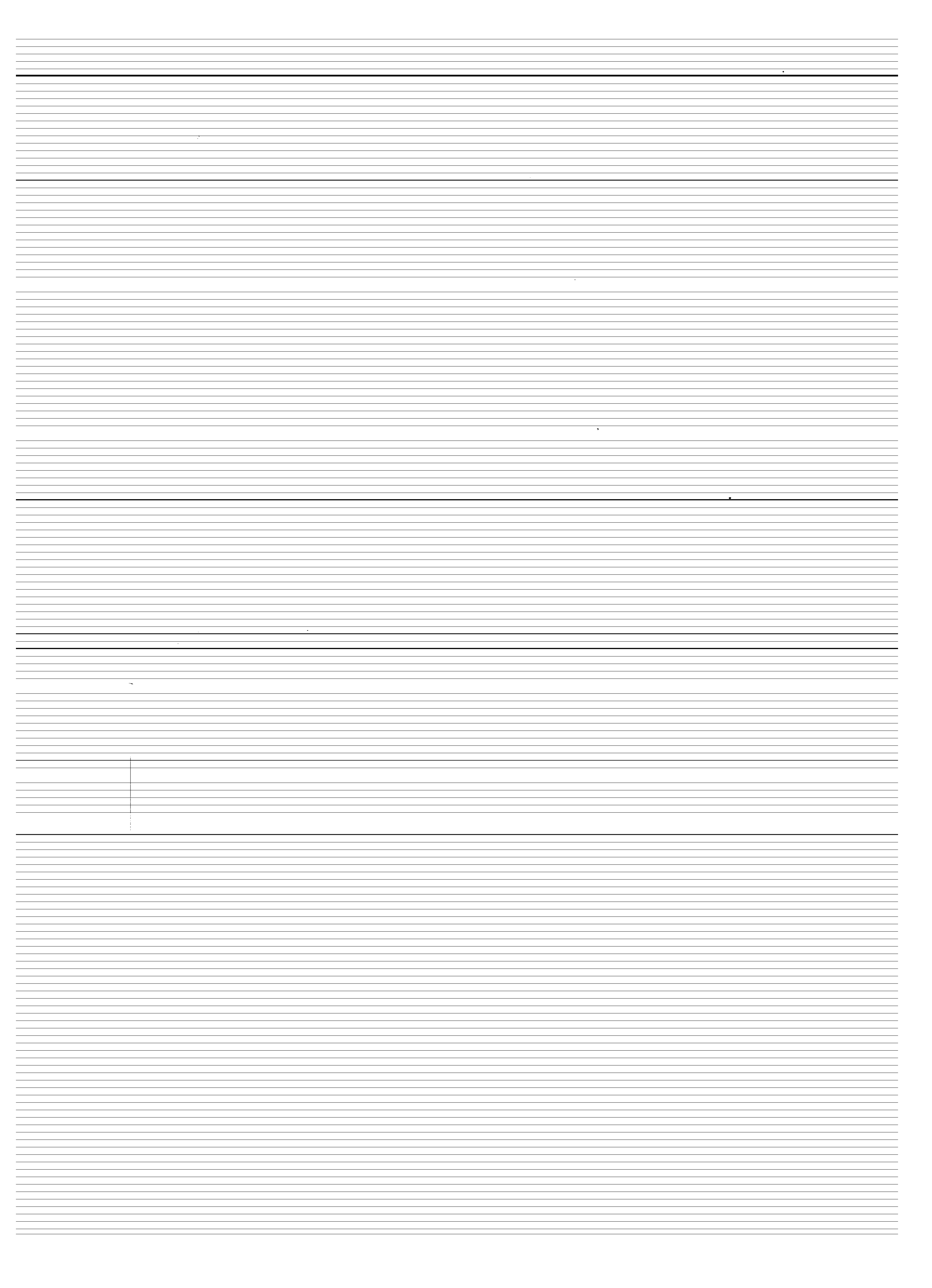
بحمد الله تعالى والثناء عليه، والشكر له على ما وفق إليه وأعان عليه، وبالصلاة والسلام على رسوله الخاتم الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا، بهذا الحمد وتلك الصلاة أختم هذا الكتاب وهو الحلقة الرابعة «التربية الدينية» من هذه السلسلة «مفردات التربية الإسلامية» داعيا الله تبارك وتعالى أن يهيئ من الأسباب ما أستطيع به إنجاز باقي حلقات هذه السلسلة، إنه سبحانه على ما يشاء قدير، ولقد وفّق وأعان فيما مضى، وليس كثيرا على مَنّه وكرمه أن يوفق ويعين فيما بقى، فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير وهو المستعان.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

على عبد الحليم محمود

القاهرة في شهر صفر الخير من عام ١٤٢١ هـ

الموافق لشهر مايو من سنة ٢٠٠٠م



قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولا :

فى الفكر الإسلامى وقضاياه :

١ - مع العقيدة والحركة والمنهج .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢ - الغزو الصليبى والعالم الإسلامى .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية
٣ - المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى .	نشر دار المنار بالقاهرة
٤ - الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى .	نشر دار المنار بالقاهرة
٥ - التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه .	نشر دار الوفاء بالقاهرة
٦ - التعريف بسنة الرسول ﷺ ، أو علم الحديث دراية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية
٧ - نحو منهج بحوث إسلامى .	نشر دار الوفاء بالقاهرة
٨ - السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .	نشر دار عكاظ بالسعودية

ثانيا :

أ - فى التربية الإسلامية :

٩ - تربية الناشئ المسلم .	نشر دار الوفاء بالقاهرة
١٠ - منهج التربية عند الإخوان المسلمين .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
١١ - وسائل التربية عند الإخوان المسلمين .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية

ب - سلسلة التربية فى القرآن الكريم :

١٢ - التربية الإسلامية فى سورة المائدة .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٣ - التربية الإسلامية فى سورة النور .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية
١٤ - التربية الإسلامية فى سورة آل عمران .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية

١٥ – التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٦ – التربية الإسلامية فى سورة الأنفال .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٧– التربية الاسلامية فى سورة النساء	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٨– التربية الإسلامية فى سورة التوبة	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

جـ – سلسلة مفردات التربية الإسلامية :

١٩ – التربية الروحية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢٠ – التربية الخلقية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢١ – التربية العقلية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢٢– التربية الدينية	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

ثالثًا :

فى فقه الدعوة الإسلامية :

٢٣ – فقه الدعوة إلى الله .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٤ – فقه الدعوة الفردية .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٥ – المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٦ – عالمية الدعوة الإسلامية .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٧ – التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٨ – فقه الأخوة فى الإسلام .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢٩ – فقه المسئولية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

رابعًا :

سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا .

٣٠ – ركن فهم أصول الإسلام	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣١ – ركن الإخلاص	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٢ – ركن العمل أو منهج الإسلام الإصلاحى .	نشر داو التوزيع والنشر الإسلامية .

٣٣ – ركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٤ – ركن التضحية أو بذل النفس والمال وكل شيء في سبيل الله تعالى .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٥ – ركن الطاعة .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٦ – ركن الثبات .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٧– ركن التجرد .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٨– ركن الأخوة	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٩– ركن الثقة	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

خامساً :

في الأدب الإسلامي :

٤٠ – مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه .	نشر دار عكاظ بالسعودية
٤١ – جمال الدين الأفغاني والاتجاهات الإسلامية في أدبه .	نشر دار عكاظ بالسعودية .

سادساً :

في الدراسات الأدبية :

٤٢ – القصة العربية في العصر الجاهلي .	نشر دار المعارف بمصر
٤٣– النصوص الأدبية، تحليلها ونقدها .	نشر دار عكاظ بالسعودية .

سابعاً :

كتب معدة للنشر :

١ – التربية الإسلامية في المدرسة .

٢ – التربية الإسلامية في المجتمع .

٣ – باقي سلسلة مفردات التربية الإسلامية « ستّ حلقات »



ثبت موضوعات الكتاب